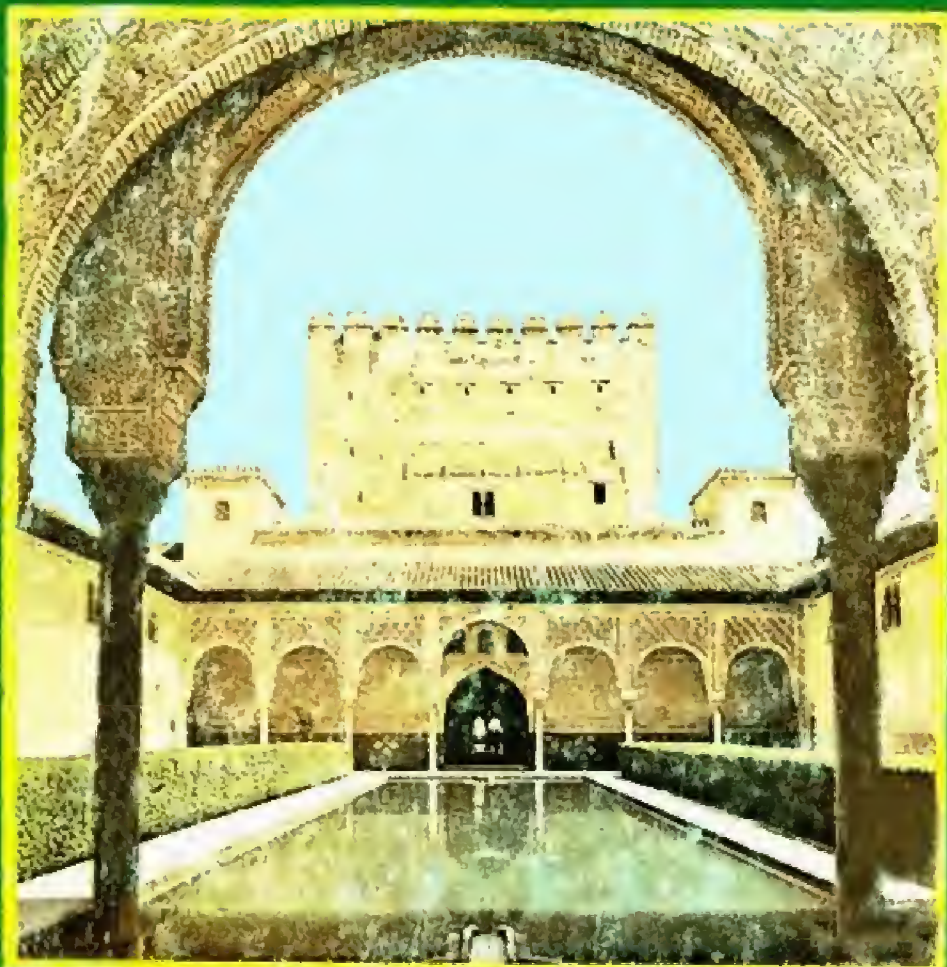


أعلام المغرب والأندلس

في القرن الثامن

وقد كان أمير المؤمنين في شعر من يحيى وارتاد الزمان
للأمراني والوليد والسميل بن يوسف والعماد الغناطي والذليلي



مؤسسة الرسالة

مكتبة دار
الدكتور محمد رضوان الداية

أعلام المغرب والأندلس

وهو كتاب: نشر الجمان في شعر من نظميني وإياه الزمان
تأليف الأمير الأندلسي الغرناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (٨٠٧هـ)

حققه وقدم له

الدكتور محمد رضوان الديبة

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد بجامعة دمشق

مؤسسة الرسالة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

مؤسسة الرسالة - بيروت شارع سورية - بناية صمدي وصالحه

ص ب ٧٤٦٠ هاتف ٢٩٥٥٠١

برقياً : بيوشران

اعلام المغرب والأندلس
نشير الجمان لابن الأحرر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ (يُعَدُّ القرن الثامن - الهجري - أكثر عهود دولة بني الأحمر (من بني نصر) زهاء وقوة وتمكناً ؛ فقد كانت أيامهم في القرن السابع (منذ سنة ٦٣٥) تثبيتاً لحدود الدولة وإرساء لدعائها ، ورسماً لسياستها ، وتهيئة للأسرة الحاكمة وأصهارها ومن يلوذ بها في أنحاء المملكة الفتيمة . وكان استقرار الأمور وهدوؤها - في القرن الثامن - نسبياً ، فقد شهد النصف الأول منه حروباً سجالاً مع قشتالة وغيرها من دول إسبانيا المجاورة ، بينما اتسم النصف الآخر بالحفاظ على معاهدات السلم والهدنة التي عقدتها دولة غرناطة مع جيرانها . وكان هذا القرن حافلاً بالأعلام في الآداب والفنون والعلوم وشؤون الهندسة والعمران ، وحافظ الأندلسيون على خبراتهم الموروثة ، كما ظلت الأندلس الباقية منار إشعاع فكري وحضاري على الرغم من ظروفها السياسية والعسكرية القاسية .

ويكفي أن نذكر من أعلامه لسان الدين بن الخطيب^(١) ، وأستاذه أبا الحسن بن الجياب^(٢) ، وابن خاتمة الأنصاري^(٣) ، وابن زمرك^(٤) ، والشريف

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب (٧١٣-٧٦٦) الوزير الكاتب الشاعر صاحب المصنفات الشهيرة . (انظر دراسة عنه خاصة للأستاذ عنان)

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن الجياب (٦٧٣-٧٤٩) الوزير الكاتب الشاعر له ديوان شعر ، ورسائل . (وديوانه في سلسلة دراسات أندلسية)

(٣) أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة (٧٧٠-٧٧٠) متصوف ، شاعر ، أديب له ديوان مطبوع (وزارة الثقافة بدمشق)

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي (٧٣٣-٧٩٣) شاعر من مشهوري كتاب الدولة النصرية . (انظر دراسة عنه في سلسلة الذخائر)

(السبتي) (١)، وأبا القاسم بن جُزَيّ السكبي المفسر المشهور (٢)، وأبا البقاء خالد البلوي صاحب رحلة «تاج المفرق» (٣)، وأبا الحسن النباهي القاضي المشهور (٤).
 (٢) ومن رجال القرن الثامن الأديب المؤرخ المشارك في فنون من الثقافة العربية والإسلامية أحد أمراء البيت النصري: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. وبنو نصر هم حكام دولة غرناطة منذ نشوئها - بعد انتهاء الموحدين وانقراض الثائرين على دولتهم - إلى نهاية الإسلام في الأندلس، وينتمون في نسبهم إلى الصحابي الجليل سعد ابن عبادَةَ الأنصاري. ومحمد بن الأحمر (شقيق جد صاحب الترجمة) هو مؤسس الدولة الذي استدعاه أهل غرناطة فملكها سنة ٦٣٥ . أما أبو سعيد فرج فقد كان والياً على « مالقة » . وكانت لمحمد بن فرج ثورة في مدينة أندرش سنة ٧٢٧ ؛ ذلك أنه قدم من تلمسان - حيث يقيم - إلى أندرش باستدعاء عثمان بن أبي العلاء القائد المغربي المريني صاحب (الجند الغربي) (٥) بعد أن جافى الأمير محمد النصري (٨٢٥ - ٧٢٣) واصطدم بالوزير محمد بن أحمد بن المحروق . ولكن الخلاف بين ابن أبي العلاء والأمير النصري انتهى بوفاة الوزير ، فصرف القائد المريني الأمير محمد بن أبي سعيد فرج ثانية إلى تلمسان .

-
- (١) أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني الغرناطي (٦٩٧-٧٦٠) القاضي الأديب صاحب شرح مقصورة حازم (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة) .
 (٢) (٦٩٣-٧٤١) الشهيد في وقعة طريف، صاحب تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل) .
 (٣) أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي القتوري صاحب الرحلة المشهورة «تاج المفرق» بتعليق علماء المشرق .
 (٤) علي بن عبد الله بن الحسن النباهي (٧١٣-٧٩٢) صاحب كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المطبوع بعنوان : تاريخ قضاة الأندلس .
 (٥) كان المرينيون والنصريون قد اتفقوا على إبقاء حامية من الجند المغاربة برسم الجهاد في أرض العدو ومساعدة الأندلسيين في دفاع أو هجوم . وأول من رأس الجند المغربي عثمان بن أبي العلاء . (انظر الملحة البدرية لابن الخطيب ، ونهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان) .

وكان الفرع الذي ينتمي إليه صاحب الترجمة قد اضطرب أمره بخلافات حول الملك ، واصطدم إسماعيل بن فرج (خامس الملوك النصريين) بوالده ، وبأخيه محمد ، مما أدى إلى انتقال محمد إلى بلاد المغرب مع نفر من آله .

ومع هذا فإن صاحب الترجمة يقول إن والده يوسف خرج من الأندلس إلى بلاد المغرب ، فوفد على بجاية أولاً ثم استقر - مع أولاده ، وفيهم إسماعيل - بفاس . ويظهر لنا من ترجمته أنه ولد بالأندلس ، وعاش فيها صدرأً من صباه ، ثم استقر بالمغرب يتذكر أيامه بغرناطة ويحن إليها ، ويتعش من أعمال في دولة بني مرين ، وجراية كانوا يحجرونها على (الوافدين) من الأسرة النصرية^(١) .

٣ () ولد إسماعيل بن يوسف بن محمد نحو سنة ٧٢٥ بغرناطة^(٢) ، وغادرها مع أبيه - على الأكثر - إلى بجاية ، ثم استقر بفاس . وكانت مغادرته في عهد الأمير يوسف (الأول) « ٧٢٣ - ٧٥٥ » ، ويروي لنا أنه غادها مرغماً مُفَرَّجاً ، فلو لا أن هدر الملوك بنو عمي بوطني دمي لسرت إليهم على رأسي لا على قدمي ... »^(٣) ، ويوافق هذا عهد أبي الحسن علي المريني .

وقد نبغ صاحب الترجمة في عهد أبي عنان المريني الذي قرب به في جملة العلماء والأدباء

(١) راجع تفاصيل ذلك في الدراسة في الموسوعة عن إسماعيل بن الأحرار في (تثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان : دراسة وتحقيق - المكتبة الأندلسية العدد ١٨٥ تأليف د . محمد رضوان الداية) .

(٢) انظر في ترجمته : درة الحجال لابن القاضي ١ : ١١٦ ، وجذوة الاقتباس ، له : ٦٩ ونيل الابتهاج لأحمد بابا : ٩٩ ، واللمحة البدرية للسان الدين بن الخطيب : ٢٤ ، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف : ٢٣٨ . وسلوة الأنفاس للكتاني ٣ : ٢٥٦ وفهرس الفقهارس والأنبات لعبد الحي الكتاني ١ : ١٠٠ ، وإيضاح المكنون ١ : ١٧٢ ، وهدية العارفين ١ : ٢١٥ .

وله تراجم في كتب المعاصرين مثل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، والأعلام للزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحلالة ، وغيرها .

(٣) (تثير الجمان (نسخة داو الكتب) ٢/ب .

والشعراء ، وكان مشهوراً يحب العلم وأهله ، جشاعة للكتب ، مثيباً للشعراء . واستمرت صلته بالدولة المرينية طوال حياته ، سواء كانت علاقة بالسلطين أنفسهم أم بالكتاب والوزراء والحجاب وطبقتهم .^(١)

وقد تلقى علومه الأولى في غرناطة ، ولكن شيوخه الذين ذكرهم في فهرسته كانوا من المغرب ، أو من الأندلسيين المقيمين فيه ، أو الأندلسيين في أثناء ترددهم عليه أو في أثناء رحلاتهم إلى الشرق وعودتهم منه . فمن شيوخه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ابن آجروم) ، والقاضي الفقيه الحسن بن هثان الوائشريسي ، والقاضي محمد بن أحمد الفشتالي ، والفقيه سعيد بن أبي العافية الكناسي . ومن أجازته من الأندلسيين أبو سعيد فرج بن لب التغليي الغرناطي وأبو القاسم عبد الرحمن الأموي ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرقيني . السراج ، وأبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري وغيرهم . وكان يتصل بالوفود الغرناطية الأندلسية الزائرة ، ويلتقي بالعلماء والأدباء يستجيزهم علومهم ، ويستنشدهم أشعارهم ، ويستكتبهم رسائلهم ويدون ذلك ويجمعه ويحرص عليه . كما كان يطلب إليهم موافاته ببعض إنتاجهم ليرسمه في بعض مؤلفاته ، كما يظهر بجلاء في ثنايا كتابه هذا الذي نقدم له . وكانت وفاته عن سن متقدمة بفاس سنة ٨٠٧ ، وقيل سنة ٨١٠ .

(٤) وقد حفظت لنا عدة أسماء ممن تتلمذ على ابن الأحمر أو روى عنه أو أخذ عنه الإجازة مثل سعيد بن إبراهيم السدراقي الشهير بشهبون ، وعبد الرحمن الجادري^(٢) .

وله عدد من المؤلفات ، بعضها مفقود ، والذي نعرفه منها :

(١) راجع تفاصيل صلته ببني مرين في دراسة المحقق عن حياة ابن الأحمر وأدبه : ٨٥-٨٧ .

(٢) انظر : دراسة في حياة ابن الأحمر وأدبه : ٨٧ .

١ - شرح البردة : ذكره في نثير الجمان ونقل منه نصاً في الورقات ٥٣ - ٥٦ (مخطوطة دار الكتب المصرية) .

٢ - عرائس الأمراء ونفائس الوزراء : ذكره في نثير فرائد الجمان ، وذكره ابن القاضي أيضاً .

٣ - تأنيس النفوس في تكميل نقط العروس : ذكره ابن القاضي ، وأحمد بابا ، وصاحب سلوة الأنفاس ، وصاحب فهرس الفهارس .

٤ - برنامج أو مشيخة ونقل أحمد بابا منه نقولاً كثيرة في (نبيل الابتهاج) .

٥ - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك : ذكره في نثير الجمان (الورقة ٣٢) .

٦ - نظم وشرح : على غرار كتاب لسان الدين رقم الحلل (في التاريخ) ، ذكره في سلوة الأنفاس ، وأحمد بابا في نبيل الابتهاج .

٧ - فريد العصر في شعر بني نصر : ذكره في نثير الجمان .

٨ - مشاهير بيوتات فاس : قال في فهرس الفهارس : وهو الذي اختصره أبو زيد الفاسي في كتابه المطبوع .

٩ - حديقة النسرين في أخبار بني مرين : ذكره ابن القاضي ، وأحمد بابا ، وفي فهرس الفهارس .

١٠ - روضة النسرين في أخبار بني عبد الوادي وبني مرين : ذكره غير واحد وهو مطبوع . نشره ل . بروفنسال في المجلة الآسيوية (أكتوبر ديسمبر - ١٩٢٣) ، ثم أعاد نشره الأستاذ المؤرخ عبد الوهاب بن منصور (١٣٨٢ - ١٩٦٢) (١) .

١١ - مستودع العلامة ومستبدع العلامة : ذكر فيه من تولى «العلامة» من الكتاب عن الملوكة . وطبع الكتاب في تطوان عن كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بتحقيق الأستاذ محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني .

١٢ - نشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان : ألفه سنة ٧٩٩ وجعله في فصلين : الأول لعدد من شعراء المشرق والثاني لعدد من شعراء المغرب . وجعل الفصل الثاني في قسمين : أحدهما لشعراء الأندلس والثاني لشعراء المغرب (بر المدوة) . وتراجم الكتاب كله ثلاثون عدا ترجمة المؤلف الذاتية وقد حققت الكتاب ونشرته في المكتبة الأندلسية (العدد ١٨) (١) .

١٣ - نشير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان : وهو هذا الكتاب الذي تقدم له ألفه ابن الأحمر سنة ٧٧٦ وقصره على شعراء الأندلس والمغرب (بمعناه العام) ولم يذكر فيه أحداً من المشاركة على سبيل الترجمة . وهو كتاب تراجم يعتني بالنصوص الأدبية ، وبخاصة منها النصوص الشعرية . وفيه نيف وسبعون ترجمة لأدباء ومتأدبين من الأندلس ، والمغرب (الأقصى) من رجال الدولة المرينية ، والمغرب (الأوسط) من رجال الدولة الزيانية العبد الوادية ، والمغرب (الأدنى) من رجال الدولة الحفصية . وقد انتظمت هذه التراجم معظم المشهورين من أعلام هذه الدول ورجالها .

وجعل كتابه في اثني عشر باباً ، عشرة أبواب في التراجم ، واثنان مكملان لمقاصد المؤلف ، فالأول في فضل الشعر وإباحة انشاده بالمساجد ، والثاني عشر في الشعر الذي قيل في السيف الذي [كان] بصومعة جامع القرويين من فاس ، مع مقدمة وخاتمة .

والكتاب واحد من كتب التراجم القليلة التي بقيت من هذا العصر ، وأشهرها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، وكتاب الكتيبة السكينة فيمن

لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ، وكتابا ابن الأحمر المشار إليها . وقد ألفت كتب أخرى في التراجم ، والتعريف بالمدن ورجالها ولكنها في حكم المفقودة مثل كتاب ابن خاتمة المسمى مزيّة المريّة .

(٥) والكتاب ، على كل حال ، من الآثار الأدبية الباقية من القرن الثامن وهو ذو أهمية متنوعة الجوانب ، فإن فيه نماذج هامة من شعر رجال العصر ونثرهم وفيه تراجم عدد كبير منهم ، مما يستقل المؤلف بذكره ، أو يعضد تراجم أخرى لهم في كتب سابقة أو لاحقة ، وفيه ملاحظات تاريخية واجتماعية وثقافية تلقي أضواء على العصر وأحواله وتقلباته . والكتاب - بعد - معرض لحياة المؤلف ، وعلاقاته ، وتجاريه ، وصلاته بالدول والأمراء لزمانه ، ومجال عرفنا فيه شخصيته التاريخية والأدبية ، ومشاركاته في عدد من الفنون والأغراض . وعلى الرغم من لغة المؤلف التي أكثر فيها من السجع ومن الأسلوب المرصع فإن القارئ يستشف آراءه وتقريراته وأحكامه بوضوح . وكان ربما خرج إلى الأسلوب المرسل وتحرر من القيود .

(٦) اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختيه المعروفتين لنا ، وما مخطوطة دار الكتب المصرية (المحفوظة تحت رقم : أدب ١٨٦٣) ومخطوطة الخزانة الملكية بالرباط .

ومخطوطة دار الكتب المصرية تقع في ١٢٩ ورقة ، وسقطت منها ورقتان من البداية وورقة واحدة من الخاتمة ، ولا نجد تأريخاً للنسخة لفقدان أولها وآخرها . وطمس أسفل بضع صفحات من أول النسخة (في حدود سطرين إلى ثلاثة أسطر) بفعل ترميم جرى عليها ، وهي بخط مغربي جميل .

أما مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط فتقع في ١٣٦ ورقة ، منها أربع

ورقات من الحوامي وليست من أصل الكتاب . وهي بخط مغربي دقيق ، وكتبت بأكثر من قلم واحد . وهي إلى ذلك متداخلة الصفحات مضطربة الترتيب . ولم يكن ناسخها - أو ناسخوها - على نصيب من العلم فتداخل الشعر بالنثر في بعض التراجم . والنسخة المغربية بعد متأكدة في مواطن متعددة بفعل الأروسة . وقد عاينت النسخة الأصلية واستدركت مواضع كثيرة غمضت في النسخة المصورة منها^(١) .

وقد تداركت من النسخة المغربية ما سقط من نسخة دار الكتب المصرية وقابلت النصين ، وإن كانت الفروق بينهما قليلة . ولكن الفائدة الحقيقية كانت في توثيق الكتاب وعرضه وضبطه ، واستدراك أوله وآخره . واعتمدت نسخة دار الكتب أساساً ؛ لوضوحها ، وضبطها ، وحسن خط كاتبها ، ووضوح قاعدة رسمه ، وانسجام النسخة من أولها إلى آخرها . وجعلت النسخة المغربية أصلاً ثانياً أتدارك منه النقص ، وأقابل عليه . وقد اجتهدت في العناية بالنص ، وضبطه ، ومقابلته ، وأحلت في التراجم على مظاهر ذكرهم وأخبارهم ، وقابلت النصوص على أصولها في الدواوين والمختارات في الكتب الأصلية^(٢) - إن وجدت - وأضفت حواشي وتعليقات

(١) كان ذلك في شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧٤ ، في أثناء مهرجان ابن زيدون ، وكانت زيارتي للرباط تلبية لدعوة كريمة من وزارة الثقافة ، وقد اطلعت على المكتبة العامة بالرباط والخزانة الملكية بها ، وسئل لنا المسؤولون جميعاً سبيل القراءة والمراجعة والتصوير ، فإلهم أقدم آيات الشكر ، والثناء .

(٢) من أهم ما رجعت إليه كتب لسان الدين بن الخطيب في التاريخ والأدب مثل الإحاطة والكتيبة الكامنة ، واللمحة البدرية ، ورقم الحلل ، ومعيار الاختبار ، ومشاهدات لسان الدين ، وريحانة الكتاب ، ودواوين بعض المعاصرين كديوان لسان الدين بن الخطيب وديوان ابن خاتمة الأنصاري ، وديوان أبي الحسن بن الجياد . ومن ذلك كتابا المقرئ فتح الطيب رحلة أبي البقاء البلوي والرقبة العليا للنباهي . وكتب التاريخ كتاريخ ابن خلدون وأزهار الرياض ، بالإضافة إلى كتب التراجم ، وكتب التاريخ كتاريخ ابن خلدون وترجمته الذاتية... ومن هذه الكتب ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ، كما هو مبين في ثبت المصادر والمراجع .

بما يفيد الكتاب ولا يثقل به وامش يمكن الاستغناء عنها ، على قدر الطاقة ،
والنظر ، والاجتهاد .

وبعد :

فإنني أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع خطوة أخرى في طريق
إحياء التراث الأندلسي وأن يساهم في جلاء جوانب جديدة من حياة الأدب
الأندلسي وتاريخه وآمل أن يتلقاه المهتمون بالأندلسيات بعين الرضا وأن
يلتمسوا لما سهوت عنه ، وغاب عني منه ، عذراً مقبولاً .
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

وهران (بالقطر الجزائري)

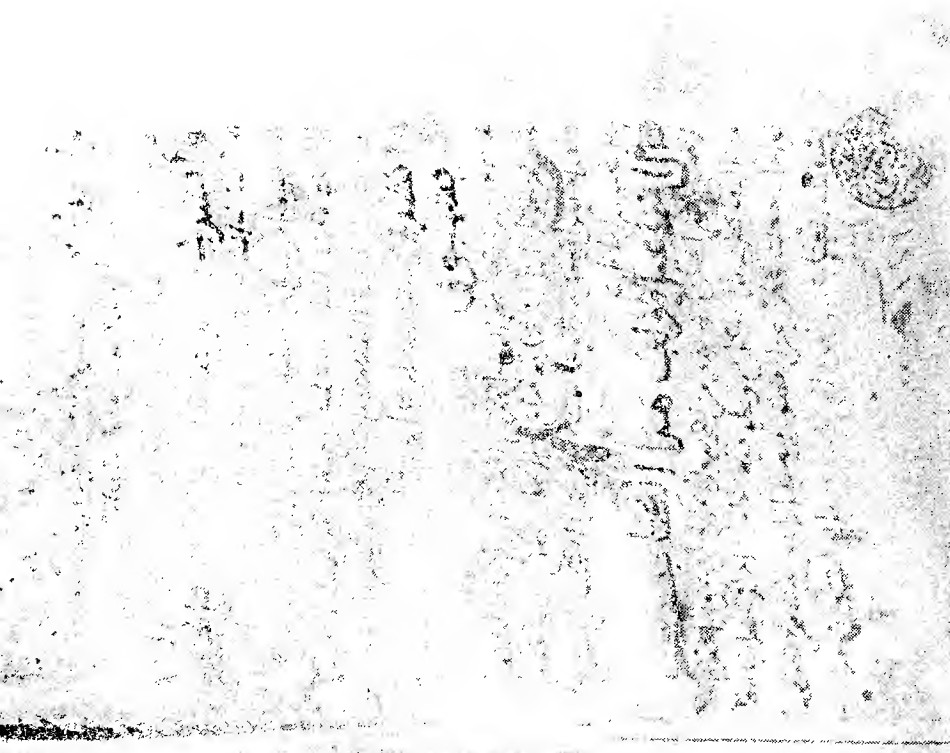
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

د . محمد رضوان الداية



وهذا هو المتن الذي ذكره في

الذي هو المتن الذي ذكره في



صورة الورقة الآخذة من المخطط المحفوظة في الخزانة المكتبة بالمطبع في القاهرة

[illegible]

لِللَّهِ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ الْحَقِّيقِ

قال الرئيس الفقيه^(١) النحوي^(٢) الراوية المسند الحافظ ، فارس النظم والنثر ، أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله^(٣) أبي عبدالله بن علم الأمراء ووالد الكبراء ، الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن الأمير أبي الوليد إسماعيل بن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد ابن أحمد بن محمد بن خنيس بن نصر بن محمد بن محمد^(٤) بن نصر^(٥) بن علي بن يحيى بن سعد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ، رضي الله عنه بمنه وكرمه :

[أحمد الله تعالى الذي^(٦) جعل مورد الآداب لدى البث والاكتساب^(٧)

(١) و(٢) سقط من نسخة الرباط عدد من ألقاب المؤلف العلمية بسبب تآكل النسخة، وتقدر بنحو ٦ كلمات .

(٣) لقبه في نثير الفرائد بالقائم بأمر الله (ص ٢١٥) .

(٤) (محمد) زيادة عما أورده في نثير الفرائد .

(٥) في نثير الفرائد : نصير، ولعلها من تصحيف النساخ .

(٦) ما بين معقوفتين غير ظاهر تماماً في نسخة الرباط .

(٧) تآكل من الأصل بمقدار ٥ كلمات تقريباً .

بروي ذا القلب المعنى من فائق اللفظ ورائق المعنى . وأطلق من وثاق^(١)
الحرمان نفس الجعد البنان^(٢) إلى طلاقة^(٣) وسماحة^(٤) .
وأخص بالصلاة سيدنا ومولانا محمداً سراج البيان^(٥) مصباحه ، وأعم
به [آله]^(٥) ذوي الأخلاق الساطعة الإشراف والصباحه . وأسلم عليهم
كثيراً عيماً ، مساء الزمان وصباحه .
وبعد : فإنه لما كانت الشعر أعذب ما تطمح إليه الهمم الهمامية^(٦) ،
وأسنى ما تعتمد به أنفس أولي الفعال الاهتمامية ، [لما يشتمل]^(٧) عليه من
ضبط القوافي والأوزان ، ويحتوي عليه مسرحه من بديع الحلاوة والنغمات
[المذهبة]^(٨) . [ولما كان]^(٩) ديوان العرب الذي خلدت به
مآثرها^(٩) به تتفاوت في الناس الأخطار وتتشرف النفوس وإن اختلفت بهم
الأقطار . وإذ هو أشرف زي وأرفع لباس ، وأجلب شيء لنفع . وأدفع
لباس^(١٠) ، ولما كان في المرتبة العالية في نفوس أهل العقد والحل ، وبلغ
عند ذوي الألباب المنزلة الرفيعة وسني الحل ، وصار يعتلق بها اعتلاق الحرباء
بالأعواد ، ويسلك منها مسلك السباحة في أجساد الأجواد ، وكانت العيون

-
- (١) في الأصل: وثائق . وهو تحريف .
(٢) جعد البنان : كناية عن البخيل .
(٣) كلمة غير ظاهرة .
(٤) كذا بغير واو العطف . وانظر الفقرة الموازنة بعد .
(٥) غير واضحة في الأصل .
(٦) تآكل بعض أجزاء الكلمة في الأصل .
(٧) غير واضحة في الأصل .
(٨) تآكل بعض العبارة في الأصل .
(٩) عبارات لم تظهر بتآكل شديد في النسخة ، تقدر بنحو ٣ أسطر .
(١٠) سطران غير واضحين في نسخة الرباط .

أبدأ إلى^(١) المخترع منه طامحة ، وإلى رؤية^(٢) ما نجم من محاسنه لامحة ،
والأنفس بقبول حفظه ساحة ، وكان في هذا العصر الذي أنا فيه من يأتي
في^(٣) نظمه بالبديع ويوفيه. من محب متغزل، ومادح للطلوب مستنزل، سنحت
لأهله نصحياتي وسمحت بعمله قريحتي .

فسألت الله التيسير في كل عسير ، فزال عني الالتباس ، وذهب أكثر
الباس . فجمعت في هذا التأليف ما وجدته لهم متمحفاً شعاعه ، وألفته من
نفائس [جواهرهم]^(٤) متفرقا شعاعه لأطلع منه على بدائع جالبة للسوان^(٥)
في كل أوان . معولا في ذلك على ما طاب فصله ، وفرع ذرى الإجابة
فرعه وأصله .

واقصرت فيه على من لنفسه أنشدني ، ومن بنظامه البارع استرشدني
[ممن رأيت بالعيان من الشعراء الأعيان]^(٦) ومن بسني لحقته^(٧). وغرضي أن
أكتب ما أجده من الرسائل لمن ثبت اسمه ، وأضمنه^(٨) أنواعا شتى من
المكاتبات ، وأحسن رسمه .

إذ [هذا]^(٩) النوع الإنشائي من الطبقة العليا بالموضع الذي لا يُجمل علوه ،
ولم [يتقلد حليه]^(١٠) من الجنس الإنشائي إلا الآحاد فلا ينبغي أن يهمل سموه .
وسميت كتابي هذا: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وألفته

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) كلمة (في) زيادة على الأصل .

(٣) الكلمة متأكدة في الأصل ، واستدركت من نثير الفرائد (في عبارة مشابهة).

(٤) سقطت عبارة تقدر بنحو ٣ كلمات ، ظهر منها : وأتيت ، بمحاسن

(٥) من نثير الفرائد (في عبارة مشابهة).

(٦) سقطت ثلاثة أسطر تقريباً .

(٧) في الأصل : ونضمته . وقد ورد كذا في نثير الفرائد في عبارة مقاربة . قلت: انظر
الفعل التالي.

(٨) غير واضح في الأصل، والمثبت من : نثير الفرائد .

وأنا ببرّ العدوة، في كنف الملك المريني والحفوة^(١)، حين أخرجنا من الأندلس بنو عمنا الملوك الأحمريون وعشيرتنا السلاطين النصريون، خوفاً منّا على سلطانهم^(٢) بأوطانهم. [لأجل]^(٣) واش مرود^(٤) متملق بذلك [غير]^(٥) ودود. يظهر لهم النصيحة حالية، ويخوفهم بما^(٦) وقع في الأيام الخالية. وإن الملك عقيم. وإذ كل من هو من بيته من حوله مقيم.

ولما كان الحلول بملوك المغرب [أمطروا]^(٧) علينا سحائب كرمهم المغرب، وحسنت الأحوال، وذهبت الأهوال. وطاب المقام، ونجم الأمن واستقام.

ومع هذه^(٨) الفضائل السامية والمفاخر النامية، فكثيراً^(٩) ما أنشد في الحنين إلى الوطن:

بلادي وإن شطت عليّ عزيزة وقومي وإن شحوا [علي كرام]^(١٠)
إذ هو من وطن آبائه، ومحل قومه وأحبائه. ومن مروءة المرء حنينه

(١) في الأصل: الحفوة. قلت والمصدر من حفي به: حفاوة - بفتح الحاء وكسرهما - وتحفاية. وأما الحفوة بضم الحاء وكسرهما فهو مصدر حفي: مشى بغير خف ولا نعل.

(٢) تآكل بقدر كامتين. والأشبه أن تكونا: إذ كنا (؟) .

(٣) ظهر نصف الكلمة.

(٤) في القاموس: مرد فهو مارء، ومريد.

(٥) ظهر نصف الكلمة.

(٦) واقرأ أيضاً: بما.

(٧) غير ظاهرة في الأصل.

(٨) بعض حروف العبارة متآكل من الأصل.

(٩) في الأصل: فكثير.

(١٠) البيت ناقص في الأصل بتآكل الصفة والحفوة فيه: وإن جارت.. وإن ضنوا.

إلى وطنه^(١) . وقد حن رسول الله ﷺ إلى مكة إذ هي دار مولده^(٢) .
 [وفد أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ قبل أن يضرب الحجاب ،
 فقالت له عائشة رضي الله عنها] : كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد
 (اخضرت جنباتها)^(٣) ، وابيضت بطحاؤها ، وانتشر سلمها ، وأعذق
 إذخرها ، فقال النبي عليه السلام^(*) [١/ب] : دع القلوب تقرر .

وحدثني بفاس في سنة أربع وسبعين وسبع مئة ، شيخنا الفقيه المحدث
 الراوية المسند الحاج الرحال الصالح المعمر أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني
 المعروف بالسراج ، وشيخنا الفقيه القاضي الخطيب العالم المفتي المدرس أبو عبد
 الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ قال : حدثنا الفقيه الخطيب الحاج الرحال
 المحدث الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي
 نزيل فاس ، عن الفقيه الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن
 محمد الكناني الشاطبي عن الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن

(١) جملة ظهر منها : وإن ...؟ مستوطنه .

(٢) نأكلت ثلاثة أسطر وظهر نحو سطرين ، ثم تعافت النسختان المخطوطتان . وما بين
 معقوفتين غير ظاهر في نسخة الرباط . وفيه أصيل الخزاعي والحديث : قدم أصيل الغفاري
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب الحجاب ، فقالت له عائشة (رضي
 الله عنها) كيف تركت مكة ؟ قال اخضرت جنباتها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق
 إذخرها ، وانتشر سلمها . الحديث . وفيه : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويها يا أصيل ، دع القلوب تقرر » أخرجه الخطابي في غريب الحديث من طريق
 الزهري ، وأبو موسى المديني من وجه آخر . وانظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ١٨٣
 وكشف الخفا ومزيل الإلباس ١ : ٦٤ ، ٣ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ : ٣٣
 والإذخر : حشيشة طيبة الرائحة ، تسقف بها البيوت فسوق الخشب . وأعذق أي
 صار له أعذاق . والسلم : شجر .

(٣) في الأصل : وقد (اخضر ؟) ثامها . وكلمة (اخضر) غير واضحة . والثمار نبات .
 (*) من هنا تبدأ نسخة (دار الكتب المصرية) وإحالات الأرقام عليها .

يوسف بن قطرال عن الحافظ محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري عن الراوية أبي عبد الله أحمد بن محمد الخولاني عن أبي عمرو عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف اللخمي القبحطيلي قال : حدثني أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى قال : حدثني عمي أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عن أبيه يحيى ابن يحيى عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال . قالت فدخلت عليهما فقلت : يا أبت : كيف تجدك ؟ وبإبلال : كيف تجدك ؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل أمرئ مصبّح في أهليه والموت أدنى من شرك نعليه
قالت : وكان بلال إذا أقلمت عنه يرفع عقيرته ويقول^(١) :

الآليت شعري هل أبيت ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل^(٢)

[٢/أ] قالت عائشة : فجنّت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حنّاها فاجعلها في الجحفة^(٣) .

وأنشدني في الحنين إلى الأوطان ذو الوزارتين الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الخطيب الكاتب

(١) لم يظهر ما بين معقوفتين في الأصلين لطمس فيهما وهو مستدرك من صحيح البخاري ج ٤ : ٢٦٤ وهو في معجم ما استعجم ٢ : ٣٦٩ والعقد ٥ : ٢٧٢ . والبداية والنهاية ٣ : ٢٢١
(٢) نأكت حروف قليلة من الشعر في نسخة ط . وذهب الشعر كله من م .

(٣) الحديث في صحيح البخاري ٤ : ٢٦٤ ، وفيه حبيب إلينا . و : بالجحفة . والجحفة كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة . وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يروا على المدينة . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩ : ١٠٥ .

أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلمي^(١) بقاس يتشوق
معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا
السلطان الغني بالله محمد^(٢)

أحبك يا مغنى الحقوق بواجب وأقطع في أوصافك الفر أوقاتى
تقسّم منك الترب أهلي وجيرتي ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتى
وقلت أنا في ذلك ، حين مقامي ببر العدو في حضرة ملوك مرين لما
أخرجنا عن الأندلس بنو عمنا الملوك الأحرىون النصريون لما قدمناه :

فؤادي يشتكي داءً دفيناً لبعدي عن مزار الظاعنين^(٣)
وأكبادي من الأشواق ذابت ووجدني فاق وجد العاشقين
ولي جسم أضرب به سقامٌ وقلبي بعدهم أليف الشجوننا
ورب البيت لا أنسى هوامهم وكيف ؟ وهم بقلبي ساكنونا
لعمري [ما التوى] إلا عذاب ولإني قد بليت به سنينا^(٤)
يهيج زفرتي تذكّر أرضي ويفجعني ويستهمي الجفوننا
حنيني ما حيت لها عظيم وما بسوى محبتها بثلينا
فما صبرٌ وإن بعدت بباقي كذا سنن الكرام الماجديننا
وما بمراد نفسي كان عنها بعادي ، لا ، ورب العالمينا !

فواجب على الحر الطاهر أن يحن إلى وطنه في السر والظاهر ، ويردد
بالشوق العظيم ما إني أردده من قصيدة ابن عبد العظيم :

(١) هو لسان الدين بن الخطيب ، وسيرد عنه حديث مفصل .

(٢) هو الأمير محمد بن يوسف ، حكم غرناطة مرتين ، الأولى من ٧٥٥ - ٧٦٠ والثانية من

٧٦٣ - ٧٩٣ وهو مخدوم لسان الدين . انظر اللوحة البديرية : ٨٢ .

(٣) في الأصلين : لبعده . ورجحت ما أثبت .

(٤) (ما التوى) زيادة أقترحها ، لطمس في الأصلين مكانها .

حنيني إلى تلك المعاهد أنها معاهد أحياني تذكرت بها حبا
ويتأوه حزناً عليه ، ويكثر من تذكار الأوبة إليه . فلولاً أن هدر الملوك
بنو عمي بوطني دمي ، لسرت إليه على راسي لا على قدمي !
على أن مثلي لاتنهمه الزواجر ، ولا قصده عن مطلبه السيوف والخناجر ؛
بل يقتحم من مراده الأحوال ، ويعمل بقول الشاعر في كل الأحوال :

أزور ولو أن السيوف شواهر^(١) وأدنو ولو أن الجحيم مزارها
إذ كنت من بيت الملك الرفيع السعيد ، ومن أحفاد السلطان الرئيس الأمير
أبي سعيد . وقصدي في هذا الكتاب عند ذكر الملوك والأمراء والكبراء
وغيرهم من سائر الشعراء أن أغضي عما آخذه لهم من القبائح ، وأذكر ما امتازوا
به من الفضائل والمناخ ؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات ، ولا يحل له
تتبع العثرات . غيرة على أعراض الموحدين^(٢) ، [اتباعاً للشرع في تحريم
الغيبة ، وضرباً عن الكريية ، وإثباتاً لحظوظ النقيبة الرغبة^(٣) .

تركت مثالب الرجال لأنني أفضل أن ألقى بفضلني للناس^(٤)]
وأرجو بذلك الستر يوم فضيحة إذا جل خطب في القيامة بالناس
مع أنه ليس في كشف عورات الناس مسرة . وربما نال ما أثبت^(٤) ذلك
بوسى ومضرة . فماضره لو اشتغل بذنوبه ، وتأسف على ما فرط من حوبه ، وستر
العيوب وكف الباس ، وقال كما قال ابن طاهر عامل آل عباس :

وما السر من قلبي كثاو بحفرة لأنني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما أحطت به خُبراً

(١) سقطت جملة ، لم تستثن في الأصلين .

(٢) ما بين معقوفتين من نسخة ط . وقد استجلبت بعض الكلمات من ترجمة لسان الدين بن
الخطيب في نثر الفرائد ٢٢٣-٢٢٤ ، فقد كرر هناك هذه الفقرة بمناسبة ترجمته له

إدلالاً بذكر محاسنه دون مساوئه . (راجع للترجمة) .

(٣) الكريية : الداهية الشديدة . والنقيبة ، النفس والطبيعة .

(٤) كذا فيها .

وقد قال بعض الناس من تعرض للأغراض^(١) ، صار عرضه هدفاً لسهام الأغراض . وأرجو من الله بتركي لذلك ، أن يقيني من المهالك .

وكتابي هذا قد أينعت أفنان رياضه ، وملئت بالآداب الرائقة أرجاء حياضه ، فأدابه فائقة ، وصفحاته بالحسن رائقة ، وقد قلت في وصفه :

هذا الكتاب له فضل على الكتب كتب القريض مع التاريخ والأدب

لأجل تركي مساوي من به ، وسما سمو واضعه في أشرف الرتب

لم أرض ذكر مساوي الناس عن كرم فلاني لست للفحشا بمناسب

يبدي السرور لقاريه ، ويبعده عن التفكير والأحزان والكرب

له فوائد مثل الروض في جيدة وفوق أزهاره في الحسن والنسب

يروى الظما (ويداوي) كل ذي وآله وليس جدواه عن راج محتجب^(٢)

إذا ~~الطلب عليه~~ بزبد صفة ~~تجرب~~ آداب أهل العلم والكتب

علم البيان بأشعار مزخرفة جئنا بها مثل نظم الماء بالحب

تنافس الصبح فيه عند بهجته وعندما تم منه منتهى أرب^(٣)

قاريه في لذة ما تنقضي أبداً إلى انقضاء الأمانى البيض في الطلب

من جاء يقبس منه نور فائدة يلقى الهدى وهو لا يخشى من الريب

تهديده للحق فيه كل بارقة تفوق بارقة الأمطار والسحب

أبدت فيه عجباً من محافظتي على العلوم ومن بحثني على العجب

حتى ملأت عياب الطرس من طرّف ومن علوم ومن شعرو من نسب^(٤)

فخذّه واصلح به ما جاء من خلل واعذر ، هديت إلى الإرشاد والقرب^(٥)

(١) رسم كلمة أشبه بـ (أن) غير معجمة قبل صار . ولا معنى لها هنا .

(٢) بعد هذا البيت بيت لم يتضح . وكذا صدر البيت التالي له ، وبعض عجزه .

(٣) كذا في الأصل ؛ وأقرأ : أربي .

(٤) العياب : جمع عيبة : ما يجعل فيه الثياب ، وغيره .

(٥) في م : القرب وفي ط الغرب .

ولعلي أن أكون قد خرجت عن حد الصواب ، فيما ألفته ؛ وتركت من فصل الخطاب ، أضعاف ماعرفته . وإنما ذلك من عوائق تبلد الذهن ، وموانع للنشاط توقع في الفكر الصحيح الوهن . ولم لا ؟ والدهر قد جار بالبعد عن الأهل والجار ، وتبدد شمل الألفة بالأحباب ، ومنع الحياة في القرب منهم والأسباب . والخروج عن الأوطان ؛ والربط من عدوانه بأشطان . فأني صواب يوجد مع هذه المحن ، وأي فصل خطاب معها بما جرت من الإحـن . وإيم الله لولا لهـجي بالأدب ، وكلفي بمن جدي طلبه ودأب ، لم أسارع في تأليف كتاب ، بل لكنت ممن عن وضعه تاب ؛ لهذه المصائب التي غدا سهمها صائب^(١) . فمن تصفح كتابي هذا ، ووقع على خلل في تركيبه ، أو عدلني في تبويبه^(٢) :

[٤/أ] فعين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومع ذلك فلم أخل أن جمعت ما تستملح ، وأحسن شيء في فنه العيون تستملح^(٣) . وجئت ببيان السحر ولبابه . وبدائع تنسي عهد الصبا وحسن شبابه .

بدائع جلّت عن مثال لأنها - لعمرك - إسماعيل ألف حسنها !
فجئت بمجموع قد أشرقت أسرّة براعته الفائقة ؛ وهبّ عطر نواسم جودته الرائقة . قل ما يسمح الزمان بمثاله ، أو ينسج على منواله . لم تقدر على الإتيان بمثله أيدي المصنفين ، ولا شفت آذان إبداعه أنامل المشنفين !

(١) كذا في الأصلين ، مراعاة للسجع .

(٢) في الأصلين نحو سطرين ، طمسا في نسخة م بورق لاصق محال الأصل ، وبنتا كل

نسخة (ط) نأ كلا شديداً .

(٣) فيهما : في فنه العيون تستملح .

وبوّبته أحد عشر باباً (١) :

الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد .

الباب الثاني : في شعر ملوك بني مرين وأبنائهم .

الباب الثالث : في شعر الملوك - بني الأحمر من بني نصر - قومي - وأبنائهم .

الباب الرابع : في شعر ملوك الموحدين الحفصيين وأبنائهم .

الباب الخامس : في شعر ملوك بني زيان من بني عابدة الوادي وأبنائهم .

الباب السادس : في شعر ملوك بني العزّ في وأبنائهم .

الباب السابع : فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الأحمر من بني نصر ، ملوك الأندلس .

الباب الثامن : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا الأندلسية ، وفقهاءها .

الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر كتّاب قومي بني الأحمر ملوك الأندلس .

الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتّاب بني مرين ملوك المغرب .

الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاءها .

الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع [٤/ب] القرويين من مدينة فاس .



(١) فيها : أحد عشر باباً . والحق أن المؤلف أضاف إلى تراجم الشعراء باباً للشعر الذي قيل في السيف الذي كان بصومعة جامع القرويين بفاس (انظره فيما بعد) .

الباب الأول

في فضل الشعر وإباحتها إنشاده بالمساجد

نقول - والله المسدد - : الشعر لا يقوله إلا أهل الفضل والذكاء ، ولا يرتاح لسماعه إلا الكرام . وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يحب أن ينشد بين يديه قصيدة امرئ القيس (١) :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فإذا وصل منشدها بين يديه إلى قوله (٢) :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
يقول رسول الله ﷺ : « أمسيك » نزهة منه ﷺ أن يسمع الفحش الذي بعد ذلك في القصيدة .

وبعض المتفقهين الذين لا أدب عندهم ، ولا هو في طبعهم ينكرون الشعر ويذمون ، ويرون أنه قبيح ، وقائله مذموم . فليت شعري لم أنكروه وهذا رسول الله ﷺ - وهو الأسوة والقدوة - كان يحب سماع قصيدة امرئ القيس المذكورة ، وكانت في أكثر الأوقات تنشد بين يديه . وقد أنشده كعب بن

(١) مطلع قصيدة له (الديوان بشرح الأعلام الشنتمري) : ٢٧ .

(٢) قال الأعلام « قوله ألا زعمت بسباسة هي امرأة عيرته بالكبر ، وأنه لا يحسن اللهو ، فنفي ذلك عن نفسه بقوله - في البيت التالي - كذبت لقد أصبي على المرء عرسه » .

زهير بن أبي سلمى بالمسجد قصيدته التي أولها (١) :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متمم إثرها لم يفد مكبول
فأصغى إليها صلوات الله عليه وأثابه عليها ببردته . ولو كان الشعر - مدحاً
أو غزلاً - نُكِّراً ما سمعه عليه السلام بالمسجد ولا بسواه ، ولا أصغى إليه .
وحسب الشعر رفعة وعزة أن كان رسول الله ﷺ قد حظي عليه وندب
أصحابه إليه ، وتجند على المشركين به ، فقال لحسان بن ثابت : شق القوافي على
الغطاريف من بني عبد مناف ، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في
غيش الظلام (٢) .

ومن فضل الشعر وشرفه أن النبي ﷺ أردف الشريد بن سويد يوماً
فاستنشد من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشده مئة قافية ؛ يقول النبي عليه
السلام عند كل قافية : هيه ! استحسنائاً له (٣) .

ومن فضل الشعر أن رسول الله ﷺ قال : إن من الشعر لحكماً (٤) ؛
قاله للعلاء بن الحضرمي وقد سأله : هل تروي من الشعر شيئاً ؟ ، فأنشده
العلاء (٥) :

(١) ديوان كعب بن زهير : وانظر خبر إسلام كعب ، وقصيدته في السيرة النبوية لابن
هشام (بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ورفاقه) ٤ : ٥٠١ . وانظر العمدة ١ : ٧ .

(٢) انظر العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق (ط الخانجي) ١ : ١٢٠ .
والغطاريف : السيد الشريف والسخي السري .

(٣) الخبر في العقد ٥ : ٢٧٧ ، وفيه «فقال - النبي صلى الله عليه وسلم - هذا رجل آمن لسانه
وكفر قلبه» .

(٤) قال في كشف الخفا : رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس . وهو عند مالك وأحمد
والبخاري وأبي داود والترمذي عن ابن عمر بلفظ إن من البيان لسحراً . وفي رواية
البخاري قال جاء رجلان من الشرق فخطبا فقال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسحراً : (كشف الخفا ومزيل الإلباس : ٢٩٦) وانظر العمدة ١ : ٩٠ .

(٥) الخبر في معجم الشعراء للمرزباني ١٥٦ ، والعمدة لابن رشيق ١ : ١٨٠ .
وفي رواية الأبيات بعض خلاف .

وحيّ ذوي الأضغان تسب قلوبهم تحييتك الحسنى وقد يرفع النغل
فإن دحسوا بالكره فاعف تكرمًا وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذك منه سماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

ومن فضل الشعر : روى عيسى بن طلحة أن النبي عليه السلام قال :
الشعر الحسن مما يزين الله به الرجل المسلم .

ومن فضل الشعر : لما قدم وفد تميم (١) على رسول الله ﷺ فنادوه من
وراء الحجرات (٢) ، خرج إليهم عليه السلام فقال : ما تشاؤون ؟ قالوا :
جنناك بخطيب وشاعر نفاخرك (٣) ، فقال عليه السلام : قولوا ماشتم . فقام
الزبرقان بن بدر (٤) فقال : قد علم الله أنا أكثر أهل الأرض عدة وعدداً ، ولو
شئنا أن نقول قلنا ، ولكنه لا يحمل بنا فيما آفانا الله الإكثار . فقال رسول
الله ﷺ لزيد بن قيس بن شماس (٥) الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج :
قم فأجبههم . فقام فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض بأمره ، ولم
يكن له شيء فيما مضى إلا بعلمه ؛ بعث خير خلقه رسولا ؛ أكرمهم حسباً

(١) السيرة النبوية ٤ : ٥٦٠

(٢) انظر في ذلك ماساقه المفسرون في سورة الحجرات . كالقرطبي ٣٠٥ : ١٦ .

(٣) ورد ذكر الخطيبين والشعرين في مصادر كثيرة ، منها تاريخ الطبري : ١١٥ - ١٢٠
والسيرة النبوية لابن هشام ٤ : ٥٦٠ - ٥٦٧ ودبوان حسان : ٢٤٣ - ٢٥٢ وتفسير
القرطبي ١٦ : ٣٠٢ - ٢٠٦ والأغاني ٤ : ١٥٠ .

وقد تصرف المصنف في نقل الخطيبين فاجتزأ ، واختصر .

(٤) في السيرة النبوية وتاريخ الطبري ، ودبوان حسان ، وغيرها من المصادر اتفاق على أن
خطيب تميم يومها هو عطار بن حاجب ، وأن شاعره هو الزبرقان بن بدر . بيد أن
القرطبي ذكر أن الخطيب هو الأقرع بن حابس . وأجمعت المصادر على أن الأقرع بن
حابس هو الذي شهد الخطيب المسلمين بالغلبة .

(٥) الصحيح أنه ثابت بن قيس بن شماس أخو بلحارث من الخزرج .

وأوسطهم نسباً في عترته من قريش، وذوي رحمه من الأنصار. فلم يزل يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا ماله ودمه، ومن أبي قتلناه، وكان قتله من الله يسيراً. ثم جلس، فقالوا للأقرع بن حابس^(١) : قم فأنشده، فقام فقال : [ه/ب]

نحن الملوك فلاحي يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البييع
ونحن نطعم يوم الحبل جائعكم من السنام إذا لم تبصر القرع^(٢)
فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : قم فأجبه، فقام فمد لسانه
فضرب به أرنبة أنفه، وقال قصيدته التي يقول فيها^(٣) :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد شرعوا سنة للحق تتبع
يرضى بها كل من كانت سجيته تقوى الإله ويرضى كل ما صنعوا
أكرم بقوم رسول الله قائلهم إذا تفرقت الأمواء والشيع
خذ منهم ما أتوا عفواً فإن منعوا فلا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاحذر - عداوتهم سماً يخاض عليه الصاب والسلع^(٤)

(١) الشاعر كما سبق هو الزبرقان بن بدر . (انظر الحاشية ٤ صفحة ٣٣)

(٢) رواية البيت في السيرة النبوية (٤ : ٥٦٣)

نحن الكرام فلاحي يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القرع
وبينهما بيت ثالث في أبيات أخرى . ورواية المؤلف هنا غريبة . (والبيع : مواضع الصلوات والعبادات وأحدها بيعة . والقرع السحاب الرقيق . يريد : إذا لم تمطر السماء فأجبت أرضهم) .

(٣) ديوانه ٢٤٨ . والأبيات هنا مختصرة على غير ترتيب رواية الديوان . وبين روايته ورواية الديوان خلاف في مواضع كثيرة .

(٤) الصاب والسلع : ضربان من الشجر ممران . يقال : أمر من السلع .

فقال التميميون : نشهد أن خطيبك أخطب من خطيبنا ، وأن شاعرك أشعر من شاعرنا وأنتك امرؤ مهياً لك الخير ، وأنتك لرسول الله . فأسلموا من حينهم . وكان شعر حسان سبب إسلامهم . فلا شيء يذم الشعر وهو يفعل هذا؟ (*)
ومن فضل الشعر خرج الترمذي عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر : يا ابن رواحة ! بين يدي رسول الله ﷺ ، وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله ﷺ : خلّ عنك يا عمر ، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل .

ومن فضل الشعر ، روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ [يقول] فجاءهم حسان - يعني قريشاً - فشفى واشتفى (٢) ؛ حين قال (٣) حسان (٤) : [١/٦]

(*) في السيرة النبوية (٤ : ٥٦٧) أن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما فرغ من قوله قال الأقرع بن حابس : « وأني إن هذا الرجل لمؤتني له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا وجوزم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم » .

(١) انظر العمدة لابن رشيقي ١ : ١٢٠ .

(٢) في الديوان (١ - ١٠) أن حسان رضي الله عنه قال هذه القصيدة قبل فتح مكة ، والأبيات المختارة هنا في الرد على أبي سفيان بن الحارث ، وكان هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل إسلامه .

(٣) روى أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة حسان (دار الثقافة ٤ : ١٤٧) بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب ابن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى » .

(٤) الأبيات المختارة ، وفي رواية الديوان خلافاً عما ذكر المؤلف هنا . وفي ترتيب المؤلف هنا للأبيات تقديم وتأخير .

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتَهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لَعَرَضَ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ وَقَاءُ
ثَكَلْتُ بِسُنِّي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَشِيرُ النَّقْعَ غَايَتَهَا كِدَاءُ (١)
(تبارين) الْأَعْنَةَ مَصْعَدَاتٍ عَلَى أَكْتَفَاهَا الْأَسْلَ الظِّهَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يَلْطَمُنَ بِالْحُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنَّْا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَالْإِلَّا فَاصْبِرُوا لِلْجِلَادِ يَوْمَ يُعْزِ اللَّهُ فِيهَا مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسُرْتُ جَنْدًا هُمْ الْأَنْصَارُ مُعْرَضَتَهَا الْلِقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدِّ قِتَالٍ أَوْ سَبَابٍ أَوْ هِجَاءٍ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيُدْحِهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وَجَبْرِيلَ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا وَرُوحَ الْقُدُسِ لَيْسَ كَيْفَاءُ

ومن فضل الشعر، كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نضر الله وجهه إلى أبي موسى الأشعري: «مُرْ من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي ومعرفة الأنساب» (٢).

وقال أيضاً - رضوان الله عليه - الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ، وتطفأ به الثائرة، ويتبلغ به القوم في ناديتهم، ويعطى به السائل (٣).

(١) كذا فيه، وفي الديوان: عدمنا خيلنا إن لم تروها.

(٢) الخبر في العمدة ١: ١٠. والعقد ٥: ٢٨١.

(٣) في العمدة ١: ١٠: «وروى ابن عائشة برفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر كلام من كلام العرب، جزل تتكلم به في نواديها، وتسل الضغائن من بيتها وأنشد ابن عائشة قول أعشى بني قيس...»

وقال أيضاً - رضي الله عنه - [خير] ما تعلمته العرب الأبيات يقدمها
الرجل أمام حاجته فيستنزل بها اللثيم، ويستعطف بها الكريم وقال الأعشى^(١) :
قلدتك الشعر يا سلامة ذا فإيش والشيء حيثما جعلاً
والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السببلاً^(٢)
يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخيلاً
ومن فضل الشعر قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله - [٦/ب]
الشعر ميزان القول . ورؤي ، القوم ؛ وكلاهما حسن^(٣) .
ومن فضل الشعر قال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله
عنهما - يحب على الرجل تأديب ولده ؛ والشعر أعلى مراتب الأدب^(٤) .
ومن فضل الشعر كان عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - يقول : إذا
قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب . وكان
رضي الله عنه إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً^(٥) .
ومن فضل الشعر ، قيل لسعيد بن المسيب - رضي الله عنه - إن قوماً من
العراق لا يرون إنشاد الشعر ، فقال لقد نسكوا نسكاً أعجمياً^(٦) .
ومن فضل الشعر ، قيل لابن سيرين إن قوماً يرون إنشاد الشعر ينقض
الوضوء فأنشد^(٧) :

(١) ديوان الأعشى : ٢٣٣ (وفيه جاء البيت الثالث قبل الآخرين) مدح سلامة ذا فائش .

(٢) السبل : المطر .

(٣) الخبر في العمدة ١ : ١ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ١ : ١١ .

(٦) العمدة ١ : ١١ .

(٧) البيت في ديوان جرير ٨٨ وانظر حواشي المحقق .

لقد أصبحت عيرس الفرزد ناشراً ولو رضيت رمح استه لاستقرت!
وقام يصلي^(١).

ومن فضل الشعر : ذكر أن رجلاً من الشعراء قال للحسن البصري : وهو
في المسجد [يا] أبا سعيد : هل ينقض الهجو الوضوء ؟ فأنشده الحسن :
شهد الفرزدق والقبائل كلها أن الفرزدق ناك أم جرير !
ثم قام فصلى ركعتين ؛ جعلها جوابه .

ومن فضل الشعر قيل لابن السائب المخزومي - رضي الله عنه - أترى أحداً
لا يشتهي النسيب ؟ فقال : أما ممن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ! .
ومن فضل الشعر كان عروة بن أذينة^(٢) - رضي الله عنه - على نبذه زهرة
الدنيا ، وترك نعيمها وورعه وزهده ، رقيق القول ؛ وهو القائل^(٣) :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فمن يحترق على الأحشاء يتعقد؟^(٤)

ومن فضل الشعر عن ابن عباس - رضي الله عنه - في حديث قس بن ساعدة
الإيادي^(٥) - وإنما أوردنا الحديث بكماله لما تضمنه من البلاغة والحجة في إنشاد
[النبي ﷺ الشعر]^(٦) [٧/أ] وسماعه - قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد
فقال أي وفد أنتم ؟ قالوا وفد عبد القيس . قال : أيكم يعرف قس بن ساعدة ؟

(١) المصدر نفسه ١ : ١١ .

(٢) عروة بن أذينة « من فقهاء المدينة وعبّادها ، وكان من أرق الناس تشبيهاً » .

(٣) البيتان في العقد ٥ : ٢٨٩ .

(٤) في العقد : فن لنار .

(٥) أورد ابن عبد ربه في العقد صدرأ من هذه الخطبة ، والشعر الذي فيها ٤ : ١٢٨ .

(٦) كلمة (النبي) مطموسة في م . وفي ط القس ؛ والظاهر من سياق النص ما أثبت .

قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله فماذا فعل ؟ قال : لست أنساه بسوق عكاظ على جبل أحر وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا ، فإذا اجتمعتم فاسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فقولوا ، فإذا قلتُم فاصدقوا . إنه من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آتٍ آتٍ . إن في السماء لخبيراً . وإن في الأرض لخبيراً ، بحار^(١) لا تغور ، ونجوم لا تمور . وسقف مرفوع . ونهار موضوع . ومطر ونبات . وذاهب وآت . وأحياء وأموات . وعظام ورفات . وليل ونهار . وضياء وظلام . ومسيء وحسن . وغني وفقير . يا أرباب الغفلة ! ليصلح كل واحد منكم عمله . تعالوا نعبد إلهاً واحداً ليس بولود ولا بوالد . أعاد وأباد ، وغداً إليه المعاد . أقسم قس بالله ، وما أثم ، لأن كان في الأرض رضى ليكونن سخطاً . إن لله ديناً هو أرضى من دينكم الذي أتم عليه .

يا أهل إباد ! مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

فقال رسول الله ﷺ : وسمعت يمثّل بأبيات الشعر ولساني لا ينطلق بها فقام إليه رجل منهم فقال : يا رسول الله أنا سمعتها منه ، فهل عليّ فيه من إثم إن أنا قلته ؟ فقال رسول الله ﷺ : قل ؛ فإن الشعر كلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، فقال : سمعته يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيتُ موارداً للقوم ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقي غابر
[٧/ب] أيقنتُ أنني لا محالة حيث صار القوم صائر

(١) في النسختين : بحاراً .

فقال رسول الله ﷺ : من يزيدنا في إيمان قس بن ساعدة ؟ فوثب إليه رجل من القوم فقال : يا رسول الله ، بينا نحن في ملاعبنا إذا أشرف علينا من شرفة الجبل متجلجل بشملة مرتد بأخرى وبيده هراوة ، وهو واقف على عين ماء وهو يقول : آلا وإلله السماء « لا يشرب القوي قبل الضعيف . وليشرب الضعيف قبل القوي » .

فوالذي بعثك بالحق نبياً يا رسول الله لقد رأيت القوي من الوحش يتأخر حتى يشرب الضعيف . فلما تنحى ماحوله هبطت إليه من ثنية الجبل فرأيتـه واقفاً بين قبرين يصلي . فقلت : انعم صباحاً ما هذه الصلاة التي لاتعرفها العرب ؟ قال : صليتها لإله السماء . قلت : وهل للسماء من إله (١) سوى اللات والعزى ؟ فانتفض وانتقع لونه ثم قال : إليك عني يا أخا إياد . إن للسماء إلهاً عظيم الشأن هو الذي خلقها فسواها . وبالكواكب والقمر المنير والشمس أشرقها . أظلم ليلاً وأضاء نهارها ، يسلك بعضها في بعض . ليس له كفوية ولا إنسية ولا كيموسية . فقلت ما أصبت موضعاً تعبد إله (٢) السماء إلا في هذا المكان ؟ فقال : إني لم أصب في زماني غير صاحبني هذين القبرين ، وإني لمنتظر ما أصابهما وسيعمكم حق من هذا الوجه ، وأشار نحو مكة . فقلت له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب ، يعني محمداً ﷺ ، يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ، وإن استصرخكم فانصروه ، وقد وصف لي علامات شتى وخلائق حسناً . قال إنه لا يأخذ على دعواه أجراً . قلت فما لك لاتسير إليه ؟ قال إني لا أعيش إلى مبعثه . ولو علمت أني ممن يعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه .

(١) في م : الله . والصواب من ط .

(٢) فيها : الله . والصواب ما أثبت . راجع الحاشية السابقة .

فأضرب بصفقة كفي صفقة [٨/أ] كفه ، فأقيم بين يديه حكم الله تبارك وتعالى ، فقال رسول الله ﷺ : حسبك حسبك ، فإن قس بن ساعدة كان أمةً يبعثه الله يوم القيامة وحده .

ومن فضل الشعر^(١) : لما انتهى شعر أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب إلى النبي ﷺ شق ذلك عليه ، فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشدته فأنشده ، فقال : أنت شاعر كريم . ثم دعا كعب بن مالك فاستنشدته فأنشده فقال : أنت تحسن صفة الحرب . ثم دعا بحسان بن ثابت فقال : أجب عني ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته ثم قال : والذي بعثك بالحق مأحِب أن لي ميقولاً من معد^(٢) ، ولو أن لساناً فرى الشعر لفراه^(٣) . ثم سأل رسول الله ﷺ أن يمس من أبي سفيان . فقال : وكيف وبينني وبينه الرحم التي قد علمت؟ فقال : أسلك منه كما تسلك الشعرة من العجين . فقال : اذهب إلى أبي بكر الصديق ، كرم الله وجهه ، [فذهب إليه] فذكر له معانيبه ، فقال حسان^(٤) :

وإن سنام المجد من آل هاشم	بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم	كرام ، ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمية	ولكن لئيم لا تقوم له زند ^(٥)
وإن امرأ كانت سميّة أمه	وسمراء مغموزة إذا بلغ الجهد
وأنت زعيم نيط في آل هاشم	كأنيط خلف الراكب القدح الفرد

(١) انظر الخبر في الأغاني ط دار الثقافة . ٤ : ١٤١ ودبران حسان - البرقوقي ، المقدمة .

(٢) كذا في الأصلين . وفي الأغاني - بروايات الخبر المتعددة - (والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء) .

(٣) في الأغاني . لو شئت لغريت به المزاد . والمزاد ج مزادة وهي التي يحمل فيها الماء .

(٤) الأبيات في ديوانه : ١٥٩ ، والأغاني ٤ : ١٤٦ .

(٥) في الديوان : ولكن هجين ليس يورى له زند .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب ، فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان ، قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة^(١) ، يعني أبا بكر الصديق نصر الله وجهه .

- يعني ببني بنت مخزوم : عبد الله وأبا طالب والزبير بن عبد المطلب ابن هاشم ، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم^(٢) وأميمة [٨/ب] والبيضاء جدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضوان الله عليه ، أم أمه أروى بنت كرز . وقوله : ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ، يعني حمزة وصفية أم الزبير بن العوام رضي الله عنه ، أمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة^(٣) . وقوله : ولست كعباس ، ولا كابن أمه ، أم العباس نائلة^(٤) من النمر ابن قاسط وأخوه ضرار بن عبد المطلب .

وقوله « وإن امرأً كانت سمية أمه وسمراء سمية أم أبي سفيان ، وسمراء أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب في رفع الأنساب ، تحامياً على الطول . والعاقل لا ينكر أن الشعر جائز إنشاء واستنشاده . وقد قدمنا من الأدلة الناصعة والبراهين الواضحة على ذلك ما لا يسع رده .

ومن الدليل أيضاً على ذلك أن الخلفاء الراشدين الأربعة ، وهم أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي أبو السبطين عليهم السلام قالوا الشعر ، وقاله أيضاً جملة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم الصلاح .

(١) الأغاني ٤ : ١٤٣ .

(٢) اسم غير ظاهر ، وانظر أسماء أبناء عمرو بن عائذ في جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ١٤١٠ وانظر ما في الأغاني ٤ : ١٤٦ والخواشي . وما في الديوان .

(٣) النسختين : أهيب ، والتصويب من جمهرة أنساب العرب .

(٤) في النسختين : نائلة . والصواب من جمهرة أنساب العرب ، والأغاني .

قال أبو بكر - رضي الله عنه (١) - .

أمن طيف سلمى بالبطاح الدَّمَائث أرقت أوامر في العشيرة حادِث
وهي طائفة ، وفيها يقول :

ونحن أناسٌ من ذؤابةٍ غالبٍ لنا العز منها في الفروع الأثاثِ
وفيها يقول :

فإن تشعثوا عرضي على سوء رأيكم فلإني من أعراضكم غير شاعثٍ
وقال : أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (٢)

هوّن عليك فإن الأمور . . . بكف الإلهٍ مقاديرُها
فليس بآتيكَ منهمُها ولا قاصر عنك مأمورُها

وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (٣) :

تقنى اللذاذة ممن نالَ صفوتها من الحرام ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقب سوءٍ من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [٩/أ] :

إذا عقدَ القضاء عليك أمراً فليس يحلُّه إلا القضاء (٤)
فما لك قد أقمتَ بدار ذلٍ وأرض الله واسعةٌ فضاءُ
تبلغ باليسيرِ فكلُّ شيءٍ من الدنيا يكون له انقضاء

(١) من أبيات رواها في العمدة ١ : ١٣ . وقال إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أنشدها في غزوة عبدة بن الحارث .

(٢) في العمدة ١ : ١٣ . قال : ويروى الشعر للأعور الشني . ونسبها في العقد (٣ : ٢٠٧) لابن أبي حازم ، وفيه : ولا تحرصن فإن الأمور ...

(٣) في النسختين : إلى في موضعٍ إلا .

وقال: أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام^(١)
ومارست هذا الأمر خمسين حجة وخمساً أُرْجِي قَابِلًا بعد قَابِلٍ^(٢)
فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى عقلت بظائل
وقد أشرعت في المنايا سهامها وأيقنت أني رهن موتٍ معاجل

وقال أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنهما في بنته سكينه ، وأمها امرأته الرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة^(٣) :

لعمرك إنني لأحب بيتاً تحل به سكينه والرباب
أحبها وأبذل جل مالي وليس لعاتبٍ عندي عتاب
ولست لهم - وإن عتبوا - مطيعاً حياتي ، أو يغيّبني التراب
وقال حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -^(٤) :

عشية ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخُوا فمَقَلُّوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا وما لكم إلا الضلالة من حبل !
فتار أبو جهلٍ هنالك باغياً فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكباً وهم مثنان بعد واحدة فضل

وقال أخوه العباس بن عبد المطلب ، رضي الله تعالى عنه^(٥)

ألا هل أتى عيرسي مَكْرَتِي وموقفِي بوادي حنينٍ والأسنة تُشرعُ

(١) الأبيات في العقد ٤ : ٢

(٢) في العقد : قائلًا بعد قائل . وفي الأبيات الأخرى روايات مختلفة .

(٣) البيتان الأولان في العمدة (١ : ١٥) وفيه : وليس للآثمي .

(٤) في العمدة (١ : ١٥) أن حمزة رضي الله عنه قال هذا الشعر يذكر لقاءه بأب جهل وأصحابه .

(٥) قالها كما في العمدة (١ : ١٥) يوم حنين يفتخر بشبابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

[٩/ب] وقولي إذا ما النفس جاشت لها قري وهام تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة بزوراء تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا^(١)
وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما^(٢)

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها سواي، ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه من مقامة وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل علي بظنه بي الخير، إني للذي ظن شاكر !

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب ، وحسب من ذم^(٣) ، أن من قدمنا من
الصحابة قد قالوه وكانوا^(٤) يتمثلون به ، ولا يرون أنه مذموم . فإن احتج
عاطل من حلية الآداب وقال : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقل الشعر ،
وأن الله تعالى قال فيه ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾^(٥) قلت : لو كان
النبي صلى الله عليه وسلم شاعراً لكان متهماً بالقرآن ولقليل إنه من عنده ، وإنه
اختلفه ؛ فيكون ذلك نقصاً في حقه ، ومدخلاً للطعن في نبوته . فمنعه الله
عز وجل من قوله ، وزعمه عن ذلك . وهذه معجزة في حقه عليه السلام .
وقد قيل للإمام القاضي عبد الوهاب إن النبي عليه السلام لم يقل الشعر
فقال له : ذلك في حقه معجزة ، وفي حقلك معجزة^(٦) .

(١) في العمدة : سبعة .

(٢) في العمدة (١٦:١) .

(٣) أي الشعر وإنشاده .

(٤) في النسختين : وكان .

(٥) يس ٣٦: ٣٩ (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)

(٦) انظر البيان النبوي (٥) . عدنان زر زور الطبعة الأولى ٢٨ - ٣٤ .

وإن احتج بقوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾^(١) الآية . قلت :
قد قال الضحاك^(٢) إنها نزلت في رجلين أحدهما أنصاري ، مع كل واحد منهما
غواة قومه - وهم السفهاء - وقال به ابن عباس : وعنه أنهم الرواة^(٣) . وعنه
أنهم كفار الجن والإنس . قال أبو عبد الله هم الذين يشعرون^(٤) [ولا يتبعون
سنن الحق] ، [١٠ / أ] وأراد بهؤلاء شعراء الكفار عبد الله بن الزبير ، وهبيرة
ابن أبي وهب ومسافع^(٥) بن عبد مناف وأبا عزة الجمحي وأمية بن أبي الصلت
كانوا يهجون النبي عليه السلام ، ويتبعهم الكفار .

وقال غضيف من أصحاب النبي عليه السلام ، قال النبي صلى الله عليه
وسلم : « من أحدث هجاء في الإسلام فاقطعوا لسانه » .

وقال ابن عباس :^(٦) لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة رنّ إبليس رنة
فاجتمعت إليه ذريته فقال : يا أسوا أن تترد أمة^(٧) محمد على الشرك بعد يومكم
هذا ، ولكن أفسوا فيها - يعني مكة^(٨) الشعر والنسج .

(١) الشعراء ٢٦ - ٢٢٤ (والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم
يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتتصروا
من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

(٢) الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٢

(٣) في المصدر السابق : رواية الشعر .

(٤) فيها مسافر ، والمثبت من القرطبي .

(٥) الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٢

(٦) في القرطبي أن تريدوا أمة محمد .

(٧) في القرطبي : فيها يعني مكة والمدينة .

(٨) في ط : يشعرون «قلوب؟» وسقط بمقدار ٣ كلمات ، وفي م يشعرون وسقط بمقدار ٤
كلمات . والعبارة مشبهة من تفسير القرطبي بحسب السياق .

يخرج من هذا كله أن (الغاوون) هم السفهاء، أو هم الكفار من الجن والإنس أو هم الرواة . فإذا كان هذا كذلك ، فأبي ذم يلحق شعراء الإسلام إذا لم يهجوا ؟ لاسيما والنبي عليه السلام قال لشاعره كعب بن مالك لما سأله رأيي في الشعر حين أنزل الله فيه هذه الآية : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ماترمونهم به نضح التبل^(١)، فإذا كان شاعر الإسلام لا يهجو إلا الكفار فهذا هو المطلوب .

وفي هذا الحديث تقرير الشعراء على قول الشعر على الوجه الجائز إذا حملنا خطاب النبي عليه السلام عموماً على ما يرد في بعض الأحكام الشرعية . ، أن يكون الخطاب لشخص والحكم متوجه على الجملة^(٢) .

وأما إن كان الذم المفهوم من قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ ليس على عمومه بل كما قيده أبو عبد الله بالشعراء الكفار، فلا مدخل للإسلاميين فيه ؛ وبالله التوفيق .

وإن احتج أيضاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم « لأن يمتليء جوف أحدكم قبيحاً حتى يرآه خير له من أن يمتليء شعراً »^(٣) . قلت : الجواب ما قاله الإمام أبو عبد الله المازري والقاضي عياض في ذلك الحديث ، ونقلته من الإكمال

(١) ورد الخبر في تفسير القرطبي ١٣ : ١٥٣ .

(٢) في الأصلين : أن . قلت ، ولعله أيضاً : أن يكون الخطاب... متوجهاً .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه ، وفي فتح الباري: قال ابن بطال ذكر بعضهم أن معنى قوله « خير له من أن يمتليء شعراً » يعني الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عبيد والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول ، لأن الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان شطر بيت لكان كفرأ . فكانه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه، ولكن وجه عندي : أن يمتليء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه . فأما إذا كان القرآن والعلم غالبين عليه فليس جوفه تمتلأ من الشعر . ١٠ / ٤٥١ - ٤٥٣ . وانظر تفسير القرطبي ١٢ : ١٥٠ .

[١٠/ب] للقاضي أبي الفضل، وهذا نصه «قال الإمام، قال أبو عبيد قال الأصمعي: هو من الوري، على مثال «الرَّمِي»، وهو أن يورى جوفه، يقال منه: رجل موري؛ مشدد غير مهموز: هو أن يأكل القيح جوفه. قال صاحب الأفعال: وري الإنسان والبعير وري، دوى جوفه، ووراه الداء ورياً: فسد جوفه. ووري الكلب: سحر أشد السحار.

قال أبو عبيد: وقوله صلى الله عليه وسلم «خير له من أن يمتلى شعراً». قال بعضهم: يعني من الشعر الذي «حجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان شطر بيت لكان كفراً. فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه، فقد رخص في القليل منه. ولكن وجهه عندي أن يمتلى قلبه حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله عز وجل فيكون الغالب عليه من أي الشعر كان. فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوف هذا عندنا بمتلى من الشعر.

وقال القاضي عياض في الإكمال: ذكر مسلم استنشاد النبي صلى الله عليه وسلم الشريد بن سويد شعر أمية بن أبي الصلت^(١)، وقوله هيه إلى أن أنشده مئة بيت؛ وقوله إن كاد ليسلم، فيه جواز سماع أشعار الجاهلية، وأخبارها، والتحدث بها، وإنشادها. و (هيه) مكسورة الهاء، ساكنة الياء والهاء الآخرة كلمة للاستزادة أي: زد. وأصلها إيه، فهي استزادة لما تعرف.

وفيه أن الشعر بنفسه ليس بمنكر، وإنما المنكر منه المذموم: الإكثار منه، أو ما يتضمنه من الهجاء للمسلمين وقذف المحصنات، والتشبيب بالحرم، وذكر أوصاف الخمر وأنواع الباطل [مما يهيج] المرتكبين لذلك، ويجرئهم على المعاصي. وقد جاء من ذلك أشياء في شعر حسان وكعب وغيرهما مما

(١) في خزانة الأدب للبغدادى ١: ٢٢٧. وتفسير القرطبي ١٣: ١٤٥. وانظر مقدمة

ديوان أمية بن أبي الصلت (بتحقيق الدكتور ع. السطلي).

مدح به النبي صلى الله عليه وسلم [١١ / أ] في وصف الخمر والتشبيب^(١) بغير معين^(٢)، جرياً على عادة العرب فيستحب منه القليل ولم ير أصحابنا بمثل هذا رد شهادة الشاهد ، ولا جعلوه جرحاً فيه .

وقال أيضاً : القاضي عياض فيه - في الإكمال - وإنه كالكلام فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح^(٣) ؛ كما روي عن الشافعي . وقد روينا هذا الكلام مرفوعاً للنبي عليه السلام ، وقد أنشد النبي عليه السلام الشعر وتمثل به واستنشد به ؛ وقاله أصحابه ، وحضهم على قوله في هجاء المشركين .

وقد روي عن الحلفاء ، وأئمة الصحابة ، وفضلاء السلف في استشهادهم به وإنشاده^(٤) ، وقولهم الجيد منه^(٥) .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب : ولا مزية في جواز إنشاد الشعر والتمثل به ، وإنما المذموم منه ما قدمنا للإمام المازري ، وللقاضي عياض من هجاء المسلمين وقذف المحصنات وغير ذلك مما قالوا ، رحمها الله تعالى .

وأما إن كان الشعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو في هجاء المشركين ، أو غزل بغير معين ، فذلك جائز لامطعن فيه . وحسبك ما قدمنا على فضله وجوازه من الأدلة ، وقول القاضي عياض . وقد أنشد النبي عليه

(١) في النسختين : والتشبيه .

(٢) راجع رأي ابن حزم القرطبي الأندلسي في هذا الموضوع : تاريخ النقد الأدبي في الاندلس .

(٣) في تفسير القرطبي خبر عن ابن سيرين فيه « وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح » . وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » ١٣ : ١٥٠ .

(٤) في الأصلين : وإنشاد . « بدون الهاء » .

(٥) زاد في النسختين ما رسمه « والريق والمثقف في ضروب أفانيه ما يعني » يعني ؟ ؛ بن خلف « ؟ » ، وبالله التوفيق .

السلام الشعر ؛ وتمثله به صحيح أخرجه أهل الصحة . ولكنه صلى الله عليه وسلم ، مهما أنشد الشعر وتمثل به لا يذكره إلا غير موزون ، لكونه لم يكن في طبعه ، وقد قدمنا سبب ذلك . فكان عليه السلام يتمثل بقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ينشده غير موزون ، يقول ، (ويأتيك من لم تزود بالأخبار)^(١) فيقول [١١ / ب] أبو بكر الصديق : ليس هكذا يارسول الله وإنما هو (ويأتيك بالأخبار من لم تزود) فيقول له عليه السلام ، إني لست بشاعر ولا ينبغي لي قوله ، عليه السلام .

« ولا ينبغي لي ، أي ماهو بحسن في حقه ، لأنه لو كان يقول الشعر لكان يورث الشبهة في الطعن فيما أتى به من القرآن ، ولقيل إنه من عنده . وقد قال المشركون فيه : شاعر ، ولم يكن بشاعر . قال الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾^(٢) فنزّهه عن ذلك . انظر قولهم ، وهو ليس بشاعر ، فما ظنك لو كان شاعراً ؟ .

وقال الحسن^(٣) : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت « كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً » ؛ فقال أبو بكر : يابني الله إنما قال الشاعر :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً^(٤) *

فقال أبو بكر وعمر^(٥) : أشهد أنك رسول الله ؛ لقوله تعالى ﴿ وما علمناه

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١٥ : ٥١-٥٢ .

(٢) سورة يس ٣٦-٦٩ . (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)

(٣) الخبر في تفسير القرطبي .

(٤) هجز بيت لسحيم عبد بني الحسحاس (ديوانه ١٦) ونمائه :

عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
(٥) يعني تعقيباً على ذلك .

الشعر وما ينبغي له * . وقال الحكم : كان النبي صلى الله وسلم يتمثل بقول العباس بن مرداس^(١) :

أتجعل نهي ونهب العبيد... بين الأقرع وعينية

فقالوا يارسول الله إنما قال : بين عينة والأقرع، فأعادها فقال : بين الأقرع وعينة . فقام إليه أبو بكر فقبل رأسه فقال : * وما علمناه الشعر وما ينبغي له * .

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب :

وإذ قد فرغنا من ذكر جواز الشعر وفضله ، والأدلة على ذلك ، فلنشرع في بعض ما يتعلق به من علم البديع ؛ من تجنيس وترصيع وغير ذلك مما يندرج تحته . فمن ملك زمام ذلك فهو المقدم لحل راية الأدب ، ومن كان خلياً منه فباعه في الإجابة^(٢) لا محالة قصير ، إذ لم يتمتع من ذلك بقليل ولا كثير . ولا بد للشاعر^(٣) من معرفة اللغة والعربية ، فإن كان قاصراً عنها كان شعره دون من يكون بهما عالماً لا محالة .

[١٢ / أ] والعربية أهم للشاعر من اللغة لأنه إن تكلم بشعر أو غيره لم يلحن ، وإن خلا منها لحن ضرورة .

واللحن من أقبح الأشياء . أتى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على قوم يرمون رشقاً لهم ، فأساؤوا الرمي^(٤) . يا أمير المؤمنين نحن قوم متعلمين !

(١) الخبر مفصل في تفسير القرطبي ١٥ : ٥٢ ٥٣ . والبيت على جهته :

أتجعل نهي ونهب العبيد بين عينة والأقرع

والعبيد اسم فرس عباس بن مرداس ، والبيت من جملة أبيات في العقد ١ : ٢٨٦ . وانظر البيت ورواياته في « ديوان العباس بن مرداس » جمعه د . يحيى الجبوري .

(٢) لم تنضح الكلمات في نسخة دار الكتب ، وهما من نسخة الرباط .

(٣) سقط نحو سطر تقديراً ، ولم ينبه إلى ذلك في المخطوطتين .

وفي ألف باء لأبي الحجاج البلوي ، عرف بابن الشيخ ١ : ٣٤ « مر عمر رضي الله عنه =

فقال عمر رضي الله عنه لإساءتكم في لحنكم شر من إساءتكم في رميكم أو رشقكم، رحم الله امرأاً أصلح من لسانه. وقال أيضاً: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل. ولا بد له من معرفة العروض، وعلم القوافي، إذ بالعروض يقيم صفاً^(١) الأوزان الموجودة للعرب. ومن كان جاهلاً به، والوزن في طبعه، ربما وقع في غير أوزان العرب، وخرج للأوزان الطبيعية من الدوائر وغيرها مثل أوزان الموشح وغيره. ولولا مخافة التطويل لذكرنا دوائره وبحوره، وأعاريضه، وضروبه، وتفصيلاته في التقطيع.

ولنذكر ما عليه يبني علم البيان^(٢) - ولا بد أيضاً للشاعر من معرفته - وهو أربعة أشياء: الكناية والاستعارة، والتمثيل والإشارة.

فالكناية على نوعين^(٣): النوع الأول أن تريد إثبات معنى فترك اللفظ الموضوع له، وتأتي بتاليه وجوداً لتوميء به إليه، وتجعله شاهداً له ودليلاً عليه. مثاله: فلان كثير رماد القيدر، وطويل النجاد. فهذه الكناية أبلغ من التصريح.

النوع الثاني: أن تأتي بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل على من هي له حقيقة. مثاله قول زياد الأعجم^(٤):

إن الساحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

== يقوم يتناضلون ورمى بعضهم فأخطأ فقال له عمر: أخطأت، فقال يا أمير المؤمنين نحن متعلمين! فقال: والله لخطؤك في كلامك أشد علينا من خطئك في نضالك. احفظوا القرآن وقفقهروا في الدين وتعلموا اللحن». قال ابن الشيخ: واللحن في هذا الموضع: اللغة.

(١) الصفا: المبل.

(٢) راجع: الدكتور شوقي ضيف في: (البلاغة تطور وتاريخ) عن اضطراب مفهوم علم البيان في بعض الدراسات البلاغية.

(٣) بحث الكناية في تحرير التحبير: ١٤٣.

(٤) في مدح عبد الله بن الحشرج (الأغاني ١٢: ٢٠).

والاستعارة (١)

وهي مأخوذة من العارية ؛ لأن الشاعر يعير المعنى ألفاظاً غير لفظه الموضوع له ، كقول بشار بن برد (٢) :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا وأسياقنا ليل تهاوى كواكبه
وكقول بعضهم : (٣)

وكالسيف إن لا ينته لان متنه وحده إن خاشنته خشان

والتمثيل (٤)

وهو إنما يكون مجازاً إذا جاء على حد الاستعارة . وقد جاء به القرآن ، مثاله من القرآن قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ (٦) . وقد جاء به الحديث ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء » . وقد جاء في كلام العرب ، وهو قولهم للمتخير (٨) : « فلان يقدم رجلاً »

(١) في تحرير التحرير : ٩٧ .

(٢) هو من شواهد التشبيه التمثيلي في التلخيص القزويني : ٢٥٤ ، والإيضاح له . وهو في الديوان : ٣١٨ وانظر رواياته .

(٣) البيت في العقد ١ : ٥٢ وفيه : هو السيف .

(٤) جعله ابن رشيقي في العمدة من ضروب الاستعارة (١ : ١٨٧) . وانظر تحرير التحرير ٢١٤ وقال القزويني إنه يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، أو التمثيل مطلقاً .

(٥) سورة الإسراء : ١٧ : ٢٤ .

(٦) سورة مريم : ١٩ : ٤

(٧) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث الزبير بن العوام قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء . والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين لاحالقة الشعر ؛ والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا . أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحابتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

(٨) هو من كلام الخليفة الأموي الوايد بن يزيد ، كتب إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه يتلصقاً في بيعته « أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت ، والسلام ! » .

ويؤخر أخرى « . وقد جاء في الشعر ؛ قال عمرو بن كلثوم :
 ألا أبلغ النعمان عَسِيَّ رسالةً فمجدك حولي^(١) ولؤمك قارح
 وقال العباس بن الأحنف :^(٢)

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
 فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

والإشارة^(٣)

قال قدامة : هي اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمعة الدالة .
 قال زهير بن أبي سلمى^(٤) :

فإني لو لقيتك فاجتمعنا لكان لكل منكرة كفاء
 وقال امرؤ القيس^(٥) :

على هيكلك يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولاواني

ذكر القاب في صناعة البديع^(٦)

وهي ستة وعشرون لقباً : التجنيس ، والترصيع ، والاشتقاق ،
 والتطبيق ، ولزوم ما لا يلزم ، والتضمن المزدوج ، والاتفات ، والاعتراض ،

(١) الحولي : ما أتى عليه حول من ذي حافر وغيره . والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل
 من الإبل .

(٢) ديوانه (طبعة الجوائب : ١١٣) . وفي البيت الثاني : فجاهل قد رمى بالظن غيركم

(٣) الإشارة من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى (نقد الشعر : ٥٥) وانظر تحرير التحرير ٢٠٠

والعمدة ١ : ٢٠٦ .

(٤) البيت لزهير في ديوانه : ٨١ طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) ديوان امرؤ القيس : ٣١١ (بشرح الأعم الشنتمري - دار المعارف بمصر) .

(٦) اكتفى المؤلف بهذه الأنواع من فن البديع ، وسأحيل على بعض المصادر مثل العمدة

وتحرير التحرير . ويلاحظ أن هذه الأنواع هي أعيانها التي ذكرها ابن الزمكاني في

كتابه « التبيان » المطبوع في بغداد والذي رد عليه ابن عميرة المخزومي الأندلسي (انظر

دراسة صديقنا الدكتور محمد بنشريفية عن أبي المطرف بن عميرة المخزومي - طبع المغرب)

واللف والنشر ، والتفسير ، والتعديد ، والتخييل ، والمتواتر ، ورد العجز على الصدر ، والمساواة ، والعكس والتبديل ، والاستدراك ، والرجوع ، والاستطراد ، والاستهلال ، والتخليص ، والترديد ، والتتميم ، والتفويف ، والتجاهل ، والهزل المراد به الجد ، والتنبيه .

أما التجنيس^(١)

فهو مناسبة بين لفظين فأكثر ، في كل حروفها ، أو في أكثرهما ، مع اختلاف المعنى ؛ وسواء اتفقت الصيغ أو اختلفت . من ذلك قول ابن المعتز :
وإني للشعر الخوف لكالي ، وللشعر يحجري ظله لرشوف
انظر ما أحسن هذا البيت ، كيف جمع فيه بين الشجاعة والغزل .

وأما الترصيع^(٢)

فهو أن تكون الكلمات متقاربة في الأوزان ، متفقة الأعجاز ، مثاله قوله تعالى^(٣) ﴿ إِنْ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴾ . وقول الخنساء^(٤) :
حامِي الحقيقة محمود الطريقه نَفْـاعِ وضرار
[وقولها]
جواب قاصية ، جزأز ناصية . عقَّاد ألوية ، للخييل جرَّار

(١) تحرير التحرير : ١٠٢

(٢) باب التصريع في تحرير التحرير : ٣٠٥

(٣) الغاشية ٨٨/٢٥ .

(٤) استشهد المؤلف بالبيتين على أنها في درج واحد . والبيت الثاني في الديوان « ط بيروت

١٨٨٩ » ص ٢٧ ، برواية :

شهاد أندية للجيش جرار

حمال ألوية هباط أودية

وفي قصيدة أخرى « ص ٤٣ » :

سمح اليدين جواد غير مقتار

جواب أودية حمال ألوية

وأما الاشتقاق (١)

فهو أن تأتي بالفاظ يجمعها أصل واحد ، يكون معناه مشتركاً ، كما [تكون] (٢) حروفه [١٣/ب] الأصول مشتركة ، ويزيد على معنى الأصل بوجه مع تغاير اللفظين . مثاله : ضرب ، ويضرب ، واضرب ، وضارب ، ومضروب . وضَرْوب ، وضَرَّاب ، ومضراب ، ومضرب ، فإن ذلك كله مشتق من الضرب . ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ ﴾ (٣) . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً » . ومنه قول الشاعر (٤) :

ألم تبتركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك فائمه !

فكان الشاعر يقول : ينبغي أن يكون (بدر) سمي بهذا الاسم من ابتدار سيوفنا فيه إليكم ، وإن كان الاسم سابقاً .

وأما التطبيق (٥)

فهو أن تأتي بالشيء وضده ، كقوله تعالى ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكموا كثيراً ﴾ . وكقول دعبل الخزاعي (٦) :

لا تعجبي يا سلم من رجسـلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى !

(١) هو داخل عند ابن أبي الإصبع في باب التجنيس ، وقال فيه قدامة إنه اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . (نقد الشعر ٦١ . وتحرير التعبير ١٠٢-١٠٣)

(٢) في مكان الكلمة طمس في النسختين .

(٣) الروم : ٣٠/٤٣

(٤) هو النعمان بن بشير ، والبيت في نقد الشعر « ٦١ » .

(٥) العمدة ٢ : ٦ ، وتحرير التعبير ١١١

(٦) التوبة ٨٣/٩

(٧) ديوان دعبل « بتحقيق : الدكتور عبد الكريم الأشر » .

وقول زهير بن أبي سلمى^(١) :

ليث بعثر يسطاد الرجال إذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا
وقول عبد الله بن الزبير الأسدي^(٢) :

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

وأما لزوم ما لا يلزم^(٣)

فهو ما في الاصطلاح أن الناظم أو النائر يضيق على نفسه في التزامه مؤاخاة
ألفاظ التسجيع . مثاله قوله تعالى ﴿ فَأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا
تنهر ﴾^(٤) . وفي قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضوان الله عليه « لا يكن
حبك لكفا ولا بغضك تلفا » . ومنه قول ذي الوزارتين الأمير أبي بكر
[١٤ / أ] محمد بن عمار المهري في وصف هبوب نسيم السحر على الرياض^(٥) :

بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا هداياه في أيدي الرياح النواسم
يبلغننا أنفاسه فتردثها بأعطر أنفاس وأذكى مناسم

وأما التضمنين المزدوج^(٦)

فهو أن يقع في أثناء قرائن النثر أو النظم لفظان مسجعان مع مراعاة
حدود الأسجاع الأصلية التي يسميها الأكثر الفقير . مثاله قوله تعالى ﴿ وَجِئْتُكَ

(١) ديوانه «طبعة دار الكتب المصرية ٥٤» وفيه: ما الليث كذب . «وكذب الليث» لم يصدق
الحملة ، وكذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه .

(٢) البيت من قطعة له في العمدة ٧:٢ . وساقه ابن أبي الإصبع مثالا على العكس
والتبديل : ٣٢٠ .

(٣) ويسمى الالتزام ، كما في تحرير التحبير ٧١٥ .

(٤) الضحى ٩٣/٩ - ١٠ .

(٥) ديوانه صفحة ٢١١ : وفيه تبلفنا .

(٦) ورد عند ابن أبي الأصبع في تحرير التحبير : ٣٠٢ بعنوان الترصيع .

من سبأ بنبأ* (٢) . ومنه قوله بعض الشعراء البلغاء ، وهو ابن نباته .
قال : (٢) أيها الناس :

احضروا . بصفاء الأذهان . لعظات الزمان .
فقد لخصها على قدمه . لمستمعها .
وتدبروا . قوارع القرآن . ببصائر الإيمان .
تكتفوا بزواجر . نواهيها .
وادروا . سوابق العصيان . بلواحق الإحسان .
تسلموا من داور . مهاويها .

وعلى هذا الأسلوب أنشأ الفقيه القاضي الكاتب أبو الحسن علي بن القائد
أبي عبد الله محمد بن الصباغ العقيلي الأندلسي خطبة كتابه المترجم يجليس
الأديب وأنيس الغريب ، وهي :

الحمد لله معتمد الإنسان . بعميم الإحسان . عناية .
لاتحد ، ولطفنا .
ومعلمه من البيان . وملهمه إلى التبيان . رعاية .
لاتصد ، ولا تجفى .
عجز عنه كل لسان . فلو اجتمع الإنس والجان . نهاية .
فالرد . أن لم يبلغوا حرفا .

أحمد ، حمد من أقر على نفسه ، أنه أولاه نعمه ، إنعاماً وافى فوفى
وأشكره شكر من أمر على طرسه ، بذكر مولاه قلعه ، فما قنع ولا استكفى
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعدّها :

شهادة تخلد في جنته لنا قراراً يؤنسنا بحلمه فناً من خوفاً
وإفادة تجدد من منته لنا جواداً يلبسنا حليته الرائقة شنفاً .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله :

أفضل ، مخصوص ، بقوله ، وخطابه ، والخاتم ، لمصطفيه ، أقر بها ألفاً .
وأجل منصوص على فضله من كتابه ، بالمكارم ، تصار إليه ، ليست بهرجاً ولا زيفاً .
وأصلي عليه ، وعلى آله وصحبه ، وعترته ، وحزبه . صلاة تامة أجدها
وقاية يوم لا أملك لنفسي عدلاً ولا صرفاً .

وأما الالتفات^(١)

فهو أن تعدل من الخطاب إلى الإخبار ، ومن الإخبار إلى الخطاب ، أو
من الغيبة إلى التكلم مثاله قوله تعالى^(٢) : ﴿ ملك يوم الدين . إياك نعبد وإياك
نستعين ﴾ . وقوله تعالى^(٣) : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم
في الفلك وجرين بهم ﴾ . ومنه ، قال إسحاق الموصلي قال لي الأصمعي :
أتعرف التفات جرير ؟ قلت : لا . فأنشدني^(٤) :

أتنسى إذا تودعنا سليماً بفرع بشامة ، سقي البشام

ألا تراه مقبلاً على شعره ، ثم التفت إلى البشام ؟

و [منه] قول جرير^(٥) :

(١) العمدة ٢ : ٤٤ . وتحرير التعبير ١٢٣ .

(٢) فاتحة الكتاب ١ : ٤ - ٥ .

(٣) يونس : ١٠ / ٢٢ .

(٤) ديوانه ٥١٢ ، وهو من الشواهد المشهورة .

(٥) ديوانه ٥١٢ : وهو مطلع قصيدة له .

مضى كان الخيامُ بذى طلوحٍ . سُميت الغيث أيتها الخيامُ !

والاعتراض^(١)

هو أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ، فيعدل عنه أخذاً في غيره ، قبل أن يتم الأول . ثم يعود إليه فيتممه ، فيكون ما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في حسنه :

قال النابغة : - وقيل للجعدي -^(٢)

ألا زعمت بنو عبسٍ بأني ألا كذبت كبير السنّ فانِ
و [منه] قول كثير^(٣) :

لو أنّ الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا
وقال الآخر :

فلّني إن أفتك يفتك مني^(٤) - فلا تسبق له - علق نفيس^(٥)

وأما اللف والنشر^(٦)

فهو أن تذكر شيئين ، ثم ترمي بتفسيرهما جملة ، ثقةً بأن السامع يرد كل تفسير إلى اللائق به ؛ كقوله تعالى^(٧) : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ ولم تقل الطائفتان ذلك ؛ وإنما قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى .

(١) أورده القزويني في علم المعاني : التلخيص ٢٣١ .

(٢) ديوان الجعدي : ١٦٢ من قصيدة له وفيه : بنو كعب ... كذبت .

(٣) البيت في ديوان كثير ٥٠٧ وانظر العمدة ٢ : ٣٦ .

(٤) التلخيص للقزويني : ٣٦١ .

(٥) البقرة ٢ : ١١١ وقامها : « تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وأما التفسير^(١)

فهو أن تذكر شيئاً ثم تقصد تخصيصه فتعديده مع ذلك المخصص ؛ مثاله قوله تعالى^(٢) : ﴿ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ثم قال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ وأما الذين سعدوا ففي الجنة ﴿ آيَةٌ ﴾ وقول طريح^(٣) :

إن حاربوا وضَعُوا أو سالموا رفعُوا أو واعدوا ضَمِنُوا ، أو حُدُّوا صدَقُوا

وأما التعديد

فهو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد. مثاله قوله تعالى^(٤) : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

وأما التخيل

فهو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد أنه مما يظهر في العيان . مثاله قوله تعالى^(٥) : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَةً بِيَمِينِهِ ﴾ .

وأما المتواتر^(٦)

فهو أن يتفق آخر الكلمتين اللتين بهما تكل القرينتان وزناً ولفظاً في الحرف الأخير. مثاله قوله تعالى^(٧) : ﴿ فِيهَا مَرَرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ .

(١) انظر باب التفريق والتقسيم في التلخيص : ٣٦٦

(٢) هود ١١ : ٣٠٦ .

(٣) البيت من قصيدة مطولة في مدح الخليفة الأموي الوليد بن يزيد « الأغاني ٦ : ٩٨ » قال أبو الفرج ذكر يحيى أن الشعر لطريح ، وذكر ابن السكيت أنه لابن هرمة .

(٤) البقرة ٢ : ٢٥٥

(٥) الزمر ٤٩ : ٦٧ .

(٦) انظر باب التسجيع في تحرير التعبير : ٣٠٠

(٧) الفاشية ٨٨ : ١٣ - ١٤

وأما رد العجز على الصدر^(١)

فهو أن يلاقي آخر الكلام أوله بوجه ؛ مثاله قوله تعالى^(٢) : ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ . [١٥ / ب] وقول الشاعر :

سكران سكرهوى وسكر مدامة أتى يفيق فقى به سكران ؟ !

وأما المساواة^(٣)

فهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان ؛ مثاله قول زهير^(٤) :

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تحفى على الناس تعلم

وأما العكس والتبديل^(٥)

فهو كل ما كان من قبيل ما يحمل على غيره لقصد المسدح أو الذم فتجعل ما ينبغي أن يوصف به موصوفاً ، وما ينبغي أن يكون موصوفاً صفة ؛ مع إجرائهما على الأصل في ذلك الكلام . مثاله :

وإذا الدثر زان حسن وجوه كان للدثر حسن وجهك زينا !

وأما الاستدراك والرُّجوع^(٦)

فهو أن يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والإبطال . مثاله :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك وكلاً ليس منك قليل

(١) تحرير التحبير : ١١٦

(٢) الأحزاب : ٣٣ : ٣٧ .

(٣) التلخيص : ٢٠٩ وأورده القزويني في علم المعاني .

(٤) ديوان زهير : ٣٢

(٥) تحرير التحبير : ٣١٨

(٦) تحرير التحبير : ٣٣١

وأما الاستطراد^(١)

فهو كل كلام خرجت منه ، وأخذت في غيره مما يناسبه ويلابسه ، مع أنه دخیل فيما عقد له التصدير . ومنه : قال البحري أنشدني أبو تمام هجو عثمان بن إدريس الشامي^(٢)

وسابح هطل التَّعداء هتَّان على الجِراء أمينٍ غير خوانٍ
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه فغلَّ عينيك في ظمآن رَيانٍ
فلو تراه مشيحاً والخصى فلقُ تحت السنايك من مثني ووحدانٍ
حلفت إن لم تثبَّت أن حافِرَه من صخر تدمر أو من وجه عثمانٍ !
ثم قال : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ؛ فقال هذا هو الاستطراد .
فقلت : فيها معنى ذلك ؟ [١٦ / أ] قال : يريك وصف الفرس ، وهو يريد
هجاء عثمان . فأخذها البحري فقال :^(٣)

يهوي كما تهوي العقابُ وقد رأت صيداً وينصبُ انصبابُ الأجلد
ما إن يعافُ قذَى ولو أوردتهُ يوماً خلائقَ حمدويه الأحولِ !
وقال بشار بن برد^(٤)

خليلي من كعبٍ أعينا أخاكُما على دهره إن الكريم معينُ
ولا تبخلا بخل ابن قزعة لئنه مخافة أن يرجى نداءُ حزين^(٥)
إذا جثته في حاجةٍ سدَّ بابهُ فلا تلقه إلا وأنت كمينُ !

(١) تحرير التعبير : ١٣٠

(٢) ديوان أبي تمام ٤ : ١٢٥

(٣) ديوان البحري ٣ : ١٧٤١ . وهما من قصيدة في مدح محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب . وفي أخبار أبي تمام أنه كانت بين المدوح وبين حمدويه عداوة . وبين البيتين السالفين ، في الديوان ثالث .

(٤) ذكرهما المبرد في الكامل ، وهما في ملحق ديوانه ٤ : ٢١١ .

(٥) بعد هذا البيت بيتان آخران قبل الخامس . (الثالث هنا) .

وأما الاستهلال^(١)

فهو أن تبتدىء بما يدل على الغرض . مثاله قول الخنساء^(٢)
وما بلغت كفاً امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطول
وما بلغ المتهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

وأما التشخيص^(٣)

فهو أن تخرج من التغزل إلى ذكر الممدوح مع امتزاج بين النوعين بحيث
يتلاءم أن تلاءم أجزاء النوع الواحد . مثاله قول محمد بن وهيب^(٤)
ما زال يُلثمني مرأشفه ويعلثني الإبريق والقدرح
حق استرد الليل خلعتة وبدا خلال سواده وضح
وبدا الصبح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح!

وأما الترديد^(٥)

فهو أن تعلق لفظة بمعنى ثم تردها بعينها ، وتعلقها بمعنى آخر . وأكثر
ما يستعمله المحدثون . ومنه قول أبي حية النميري^(٦) ، وهو المقدم في ذلك ،
إذ أجمعوا أنه [١٦/ب] سبق إلى الإحسان جميع من تقدمه أو تأخر عنه^(٧) :

(١) في تحرير التعبير بعنوان : حسن الابتداءات : ١٦٨ .

(٢) من أبيات ترثي أخاها (الديوان : ٥) وانظر روايات البيتين .

(٣) في تحرير التعبير بعنوان : براعة التخلّص .

(٤) في النسختين : محمد بن وهب . والشاعر هو محمد بن وهيب ؛ ترجم له في الأغاني ١٩ : ٢٠ - ٢٦ .

والأبيات من قصيدة له يمدح بها المأمون العباسي .

(٥) تحرير التعبير : ٢٥٣ .

(٦) ترجمته في الأغاني ١٦ : ٢٣٦ .

(٧) البيتان الأولان في الأغاني ١٦ : ٢٣٥ ، وفي العقد ٦ : ١٦٤ - ١٦٥ برواية أخرى .

الأحى من أجل الحبيب المغانينا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يومٌ و ليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يميلُ التقاضيا
كلانا غنيٌ عن أخيه حياتهِ ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا
وقال الخليلع الباهلي :

لقد ملئت عيني بحسن محاسن ملآن فؤادي لوعةً وهموما

وأما التثميم^(١)

فهو أن تأخذ في بيان معنى، فلا تترك شيئاً يتم به ذلك التبيين ويتكامل الإحسان معه فيه إلا أتيت به . مثاله قول ابن الرومي^(٢) :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالمٌ للهدى ومصباحٌ تجلوا الدجى والأخريات رجوم
وقول طرفة^(٣) :

فسقى بلادك غير مُفسدها صوبُ الربيع ودِيةٌ تهمي

وأما التفويف^(٤)

فهو أن تصف المذكور بما يدل على مدحه من صفات المكارم مثلاً ، ثم يدل على ذمه ؛ لكن تقرن بذلك الذم ما يرشد بأنه مديح ، مثاله قول جرير^(٥) :

هم الأخيارُ منسكةٌ وهدى وفي الهيجا كأنهم صقورُ
هم حذبُ الكرامِ على الموالي وفيهم عن مساءتهم فتورُ
خلاتقُ بعضهم فيها كبعض يؤمُّ كبيرهم فيها الصغيرُ
عن الشكرامِ كلُّهم غيى وبالمعروفِ كلهم بصيرُ

(١) في تحرير التحيير بعنوان باب التمام : ١٢٧

(٢) لم يردا في ديوانه (ط الكيلاني)

(٣) ديوان طرفة : ٩٣

(٤) تحرير التحيير : ٢٦٠

(٥) الأبيات من قصيدة في ديوانه ٢٣٤ مدح بني أمية . وانظر اختلاف الروايات .

وأما التَّجَاهُلُ^(١)

فهو أن تسأل عن شيء تعرفه ، موهماً أنك لا تعرفه ، وأنه مما داخلك فيه الشك ، وخالجتك لقوة شبه حصل بين المذكورين . مثاله^(٢) :
أيا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا آ أنت أم أم سالم

وأما الهزل الذي يُراد به الجحد^(٣)

فهو أن تعلم لمن أذاك يُفاخرك عيباً ، فتعرض له إذا فاخرك بذلك العيب . مثاله^(٤) :
إذا ما تيممي أذاك مُفاخرأ فقل عدّ عن ذا ، كيف أكلُك للضب ؟ !

وأما التَّنْبِيهِ

فهو أن تطلق كلاماً للانتقاد فيه متسع ، ثم تنيطه بما [يدفع] ذلك ويدل على استقامته ، مثاله :
هو الذيب ، أوللذيب أوفى أمانة وما منها إلا أزل خؤون
وقال الآخر :

إذا ما ظمئت إلى ريقها جعلت المدامة منه بديلا



(١) تحرير التعبير : ١٣٥ بعنوان تجاهل العارف .

(٢) البيت في الخصائص ٢ : ٤٥٨ وانظر تخريجاته فيه .

(٣) تحرير التعبير : ١٣٧ .

(٤) البيت لأبي نواس من قصيدة له في الهجاء « الديوان ٥١٠ » .

الباب الثاني

فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين ملوك المغرب *

أمير المسلمين أبو الحسن علي بن أمير المسلمين عثمان بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق^(١) .

(*) بنو مرين من قبائل زناتة . كان موئلهم الأول بلاد القبلة من زاب إفريقيا إلى سجلماسة ، وكانوا في طاعة الموحدين فلما كانت هزيمة العقاب سنة ٦٠٩ ، وضعف أمر الموحدين ، بدأ نجم المرينيين بالظهور ، وبرز فيهم أبو محمد عبد الحق بن يحيو المريني الذي تنسب الدولة أحياناً إليه فيقال : الدولة المرينية العبد الحقية .

واستمر نجم المرينيين بالظهور ونجم الموحدين بالأفول حتى استولى بنو مرين على أمصار المغرب الرئيسية كمراكش وسلا والرباط وفاس وغيرها ، وانتهت محاولات فلول الموحدين نهائياً بمقتل أبي دبوس سنة ٦٦٧ على يد يعقوب المريني .

واستقر المرينيون في المغرب « الأقصى » وامتدت حدودهم في مدد كثيرة حتى شملت المغرب كله ، وكانت بين دول المغرب الثلاث المرينية ، والزيرية ، والحفصية علاقات متشابكة بين التصافي والتعاون من جهة ، والحروب والفتن - وهو الاقل - من جهة أخرى .

واستمرت الدولة المرينية إلى أواسط القرن التاسع الهجري حيث خلفهم بنو وطاس . (راجع في ذلك : روضة النسرين لابن الأحمر « الرباط - المطبعة الملكية » وتاريخ ابن خلدون « العبر » ، والاستقصا للناصري) .

(١) أبو الحسن المريني (٦٩٧ - ٧٥٢) يلقب بالمنصور ، بويع له بفاس سنة ٧٣١ بعد وفاة أبيه . كانت حياته حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية . وامتد سلطانه إلى تلمسان « عاصمة بني زيان » وتونس « عاصمة الحفصيين » . وامتد ملكه من مصراته إلى السوس الأقصى ، وأنجب

حاله - رحمه الله - (هو) (١) محرز قصب سبق الكمال ، المستولي على أمد الإجمال . له المناقب الجليلة ، والآثار الجميلة من العدل في الرعية ، وبذل الغيرة المرعية ، واتباع الأحكام الشرعية . وحسبك من فضائله الجسيمة ، ومحامده الجملة الوسيمة ، أنه ماتناول من الخمر كأساً ؛ ولا اتخذ منه خماساً . ولا حل مآزره على حرام ، بل تبرأ من الفحش والآثام .

فمن قوله يفتخر - رحمه الله - (٢) :

أرضي الله في سرتي وجهرتي وأحمي العرض من دنس ارتياب
وأعطي الوفر من مالي اختياراً وأضرب بالسيف طلى الرقاب

= الأندلس بيجوشه وأساطيله بعد اشتداد حملة الدول الإسبانية ، وكانت عليه مع جموع الأندلسيين هزيمة منكرة سنة ٧٤١ قرب طريف . وجيز جيشه للعودة إلى الجهاد في الاندلس ، فعلم بوفاة صاحب تونس أبي بكر الحفصي ونشوب الخلاف بين ابنه ، فقصده إلى تونس سنة ٧٤٨ ، وزار مدناً أخرى . وحصلت بينه وبين قبائل العرب خلافات ومعارك ، ثم تصالح الطرفان . وفي هذه المدة بويج لابنه أبي عنان بعد انتشار خبر يقول بموت والده ، وخرج من المنصورة إلى فاس ، وتخلص أبو الحسن من طريقه بعد أهوال طويلة إلى قرب فاس ، ولكن مؤيديه يخسرون معركتهم أمام جيوش أبي عنان ، فيخرج إلى جبل هنتانة ويقم في قبائله زماناً يسيراً ، ويعتل ويتوفى سنة ٧٥٢ . وقد دفن بمراكش ونقل بعد ذلك إلى فاس . ويعد أبو الحسن المريفى في أشهر ملوك المرينيين ، وأبعدهم أثراً في الحضارة والعمران (انظر روضة النسرين لابن الأحمر : ٢٥ ، جذوة الاقتباس لابن القاضي ٢٩١ ، والاستقصا في أخبار المغرب الأقصى للناصري ١١٨ : ٣ وما بعدها ، واللمعة البدرية لسان الدين بن الخطيب ٩٢ - ٩٣ . ورقم الحلل في نظم الدول له : ٩٢ والعبر « تاريخ ابن خلدون » ٧ : ٢٧٨ ، ومشاهدات لسان الدين : ١٢٣) .

(١) كلمة هو لم ترد في : ط .

(٢) البيتان في روضة النسرين : ٢٦ .

ابنه أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس رحمه الله*

يكنى أبا عنان . ورأيت ، وكنت في حضرته بفاس تحت إيلاته ، وسيدب
إنعامه مدة حياته . وأعطى عني صداق ابنة عمي حين تزوجتها ، محبة منه
إلي - رحمه الله تعالى - .

وكان كمثل أبيه سمناً وهدياً، و(?) ضخامة الملك واتساع البلاد. ملئك من
السوس إلى إطرابلس وبلاد إفريقية مدة . وحين ارتحل إلى أرض إفريقية من
فاس ليملكها في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة سرت معه ، فأناخني من العطايا
ماقرت به عيني ، ولم أزل معه تحت يده ، حتى فرق الدهر بيننا بموته ، رحمه الله .
حاله - رحمه الله - :

هو الملك العالم بالفروض والمندوب . الهمام الذي لم يزل لأذيال الشهامة
سحوب . من أشرقت بهائه ، وظهر بظهور روائه ، غياهب الظلم . ونجم
بتدقيق ذكائه ، وتحقيق آلائه ، مأثور العلم والكرم . فلا جهة من جهات البر
إلا عم علمه لديها ، ولا ناحية من نواحي الفقر إلا غطى كرمه عليها . وكانت
الملوك تبجله ، ومقصده تعجله ولا تؤجله ؛ لما كان أسدهم المصور ، وفارسهم
المنصور .

(*) أبو عنان المريني (٧٢٩-٧٥٩) فارس بن أبي الحسن علي - صاحب الترجمة
السابقة - ولده أبوه مدينة تلمسان ، ثم يبيع بالملك سنة ٧٤٩ في حياة أبيه لما جاء الخبر
بوفاته ، واستتب له الأمر سنة ٧٥٢ بعد وفاة والده . ومن أعماله إعادة إخضاعه لبني زيان
ملوك تلمسان ، ولحفصيين أصحاب قسنطينة وتونس . وقد توفي مخنوقاً على يد وزيره الحسن
ابن عمر الفودودي .

اشتهر أبو عنان بحب العلوم والآداب ، وإثابة أهل العلم ، ومناظرتهم . وكانت له عناية
بجمع الكتب وبناء المدارس .

(راجع في حياته روضة النسرین : ٢٧ ، جذوة الاقتباس : ٣١٤ ، والاستقصا : ٣ : ١٨١
ورقم الحلل : ١١٢ ، واللحة البدرية : ٩٣ ، ١٠٤ - ١٠٦ ، والعبر لابن خلدون : ٧ : ١٥١) .

ومن قوله في الحكمة :

وإذا تعرّض للرياسة خاميل^(١) جرت الأمور على الطّريق الأعوج!

[١٨ / أ] وكنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء من فاس
[فدخل]^(٢) عليه رجل من المنخرطين في سلك المتصلحين ، فلما نظر إلى
المتصلح قال بديهية :

تراهم في ظواهرهم كراماً ويخفون المكيدة والخداعا!

وأخبرني الفقيه الإمام المفتي المدرس قاضي الجماعة بفاس ، وقاضي الحضرة
المرينية المدينة البيضاء أبو عبد الله محمد القرشي المعروف بالمقري^(٣) ، بفتح الميم ،
كنت يوماً عند أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، فقال لي يا أبا عبد الله ؛
كنت يوماً بقصري ، وكان في يدي تفاحة ، فحضرت عليّ جارية من جواري ،
كنت أحبها حباً مبرحاً فأرميتها^(٤) بالتفاحة ، وقلت على البديهية :

خذها إليك هديةً من كفت ملك مالِك
يُبدي العطايا دائباً ويُبدي شمل الغاتِك^(٥)

(١) غير واضحة في الاصلين .

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تولى قضاء فاس أيام السلطان أبي عنان —
وهو الجد الأعلى للمقري صاحب نفح الطيب — له ترجمة في (المرقبة العليا ١٦٩ ،
والتعريف بابن خلدون ٥٩ ، والإحاطة ١٣٦ : ٢ ونفح الطيب ١ : ٥٥٦)

(٣) كذا فيها .

(٤) قال في روضة النسرین : ومن شعره الحلو :

رمى تصوب حيي حي تصوب رمي
نهی تقاصد خلي خلي تقاصد نهی

أخوه لأبيه أمير المسلمين عبد العزيز - رحمه الله * -

يكنى أبا فارس . ورأيت . وكنت بحضرته وتحت إيلته ، وكاد أن يكون
كأبيه المنصور بالله وكأخيه - أبا عنان - المتوكل على الله في هديهما وضخامة
ملكيهما ، لو لم تحترمه المنية .

حاله - رحمه الله -

هو الملك المتحلي بالتقوى ، المستمسك في ذلك بالحبل الأقوى . ظهر له في
الدين ما بهر به العقول ، وخرج عن الحد والمعقول . وسار بسيرة المنصور
أبيه ، ولم يقصر في ذلك عن مدى المتوكل أخيه . وجد في نجوم الحق وعدل ؛
وعن سنن الطاعة ماعدل .

فمن قوله - رحمه الله - ؛ زادها [على قول] أبيه ؛ قال والده رحمه الله

[١٨ / ب]

أرضي الله في سرتي وجهري وأحمي العرض من دنس ارتياب^(١)
وأعطي الوفرة من مالي اختياراً وأضرب بالسيوف طلي الرقاب

(*) أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني ٧٥٠-٧٧٤ . أحد ملوك بني مرين المعدودين .
جدد سلطة الدولة وبسطتها ، جاء به إلى الملك الوزير المتسلط على دولة المرينيين عمر بن عبد
الله ، ولكنه نقم عليه وتخلص منه ، وسام في استرداد الجزيرة الخضراء مع بني الأحمر وأعاد
الاستيلاء على تلمسان من أصحابها بني زيان . وتوفي شاباً سنة ٧٧٤ . وكان ولي الحكم ٧٦٧ .
(روضة النسرین لابن الأحمر : ٢٣ ، الاستقصا للسلاوي ٤ : ٥٢ ، وجذوة الاقتباس
٢٦٨ ، والتعريف بابن خلدون ١٣٣) .

(١) راجع ترجمة أبي الحسن . وقد نقل الناصري في الاستقصا الأبيات عن ابن الأحمر
« الاستقصا : ٤ / ٥٩ » وفيه : « في سر وجهر » .

فقال هو - رحمه الله -

وأرغب خالقي في العفو عني* وأطلب حيلته* يوم الحساب
وأرجو عونه في عز نصر* على الأعداء محروس الجنب
وعبدك واقف* بالباب فارحم* عبيداً خائفاً ألم العقاب

ابن عمه الأمير منصور*

ابن أمير المسلمين أبي علي عمر بن أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان
ابن أمير المسلمين المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق .

يكنى : أبا علي ، ورأيت . وكان قد بعثه ابن عمه أبو عنان إلى الأندلس مع
إخوانه الأمير المؤيد بالله عبد الحلیم ، والأمير عبد المؤمن ، والأمير الناصر .
فلم يزل بغرناطة تحت إمالة بني عمنا الملوك بني الأحمر إلى أن بعثه ابن عمنا
السلطان أمير المسلمين الغالب بالله ، المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن أخي
أبينا الرئيس الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا أبي عبد الله محمد بن جدنا أبي
سعيد فرج ، مع أخيه السلطان المؤيد بالله عبد الحلیم ، حين قدّم ابن عمنا عبد
الحلیم المؤيد بالله أميراً ، وجوزّه البحر لطلب ملك آبائه بني مرين بالعدوة .
فلما استقر الأمير منصور بغساسة قبض عليه ، وسبق لابن عمه أمير المؤمنين

(*) الأمير منصور بن أبي علي عمر . وأبوه أبو علي أخو أبي الحسن ، وكان والياً
- لعهد أبيه - على جنوبي المملكة ، وكانت بينه وبين أخيه فتنة انتهت بقتله . وغرب أبو
عنان بن أبي الحسن أبناء عمه منصور وعبد الحلیم وعبد المؤمن والناصر وجملة من أهل
إلى الأندلس .

وفي جملة المشكلات التي طرأت بين بني الأحمر وبني مرين محاولة محمد الغني بالله النصري
التدخل في شؤون المرينيين ، وتنصيب سلطان يدين له بالولاء ، ولكن محاولاته هذه لم تفلح
كما ذكر ابن الأحمر . وكان هذا سنة ٧٦٣ . وكان لمؤامراته سنة ٧٧٦ شأن آخر .

راجع الاستقصا : ٤ ، ٣ ، ونفاضة الجراب ٢٩٩ .

المتوكل على الله أبي^(١) [زيان] محمد^(٢) بفاس ، فقتله بالسيف .

حاله - رحمه الله -

كان يوصف بالكرم الفائق ، والنبل الرائق . مع الفصاحة في اللسان ،
والبلاغة في البيان . ومشاركة في العلوم ، ومعرفة بالمجهول والمعلوم [١٩ / أ]
وسمت ووقار وكلام ألد من كاسات العقار . لآتراه إلا جائداً بالجد^(٣) . . . عن
البخل في كل منتدى . أخبرني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو الحسن علي بن محمد ابن
معاود البلوي ، قال خرجت يوماً مع الأمير أبي علي منصور لمتنزه بخارج بلدنا
غرناطة (فلقينا)^(٤) وسيماً ، فقال فيه بديهة :
لو اطلعت على قلبي رأيت به من لحظ عينيك أو من ثغرك الأثرا

الشيخ أبو الحسن علي بن بدر الدين

ابن موسى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأمير عبد الحق المريني ،
كان ببلادنا الأندلسية ، وقدمه على جيوشه الغزاة شيخاً ابن عمنا أمير المسلمين
الغني بالله ، أبو عبد الله محمد بن أمير المؤمنين أبي الحجاج يوسف ، بن أمير
المسلمين أبي الوليد إسماعيل أخي جدنا ، بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج ، ابن
جدنا الأمير إسماعيل بن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ، بن جدنا أمير
المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

(١) كلمة (زيان) لم ترد في النسختين

(٢) المتوكل على الله محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن ، حكم من صفر ٧٦٣ إلى ذي
حجة ٧٦٧ .

(٣) كلمة غير واضحة في النسختين .

(٤) الكلمة مطموسة في (ط) .

وهو من بيت الملك المريني . وبالأندلس وُلد هو ووالده . وجده موسى ابن عبد الرحمن هو الداخل إلى الأندلس فرمى بر العدوّة أمام ابن عمه أمير المسلمين ، الناصر لدين الله يوسف المكنى بأبي يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس خوفاً من الملك . فقدّمه شيخاً على الغزاة جدنا أمير المسلمين أبو عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس ، ابن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن خميس ابن نصر الحزرجي .

حاله رحمه الله -

(كان) (١) بالشجاعة موصوفاً ، وبالبراعة معروفاً . وله في الأدب باع مديد [١٩ / ب] ورأيه مستعمل سديد . وفعاله وسيمه ، وصنائه جسيمه . وكان عارفاً بالتعديل ، لم يكن له عديل . وخط بيده من التقاويم الحسنة ما يخبر بتحويل كل سنة .

أنشدني لنفسه - رحمه الله - ملفزاً في مملوك له وسيم من أبناء الروم يسمى فارحاً :

اسم فلان هين	يُصبي النهى تقريبه
حروفها ثلاثة	ثلثها مقلوبه (٢)

وأنشدني أيضاً لنفسه ملفزاً ، يقرأ أول كل بيت فيخرج : اشتقول لمن يحبك ؟

أرقتُ وقد نام الحليّ المسلمُ	وبي من أليم الشوق ما ليس أكتُمُ
شهودي نجومٌ راكدتُ كأنما	عدت عن طريق القصدِ والليل مظلم (٣)

(١) كلمة كان محسوة في (م) .

(٢) كذا فيها .

(٣) في الاصلين : عدت عن طريق القصر ، وهو تصحيف ظاهر .

تذكرني من قد بليت بحبه
قضيب من الريحان غصن منعّم
وضعت له خديّ وقلت ليعبرتي
لزمت البسكا والشوق بعد فراقه
له مقلة ترمي إذا اللحظ نالها
مريض عليل الطرف من غير علة
نهمت فؤادي عنه فازداد لوعة
يسرك يا مولاي إن مت بالهوى
حكمت على قلبي فعذبت مهجتي
بعينيك ما ألقاه فيك من الأسى
كتبت فخذ من كل بيتي أولاً

وفي القلب والأحشاء نار تضرّم
ولكنه بالوصل لي ليس يُنعم
هي فوق خديّ عله لي يرحم
وقلت لذي بثّ ودمعي يسجم
وثغر كمثل الدرّ حين ينظم
فما أحد من سحر عينيه يسلم
وهل يستطيع الصبر صبّ منّيم؟
وحسبك ما ألقاه والله أعلم
وللحب سلطان على الصب يحكم
وإني في حيي إليك مُصمّم
ودبره أحياناً لعلك تفهم!



الباب الثالث

في شعر ملوك بني الأحمر من بني نصر قومي وأبنائهم *

أمير المسلمين الغالب بالله المتوكل على الله محمد (**)

(*) يطلق اسم دولة بني نصر أو دولة بني الأحمر على المملكة التي أسسها أبو عبد الله محمد بن يوسف ، الملقب بالغالب بالله . نشأ بأرجونة من أحواز قرطبة ، ونبغ له شأن في المدة التي شغل فيها الجو السياسي الأندلسي بتداعي دولة الموحدين ، وكان واحداً من ثوار الأندلس المنازعين في الوصول إلى رياستها . وقد تملك جيان وخضعت له إشبيلية وقرطبة برهة يسيرة ، كما ذكر ابن الخطيب .

وفي خضم الأحداث استدعاه أهل غرناطة وملكوه عليهم ، فجعلها عاصمته واستمر فيها وأورثها عقبه من بعد ذلك . وفي زمانه استقرت الحدود بينه وبين جيرانه من الدول الإسبانية في حديث طويل .

وكانت بداية الدولة النصرية مع تملك الغالب بالله لها سنة ٦٣٥ . وكانت نهايتها مع تسليم أبي عبد الله الصغير مفاتيح المدينة إلى الملكين الإشبانيين سنة ٨٩٧ هـ . وبين هذين التاريخين أحداث كثيرة تزرع بها الدولة النصرية .

(راجع الإحاطة لابن الخطيب ، واللمحة البدرية له ، ورقم الحلل له ، ونفاضة الجراب ومشاهدات لسان الدين » وتاريخ ابن خلدون « العبر » ، ونهاية الأندلس لمحمد عبد الله عنان .

(**) هو محمد بن إسماعيل بن (القائم بأمر الله المتغلب على أندرش) محمد . وكان قد زوجه الأمير يوسف ابنته ، فاتصل بالفرع الحاكم اتصالاً وثيقاً . وفي سنة ٧٦٠ دبر مؤامرة أفضت إلى تنصيب إسماعيل بن يوسف أخيه الأمير آنذاك الغني بالله محمد بن يوسف ، وقام بالامر معه ، من وراء ستار . ثم جدت أمور أدت إلى مقتل إسماعيل المتغلب على الحكم باسمه

ابن عمنا الرئيس الأمير الذي بويع بالطشأتين^(١) أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله أبي عبد الله محمد ، ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ؛ ابن جدنا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته . وهو ملك الأندلس وهو ابن أخي أبي - رحمه الله - .

حاله - رحمه [الله] -

و صفته في كتابنا (فريد العصر من شعر بني نصر) ما نصه :
 « هو الملك الذي قدح زند الفضائل فأورى . وأعاد على الملة المحمدية عهد الشباب وقد أصبح مأوه غورا ؛ والبهمة الذي تحدث الركبان بشجاعته نجداً وغورا ؛ الأريحي الذي جاد بجراره^(٢) رياض الآمال فراق نضرة ونورا . المتألق عطر ذكره تألق الصبح ، والذي كان له في تجارة الجهاد أوفر ربح . فإن ذكر الكرم فهو ابن يحدته ، وإن وصف الإقدام فهو عين نجدته :

= وارتقائه إلى السلطنة من سنة ٧٦١ إلى جمادى الثانية ٧٦٢ . فقال لسان الدين « وشمر الصهر المذكور - وهو ما هو من الإقدام ومداخلة ذؤبان الرجال - عن ساعد جده وراش وبرى واستعان بمن هفت به الأطماع . » . وجملة رأي لسان الدين فيه أنه أجلب بالفتنة وأفسد الدولة ، وقاد نفسه إلى الهلكة :

(راجع الملح البدرية : ١٠٨ و أعمال اعلام ٣٠٨ والإحاطة ٢ : ٢ ونفاضة الجراب ١٨٣) .

(١) لم أقف على هذا الاسم ، وهو كما يظر ، مكان في غرناطة .

(٢) في القاموس : من جراك وجرائك وجريرتك : من أجلك .

حدث به عن حاتم يوم الندى وسمع يزيد الخيل يوم المغنم
ولا مرية في أنه بحر الجود المتلاطم الأمواج . ومنتهى الآمال حين تضيق
بالمعتفين المسالك والفجاج . جادت من سماء جوده على العلماء كل هائلة ثره ؛
وجرت أنهار عطائه لهم لأنهر المجره . أنسى -حقاً- مايؤثر عن الطائي، ووسع
- صدقاً - بإشاره القريب والنافي . فعادت أخباره أحلى من الأناسيد، وأملك
للقلوب [٢٠/ب] من الأغاريد، ومنادمته الفراقيد^(١)، وأعذب من ماء العناقيد.
وحين خطبته الخلافة ليكون لها بعلاً ، لما تخيرته كفؤاً وأهلاً ، زهد في
زهرة الدنيا وخاف النار ؛ وتسربل لحلل السكينة والوقار . وأمر بإراقة
الخمر ، وقطع الملاهي ؛ فكان وجه الإمارة يشرق به ويباهي . لما أظهر من
الحلم والعفاف ، وغمر المعتفين في إمارته من الإسعاد والإسعاف . مخالفاً لشهوات
قلبه ؛ في مرضاة ربه . لايشي العنان لريبة ، ولا يأسف - في غير الدين - على
مصيبة . عفيف الفرج والبطن عما يشينها من الحرام ، متبرئاً من كل موبقة
تجلب له الآثام . مضى في إحياء الشريعة على سبيل الخلفاء الراشدين ، وأربى
في الشجاعة على من عاصره أو تقدمه من المتقدمين ؛ فكانت النصارى تفرق من
خوفه ، وترى أن الحنف ملك لكفه .

فحليت تأليفي هذا بما انتهى إليّ من مآثره المألوفة ، ومكارمه الجملة الجميلة
الموصوفة ؛ لكونه زهد حين أقبلت عليه دنياه ، ولم يستغزه هواه . وكان
يقتدي بالسلف الصلح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولبس ثياب
الصوف . ولولا قصدي الإيجاز والاختصار لألفت في آثاره ومآثره أسفار^(٢) .
فتى جمعت فيه الفضائل كلها ولا بد من نقص فكان من العمر !

(١) كذا فيها .

(٢) كذا لزورة السجع .

فمن قوله - وكتب به مجاباً -

قُلْ للتي نبأتك هذا قد صح هذا بـ « صح هذا » (١)
فلا تبالي صدود قوم يروم في صدك التذاذا (٢)
وسلم الأمر والمقاضي خير قاضي قضى بهذا

وعلى هذا الأبيات حكاية . وذلك أن كاتبه الفقيه أبا القاسم (٣) محمد ابن قطبة [٢١ / أ] الدوسي طلب منه أن يقلده رياسة كتابه ، وخطه العلامة . وكانت علامة كتبه ، وكتب آباءه الملوك بني الأحمر من بني نصر : (صح هذا) تكتب بقلم غليظ القطّة . فكتب له ابن قطبة هذا ، في ذلك ، بقوله (٤) :
تقول ليلي - وقد رأيتني كسييف بال - : فُديت ، ماذا ؟
فقلت مهلاً ، فعن قريب يصح هذا بـ « صح هذا » !
فجأبه ابن عمنا السلطان الغالب بالله ، المتوكل على الله ، أبو عبد الله المذكور بأبياته المتقدمة .

-
- (١) قال ابن الأحمر - مؤلف هذا الكتاب - في كتابه الآخر (مستودع العلامة) ص ٢٣ - ٢٤ : « إن علامة دولة بني الأحمر (التي يقع بها ملوكهم على الصكوك وغيرها) كانت « ولا غالب إلا الله » ثم كانت « وكتب في التاريخ » ثم كانت « صح هذا » .
(٢) كلمة « في » جاءت في الاصلين قبل « صدود » وتحت البيت نظر .
(٣) أبو القاسم محمد بن قطبة الدوسي ، من أسرة مشهورة بالأدب والخدمة الساطانية ترجم لسان الدين بن الخطيب لعدد منهم في كتبه المختلفة للإحاطة والكتيبة السكّانة وغيرها . وانظر أيضاً نثر فرائد الجمان : ٣١٨ في ترجمة ابنه أبي بكر محمد .
(٤) البيتان في مستودع العلامة .

الرئيس إسماعيل بن الأمير أبي سعيد فرج^(١)

ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، عم أبينا بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر ، رحمه الله .

يكفي أبا الوليد . ورأيت ، وصحبته ، وبني وبينه وداد عظيم .

حاله - رحمه الله -

وصفته في كتابنا « فريد العصر من شعر بني نصر » بما نصه : طلع في سماء البراعة نجماً . وبرز في ميدان البلاغة ضيغاً مشها . وحاز من الفصاحة مالم يحزه سواه ، ومن الذكاء ما هو ألد من الشهد في الأفواه . ومن الهمة ما يسمو أدناها فوق الشاهد ، ومن الفكاهات ما يلتذ بسماها الغائب والشاهد . ومع ذلك فهو بالأدب عارف ، وعلى محبته عاكف . وربما نظم القصائد فتأتي كالقلائد في أجياد الخرائد . وتشبهاته في الأدب ملوكية ، تلوح عليها تخايل العروبية . ومن علو همته وجلالة رتبته أن نفسه شغفت بحب الإمارة ؛ ولا يتكلم في غيرها ليله ونهاره . قد تمكن من قلبه هواها ، ولا يميل في دنياه لشيء سواها . فانظر [٢١/ب] همة هذا الندب ما أسماها ، ونفسه النفيسة ما أسماها . وهو فتي الجلالة ومحليتي جيدها ، ومبدئ أسرار الفضائل لموعداها^(٢) .

(١) يلتقي المؤلف ، والمترجم به هنا عند جدما الأمير أبي سعيد فرج (صاحب معلقة) .

فالمؤلف هو إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج ، والآخر هو إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (خامس ملوك بني الأحمر) بن فرج .

(٢) هكذا في النسختين .

أنشدني لنفسه - رحمه الله -

أردد في ليلي فرائد فيكرتي فيحسبني صحي بليلى مؤلماً
ولو علموا ما يقتضي بُعد همتي لخرثوا أمامي كلماً لحت رُكْماً
وُلِيتُ بحمراء البلاد ولم يكن فؤادي بحمراء الخدود ليولعاً!
أراد بحمراء البلاد دار الملك بفرناطة .

وأنشدني لنفسه أيضاً - رحمه الله - وكان قد بلغه عن أحد بني عمه
- وهو الرئيس أبو عبد الله محمد الأبكم - كلام قبيح في جنابه فقال
يفتخر :

يقولون "إني بالبطالة مؤلح" ولست ، ورب البيت ، أعرُفها بتأ
ولكنهم لمّا رأوني "سدّتهم" وكان جوابي في مجالسهم صمتاً
تقول "كلّ في جنابي ضلّة" وما أعرّفوا وصفاً لذاتي ولا نعتاً
وأنشدني أيضاً لنفسه :

يتوق لمن يهواه قلبي صباوبةً فيمنعني عمّا أحبّ حياءُ
وأرسل طرفي محاسن وجهه فيمنعني عن قصده الرّقباءُ
فلا حول لي قد ضاق ذرعِي والهوى إذ البعدُ عنّي واللقاءُ سواءُ

وأنشدني أيضاً لنفسه ، يداعب شاعره الفقيه الكاتب أبا العباس أحمد بن
محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ عند زواجه ، وكان قد تزوج
امرأة مسنة :

أما العجوز فقد شغلت بكلماتها عن مدحنا والسين دون اللام
فاقصِرْ وقصِرْ ما استطعت فإنها بابُ السَّقَامِ ومُنْتَهَى الآلامِ
(لا تكثرن من السكاح فإنه ماءُ الحياة "يراق" في الأرحام)

أخونا الرئيس محمد ابن والدنا^(١) .

يكنى أبا عبد الله ، وهو أكبر مني سنًا ، يفوتي بعشرين سنة .

حاله - أكرمه الله -

وصفته في كتابنا « فريد من شعر بني نصر » بما نصه :

هو أحد أبناء الملوك الموصوفين بالبراعة الفائقة ، والفصاحة الرائعة المعجبة الرائقة . ممن يشار إليه في فك معميات الأدب ، ويلجأ إلى معين فطنته في كشف مغيبات الطلب . متحل من الدين بشعاره المعجب ، مترنم بالقرآن ترنماً مستحسنًا مطرب . إن خط مهرقاً^(٢) فأين منه ابن مقلة في التتميق ؛ وإن شعر فما المرقش في التزويق . وإن خطب أنساك بلاغة سحبان ؛ أو أنشأها العباد وبديع الزمان . وإن شدا مغنياً شغف القلوب وأذهلها ، وإن تكلم منشداً خدع العُصم في المعامل وأنزلهما . فلو سمعه الموصلي لسلم إليه على ياس ، وكذلك ابن شكله إبراهيم بن المهدي صيت^(٣) آل عباس .

ومع ما حباه الله به من هذه الخصال البديعة ؛ التي لا تجتمع إلا في كل ذي نفس ذكية رفيعة ، لا تراه إلا مطرقاً من الحياء ، ولا متكلماً إلا في هبات الجزيل من العطاء .

لا يرفع الطُرف إلا عند مكرمةٍ من الحيامٍ ولا يُغضي على عارٍ
إن عقد حبة خلته رضوى الوقار ؛ وإن نطق فكأنما سقي كؤوس
العقار : سمت همته الشريفة إلى حب الطاعة ، فلم يُلَف من أبناء الأمراء الزهاد

(١) لم أقف له على ترجمة ، غير ما ذكره ابن الخطيب عرضاً في جملة بني الأحمر الذين لجؤوا إلى المغرب بعامه وإلى بني مرين بخاصة (اللوحة البدرية في الدولة النصرية) .

(٢) المهرق : الصحيفة .

(٣) رجل صات وصيت : (مشهور) .

مصادما . وسرت جنود ورعه إلى ميدان الفضائل ، فلم تلق له مقاوماً .
أيقابل السيل بالوشل ، أم يعارض الجد بالفشل ؟ ومكارمه قوت بها كل
[٢٢ / ب] عين . وانتظم في لبه الدهر واسطة زين .

أنشدني لنفسه :

يا نازحاً ولعهد الحبّ قد نقضا لا تستحلّ حراماً رُمته غرضاً
ناشدتُك الله هل في العيش مُنتفعٌ يوماً إذا ما جفا المحبوبُ أو رفضاً ؟
ولقي يوماً ببعض الأزقة من فاس امرأة بارعة الجمال ، وقد لبست ثياب
حزن زرق ، وهي سافرة عن وجه كالقمر ، وهي تلطمه بيديها ، ومن حوالها
من النساء يرمن أن يبرقعنه فتمنعن بيديها ، فقال بدية :

ألبسوها ليحجب الحسن فيها ثوب حزنٍ فزاد حسناً ومعنى
عجباً للسحاب تسترُ شمساً فتقت غيمه شملاً ويمنى !

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب :

ولما نظمنا معهم سلك الآداب ، وسلك بي مسلككم شرف الانتساب ، ولم
أكن ممن قصر عن ذلك المرام ، ولا ممن تبدد من ذلك النظام ؛ رأيت أن ترك
اسمي وعدم إثبات نظمي ، ثلة في جمع ، ووتراً من شفع ، وفلاً في حسام ،
وحظاً من أسقام . بل كنت في ذلك ، من فريق هنالك ؛ قاده طبعه إلى تولج
هذا الباب ، وحدهاء عقله إلى مطالعة نوع من الآداب .

فمن قولي - لطف الله بي - وكان قد بلغني عن بعض بني عمي بعض القول
مما يقبح :

رمانى بنو عمي بزورٍ مزورٍ وما زلتُ أوفاهمُ وأحسنهم سمناً
رَموني حَقْداً بالذي لستُ أهلهُ ولِاتي عن هُجرٍ لأكثرهم صمناً
وإنّ جدودي كالجبّال رزانةُ وما إن تری فيها اعوجاجاً ولا أمتاً

[٢٣ / أ] وقلت أيضاً - خار الله لي - :

يومَ بَانَ الظَّائِرُونَ	لا تَسَلْ ماذا لَتَقِينَا
أَيُّ شَوْقٍ أَيْ وَجَدَ	فَضَحَ السَّرَّ الْمَصُونَا
وَأَشَدُّ مَنْ تَشَكَّى	مَنْ بِهِمْ جُنَّ جَنُونَا
فَرَحَ الْحَاسِدُ مِمَّا	آلَمَ الْقَلْبَ الْحَزِينَا
يَا فِرَاقَ الْحِلِّ ماذا	مِنْ وَلَوْ لَكَ فِينَا ؟ !
كَلِمَةً رُمْنَا بِعَادَا	مِنْكَ أَدْنَيْنَا الشَّجُونَا
جِئْتَ فِي فَعْلِكَ هَذَا	بِخِلَافِ الْمَغْرَمِينَا !

وقلت أيضاً في مدح ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله محمد* الغلوع (١) :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُمْلِكَكَ الدُّنْيَا	وَيَحْمِي بِكَ الْإِسْلَامَ إِذْ حَطَّتْهُ رَعِيَا
حَمَيْتَ جَنَابَ اللَّهِ فَضْلاً وَلَمْ تَزَلْ	تَرَاقِبُ فِيهِ أَمْرَ رَبِّكَ وَالتَّهْيَا

(١) سبقت الإشارة إليه (انظر إلى الحاشية ٢ صفحة ٢٥) . وقد امتد العمر بالأمير النصرى الغني بالله ، وحكم الاندلس أكثر من أربعين عاماً على فترتين . وفي شعراء العصر عدد كبير من مدحه بالشعر والموشحات ، وفي أدبائه من رفع إليه مؤلفاته وطرزها باسمه . وفي هذا الكتاب تراجم عدد من الشعراء الذين مدحوه . (انظر : الكتبية الكامنة للسان الدين بن الخطيب ، والإحاطة له ، ونثير فرائد الجمان ، ونفح الطيب ، مثلاً) وتلقيبه بالغلوع غير مشهور . وهو يشير إلى الحادثة عليه التي سلبته ملكه من ٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ إلى ٢٠ جمادى الآخرة ٧٦٣ ، ولجأ في أثناءها إلى المغرب ، ودخل فاس فاتح محرم ٧٦١ .

والمعروف بلقب الغلوع منهم ثالث ملوكهم محمد بن محمد بن محمد بن يوسف . فهو ولي السلطنة سنة ٧٠١ ، وخلع عنها في حديث طويل سنة ٧٠٨ .

(راجع في ذلك : اللوحة البدرية ، والإحاطة ، وأعمال الاعلام - القسم الثاني) .

وأعزرتَ دين الله لما نصرته
وسرت لعمري سيرة عمري
وقد خضعت صيد الملوك لأمركم
ومن حاد منهم عن مراميك كلها
سقيت بغيث الجود ما كان ماحلاً
ألا يا عفاة الأرض طراً تبادروا
هو الفد في الأملاك طراً لأنه
همام إذا ما الروع عبَّ عبابه
[٢٣ / ب]

ولاحت بروق الهند وامتلا الفضا
وطأ طأت الأرماع تدمى أنوفها
أراك محيئاً ثانياً سورة الضحى
على فضله قد أصفق الناس مثلاً
بنى حرماً للمكرمات تحجته
وأذهب بالتقوى القبائح كلها
وأدرك بالعزم الذي أعجز الورى
تعزّز منه الدين لما أقامه
كفيل بتيسير الأمانى وضامن

بصلصال رعد الطبل أعظم به شيئاً^(١)
وأحكم طير النبل مرسله الرُميا
وقلباً على الأعداء قدر كبّ البغيا
على ملكه حتماً تطابقه الفُتيا
عفاة الورى أكرم بمورده رُيا
وبدّد بالرشد السفاهة والغيا
وجاء بما أعينى سواه وإن أعينى^(٢)
وليشك منه المثلث وهنأ ولا وهيا
عن الدهر ألا يمتنع السائل الرُعيا

(١) يريد الرؤية ، وأعجزته القافية .

(٢) في اللسان « صلصل صلصلة ومصلصلاً » . قال : ويقال للجمار الوحشي صال

وصلصال ، يريد ، الصحيحة الاجساد الشديدة الاصوات لقوتها ونشاطها . والصلصلة

صفاء صوت الرعد .

(٣) كذا في الاصلين .

غدا المدح صعباً في سواه وإنه
 غدا فيه سهلاً إذ لداثره أحيى
 أقاض على العافين طراً مواهباً
 بأفضاله وعداً لهم منه ما تياً
 حلفت يميناً برة ليس في الدنيا
 ملكٌ سواه للمعالي سعى سعياً
 أبناء نصرٍ حُزْتم بليكنكم
 فخاراً بما يلقى مدى الدهر خفياً
 أشاد لكم ملكاً وعزاً مؤبداً
 فلا زال مأثوراً - مدى الدهر - مروياً
 لنا الله كم حُزنا به من مفاخير
 تنافى بها عنا العنا في الورى نفياً
 تسامت به العلما منه بقربنا
 إليه وأضحى فعلنا منه مرضياً
 فها فخر أملك الدنيا والذي حوى
 لعمر المعالي الحزم والعزم والرأيا
 تموت بتسديد المفاخر مثلاً
 شأوت ملوك الأرض طراً بلا ثنيا
 منعت به الباغين بالعدل رحمة
 فليس يخيف الذيب في قفره الظبياً

[٢٤ / أ]

وقتلت أهل الشرك في عقر دارهم
 وأبنت ولم تترك بأحيائهم حيتاً

ومثلكُ النَّصارى ذَلَّ قَسْراً لِعِزِّكُمْ
 يعاود في سلمٍ له النَّشْرُ والطَّبَّاءُ
 ولولا ظُبَّاكُ القَاهِرَاتُ لِمُنْكَهِ
 لما كانَ نحو الحقِّ مستمعاً وَعَنيَا
 فلا زِلْتَ يَا أَسْمَى الملوِكِ مُؤَيَّدَا
 ولذَّتْ لك البُقْيَا وطابَ لكَ الحُيَا

وقلت أيضاً :

سَهَرْتُ فِيمَنْ جَفَنَهُ نَائِمٌ وَذُبْتُ فِيمَنْ جِئْتَهُ نَائِمٌ
 ظَبِّي ظُبَا عَيْنِيهِ فَعَالَةٌ بِالْقَلْبِ مَا لَا يَفْعَلُ الصَّارِمُ
 يَسْتَلُّ مِنْ مَقْلَتِهِ صَارِمًا لِلصَّبْرِ مِنْنِي أَبَدًا صَارِمٌ (١)
 يَنْشَأُ عَنْ عَيْنِيهِ سُكْرُ الْهَوَى فَكُلُّنَا مِنْ ثَمَلٍ هَائِمٌ
 يَهْرَأُ بِي كَأَنَّهُ جَاهِلٌ بِمَا أَلَاقِي وَهُوَ الْعَالِمُ
 شَكْوَتُهُ (٢) مَا بِي مِنْ حُبِّهِ مِنْ وَلَكِهِ لَعْنَتُهُ رَاحِمٌ
 فَظْلٌ وَالْجَسْمُ غَدَا نَاحِلًا وَدَمْعُ عَيْنِي أَبَدًا سَاجِمٌ
 يَضْحَكُ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَاكِمٌ !
 وقلت أيضاً فيه (٣) :

هَاجَتْ لِيَعْدُكَ لَوْعَةٌ وَغَلِيلٌ وَالْقَلْبُ بَعْدَكَ وَالْهَ تَحْبُولُ
 يَا نَارِحًا نَزَحَ الْكَرَى لِفِرَاقِهِ رِفْقًا فَعَقْدُ تَصْبِرُ فِي مَحْلُولُ
 وَابْعَثْ وَلَوْ بِالطَّيْفِ فِي سِنَةِ الْكَرَى
 لِيُزَوِّدَنِي فِي النَّوْمِ عَنْكَ رَسُولُ

(١) الصارم في البيت السابق : السيف ، وصارم هنا « فاعل » من صرم : قطع .

(٢) في النسختين : شكوت ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) في غرض الغزل ، أو المحبوبة المذكورة في القطعة السابقة .

فاسألْ نجْومَ اللَّيْلِ تخبرْ قصتي

فإلْتَجِئُ عَنْ سَهْرِي (١) بِكَ الْمَسْؤُولُ

فإلى متى قلبي مَرُوعٌ بالنوى فلقد رثى لي حاسدٌ وعدولُ
قد هامَ قلبي في هواك (وإني) دَنِفْتُ على جمر الغضا بجَنُوعُلُ

[٢٤ / ب]

يا مُلبسي ثوب السقام ، تعَطَّشْتُ يوماً بصَبٍّ من نواك عليلُ
فلقد قضى أهلُ الغرامِ دُيُونَهُمْ

وغريمُ حُسْنِكَ في الهوى مَنطُولُ!

أدركتُ من سرِّ الغرامِ حقيقةً

ما نالها قيسُ الهوى وجميلُ

إنَّ الذينَ جَـالَهُمُ يحَيِّاهُم سارتُ إلى نحو الأراكِ تيلُ

وغدَّتْ تجددَ السَّيرِ لِمَا شاقها من نحو رامةٍ إذخرُ وجيلُ (٢)

أقوتُ معاهدُ حيتهم منهم كما ملحوبُ أقوى رُبْعُهُ المأهولُ (٣)

لا عيشَ بعدَهُمُ يلدُ وإنَّهُمُ روحُ الحياةِ لهائمٌ والسَّوْلُ

علَّكْتُ قلبي باقتراهمُ فلمُ ينفعُ مَشُوقاً بالنوى التعليلُ

يفنى الزَّمانُ وما قضيتُ لبَّانتي يا لستَ شعري هل لديك سبيلُ؟

هملتُ نجيعاً أدعني (٤) يوم النوى وقد استقلتُ للوداعِ محمولُ

(١) في م صهر ، وفي ط سهر ، ولعل الصواب ما أثبت ، وقد يغفل الناصخان بإاء المتكلم .

(٢) الإذخر : حشيش طيب الريح ، واحدها إذخرة ، وهي شجرة صغيرة .

الجليل : نبت الثام ، ضعيف « يحشى به خصام البيوت » .

(٣) يشير إلى بيت عبيد الأبرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

وملحوب : اسم ماء لبني أسد ، والقطبيات والذنوب مواضع لهم أيضاً . (الديوان

: ١٠ ، وانظر المعلقات بشرح التبزيدي ٣٢٤ ، وجهرة أشعار العرب ٢ : ٤٧٣ ،

(٤) في الأصلين (أدمع) .

وَسَرَّتْ رُكَّائِبُ لَوْعِي مُنْثَالَةً ۖ وَالْوَجْدُ هَادٍ وَالْغَرَامُ دَلِيلُ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْمَشُوقِ لَشَدَّ مَا خَلَّفْتُمُوهُ وَقَلْبُهُ مَسْتَبُولُ
يَهْوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ حَدِيثَكُمْ وَكَثِيرُهُ فِيمَكُم لَدَيْهِ قَلِيلُ
أَمَّا الْحَبِيبُ فَلَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ وَحَدِيثُ مَنْ أَبْغَضْتُهُ مَمْنُولُ !
لَكُنِّي آوِي (١) إِلَى حَرَمِ الَّذِي مَا إِنَّ لَهُ فِي الْمَالِكِينَ عَدِيلُ
مَنْ شَيْدَ الْعِلْيَاءِ بَعْدَ عَقَابِهَا وَأَنَالَ مَا قَدْ كَلَّ عَنْهُ مُنِيلُ
مَنْ لَمْ يَزَلْ يَرْعَى إِلَهَهُ وَعَقْلَهُ عِنْدَ الْمَشُورَةِ شَامَهُ ۖ وَطَفِيلُ (٢)
مَلِكٌ إِذَا رَكِبَ الْمُطَهَّمِ طَالِبًا لِعِدَاتِهِ فَعِدْوَةٌ مَغْنُولُ (٣)
مَلِكٌ إِذَا مَاصَالَ يَوْمًا صَوْلَةً كَادَتْ لَهُ شَمُّ الْجَبَالِ تَزُولُ
سَائِلُ (٤) عَنْ وَثْبَاتِهِ وَثْبَاتِهِ يَوْمَ الْكُرْبَةِ وَالذَّوَابِلُ غَيْبُولُ

[٢٥ / أ]

تُخْبِرُ بِمَا أَعْيَى الْفَوَارِسَ كَلَمَهَا وَحَدِيثُهُ فِي الصَّالِحَاتِ يَطُولُ
أَجْرَى مِيَاةَ الْعَدَلِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَقَادَ صَعْبَ الدَّهْرِ فَهُوَ ذَلُولُ
قَدْ رَوَّضَ الْإِحْتِمَالَ جُودًا مِثْلَهَا قَدْ شَيْدَ الْعِلْيَاءَ وَهِيَ طُولُ
مَلِكُ الْقُلُوبِ مَحَبَّةً وَمَهَابَةً وَلَيْسَ يَفْهَمُ فِي الدَّارِ عَيْنَ صَلِيلُ
سَادَ الْمُلُوكِ بِنِسْبَةِ سَعْدِيَّةٍ (٥) فَخَارُهَا أَبْدَأَ لَهُ التَّمْضِيلُ
وَسَمَاهَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ لَا يَبْعَثُ رِيْدَ فِي الْهِيَاجِ ذُهُولُ
يَعْلَى الْمَعْلَى جَدَهُ سَعْدَ الرِّضَا مُوَلِي النَّدَى قَدْ أَفْصَحَ التَّنْزِيلُ

(١) في نسخة م « أو » ، ولم تظهر في « ط » لطمس في رأس الصفحة .

(٢) شامة وطفيل : جبلان مشرقان على بحنة ، وهي على بريد من مكة .

(٣) وأقرأ « مفلول » بالفاء .

(٤) في الأصلين : سائل كما أثبت ؛ ولعله : سائله .

(٥) نسبة المدروح إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادَةَ الأنصاري .

حامى الرسولَ وسيّد الأنصار منْ صَحِيبَ الرَّسُولِ وسيفه مُسلولٌ
أعطى أمير المسلمين وقد سَطَا بالمعتدينَ ووعدُه مَقْعُولٌ

وطلب مني الفقيه الشريف محمد بن أحمد الحسني^(١) المديني رسالة ذي
الوزارتين الفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي ،
التي كتب بها عن ابن عمنا السلطان أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد
الخلوع ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ معرفاً بجهاده الروم ونصره عليهم
وأخذ بلادهم . فبعثتُ بها إليه ، وكنت قد صححتها بيدي ، وطغى القلم في
لفظة وهي الأغوار بالواو فجعلت مكان الواو دالاً مهملاً جاء منه «الأغدار» .
فلما وقف على ذلك كتب عليه طرة ينبهني على نسياني ويعتذر ، فجوابته بقولي :

حبوتَ جَنَابِي يا سَلِيلَ مُحَمَّدٍ بعذراء ما أسنى سَنَاهَا وَأَعْجَبَا^(٢)
بَدَتْ شَمْسُهَا فِي هَالَةِ السُّعْدِ مِثْلَهَا تَضَوَّعَ رِيَّاهَا مِنَ الْمِسْكِ أَطْيَبَا
فَلَا زِلْتَ تُسَدِّهَا عَلَى الْخَلْقِ نِعْمَةً وَلَا زِلْتَ تَسْمُو فِي الْفَضَائِلِ مَنَصِبَا
[٢٥/ب] وصلت - أعزك الله - عقيمتك السالبة للعقول ، الخارجة
بنظمها البديع ، المسكت للبديع عن الحد والمعقول . وهي من الأصل الوسيم
والفضل الجسيم ، ترفل في حلال ؛ وتنتمي بنسبها العلي ، وحسبها النبوي في
أشرف الحلل .

إلى السَّادَةِ الْأَخْيَارِ أَبْنَاءِ هَاشِمٍ بَنِي الْحِجْرِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُعْجَدِ
هُمْ آلُ خَيْرِ الْخَلْقِ أَحْمَدُ وَالْأَلَى بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَقَبِّلْتُهَا أَلْفَا ، وَلَمْ أَرْضَ - دَهْرِي - غَيْرَهَا إِلَّا أَلْفَا . وقلت لها مرحباً بذات

(١) القاضي الفقيه أبو القاسم محمد بن أحمد الشهير بالشريف الغرناطي ، ويعرف بالسبقي أيضاً ؛

وسير ترجم له المؤلف في الورقة ٤١/أ .

(٢) القاضي أبو القاسم من الأشراف الحسينيين .

الجزالة ، وأخت غزالة^(١) والغزالة. والبارعة الجمال والفارعة ذرى الإجمال.
ومصرح الناظر ومسرح المناظر . وبنت سليل الرسول ، ومنتهى الأمل
بالسول : الرافعة من شأني ، والخافضة في طلق الفصاحة ، وميدان الصباحة ،
من جاراني وماشاني . التي أذهبت عني الأتراح وتسربلت لها ثياب الأفراح.
وأزاحت الكرب ، وامتلاؤها دلو السرور إلى عقد الكرب. وزدت بها أنسا.
وكلفت بحسنها الذي لأنسى. نفرت عن جلي عذرك فقبلته. وتأملت على سطرها
مرور يدك فقبلته. وقلت إن سيدي صدر المجالس ، والتحفة التي ألقاها الدهر
إلى المجالس. ما صدرت منه تلك الطرة لتعريض ، ولا لأن يظهر علمه الطويل
العريض ؛ بل ليصلح ما طغى به لسان البراعة ، وذلك مما وهبه الله من فائق
الحكمة ورائق البراعة . فما الظبية الوعاء ، ولا العزة القعساء عندي بأبدع^(٢)
من تنبيه معظمي العذب الشائل ، المزهدي عرف عرفانه بزهر الخائل ، تهديه
الصبا والشائل. فلا زال في صعود سيدي علم البلاد، والنحرير الذي أسلم وجهه
لبلاغته وسلم لفصاحته المصاحب [٢٦ / أ] بن عباد. ما عطرت رياض الحزن
غيب سواكب المزن الرياح النواسم ، وأومضت في حندس الليل بروق الثغور
البواسم ، والسلام .

وقلت أيضاً ، معزياً لابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل بن الأمير

أبي سعيد فرج :

لَا تَجْزَعَنَّ أَبَا الصُّدُقِ الْأَمِيرَ عَلَى يَحْيَى سَلِيلِكَ ؛ فِي الْبَاقِي لَكَ الْخَلْفُ
كَانَ الَّذِي قَدْ مَضَى نَجْمًا فَغَابَ وَمَنْ بَقِيَ بُدُورٌ - لَعَنَ رِي - مَا يَبْهَاهُ كَلْفُ

(١) غزالة ، عل وزن سحابة ، علم على الشمس .

(٢) في الأصلين : عند .

مثلك - أعزك الله - لا يذكّر عند المصيبة، إذ سهام صبرك مسددة مصيبة .
 وإيم الله لقد فجعت لرزئك في نجلك ، وعظم فقده عندي من أجلك . ومهما
 أمرت بناديه ، أتفجع فأناديه :

(إذا مادّ عونا الصبر بعدك والبكوا أجاب البكا طوعاً ولم يحجب الصبر
 فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيقم عليك الحزن ما بقي الدهر)
 والله يحزل بمصابه أجرك ؛ ويرفع - بالصبر عليه - في الدارين ذكرك .
 والسلام .

وقلت أيضاً :

- وبعثت بها إلى ابن عمنا أبي الوليد هذا رحمه الله تعالى - وكل ما في
 رسالتي هذه من الأبيات هي نظمي - :

أكتبكم يا أهل ودّي وبيننا كما حكمكم البين المشيت فراسخ
 فأما منامي فهو عني مشردّ وأما الذي بالقلب منكم فراسخ^(١)
 الأخ الوفي الذي لارتياب في صحة إخوانه ، وابن العم الصفي الذي لم يشب
 الكدر صفو صفائه ، والولي الحفي الذي يشهد خالس محبته بحسن ولائه .
 الذي صحح وداده الاختبار ، وصرف عنان المحبة إليه الاختيار . المبرز في
 إحراز غاية الإعجاب والإعجاز ، الواحد الذي به فجار صدور القوافي
 والأعجاز ، المتزهة حقائق عزائه الصادقة عن شوائب المجاز . الذي كان له
 [٢٦ / ب] سعد بن عبادة أبا ، واكتسب من المعالي ما امتنع عن غيره وأبى .
 واعترف له بالفضل من أهل عصره أعلامه ؛ وأطاعته في الحرب سيوفه ، وفي
 الكتب أقلامه . إنسان عين الكمال ، وفلذة كبد المجد الباهر الإجمال .

(١) فراسخ في البيت الأول جمع فرسخ ، و « راسخ » في الثاني اسم فاعل من رسخ : ثبت .

سلامٌ عليكم من مَشْئُوقٍ مُتَيْمِّمٍ أَخِي حُرُوقِ رِقِّ الْجَمَادِ لِمَا يَلْتَقِي
يكفكف دمعَ العينِ مِمَّا ذَكَرْتُمْ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَفْنَى لِرُؤْيَيْكُمْ شَوْقًا
بَرَاهِ الْهُوَى وَاسْتَأْصَلَ السَّقَمُ جِسْمَهُ
وغيَرَهُ نَائِيُ الْحَبِيبِ فَمَا أَبْقَى
يُنَادِي إِذَا مَا اللَّيْلُ أَرخَى سُدُولَهُ

يَسْرَتُكُمْ يَا أَهْلَ وَدِّي أَنْ أَشْقَى ؟
لَنْ سَرُّكُمْ هَذَا فَرَاخَةٌ مُهْجَتِي
إِذَا قِيلَ لِي مِتْ مِنْ أَجْلِكُمْ عِشْقًا !

خُذُوا مَهْجَتِي بِالرَّفْقِ أَهْلَ مَوَدَّتِي
وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ أَسْأَلَ الرَّفْقَا
أَنَا الْمُغْرَمُ الْمُضْنَتِي بِحُبِّ جَمَالِكُمْ
فَرَقُوا الْمَلُوفَ غَدًا لِسَكْمِ رِقَّتَا

كُتِبَتْهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَالْدَّمُوعُ سَوَاجِمَ . وَالْقَلْبُ مِمَّا اعْتَرَاهُ وَاجِمُ ؛
لَمَّا أَجَدُّ مِنَ التَّوَقُّعِ إِلَى حَسَنِ مَزَاحِمِ ، وَمِنَ الْأَمِّ مِنْ طَوْلِ انْتِزَاحِكُمْ .
وَبَعْدَ فَنَائِي أَصْرَفَ إِلَيْكَ عَنَانَ الْمُسَاعَاتِبَةِ ، لِعَدَمِ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمَكَاتِبَةِ . وَقَدْ
أَضْرَبَ بِي الْأَسَى وَالتَّبَرُّيحُ ، حَتَّى صِرْتُ أَبْعَثُ السَّلَامَ مَعَ الرِّيحِ . فَلَا أَدْرِي :
أَمَلِكُ صَدَّكَ عَنْ جَوَابِي أَمْ أَرَدْتَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيَّ جَوَى بِي ^(١) . فَارْفُقْ
بِمَلُوفٍ تَضْطَرُّمُ أَحْشَاؤُهُ لَوَارِدِ الْأَغْرَاضِ ، وَيَرْضَى بِكَلَامِ الْمَحْبُوبِ وَإِنْ
لَمْ يَكُنْ عَنْ تَرَاضٍ . فَلَوْ أَنَّ مَا بِهِ بِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءُ لَذَابَتْ ، أَوْ بِاللَّيْلِ الظُّلُمَاءُ
لَانْجَابَتْ . قَسَمًا بِمَحَبَّتِكَ الَّتِي تَيْمَنِّي ، وَفَضَائِلِكَ الْعَمِيمَةِ الَّتِي مَلَكَتْنِي . لَوْلَا
أُمْنِيَاتُ نَفْسٍ بِالْوَصَالِ نَعَلَتْهَا ، وَاسْتِثْنَاءُ ^(٢) بَلْقِيَاكَ نَوْمَلَهَا ؛ لَعَدَمُ مَا بَقِيَ

(١) رَسَمْتُ فِيهَا « جَوَابِي » ، وَفَضَلْتُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) لَمْ تَضِفِ الْكَلِمَةَ إِلَى شَيْءٍ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَقَارَنَ بِالْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ .

من خيال الجسد، ولذاب الفؤاد من جمرة الكمد^(١) وإلى كم نار شوق جوانحي
أوريتها، ودموعاً سواجماً على الحدين أسلتها^(٢). فهذه حالي [٢٧ / أ] يرقّ
لها الجلمود، ويدوب لها الجمود. فأحسّيه مُهْجتي من إماتة الشوق بالفاظ
أسكن إليها، ورسائل اعتمد عند تأجج نار الشوق عليها. وأنا - وان
تباعدت المساكن والأشباح، فقد تقاربت منا القلوب والأرواح. والصبر
عليك قد ارتحل، والجفن بالسهاد لا بالإثم اكتحل. فلو رأيت حالي من
ذلك، لعلمت أني في أشدّ المهالك » .



(١) في « ط » الكبد .

(٢) كذا في الأصلين . وفي « م » أوريتها .



الباب الرابع

في شعر ملوك الموحدين المحفّضين وأبنائهم *

أمير المؤمنين المستنصر بالله المنصور بفضل الله محمد بن أبي بكر ابن
إسحاق بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن أبي حفص **

يكنى : أبا عبد الله ، وهو ملك تونس ؛ ورأيت بفاس ابنه الأميرين أبا
حفص عمر ، وأبا محمد عبد الواحد . ونحن جميعاً في حضرة الملوك من بني مرين .
حاله - رحمه الله -

كان عفئاً كاملاً ، وعالماً عاملاً . له شعر يصبي النفوس ، ويلتذ بسماعه

(*) بنو أبي حفص ، أصلهم من هنتاة ، وهي من أعظم قبائل المصامدة ؛ ودولتهم
متشعبة من دولة الموحدين . وكان الشيخ أبو حفص من أوائل القائمين بدعوة المهدي
ابن تومرت والناصرين له ، وتداول أبنائه من بعده الإمارة بالأندلس والمغرب وإفريقية
مع بني عبد المؤمن - أمراء الموحدين - وكان أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي
حفص أول من ولي إفريقية ، وذلك برغبة من الناصر الموحدي سنة ٦٠٣ هـ . ومن
أشهرهم في القرن السابع أبو زكريا يحيى ، الذي استنجد به أهل بلنسية واستصرخه
ابن الأبار بسينيته المشهورة . واستمرت دولتهم إلى حوالي منتصف القرن العاشر
الهجري .

(**) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ١ : ١١٦ .

الرئيس والمرؤوس . وخطه تستلب العقول براعته ، كما أذهلت الفوارس شجاعته . أنشدني له الشيخ القائد المعدل أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر الموحد ، قال أنشدني لنفسه أمير المؤمنين المستنصر أبو عبد الله :

(جَزَى اللهُ الحَواثِلَ كُلَّ خَيْرٍ) وإن كانتُ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي
وما شُكْرِي لَهَا إِلَّا لَأَنِّي (عرفتُ بها عَدُوِّي مِن صَدِيقِي)

أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبو بكر* ابن الأمير المنتخب^(١) لدين الله يحيى [٢٧/ب] ابن الأمير إبراهيم بن الأمير يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص .

يكنى أبا يحيى . وأدركته وهو ملك إفريقية . ورأيت بفاس ، في حضرة الملوك من بني مرين جملة من أحفاده ، وابنه الأمير أبا عبد الله محمد ، صاحبنا .

حاله - رحمه الله -

هو الملك الذي تليت في المحافل سور ذكره ، وجلت في النوادي صور فخره . إذ لم يُبْقَ للمعالي غاية إلا جازها ، ولا للمحامد راية إلا حازها . كما فاق بهيمته الهامية ، وساد بشيمته الاهتمامية . وبرز في ميدان الشجاعة ليثاً ، وكان للبائس غوثاً وغيثاً . وله معرفة بقصر القريض . وصوته يُنسي ابن عائشة والغريض^(٢) . ولا مِرية في أنه أسد الكستائب ، ومن أتى في الحرُوبِ بالعجائب .

فمن قوله - رحمه الله :

بذِيَالِكَ الوادي وذِيَالِكَ الحمي

سُئِلْتُ فؤادي واعتديتُ مُتَيْمًا

(*) انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ١ : ١١٦ .
(١) فيها : المنتخب . (٢) من مشهوري المغنين في المشرق .

سكرتُ ولم أعلمُ أَمِنْ خمرة الهوى
 عرايَ هذا الشكر أم خمرة اللثما
 علقْتُ كحيلَ المقلتين مُهَفِّفًا
 رخيماً يلين الصخرُ مها تكلتها
 تعلّم سحرَ الجفن مِينَ أرضِ بابلٍ
 وليس ليفتري في الأنام تعلّما !
 رماني بسهمٍ من مذائب لحظه
 شديد فلم يُخطيء فؤادي إذ رمى (١)
 وصاد بأشراكِ الفواتر مُهَجِّجِي
 فواعجبا من شادنٍ صادَ ضيغها
 له وجئنا شمس وبدرٍ إذا بدا
 وأقبلَ من خلفِ الستور مسلما
 تراه ضحىً في القصرِ شمساً مُنيرةً
 وعند الدجا تلقاه بدرُاً متمما
 ألا نتي لؤومي إذا شئت أو دعي
 فمن يهوى هذا الحُسن لم يخش لؤوما
 وحاسدة قالت لأخمرى تعيه
 لقد تاه حق قال من قال أجرمما
 وظننتُ بأننا نحسبُ التيه زلّةً
 ولم تدّر أننا نجتنيهِ تنعما
 [٢٨ / أ] فلولا التجني والتدليل في الهوى
 لما كان بردُ العشق بالعشق مُعلما

ولا هاج مُشتاقاً إلى جيرة اللوى
ومنزِل مَنْ هوى حَمَامٍ ترنمها
وألفُ شيءٍ في الهوى أنس خمسة
«مق؟ أو عسى! أو هل؟ وكيف؟ وربّما!»
إذا لم يكن منها شعورٌ لعاشقٌ
فليس له نحو الحبتين مُستَمي
إليك حديثي بالتي لم أسمعها
وعنك حديثي حينما قلتُ حينما
ومنك هيامي والضنى لي شاهدٌ
وفيك هيامي بعد كتمتي له نَمًا
ولم يعلم الواشونَ إلا تستهدي
ولم يدركوا الأسبابَ إلا توهّمها
ملكتمُ الدننى شرقاً وغرباً بأسرها
ولكنني أمسيتُ فيها مُستَميًا
يفالبنى ظبيّ، وأغلبُ كلَّ مَنْ
تعمّلكَ فيها ، وارتدى ، وتعمّما
كتمتُ هواها عن فؤادي ومهجتي
وعن سَهدٍ جَفَنِي ما استطعتُ تكتُمها
ولكنّ لي نفساً تذوبُ صَبَابَةً
وتصبرُ عند الحادثاتِ تكرّما
وتألمُ من طولِ الصُدودِ ولا ترى
لدى الحربِ من مَسٍّ الحديدِ تألمًا
وتهجُرُ في نيل المعالي منامها
وتتخذُ المكروهَ للفَخْرِ سُلَمًا

فتدرك ما تبغني من الحظّ سالمًا
ولو كان خلف البحر والبحر قد طمها
وما هي إلا رفعة عمريّة
إلى ذروة العليها المتجدد قد سما
فإن صعد الأملاك بالإرث منبراً
فمنبرنا أعلى وأكرم منتمى
وآباؤنا في الملك والبأس والندى
تداولها الوراح^(١) عرباً وأعجبها^(٢)
ولا فخر والأعداء تشهد أني
أجيه وأغاهما مسفيراً متجهاً
وأقدم والأبطال يبتصر وجهها
هناك عبوساً منكراً متغيهاً
فكم قائل لي في الرياس^(٣) وغيره
وصدر القنا في القوم أوردته دما
[٢٨ / ب] وللتصر سيف من يميني مؤيد
فيقطف أرواحاً ويحطم أعظماً
وكم واديأ بددت فيه سراتهم
وخلقت ذاك الماء ماءً مسحراً
فإن تجهل الحرب الزبون سكينتي
فتعرفني^(٣) منها حططت التلثما

(١) هكذا في الأصلين : الوراح ، مشكولة بضم الواو وتشديد الراء .

(٢) فيها : في الرياس . (٣) كذا فيها .

جواد الوغيا والفخر والذكر حقه
 لمثلي من دون الورى أن يفخها
 وإني أمير المؤمنين مثوجاً
 من الملك تاجاً بالأمانة كرمها
 جعلت بجدي ثم لفظي وصارمي
 فخاري يجيد الدهر دراً منظها
 يراه ولا يرقى إليه معانده
 ويُبصره كالنجم في كبد السما
 بنينا بناء الملك والعز والعلا
 سماء على بُنيان قوم تهدما !

ابنه أمير المؤمنين أحمد (*) :

يكنى أبا العباس ، وأدركته . وكان أبوه أمير المؤمنين المتوكل على الله
 أبو يحيى اقتطعه (١) مدينة توزر (٢) ، وولاه عهده ، وصحبت بفاس
 في حضرة الملوك من بني مرين ابنه الأمير أبا عبد الله محمد ، وابنُه الآخر
 الأمير أبا البقاء خالد .

حاله - رحمه الله :

برز في الجمال الرائع ، وحاز من الفصاحة ما تستغربه المسامع . وكان من

(*) انظر معجم الأنساب والأمراء الحاكمة : ١١٦ .

(١) في النسختين : اقتطعه .

(٢) توزر : مدينة في أقصى إفريقية (بلاد تونس) من نواحي الزاب الكبير من أعمال

الجزيرة (باقوت - معجم البلدان ٢ : ٥٧ - ٥٨) .

مُجِيدِي الشُّعْرَاءُ ، وَمَنْ أُولَى الشُّجَاعَةِ فِي الْأَمْرَاءِ ، مَعَ مَا حَوَى مِنْ مَسْكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَمَنْ الشِّيمِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ مِنَ الْقَبَائِحِ بَرِّيَّةً (١) .
أَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُهُ صَاحِبُنَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ فِي أَخْذِهِ تَوَزَّرَ :

بِالْمَشْرِفِيَّاتِ يُحْمَى الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ وَمِنْ صُدُورِ الْمَعَالِي تُقْتَنَى الطَّرَفُ
وَالْفَتْوحِ رِيَاضَاتُ مُزْخَرَفَةٍ لَكِنَّهَا بَرْقَاقِ الْبَيْضِ تُقْتَنَطَفُ

[٢٩ / أ]

وَفِي حَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي
حُزْنَا الْخِلَافَةِ إِرْتِنًا عَنْ أَوَائِلِنَا
لَا يَبْلُغُ الْوَصْفَ فِي عَلَيَانَا أَحَدُ
نَاهِيكَ مِنْ حَسَبٍ مَا مِثْلُهُ حَسَبُ
تَخَالَفِ النَّاسِ إِلَّا فِي مَفَاخِرِنَا
حَمَى الشَّرِيعَةَ مِنْ سَعْيِ مُجْتَمَعِهِ
فِينَا التَّوَاضُعُ وَالْإِغْضَاءُ شِمَتُنَا
وَرَأْفَةٌ فِي جَنَابِ اللَّهِ صَالِحَةٌ
تَوَاضَعًا عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هَيْبَتُهُ
نَهَى الْحُرُوفَ الَّتِي مَجْمُوعُهَا نَعَمُ
مَا إِنْ بَنَى سَرَفٌ إِلَّا مَوَاهِبُنَا
لِبَاسِنَا يَرْعِدُ الصَّمْصَمُ مِنْ رَهَبِ
يَحْيَى أَبِينَا سُعُودٌ مَا لَهَا طَرَفُ
فَالْمُلْكُ مِثْلُنَا فِينَا وَمُطَّرَفُ
إِلَّا وَسُودْنَا فَوْقَ الَّذِي يَصِفُ
وَكَيْفَ لَا وَأَبُو حَفْصٍ لَنَا سَلَفُ
وَفِي الْمَعَالِي مَا شَكُّوا وَمَا اخْتَلَفُوا
فَلَيْسَ بِالَّذِينَ لَا حَيْفَ وَلَا جَنَفُ
وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ مِنْ أُنْبَانِنَا عَرَفُوا
فَلَا تَرَانَا لَغِيرِ الْحَقِّ نَنْتَصِفُ
إِنَّ التَّوَاضُعَ فِي أَنْفِ الْعُلَى أَذَنُ
وَلَيْسَ فِي لَفْظِنَا لَامٌ وَلَا أَلِفُ (٢)
إِنَّ الْمَوَاهِبَ فِيهَا يُحْمَدُ السَّرَفُ
يَوْمَ الْوَعَى وَوَشِيحِ الرَّمَحِ يَنْعَطِفُ

(١) بريئة .

(٢) يتضمن البيت معنى قول الحزین الکنافی (وینسب للفرزدق) :

ما قال (لا) قط إلا في تشده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

سيوفنا من تمادي سلسها نخلت^١ حتى كأن بها من عيشقها دنف^٢
وما ارتضيننا عديد الجيش يكتنفنا

بل الجيوش^٣ بنا في الحرب تكنتنف^٤
جيش تضيق به الغبراء^٥ متسع فالأرض^٦ ترجف والأطواد تنسف^٧
مين الفوارس طعانين إن وقفوا يوم الكريهة^٨ ضربون إن وقفوا^٩
بكل هندية رق الغرار^{١٠} بها وكل خطية قد زانها هيئف^{١١}
يقودها النصر خفاق^{١٢} ذوائبه

إذ ليس إلا^{١٣} بريح العدل ينشعطف^{١٤}
حتى أطل^(١) على سكان توزر لا^{١٥}
يخميهم^{١٦} منه سور لا ولا كنف^{١٧}
ظننوا الحفير^(١) حفيراً مانعاً لهم^{١٨}

حتى رأوا سمعها عزماً وهم هدف^{١٩}

[٢٩ / ب]

تواقسوا فيه أمثال الفراش ردى^{٢٠} كأنهم بأكف الجن قد خطفوا^{٢١}
لكن عفوونا أدناه اعترافهم^{٢٢} والعفو أطيب ما يجنيه^{٢٣} معتسرف^(٢)
نعفو ونصفح عن عز ومقدرة^{٢٤} فإن خير السجايا الحيلهم^{٢٥} واللاطف^{٢٦}
أطاعت العرب لما أوردت حمللاً^{٢٧} وإن أرواحها بالذعر تختطف^{٢٨}
لاذوا بخدمتنا في ظيل حرمتنا^{٢٩}
قصرأ^(٤) وعند التلافي يؤمن التسلف^{٣٠}

(١) في الأصلين : أطل ، وهو تحريف .

(٢) فيها : ظنوا الحفير حفير مانع لهم .

(٣) فيها : لكن عفواً .

(٤) في الأصل : قصرأ (بالقاف) ، ولعله كما أثبت .

يَا سَعْدَ مَتَّبِعْ آثَارَ دَوْلَتِنَا وَسُوءَ عَقْبِي شَقِيٍّ عَنْهُ يَنْحَرِفُ
وَيَاطْلُقُ فَتْحَ فِي أَسْرِتِهِ رِذَاذُ نُورٍ بِهِ الْآفَاقُ تَخْتَلِفُ
فَتُوزَرُ الْيَوْمَ مَا لِلسَّعْدِ مُنْفَرَجٌ

عَنْهَا وَلَا لَعِيدِ النَّصْرِ مُنْصَرَفُ
وَنِعْمَ عَمَّتِ الْأَقْطَارُ سَابِغَةً وَجَدَّتْ لِدَوِي الْأَمَالِ مَا أَلْفُوا
دَامَتْ إِيَّا لَتُنَا الْعِلْيَاءُ فِي سَعَةٍ فَالسَّعْدُ وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مُؤْتَلِفُ
وَلَا بَرَحْنَا طَوِيلَ الْعُمُرِ فِي دَعَاٍ وَلِلْخَلَافَةِ (١) مِنْ أَبْنَائِنَا الْخَلْفُ

أخوه لأبيه أمير المؤمنين الناصر

لدين الله المنصور بفضل عمر (*)

يُكْنَى أَبَا حَفْصٍ . وَأَدْرَكَتْهُ وَهُوَ مَلِكُ تُونِسَ . وَصَحِبَتْ بِفَاسَ ابْنَهُ
الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا .

حاله رحمه الله تعالى :

هُوَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ ، وَالْأَسَدُ الْمُسْلِمُ الْمَهْصُورُ . وَالْكَفَى الْمَنْجِدُ ،
وَالْبَهْمَةُ الْأَرِيحِي الْمَجْدُ . مَهْدُ الْإِمَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَشِيدُ مَنَارِ الْمَمْلَكَةِ
الْحَفْصِيَّةِ . صَمَامُ الدَّوْلَةِ ، الْمَرْهُوبُ الْبَاسِ وَالصُّوْلَةُ .

أُنْشِدَنِي لَهُ ابْنُهُ صَاحِبُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - [٣٠ / أ] وَقَالَ
إِنَّهَا بَدِيحًا بَيْنَ يَدَيِ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي يَحْيَى ، يَخَاطَبُ

(١) فِي النِّسَخَتَيْنِ : وَلَا الْخَلَافَةُ ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ .

(*) مَعْجَمُ الْأَنْسَابِ وَالْأَمْرَاتِ الْحَاكِمَةِ : ١١٦ وَتَحَافُ أَهْلُ الزَّمَانِ لِابْنِ أَبِي الْضِيَّافِ

[٣٠ / ب]

أمير المؤمنين المستنصر بالله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن
أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي يحيى (*) :

يُكنى أبا عبد الله . وأدركتُه ورأيتُه وهو ملك بجاية . وصحبته
بفاس في حضرة الملوك من بني مَرِّين حين خلعه أمير المؤمنين المتوكل
على الله أبو عنان ملك المغرب عن ملكه ببجاية . وكان يُظهر لي من الوداد
ما جلَّ عن الوصف .

حاله - رحمه الله تعالى -

طلع في سماء الإمارة بدرأ . وسما بنسبه العربي قدراً . وفاق ببارع
جماله كما ساد بحظه وإجماله . وظهر له من العطاء ما أنسى به الطائي ، ومن
الشهامة ما أذهلت القريب والنائي ، ومن الفصاحة ما أسكنت الغائب
والرائي .

عزم على ظهور ملكه فخانته جدته ، ولم ينفعه حزمه وجسده . بل
سطا الدهر به سطوة حاقده ، ونبت له جفنه الراقد . ففتك به ابن عمه ،
واحترَّ رأسه عن جسمه .

أنشدني لنفسه في العتاب :

لما وقفتُ على حقيقة أمركم
وجعلتُ جلّ وسائلي حيي لکم
أنشدتُ فيك معزياً بل سالياً
« إني وهبتُك للذين تحبهم »
وعلمتُ أنّ الودّ فيك مُضَيِّعُ
ورأيتُ أنّ وسائلي لا تنفع
وجمیل صبري للشدائد يرفعُ
هبة الكرام فإنها لا ترجعُ !

(*) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : ١١٦ .

صاحبنا الأمير زكريا بن أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد

ابن أمير المؤمنين ، القائم بأمر الله المنصور بفضل الله أبي يحيى زكريا بن أحمد بن الأمير أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الموحّد .

يكنى : أبا يحيى ، ورأيتُه [٣١/أ] وصحبته بفاس في حضرة الملوك من بني مرين .

حاله - أعزه الله -

حاز من العلوم أوفر نصيب . وسهمُ تفنّنه فيها مسدّد مصيب . وجنى بحفظها ثمر غرسها . وأشرق له وجه انقيادها وبهاء شمسها . فلو أبصره إياس لبات من ذكائه على ياس . ولو أدركه القعقاع بن شور ، وابن مامة^(١) ، لَسَلِمًا له في الجود ، وحفظَ ذمامه^٢ . وفي^٣ إن وعد ، وصادق إن عهد . غير متكسّر على صاحبه ، ولا متأبّ له عن توفية مأربه .

أنشدني لنفسه :

تفض ضلوعي كلما حنت الحشا عليك وأنفاسي إليك تميل^٤
وبالقلوب منّي حرقة^٥ وصباغة^٦ يفكر منها عروة^٧ وجميل^٨ !^(٢)



(١) القعقاع بن شور الذهلي كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيباً من المال .

وكتب بن مامة يضرب به المثل في الجود .

(٢) عروة بن حزام وجميل بن معمر من مشهور عشاق العرب .

الباب الخامس

في شعر ملوك بني زيان من بني عابد الوادي وأبنائهم *

(*) دولة بني عبد الوادي (عابد الوادي) أو دولة بني زيان، إحدى الدول الثلاث الرئيسة التي استغلت ضعف دولة الموحدين - بعد هزيمة العقاب - وظهرت في المغرب الأوسط. وهم من زناقة مثل بني مرين؛ ووطنهم الذي انتشروا فيه هو المغرب الأوسط، وعاصمتهم التي اتخذوها مركزاً طوال مدتهم هي مدينة تلمسان. وكانوا - أيام الموحدين - مواليين لهم، داخلين في جماعاتهم وجنودهم، ثم استقلوا بين دولتي بني مرين غرباً وبني حفص شرقاً. وبدأت دولتهم مع أوائل القرن السابع، واستمرت - بين مد وجزر - إلى أواسط القرن العاشر.

ونظراً لتوسط هذه الدولة بين دولتين طامعتين في التوسع شرقاً وغرباً، وبسبب ظروف متعددة أخرى، عاشت دولة بني زيان في حروب معها، ونشبت في داخل الأسرة الحاكمة خلافات طالما أذكاهها المرينيون أو الحفصيون. وقد أثرت الخلافات بين هذه الدول على جدية دور المغرب في الجهاد في الأندلس. وكان يغمراسن بن زيان هو أول من أثل دولتهم، واستقل بها، واتخذ تلمسان حاضرة.

(راجع في ذلك: بغية الرواد ليحيى بن خلدون، وروضة النسرين لابن الأحمر - وهو مغال في ذكر مثالبهم -، وتاريخ ابن خلدون «العبر»، ورقم الحلل لابن الخطيب، والاستقصا للناصري).

أمير المسلمين المتوكل على الله موسى بن يوسف

ابن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان .
يكنى : أبا حمو ، وأدر كتته ، وهو الآن ملك تلمسان* .
حاله - أكرمه الله -

هو الملك الذي ابتهجت بدولته الإمارة ، والهيام الذي لم تزل فيه
لحفظ الجدي الأمانة . تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي ، وتحلست بالحلم فعلا
على المعالي . وبرع في نظم القريض ، وجمع نور روضه الأريض . وجاز من
الشرف بذلك ، ما أنسى به شرف كل مالك . وعقله عقل به جماح
الأمور ، وبهاؤه بذكره الركبان [تدور؟] (١) .

فمن قوله - وهي من النظم الحسن - [٣١ / ب] وجئت مكتوبة
في حائط قصره ، حين خرج (٢) فاراً من تلمسان أمام أمير المسلمين أبي فارس
عبد العزيز بن أمير المسلمين علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير
المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (٣) :

(*) أبو حمو الثاني من مشهوري أمراء بني زيان . ترجم له ابن الأحرار في روضة النسرين ،
وقلب ما أثبتته له هنا من فضائل ومكارم (٥٤ - ٥٨) ، وهو في ذلك يصدر عن رأي
السلطة المرينية التي كان في ظلها . (وانظر تفاصيل أخباره أيضاً في تاريخ ابن خلدون
« العبر » ٧ : ١٢٢ ، وبغية الرواد ليحيى بن خلدون ج ٢) .

(١) في الأصلين رسم يشبه (تور) .

(٢) كان خروج أبي حمو أمام جيش عبد العزيز المريني في ١٤ محرم سنة ٧٧٢ ، ولم يطل
ذلك ، فلم يلبث أن عاد إلى تلمسان في ٢٥ محرم ، (وقيل يوم عاشوراء) .

(٣) قال في روضة النسرين إن الأمير المريني أبا فارس عبد العزيز أمر بتغييرها ، فقالوا في تبديلها :

سكنها ليالي خائفينسا	وأياماً تسوء الناظرينسا
بناها جدنا شيخ المعاصي	وكنا نحن شر الوارثينسا
فلما أن جلانا السيف عنها	تركناها لقوم غالبينسا

سَكَنَّاها لِيَالِي آمَنِينَا وَأَيَّامًا تَسْرُ النَّاطِرِينَا
بَنَّاها جَدُّنَا الْمَلِكُ الْمُعَلِّي وَكُنَّا نَحْنُ بَعْضَ الْوَارِثِينَا
فَلَمَّا أَنْ جَلَّانَا الدَّهْرُ عَنْهَا تَرَكْنَاهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَا !

صاحبنا الأمير الحاج يوسف بن عمر بن يعقوب
ابن الأمير عامر بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيان .

يكشى : أبا يعقوب . ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة ملوك بني
مرين . وارْتَحَلَ إلى المشرق فحجَّ وقفل إلى المغرب . وقد تبرَّع^(١) في
العلوم حتى جاء نسيج وحده . فلما بلغ إلى جهة بـِسْكَرَة^(٢) من بلاد الزاب
بأدبعه مَنْ هُنَالِكَ من الأعراب ، وقَسَدِمْوْا به ملكاً إلى بـِسْكَرَة ، فوقع بينه

(١) كذا فيها : بمعنى : برع .

(٢) بـِسْكَرَة : ذكرها صاحب « الاستبصار في عجائب الأمصار : ١٧٣ » وتحدث عن
مركزها الزراعي والحضاري وظهورها في مدن الزاب وقراه . ونقل ياقوت « في معجم
البدان » عن الحازمي أنها تضبط بكسر الباء والكاف ، وعن غيره بفتحها ؛ وقال :
فيها نخل وشجر وقصب جيد .

وكانت بـِسْكَرَة مركزاً رئيساً في دولة الموحدين ، ثم تنازعها الحفصيون ومتغلبون من
بني زيان وبعض القبائل العربية المنتشرة . وحصلت في أيدي بني مزني مدداً من الزمن
في القرنين السادس والسابع . وفي عهد أبي عنان المرويني ظهر يوسف بن مزني الذي شايع
المرينيين فمقد له أبو عنان على بـِسْكَرَة عاصمة بلاد الزاب وما يلحق بها من بلاد ريفية
وواركلي . قال ابن خلدون في تاريخه (٤١٢ : ٦) إنه قام بالأمر بعد يوسف ابنه أحمد
« وهو لهذا العهد - وقت تأليف ابن خلدون كتابه - أمير على الزاب بمحل أبيه من
إمارته » . وبـِسْكَرَة اليوم من مدن القطر الجزائري ، ولا زالت تحتفظ بأهميتها
الزراعية والتجارية .

الحرب^١ وبين أميرها أبي يعقوب يوسف بن مُزني^(١) . ثم قبض عليه وسيق^٢ لابن مُزني ، فعفا عنه ، وخلّى سبيله . ثم خرج بجبهة المديّة^(٢) على ابن عمه أمير المسلمين المتوكل على الله أبي حمّو ملك تلمسان^(٣) ، وبُويع هناك . ثم تخلّى عن الأمر من غير منازع ، وقصد إلى ابن عمه أبي حمّو المتوكل على الله فخبره^(٤) أن يقيم معه بتلمسان ، أو يعبر البحر إلى الأندلس ، فاختر الأندلس . فعبر البحر إليها ، واستقرّ بغرناطة ؛ فأحسن نزوله ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد الخلوع . ثم عبّر البحر إلى العدوة فاستقر بحضرة ملوك بني مرين من فاس ، فأكرم مشواه أميرها أمير المسلمين أبو فارس عبد العزيز . ثم ارتحل عنها وقصد إلى جهة سجلماسة ، فبويع هناك ، وأقام أشهراً ملكاً ، وقُتِل رحمه الله .

[٣٢ / أ] حاله - رحمه الله تعالى - :

هو علم الأملاك ، وواسطة الأسلاك ، وإنسان عين المفاخر ، المتلفع من الدين بردائه الفاخر . قرأ العلوم ودرسها ، وشيّد الفضائل وأسسها . وحصل من علم الحدّثان على طائل . وحاز من الفصاحة ما أسكت به الأوّخر والأوائل . وتحلّى في منصّة الجمال وحيداً ، وترفع في مراقي الكمال صنديداً .

أنشدني لنفسه - رحمه الله - :

رعى الله أيّاماً تقضتْ وحيّاتها بأنس حبيبٍ كان أنس مُحيّاتها
وردد لياليها التي سلفت لنا وحيّى فؤاداً لا يملّ لذكرها

(١) راجع أخبار بني مزني في تاريخ ابن خلدون ٤٠٥/٦ - ٤١٢ .

(٢) المديّة : مدينة تقع الآن في القطر الجزائري .

(٣) أبو حمّو سلطان الزيانيين ومعيد رسوم دولتهم - سبقت الإشارة إليه في أول هذا الباب - .

(٤) هكذا فيها .

وحَيَّيْ الرُّبُوعَ الدَّارِسَاتِ بِفَقْدِ مَنْ
تَمَلَّكَ قَلْبِي وَالْحُشَّاشَةَ أَفْنَاهَا !
وكانت ليالينا يُنَافِرُهَا الكرى
فَعَادَ الكرى من بعد ذا يَتَلَفَاهَا
ليالٍ قطعنا الوصلَ عَذْباً بِقُرْبِهَا
فَوَاحِشَرَاتَا مَا لَانَ الطَّنْفُ مَعْنَاهَا
تَمَلَّكَ قَلْبِي هَيْفَاءُ إِذْ هَمَّا
بِتَذْكَارِهَا يَوْمًا ، دَعْتُهُ فَلَبَّيْهَا
فَلَوْلَا مُحْيِيَّاهَا لَمَّا صِرْتُ مُغْرَمًا
وَلَا صَارَ قَلْبِي - لِلصَّبَابَةِ - يَهْوَاهَا
وَلَا سَكَبْتُ عَيْنَايَ مِنبًى دُمُوعَهَا
وَلَا ذُقْتُ فَرْطَ الْحُبِّ وَالْوَجْدَ لَوْلَاهَا
فَقَدْ صَارَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا بِحُبِّهَا
وَعَادَ فِئُودِي وَإِلَهَا يَتَمَتَّاهَا
وَلَمَّا أَتَى حَادِي رِحَالِ نِيَاقِهَا
سَبَّابِي لَمَّا أَنْ حَادَا بِطَايَاهَا
سَرَّتْ حِينَ تَسَرَّتْ عَنْ فِئُودِي هَوْمَهُ
وَأَوْدَى بِقَلْبِي شَوْقُهَا عِنْدَ مَسْرَاهَا
وَصَرْتُ حَزِينًا ذَا غَرَامٍ وَذَا ضَنْى
أَسْأَلُ عَنْهَا رَتْدَهَا ^(١) وَخِزَامَاهَا

(١) في الأصناف : زندها .

فيا سائلي عن شرح حالي أما ترى
 نحولي وسُقمي والذُموعَ وَجَراها
 لقد خَطَطْتَ الآماقَ من فوق وَجَنَتِي
 سَطُوراً فمن شاء الحقيقة يقرأها
 فلا تُكثِرُوا فيها المَلَامَ فإن لي
 فؤاداً على طول النُوى ليس ينساها !

صاحبنا الأخلص محمد بن الأمير أبي سرحان مسعود :

ابن أمير المؤمنين العادل بالله أبي تاشفين عبد الرحمن بن أمير المسلمين أبي
 حاتم موسى ابن أمير المسلمين عثمان بن أمير المسلمين يغمراسن بن زيتان (*) .

يكنى : أبا زيتان . ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة الملوك من
 بني مَرين .

حاله : هو صاحبنا الصفي ، وخليلنا الوفي ، المُظهر لنا من الوداد
 أطيبه ، والواهب من الاعتقاد أعذبه . الخالص صفاؤه من الأكدار ، الموفي
 حقوق الصَّحبة بالابتدار . والذي نَجَمَ في المعالي فساد ، ولم يدنس درنُ الفساد .
 كنتُ قد بعثتُ له بأبيات من قولي ، طالبا منه أن يبعث لي بشعرٍ أثبتَه
 في كتابنا : المنتخب من دُرر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك ، وهي :
 قرت (*) بفضلك ألسن الأعداء

يا ابن الملوك ذوي التشقى الفضلاء

(*) ورد ذكر أبيه مسعود في جملة الذين قتلوا في حملة أبي الحسن المريني على تلمسان سنة

٦٣٥ هـ ، حيث كان جده أبو عثمان عبد الرحمن هو الأمير ، صاحب دولتهم .

(١) قرت : في الأصلين .

أنتَ الذي حُزَّتْ الشَّجَاعَةُ والنَّدَى

وَعُلاكَ أَرَبَى فَوْقَ كُلِّ عَتَاءٍ

أَبِشْرُهُ فَقَدْ لَاحَتَ طَلَانُ مِلِكِيكُمُ

وَاهُنَا بِمِلْكِي شَامِخٍ ، وَبَقَاءِ

إِنْ الْإِمَارَةُ لَا تَقْوَتْكَ ، إِنَّهَا

تَأْتِيكَ دُونَ تَوْقُفٍ وَتَنَامِ

أَنْتَ الْمَرَادُ بِهَا لَمَّا قَدْ حُزَّتْ مِنْ

فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَحُسْنٍ ثَنَامِ

نَدَبٌ نَمَتَتْهُ مِنَ الْخِلَافِ عَصْبَةٌ

أَكْرَمُ بِهَا مِنْ عَصْبَةٍ خِيَالِ

شَهْمٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ ضِرَامُهَا

يَمْشِي إِلَيْهَا مِشْيَةُ الْخَيْلِ

يُحْكِي إِذَا مَا لَاحَ نَوْرُ جَبِينِهِ

شَمْسَ الضُّحَى وَالْبَدْرَ فِي الظُّلَمِ

رَاقَتْ مُحَاسِنُهُ وَطَابَ ثَنَاؤُهُ

وَهُوَ الْمَعْظَمُ فِي بَنِي الْعُظَمَاءِ

(٢٣ / أ)

كَمْ حَازَ فِي يَوْمِ الْوَعَى مِنْ مَفْخَرٍ

وَفَضِيلَةٍ جَلَّتْ عَنْ الْإِحْصَاءِ

يا ابن الأمير القرم مسعود الرضا
وأخا السَّمَّاح وفارس الهيجاء (١)
ابعث إليّ قريضك الحلوة الذي
حاكى رياض الحزن غيب سماء (٢)
واعلم بأنتي فيك ذو وجدٍ لما
بَيَّنِّي وبينك من لزوم إخاء
أنت الحبيب المخلص الفذ الذي
يَرعَى المودة في بني الأمراء
فَرِياض ودِّي مخصب جناباته
وجميل عهدي مشرق الأرجاء
خُذْها أبا زيان ميني قطعة
غراء ذات طلاوة وبهاء
وعليك مني ما حبيت مجدداً
أزكى التحية خُصِّصَتْ بِسَما

فجاوبني بقوله :

لله ما بلغت في الإطراء
فَاتَحَتْنَا بالمدح نَظْماً حاز من
مالي يدان بشكر تلك أيادياً
وبشئت من ودٍ وطيب ثناء (٣)
حُسْنِ حَوَاهُ كواكب الجوزاء
يا مُسْدي التَّعْمَى لغير جزاء

(١) القرم : السيد .

(٢) في القاموس : الحزن ما غلظ من الأرض ، وموضع فيه رياض وقيعان .

(٣) فيها : بلغت بالتضعيف . قلت والأقرب أن نكون : بالفت .

أَنْتَ الحبيبُ المحضُ أَنْتَ أخو النَّدَى

أَنْتَ الأميرُ ووارثُ الأمرِ

أَنْتَ الذي ما تحت خضراءِ السَّما

فلتَسْمُ إسماعيلُ ذروة نيقها

ولتعدنَّ على مَرَاتِبِ مُلْكِيهَا

أبا الوليدِ نداءً مشغوفٍ بكم

ماذا بعثتَ لنا؟ أزهريَّانِيعُ

أَمْ لَوْلَوْ رطبٌ تناسَقَ نَظْمُهُ

أَمْ ذلِكمُ حُرُّ الكلامِ وعذْبُهُ

مَنْ ذا يُجَارِكمُ لدى ميدانه

ولكم بِهِ حوز السَّبَاقِ النَّائِي؟

[٣٣ / ب]

أَنْ تَقْرَنَ الْأَنْعَامُ بالشَّعْرَاءِ؟

يَا ذَا الْمُحْيَا السَّمَحِ والإغْضَاءِ

سَقَطَ التَّكْلِيفُ، شرعة الفضلاءِ

واخفض جناحَ مذلةِ الرُّحَمَاءِ

واكتبه ، بل فاكتسبْهُ خِيفَةَ حاسِدِ

لِي أَنْ أَرَى فِي جَمَلَةِ الشَّعْرَاءِ !

★ ★ ★

(١) يتقارض الأميران النصري والعبد الوادي الثناء ، ويتبادلان التمنيات الطيبات . وليس من شك في أن ابن الأحمر - صاحب الكتاب - لم يخطر له أن يتقلد أمور الحمرء على أي وجه، وإنما هو الشعر وخواطره .

(٢) النيق - بالكسر - أرفع موضع في الجبل ج نياق وأنياق ونيوق .

(٣) فيها وبلغية « وهو تصحيف » .

الباب السادس

في شعر ملوك بني العزفي وأبنائهم *

(*) بنو العزفي أسرة مشهورة من أعيان مدينة سبته وعلمائها والمستقلين بها . وهم ينتمون إلى الحزم في اليمن . وأول من كان له شأن في السلطة منهم أبو القاسم محمد بن أبي العباس أحمد . وكان أبو القاسم في زمانه - كما قال ابن خلدون - كبير المشيخة بسبته ، وعقد له المرتضى الموحدي على سبته ينفرد بحكمها في خبر طويل سنة ٦٤٧ هـ . وبقيت المدينة تحت نظر آل العزفي إلى أن احتلها أبو سعيد فرج صاحب الملقبة ، من بني الأحمر ، ونقل بني العزفي إلى غرناطة ، وضم سبته إلى دولة بني الأحمر . وكان احتلالها في جملة لواحق المنافسة والخلاف بين بني مرين وبني الأحمر ، وكان العزفيون قد دخلوا في طاعة يعقوب المنصور المريني ، وأخذت منهم سبته في زمن خليفته يوسف . وعاد العزفيون إلى المغرب بعد انتهاء الخلافات المربنية الغرناطية ، وعقد أبو سعيد المريني لأبي زكريا يحيى بن أبي طالب عبد الله العزفي - حفيد أبي القاسم - على سبته ، وبقيت في طاعته حتى توفي في خبر متشعب . وخلفه ابنه محمد الذي لم تدم دولته طويلاً ، وانتهت مكانة أسرته السياسية على يده .

وقد انتشر بنو العزفي في فاس على الخصوص ، وسبته وغرناطة ، وبقي لهم ذكر وصيت في علوم الشريعة واللسان وغيرها .

(راجع ابن خلدون ج ٧ والاستقصا للناصري ج ٣) .

الأمير محمد بن الأمير يحيى :

ابن الأمير أبي طالب عبد الله بن الأمير أبي القاسم محمد بن الفقيه القاضي الإمام المجتهد أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي * .

يكنى : أبا القاسم ؛ وأدركته ، ورأيتُه بفاس في حَضْرَةِ المُلوك من بني مَرّين وهو ملك مدينة سبتة ، وابن ملوكها .

حاله - رحمه الله - :

نال إمارة قومه بسبتة ، أشهر أَسْتة . وقام عليه أحد بني عمّه ، فخلعه عن مُلكه وحكمه ، فاستقرّ ببلادنا الأندلسيّة ، في كنف دولتنا الأحمريّة النصرية . فنال بها جاهاً مكيناً عند أمير المسلمين إسماعيل (١) عمّ أبينا . ثم قوّض عن الأندلس الرّحال . واستقرّ بالعدوة ، ولم يكن له عنها انتقال إلى أن أتنّهُ بها المنية فألقت عليه رداها ، وانصرمت أيامه وسقته رداها . وكان في الآداب يماً لا يُسبح ؛ بنظم القصائد التي هي أصبح من الخرائد وأملح . [٣٤ / أ] مع قوّة نفس في استخراج مُعمّيات الأدب ، ومعرفة بالتّاريخ ، ومشاركة في فنون شتّى من الطلب .

أنشدني لنفسه ، طالِباً من بعض الأعلام الرّثب بالراء المهملة :

قلّ * لأبي يحيى لنا حاجة	بالرّثب من صنعة أربابه
فابعثه لي صرفاً بلا نقطة	تكن أتيت الفَضْل من بابه
ودعه إن كانت به نقطة	فأنت للحاجة أولى به

(*) هو آخر من حكم مدينة سبتة من بني العزفي . تولى السلطة بعد أبيه أي زكريا يحيى ولكنه « لم يستقم له حال » كما قال فيه الأستاذ كنون في أثناء ترجمته عمه أبي العباس فأخره السلطان أبو سعيد ، وكان ذلك نهاية رياسة بني العزفي بسبتة (تاريخ ابن خلدون - أبو العباس العزفي للأستاذ عبد الله كنون) .

(١) الأمير النصري إسماعيل بن فرج ، حكم غرناطة ما بين ٧١٣ - ٧٢٥ .

وأشدني أيضاً لنفسه يخاطب... (١) :

يا ماجيداً ما جئته في حاجةٍ إلا وكان له الكريم المفضيلاً
ومؤملاً منها شكوتُ بواقعٍ داوى ولو ألفاهُ داءٌ مُعَضِلاً

وأشدني أيضاً لنفسه ، يداعب :

باللهِ خبّرني وكنْ صادقاً هل نِلتَ شيئاً ليلةَ البارحةِ
أو كنتَ أيضاً عاجزاً قاصراً ولم تقمُ منك لها جارحةُ
وحالةُ المرءِ بـسِلا حيلةُ لستَ لعمري حالةُ صالحه !

ابنه صاحبنا محمد - سلمه الله - :

يكسَى : أبا يحيى ، ورأيتُه ، وصحبته بفاس ، في حضرة ملوكِ
بني مَرّين (*) .

حاله : ظهر بمفخره الإماريّ على الظُّمراء ، وسَمّا بمحتدِه العَرَبِيّ على
النظراء ، وساد بشرفِه العلميّ في بني الأمراء ، وله همّةٌ عالمية ، ونفسٌ عن
محبةِ الفخر غير آبية .

أشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز بن أمير المسلمين
أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق بمدينة [٣٤ / ب] تلمسان ، حين دخلها أمير المسلمين
أبو فارس عبد العزيز مالكا لها ، وفرّ أمامه منها أمير المسلمين المتوكل على

(١) فراغ في الأصلين .

(*) هو أبو يحيى محمد بن أبي القاسم محمد بن أبي زكريا يحيى .

الله أبو حمّو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين
يغمر اسن بن زيان إلى الصحراء (١) :

حنّ المشوق إلى ديار أحبّتيه فسقى الثرى شوقاً لذلك بدمعته
واهتاجه وجداً هبوب نسيمها لما سرى يهديه طيب تحيته (٢)
وشجاه تذكّار العقيق وبانه وعهود تأنيس بظل أثليته (٣)
لله منّا طيب عيش قد مضى ياليت لو سمح الزمان بعودته
فلكم بلغت من السرور به منى ولكم نعمت بطيبه وبلذته
مع جيرة بانوا وما تَرَ كوا سيوى

قلب لفرط الشوق هام يسكّرته
لم يودعوا يوم الوداع سيوى البكا

فيه وصلت نهاره مع ليلته
أتى الزمان يجود لي بوصال من

أهوى فأحسبه له من نعمته
أو من سبيل للورود بزمزم

كي ينقع الصادي لواعيج غلته
أو من سبيل للحصول بطيبته

يقضي بها المشتاق أقصى منيته
حيث النبي الهاشمي محمد أسنى عباد الله خير برّيته
اختاره الله العظيم وخصه في الأنبياء بعزه وبحظوته

(١) انظر تفاصيل هذا الخبر في تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٢ - ١٣٥ .

(٢) في الأصلين : اهتازه (بالزاي بدل الجيم) .

(٣) الأثيلة تصغير : الأثلة ، واحدة الأثل .

وحبائه بالقرآن أعظم آية رفع الشكوك يقينه عن ملامته
 والبدر شق إليه لما أن بدا والأيلك جاءت في المقام لدعوتيه
 والجذع حن إليه شوقاً بعد أن قد ناله ما ناله من فترقيته
 وكذاك سكن روع ظبي عندما وافي إليه مفصيحاً بشكيتيه
 وأباد ملك الفرس صادق وعده فأذل كسرى وهو فتوق أسيرته

[٣٥ / أ]

والنار أخدمها الإله لبعثه فأزاح من زيف الضلال وشبهتيه
 هذا هو الفضل العظيم فمن يلسد
 يجنابيه نال المفازع يجنبتيه
 يارب عفوك عن عبدي مذنب
 يرجوك تغفر ما قضى من زلتيه
 فارحم لديك خضوعه وأزيله ما
 يرجوه من سر^(١) المزار ودعوتيه
 بتمام خير الخلق هادهم إلى
 طرق الرشاد بفرضيه وبسنتيه
 فبجاهيه نرجو المفازع غداً إذا
 أضحت المسيء هناك رهين خطيئته
 صلتى عليه الله ما هبت صبا أو ما تغشى ساجيع في أيكنتيه
 وأمد بالنصر العزيز إمامنا عبد العزيز المرتضى من أمته
 ملك حمى دين الهدي سلطانه وأذل دين الكفر قاهر عزته

(١) كلمة (سر) أقرب ما يقرأ في الأصلين .

فهو الكريمُ الماجِدُ الشَّهْمُ الَّذِي تَعَسُّوْهُ الْمُلُوكُ لَهُ مَخَافَةٌ سَطَوْتِيهِ
 قَدْ حَازَ أَمْرَ الْمَلِكِ عَنْ آبَائِهِ وَهُوَ الْكَفِيلُ لَهُ بِرَعْيِ أَذِمَّتِيهِ
 مَا شِئْتَ مِنْ خُلُقٍ كَأَزْهَارِ الرَّبَا إِذْ جَادَهَا صَوْبُ الْغَمَامِ بِيَدِ يَمَّتِيهِ
 تَبْدُو عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلُ فِي بَذْلِ نِعْمَاهُ ، وَعَالِي هِمَّتِيهِ
 (١) لِلْعَطَاءِ لِرِفْدِهِ اللَّهُ مِنْكَ ، مُؤَيَّدٌ فِي دَوْلَتِيهِ
 حَكَمْتُ سَعُودَكَ بِالنَّدَى أَمْنْتُ مِنْ تَهْيِدِ هَذَا الْقَطْرِ أَوْ مِينَ هُدُوتِيهِ
 وَالْأَعُورَ الْأَشْقَى إِلَيْكَ يُسَاقُ كِي يُسْقَى بِكَأْسِ حَمَامِهِ وَمَنْيَتِيهِ (٢)

إِنْ كَانَ لِلصَّحْرَاءِ وَجْهٌ وَجْهَةٌ
 لَا بَارِكَ اللَّهُ لَهُ فِي وَجْهَتِيهِ
 الْأَمْرُ أَمْرُكَ لَا يُخَالِفُ حَكْمَهُ
 وَالْقَطْرُ قَطْرُكَ قَدْ دَعَاكَ لِنُصْرَتِيهِ

مُولا يَاعَبْدَ الْعَزِيزِ وَمَنْ غَدَا
 بَذِلَ النَّدَى بَيْنَ الْوَرَى مِينَ شِيَمَتِيهِ
 [٢٥ / ب] وَافَاكَ مِيلَادُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 بَزْيَارِقِ أَكْثَرِمٍ بِهِ وَبِزَوْرَتِيهِ
 فَاخْلُدْ وَدُمُ مَا أَصْبَحَتْ أُمْدَا حُهُ

يَسْرِي لَهَا حَادِي الرَّكَابِ [] (٣)
 مَارِنَمَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةٌ أَوْ حَيْنَ مُشْتَاقٍ .. لِذِكْرَتِهِ (٤)

(١) بياض في الأصلين .

(٢) قال ابن الأحرر في صفة أبي حو (روضة السرير : ٥٥) إنه كان أبيض ، وفي عينه

اليمنى نكتة بياض . ولعل هذا هو ما ينزه به الشاعر هنا .

(٣) لم يتم البيت في الأصلين .

(٤) هكذا ورد البيت وفيه سقط كلمة .

الباب السابع

فيما بلغنا من شعر كتاب قومي بني الأحمر ملوك الأندلس

ذو الوزارتين(*) الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى (١)

علي بن محمد بن سليمان بن الجيَّاب الانصاري :

يكسَى : أبا الحسن ، وأدركته ، وهو من أهل غرناطة من صدور أعيانها

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن الجيَّاب كاتب ، وشاعر ، من أشهر كتاب الدولة النصرية (٦٧٣ - ٧٤٩) خدم عدداً من أمراء الدولة النصرية فكتب لهم وترقى في المناصب وحاز من الثقة حتى صار رئيس كتاب الحضرة . وكان شيخ طلبة الأندلس في زمانه رواية وتحقيقاً ومشاركة في كثير من العلوم والفنون ، ووصف بأنه كان قائماً على العربية إماماً في الفرائض والحساب عارفاً بالقراءات متبحراً في الأدب والتاريخ مشاركاً في التصوف . وعليه تتلمذ لسان الدين بن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها بعده .

له ديوان شعر محفوظ في دار الكتب المصرية ، وفيه ما يدل على أنه عن أصل الديوان الذي قال لسان الدين إنه صنعه ، كقوله : « وقال (ابن الجيَّاب) يحاوبني عن قصيدة في الروي » الورقة ٦٤ منه ، وذكر لسان الدين القصيدتين في كتابه « الكتبية الكامنة »

١٨٨٠ - ١٨٨١ .

(ترجمته في : نثير فرائد الجمان : ٢٣٩ ، والكتبية الكامنة : ١٨٣ ، والديباج المذهب : ٢٠٧ ونيل الابتهاج : ٤٠٢ ، ودرة الحجال ٢ : ٤٣٥ ونفح الطيب : ٤٣٦) .

(١) صاحب القلم الأعلى لقب الكاتب علامة السلطان النصري (راجع مستودع العلامة) .

وكتب في الحضرة النصرانية لستة من ملوكنا ، وقد لده الوزارة السلطان أبو الحجاج يوسف ابن عم أبينا مضافة إلى رئاسة الكشتاب .

حاله - رحمه الله - : كان قد امتطى من ديوان الإنشاء جواداً تقدّم به مجلسياً ، وغدا كل مُنتهَمٍ لهذه الطريقة له مصليةً . وطلع في سماء الإحسان غيثاً ، وبرز في ميدان العلوم ليثاً . وفي تصريف الأفعال يُنسيك سيمويه ، وفي علم اللثة يعفي أثر ابن درستويه ، وفي الصنعة البديعية والبيانة يزري بابل سكاك ، ويُنسي مآثر ابن سكاك . وشعره وسط ، وفهمه مرتبط ، وهو عارف بأيام العرب ووقائعها ، محصل لما أثرها وبدائعها .

فمن قوله - رحمه الله - يمدح أمير المسلمين الغالب بالله ، الناصر لدين الله أبا عبد الله محمد الخلوع ^(١) ابن جدنا أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ^(٢) :

زارت تجرّر نخوةً أذيا لها هيهات تخلط بالنفار دلالها ^(٣)
والشمس من حسدٍ لها مصفرة إذ قصرت عن أن تكون مثالا ^(٤)

(١) هو الأمير الغالب بالله محمد بن محمد بن محمد ، الملقب بالخلوع ، ثالث ملوكهم . ولي الإمارة سنة ٧٠٩ ، وخلعه السلطان نصر سنة ٧٠٨ . (اللمحة البدرية : ٤٧) .

(٢) ذهب جزء من مطلع القصيدة في الديوان ، وبقيتها فيه (الورقة ٦٩ ، ٧٠) . والقصيدة في نثر فرائد الجمان ٢٤٠ ، ونفع الطيب ٥ : ٤٣٦ وفي روايات القصيدة اختلافات طفيفة . وقدم المقرئ للقصيدة بقوله « وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا » .

(٣) في النفع : بنخوة .

(٤) في النفع : فالشمس .

وافقتك تنزجُ لينها بقساوةٍ قد أدرجتُ طيَّ العِتابِ نواها
كم رمت كتم مزارها لكتنه صحتْ دلائل لم تطق لإعلاها
تركتْ على الأرجاء عند مَسِيرِها أَرَجاً كان المِسْكُ فُتَّ خِلالها
ما واصلتْكَ حُبَّةً وتفضلاً لو كانَ ذاكَ لوصلتْ إفضالها
لكن توقعت السلو فجذدتْ لك لوعةً لا تتقي ترحالها
فوحبها قسماً يحقُّ برُورهِ لتجشمتْكَ في الهوى أهوالها !
حسنت نظم الشعر في أوصافها إذ فتحت لك في الهوى أقفالها (١)
يا حُسن ليلَةٍ وصلها ما ضرَّها لو أتبعَت من بعدها أمثالها
لمَّا سكرت بريقها وجفونها أهملت كاسك لم تُرد إعمالها
هذا الربيعُ أذاكُ يُنشِرُ حسنه فافسحْ لنفسك في مداهُ مجالها
واخلع عذارك في البطالةِ جاحماً واقرن بأسحارِ المنى آصالها
في جنَّةٍ تجلُّو محاسنها كما تجلو العروسُ لدى الزفاف جمالها
شكرتُ أيادي للحيا شكرَ الوارى

شرفَ الملوك همامها ميفضالها
وصميمها أصلاً وفرعاً ، خيرها
الظاهر الأعلى الأمين المرتضى
ذاتاً وخلقاً ، سمحها ، بذالها
حاز المعالي كابراً عن كابرٍ
بجرَ المكارم غيبتها سلسالها
وجرى لغايات الكرام فنالها

[٣٦ / ب]

إن تلقَّه في يوم بذلِ هباتهِ تلقَّ الغائم (٢) أرسلتْ هطالها

(١) في نثر الفرائد والنفع : * إذ قبحت لك في الهوى أفعالها .

(٢) في النسختين الغمام . والصواب من النفع .

(١) أو تَلَقَّهُ في يوم حرب عداته
ملك إذا ما صال يوماً صَوْلَةً
فبَسَيْبِهِ وبَسِيفِهِ نِيلُ المُنَى
الواهبُ الآلافِ قبلَ سؤَالِها
إن قلتَ : بَحْرُ كَفِّهِ ، قَصُرَتْ إِذْ
مَلَأَ البَسِيطَةَ عدْلُهُ وَأَمَانُهُ
وسقى البريةَ فيضُ كَفِّهِ فَقَدْ
جمع العلومَ عِنَايَةً بِفُنُونِها (٢)
منقُولها ، معقُولها ، وأصُولها
فإذا عفاكَ عَيْنُوكَ تَهَلَّلُوا
وإذا عداكَ أَبْصُوكَ تَبَقُّنُوا
بددتْ شملَهُمْ ببيضِ صوارِمِ
واجبتْ أرضَهُمْ فأصبحَ أَهْلُها
فتحتْ إمارتُكَ السعيدةُ للورى
وبنتْ مصانعَ رائقاتٍ ذَكَرَتْ
وأجلتْها قَدْرًا وأرفعها مَدَى

تلقَ الضراغَ فارقتْ أشبالها
خيلتَ البسيطةَ زُلْزَلتْ زلزالها
واستمعجتْ أعداؤه آجالها
فكفَى العفاةَ سؤَالها ومِطَالها
شبهتْ بالملح الأجاج نوالها
فالوحشُ لا تعدو على مَنْ غَالها !
عمَّ البلادَ سهولها وجبالها
آدابها ، وحسابها ، وجيداتها
وفروعها ، تفصيلها ، إجمالها
لمّا رأوا مِنْ كَفِّكَ استهلها
أنَّ المَسْنِيَةَ سلطتْ رِثَالها
رويتْ من علقِ الكُفَاةِ نِصَالها
جَزْرًا (٣) تُغادرُ نَهْبَةً أَمْوالها
أبوابَ بُشْرى واصلتْ إقبالها
دارَ النِّعَمِ جِنَانها وظلالها
هذا الذَّنْيُ سامى النُّجُومَ فطالها

(١) من هنا يبدأ الموجود من القصيدة في الديوان ، فإن ورقة واحدة منه — على الأقل — سقطت من حرف اللام .

(٢) في الديوان ونثر الفرائد « بفنونها » وفي النسخ : بعيونها .

(٣) في الديوان ونثر الفرائد : جزراً ، وفي النسخ خوراً .

هو جنة فيها الأمير مُخْلَسٌ دُ
ولأرض أندلسٍ مفخيرُ أنثُمُ
بلغتُ إمارته به أمانها
أربابها أضفيتم سيربائها
فحميتهم أرجاءها وكفيتهم
أعداءها ، وهديتهم ضلالتها
فبآل نصر فاخرت لاغيرهم
لم تعتمد من قبلهم أقبائها
بحمدٍ ومحمدٍ ومُحمَّدٍ
قصرت على الحِصم الألد نصائها
فهم الألى ركبوا لكل عزيمة
جروداً كُسيين من النجيم جيلها
وهم الألى فتحوا لكل ملعة
باباً أزاح بفتحهِ إشكالها
(١) متقلدون من السيوف عيضاها
متأبطون من الرماح طواها*

(١) بقي من القصيدة في الديوان - والنفح - أربعة أبيات .

(*) كان منهاج المؤلف يقتضي أن يترجم هنا للوزير الخطير أبي عبد الله محمد بن الخطيب الشهير بلسان الدين بعد ترجمة شيخه وسلفه أبي الحسن بن الجياب . وقد بقي في المخطوطتين من نثير الجمان فراغ في آخر ترجمة ابن الجياب . وتجسد بعد ذلك صفحة ونصف الصفحة لأشعار عباسية اختارها المؤلف أو غيره . مقطوعة عن غرض الكتاب ثم يأتي الباب الثامن . وبجمل القول أن ترجمة لسان الدين لم ترد . ويظهر أن السبب في ذلك هو أن المؤلف صنف كتابه هذا في حدود ٧٧٥-٧٧٦ (راجع تفاصيل ذلك في نثير فرائد الجمان ١٠٥-١٠٦) وهي المدة التي كان فيها المؤلف ناعماً على لسان الدين ، الذي كان قد غادر الأندلس مزوراً عن أمير غرناطة الغني بالله منذ ٧٧٣ في خبر طويل . ويبدو أن المؤلف لم يترجم لسان الدين منتظراً انتهاء الخلاف ، فالغني بالله ابن عم المؤلف المتعصب لأسرته الإمارية . ولقد انتهى الخلاف بعد ذلك بوفاة لسان الدين على أيدي جماعة الغني بالله ووفده إلى فاس . وما ندري أعاد المؤلف إلى كتابه فأضاف إليه ترجمة لابن الخطيب أم أرسل كتابه هذا ناقصاً ، كما هو الحال مع النسختين اللتين وصلتا إلينا منه .

ولسان الدين بن الخطيب هو من أسرة شهيرة في غرناطة ، وأصلهم من مدينة لوشة القريبة من غرناطة . ولد سنة ٧١٣ ، وانتظم - بعد أن اشتد عوده - في جملة الكتاب =
نثير الجمان - ٩

= في ديوان بني نصر بغرناطة، وأعجب به شيخه ورئيسه ابن الجياب، ومهد له. ولما توفي ابن الجياب في طاعون سنة ٧٤٩ قدم الأمير النصري يوسف، لسان الدين بن الخطيب على كتابه. وما لبث أن ترقى في المناصب وحاز الثقة. فلما تولى محمد بن يوسف (محمد الخامس ، الغني بالله) أمور غرناطة استأثر بلسان الدين وقربه وقلده المهم من أموره. فالتخذ رسوم الوزارة ورئاسة الكتاب والسفارة، وما يليق به على رضى الأمير ورغبته. ولما وقع الانقلاب على الغني بالله سنة ٧٦١ لحق به لسان الدين إلى المغرب، وعاد معه ٧٦٣ بعد استرداد ملكه، وبقي معه أثيراً إلى أن أحسن من مخدمته تغييراً، فلعجاً إلى المغرب ٧٧٣، وكان الملك المريني ووزرائه من أنصار لسان الدين. ولما تبدل السلطان المريني الملقب بالسعيد وجاء أبو العباس أحمد المستنصر - وكان من صنائع الغني بالله - جاء وفد غرناطي فيه ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب وخلفه، وانتهى ابن الخطيب إلى السجن، ثم قتل فيه صبراً. رحمه الله.

انظر في ترجمته: نثير فرائد الجمان ٢٤٢، والدرر الكامنة ٣: ٦٩، والتعريف بابن خلدون ٨٥ - ٩٢ أما نفع الطيب للمقري فقد ألفه أساساً للترجمة لسان الدين ثم اتسع الكتاب (راجع مقدمة المؤلف ج ١)؛ وكتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان عن لسان الدين (ط الحانجي). وانظر فيه ثبت مؤلفاته؛ وبروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٢:

الباب الثامن

فيما بلغنا من شعروزيه القومي بني الأحمر
من بني نصر ملوك الأندلس

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى
أحمد بن إبراهيم بن صفوان (*) :

يكنى : أبا جعفر ، ويُعرف بابن صفوان ، وهو من أهل مالقة ؛
وأدركته ، وكتب في الحضرة السلطانية لجده أمير المسلمين أبي عبد الله محمد الفقيه
ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله [محمد] صاحب الدبوس ، ابن

(*) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان من أهل مالقة ويعرف بابن صفوان
(٦٧٥ - ٧٦٣) وصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة فقال إنه صدر من صدور
كتاب دولة غرناطة وشيوخ طلبتها ؛ ناظم ، ناثر ، ثاقب الذهن ، قوي الإدراك ، إمام
الفرائض والحساب والأدب والتوثيق ، ذاكر للتاريخ واللغة ، مشارك في الفلسفة
والتصوف ، كثير النظر والتقييد والتصنيف . ومن كتبه ؛ مطلع الأنوار الإلهية ، وبغية
المستفيد . وقد جمع ابن الخطيب ديوان شعره سنة ٧٤٤ أيام إقامته بمالقة (بلد المترجم
به) مع الركب السلطاني الذي خرج لإنقاذ الجزيرة الخضراء ، وسماه : الدور الفاخرة
واللحج الزاخرة .

(انظر الإحاطة ١ : ١٠٠ ، والكتيبة الكامنة ٢١٦ ، ونفع الطيب ٣٩:٦)

جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

وكتب أيضاً لعم أبينا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا [٣٨ / ب] الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، ابن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف (الشهير) بالأحمر ، ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي .

وقلّده علامته ، ورياسة كتابه حين بويع بالقة ، وبعض أشهر بغرناطة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

له في التصوف قدم راسخة ^(١) ، وفي أحكام النجوم آية ناسخة . وبرع في الحساب وإحكامه ، وأصاب في الفقه وأحكامه . ولا مبرية في أنه أبرع من أصاب في التعاليم وعلمها ، وخط في ألواح الإجابة قلمها . والأدب نقطة من بحره الزاخر ، وزهرة من أزهار روضه الناضر .

فمن قوله يعارض قصيدة الإمام الصوفي أبي القاسم عمر بن الفارض ^(٢) الفائقة ^(٣) :

(١) قال ابن الخطيب في الكتبية الكامنة في ترجمته لابن صفوان « وله بالمقاصد الصوفية كلف وبالأقوال الشهيرة بها زلف » .

(٢) عمر بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاء (٥٧٦ - ٦٣٢) أبو القاسم ، وأبو حفص من شعراء الصوفية المعدودين ، قال الذهبي « كان سيد شعراء عصره » ولابن الفارض ديوان مطبوع .

(٣) ومطلعها (الديوان : ١٠٦) :

قلبي يحدثني بأنك متلفي
روحي فداك عرفت أم لم تعرف !

بِسْهَاءٍ عَزَّكَ عِنْدَ ذَلَّتِي مَوْقِفِي
أَخْفَاهُ إِخْفَاءُ الْغَرَامِ فَشَخْصُهُ
مَا إِنْ لَعَمَضَ جَفُونِهِ مِنْ زُورَةٍ
أَيُزُورُ جَفَنِي غَمَضُهُ مِنْ بَعْدِ مَا
وَالْتَوَمُّ فِي حَكْمِ الْهَوَى مَا انْفَكَّ مَدِّ 5
يَسْغِي الْحَبِينَ الْخِيَالُ إِذَا سَرَى
وَيَرُوعُهُمْ عَذَابُ الْهَمِّ وَيَذْكُرُ مَنْ
فَأَعِدْ حَدِيثَكَ عَادِلِي وَاقْرَعْ بِهِ
سَمْعِي وَصَرِّحْ بِاسْمِ حَبِّي وَاهْتِفْ
فَسَمَاعِ ذِكْرَ أَحَبَّتِي لِي مُبَسَّرِجٌ
وَبِهِ مِنَ الشُّوقِ الْمَبْرَحِ أَشْتَفِي

[٣٩ / أ]

10 (معنى) (١) الحبيب بسرّ ذاتي قائم
والعدل يُبدي ما يسرّني قد خفي

لَوْ كَانَ يَعْلَمُ عَادِلِي قَدَرُ الْهَوَى
وَبَيْنَ كَلَفْتُ لِقَالِي: اعشَقْ وَاطْلِفْ!

كَلَّ الْحَاسِنِ لَائِحٌ فِي وَجْهِ مَنْ
أُضْحَى بِهِ شَغْفِي ، وَكُلَّ الْعَشَقِ فِي !

لَهَوَايَ أَرْبَابُ الْهَوَى قَدْ سَلَّمُوا
وَلِحُسْنِهِ تَعَذُّو الْبُدُورُ وَتَسَخَّفِي

فَأُشْرَحُ غَرِيبَ جَمَالِهِ وَمَحَبَّتِي
وَأُنْشُرُ حُلَى ذَاكَ الْغَرِيبِ وَصَنَفِ

(١) لم تظهر الكلمة في « ط » وظهر شطر الكلمة الآخر في « م » .

- 15 وقفَ الهوى بالعاشقين مواقفاً
أدركتُ من سرِّ الهوى ما لم يُرَمَّ
فأنا المحبُّ حقيقةً والحُبُّ لي
يا مُلبِسي خلعَ الضئيلِ أهلاً بما
بتجرتي عتسا سواك رفلةٌ في
وبيمحو ما خطته أعلام المنى
20 واهماً لأوقات التمداني ، حقّ يا عيني لِفقد رطبيها أن تَذرني (١)
أمسيتُ من ليلِ القطيعة في دُجى
في وحشة الإعراضِ حالَ تصبّري
وحنين نفسي للرسومِ أعلّني
25 فَمَقَّ إلى الإقبالِ يَحنُجُ مُهرِضُ
واحسرتناوَلَى سُدَى عمري وما
طُفئت لأربابِ الهوى نارُ الهوى
وشفى التنعّمُ بالوِصالِ ضنّاهُم
وعلى ضنّاي فلا سَلَبْتُ شجوبَ ما

بي من ضنّي ، لبسي حُلاه مُشرقي

[٣٩ / ب]

- 30 لا أبغني بشعاره بدلاً ولا
وايتُ قلبي شطر مَنْ أَحَبَّ بَنَتُهُ
فإليه قصدي حيث كنتُ وقيلتي
وتوجّهي ، ما عنه لي مِنْ مَصْرِفِ

(١) في النسختين : تذرني . (٢) وأقرأ : واحسرتي .

كيف انصيرافي عن هوى مَن لو بدا

للشمس قيل لها: اضمحلتي واختفي !

مسلكتُهُ نفسي وروحي والمنى

والسر والنجوى ، ولست بمُسْرِفٍ

35 وإذا الحب صفت موارد حبه

أأهيل وُدِّي والذين بـأنني

أنتم أحبائي وغاية مقصدي

وعلى محبتكم فطيرت ولأنتي

ووحقكم قسماً أوكدته وما

40 لـرضاكم أشهى إلي وإن ذلأي

ولعطفكم من كل ما ظفرت به

ولقد أجملت الفكر فيما أرتجي

وتحرقني بلهب نار جوانحي

وتجزعني غصص الدموع الذرف

لسهام روعات الأسى مُستهدف

45 طلب الرضا أو هيبتي وتوقفي

عنّي وسيلة سائل مُتَلطف

رُحمي لراج قانطٍ مُتخوف !

معلومة للمُنعِم البر الحفي

فرجاؤه عن بابكم لم يُصرف

وحنو أضلاعي على قلب شج

45 فعلت أني حال إقدامي على

مالي سوى فقري لـكم وغيناكم

يرجوك حال الخوف تقنطه فيا

فلئن عطفتم فالتعطف شيمة

ولئن طردتم من أبيتهم قرينة

[٤٠ / أ]

50 أَرْضَى لِنَفْسِي مَا رَضِيتُمْ لِي بِهِ

ومن الذي استكفى الثقات فما كفي ؟

لإني ليجودكم عليّ لوائق^١ وجميلُ ظنّني فيه ليس بمُخْلِفِ
ولئن سموتُ لما رجوتُ من المني مُستنزلاً غيث الرضا بتناطِفِ
فأحقّ من رُمْتُ استماله عطفه يخضوع مضطرباً وذليّة مُعتَفِ
ذو قدرةٍ مترفع^٢ بكاله وجلاله عن قدرك المُستضعِفِ
ولئن غسدا حتماً على العشاق في 55 شرع الهوى تَلَفُ العَمِيدِ المُدْنَفِ

فلقد تلفتُ وعِفتُ قولَ مُسَوِّفِ
«نَفْسِي تُحَدِّثُنِي بِأَنْتَكَ مُتَلَفِي» !

وله أيضاً في التورية (١) :

كففتُ عن الوصالِ طويلِ شوقي إليكَ وأنتِ للروحِ الخليلُ
و«كفّك» للطويلِ قَدَتْكَ نَفْسِي قبيحٌ ليس يرُضاهُ «الخليلُ» !

وله أيضاً في التورية بالعروض :

يا كاملاً شوقي إليه وافر^١ وبسيطُ خدّي في هواه عزيزُ
عاملتُ أسبابي لديك «بقطعها» والقطع في «الأسباب» ليس يجوزُ

وله أيضاً في العذار :

ولما ثناني عن هوى مَنْ أحبه عذارُ بدا في الحَدِّ أسودُ فاحيمُ
لحائي على هجرانه بعد وصله

ومن سحر عينيهِ لما شدتُ هاجم^(٢)

(١) التورية ببعض ألقاب العروض .

(٢) في الأصلين : هاجم . ولعله : هادم .

وقلت له والحق أبلغ واضح
إلى ضوئه الملتاح يعشّو المخاصم
أيا عبد شمس من نحيبك أشرق
ثنائي سواد من عذارك فاحم
ومن قبل ما أخفى ظهور السواد من
إلى عبد شمس يستمي وهو راغم!

الفييه الخطيب القاضي الكاتب صاحب القلم الأعلى :
عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي (*) :

يكنى : أبا محمد ، وأدركته ؛ ومسقط رأسه مدينة وادي آش . وهو
من كبار صدور أعيان الأندلس ، وبيته بيت القضاء والعلماء والخطباء .
وهو من ولد الإمام العالم المجتهد ابن عطية المفسر لكتاب الله عز وجل ؛
وكفاه شرفاً هذا الجد^(١) .

وولي ببلده وادي آش^(٢) الخطابة والقضاء ، ثم قدم على الحضرة

(*) ذكره لسان الدين في الإحاطة ٢ : ٥ ، وفي اللوحة البدرية : ١٠٣ و ١٠٦ .
وترجم له في الكتيبة الكامنة : ٢٦٩ . وقال في اللوحة البدرية إنه استخدم في الكتابة
ابن عطية المترجم به فأحمد عمله « لحل الكل والصبر على الخدمة » . وقال في الكتيبة
إنه اشتغل بعد ذلك بالقضاء . ووصف شعره وشاعريته فيها بقوله : « شعره سهل على المعاني
مؤثر لحظوظ الألفاظ على حظوظ المعاني » .

(١) هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (٨١١ - ٤٦٠ هـ) وله التفسير
المشهور « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » وهو يطبع في الرباط بالمغرب .

(٢) وادي آش : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة ، ينحط نهرها من جبل شلير
(جبل الثلج) . وبينها وبين مدينة غرناطة أربعون ميلاً .

السلطانية النصرية الأحرية بغرناطة ، فكتب بها ورأس كتابها مع ذي
الوزارتين الفقيه الحاجب القائد الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله محمد بن
عبد الله الخطيب السلمي ، في دولة أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد بن
أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ، عم أبينا
ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج .

فلما ولي الملك ابن عمنا أمير المسلمين الغالب بالله المتوكل على الله أبو عبد
الله محمد بن أخي أبينا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن جدنا أمير المسلمين القائم
بإذن الله أبي عبد الله محمد ابن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي
الوليد إسماعيل ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ، ابن
جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
نصر الحزرجي ، قلده العلامة ورياسة الكتاب ؛ ونال لده جهاً مكيناً .

حاله - سلمه الله - :

هو في المحاسن قد ثنى عليه الخناصر ، وقرم لا تحصى مفاخره الألسن
ولا يحصرها الحاصر . وبيته زاحم النجوم بكاهله ، وورد نسبه من الشرف
أعذب مناهله . ملأ الأبصار جلالةً وسمماً ، وحاز هدياً لا عيوج [٤١ / أ]
فيه ولا أمتا . وبلاغة ينبوعها مسترسل ، وفصاحة فرس إجادتها مستنسل .
وخط تميز به ، وعلم تشرف بسببه .

فمن قوله يمدح ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبا عبد الله :

يا قاطع البس يد يطوي السهل والجبل
ومُنْضِياً في الفيافي الخيل والإبل
يجوب آفاق أرض لا يؤنسُهُ
إلا تذكُّرُ عهدٍ للحبيب خلا

أَوْ ظِيمَةٌ أَذْكَرْتُ عَهْدَ التَّوَاصُلِ إِذْ
 تَحْكِي اللَّسَّاطَ الَّتِي عَاهَدْتُ وَالْمُقَلَّ
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ اللَّسَّاطِ فَقَدْ
 أَرْبَى (١) بِهَا الْحُسْنَ عَنْ ضَرْبِ مَتَاهَا مَثَلًا
 5 أَوْ هَادِلٍ فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ تَحْسِبُهُ
 صَبًا لَفَقْدَ حَبِيبٍ كَانَ قَدْ ثَكَلَا
 أَوْ لَامِعِ الْبَرْقِ إِذْ يَحْكِي إِثَارَتَهُ
 كَفْنَا خَضِيبًا مُشِيرًا بِالَّذِي عَدَلَا
 مَاذَا عَسَى أَنْ تُقْضَى مِنْ زَمَانِكَ فِي
 قَطْعِ الْفَيَافِي تَرْجُو أَنْ تَنَالَ عُلَا
 فَكَمْ مَعَالِمِ أَرْضٍ أَوْ تَجَاهِلِهَا
 قَطَعْتَهَا لَا تَمَلُّ الرَّيْثَ وَالْعَجَلَا
 إِنْ كُنْتَ تَأْمَلُ عَزَا لَا نَظِيرَ لِنَهْ
 وَتَبْقَى السُّؤْلُ فِيمَا شَتَّ وَالْأَمَلَا
 10 فَالْعَزُ حَرْفٌ بَعِيدٌ لَا يُنَالُ سِوَى
 بِعِزْمٍ مِنْ شَدِّ عِزْمِ الْبَيْنِ وَارْتَحَلَا
 وَالْدَرْ فِي صَدْفٍ قَلَّتْ نَفَاسَتُهُ
 وَلَمْ يَبْنِ فَخْرُهُ إِلَّا إِذَا انْتَقَلَا
 فَارْبًا بِنَفْسِكَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ
 عَهْدُ أَنْسَ بِهِ قَلْبُ الْحَبِّ سَلَا
 وَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ مَحْبُوبٍ شَغَفْتُ بِهِ
 وَلَا تَلَمْ بِهِ مَدْحًا وَلَا غَزَلَا

(١) كذا فيها . ولعله ربا (مسهلة من) ربا به عن كذا : رفعه ونزهه .

واقصد إلى الحضرة العليا وحط بها
رحلاً ولا تبغ عن أرجائها حولا

15 غرناطة (١) لا عفا رسم بها أبداً
ولاسلا قلب من ينبغي بها بدلا

فهي التي شرف الله الأنام بمن
في مقعد الملك من تحرائها (٢) نزلا

[٤١/ب]

خليفة الله مولانا ومولنا
وخير من آمن الأرجاء والسبلا

محمد بن أبي الحجاج أفضل من
قد قام فينا بحق الله إذ عدلا

من آل نصر أولي الملك الذي بهرت
علاه كالشمس لما حلت الحملا

20 هو السدي شرف الله البلاد ومن
فيها بدولته إذ فاقت الدولا

أقام عدلاً ورفقاً في رعيتيه
وكان أرحماً من آوى ومن كفلا

فهو المجار به من لا يحير له
لم يخش أخرى الليالي فادحاً جلا

(١) يقال غرناطة وأغرناطة. اتخذها بنو الأحمر عاصمة للدولة منذ آل الحكم إليهم سنة ٦٣٥هـ.

وصارت غرناطة منذ أوائل القرن الخامس مركز كورة البيرة بعد انتقال أهل مدينة
إلبيرة إليها.

(٢) قصر الحمراء، دار الملك النصري بغرناطة.

إِنَّ المَدَائِحَ طَرّاً لَا تَفِي أَبَداً
بِبَعْضِ مَا قَدْ تَحَلَّيَ مِنْ نَفِيسٍ عَلَا

فَالْحَزَمُ وَالْعِزْمُ وَالْإِقْدَامُ شَيْمَتُهُ
وَالْجُودُ مِمَّا عَلَى أَوْصَافِهِ اسْتَمَلَا

25 إِنْ قَالَ أَجْمَلٌ فِي قَوْلٍ وَأَبْدَعُهُ
وَالْفِعْلُ أَجْمَلُ مِنْهُ كَلِمًا فَتَعَلَا

يُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَيُعْطِي عِزّاً نَائِلَهُ
مَنْ قَدْ رَجَاهُ وَلَا اسْتَجْدَى وَلَا سَأَلَا

مَنْ سَأَلَنِي عَنْ بَنِي نَعْمٍ فَلَا أَحَدَهُ
مِنْهُمْ بِأَبْلَغَ مِنِّي كَلِمًا سَثَلَا

هُمْ الَّذِينَ إِذَا مَا أَمْتَحُوا ابْتَهَجُوا
أَسْنَى الْعَطَاءِ وَأَبْدُوا لِإِثْرِهِ الْخَجَلَا

هُمْ الْآلَى مَهْدُوا أَرْجَاءَ أَنْتَدَلْسُ
إِذْ حَكَمُوا فِي الْأَعَادِي (١) الْبَيْضَ وَالْأَسَلَا

30 فَإِنْ تَسَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ الرَّهْمَانِ فَلَمْ
تَعْدَلْ بِأَحَدِهِمْ فِي سَنَةٍ بَطَلَا

مَنْ ذَا يُجَارِيهِمْ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ
أَيَسْبِيهِ الْبَحْرُ فِي تَثْمِيلِهِ الْوَشَلَا (٢) ؟

(١) في « ط » الأعداء وفي « م » الأعداء ، ونزج ما أثبت .

(٢) الوشل : الماء القليل « يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره » .

مولاي يا خير من للنصر قد رفعت
راياته ولوائه الفخر قد حملا
لله عيني لما أبصرتك وقد
أعددت بين يديك الخيل والخولا^(١)
وأنت في قبة يسمو بها عمدة

أقام مناد أمر الدين فاعتمدا
35 الجيش يعشي عيون الخلق منظره
لما اكتسى منك نور الحق مكملا
لا غرو أن شعاع الشمس يشمل ما
أضحى عليه إذا ما لاح منسدلا

[٤٢ / أ]

وراية النصر والتأييد خافقة
قد أسبل الله منها النصر فانسدا
والخيل قد كسيته أثواب (...)^(٢)
(فمن براقعها)^(٣) قد ألبست حللا؟

تري الحماة عليهن يوم عرضهم
يمشون من فرط زهو مشية الخيلا
40 فمن رمة قسي العرب عدتها
تحكي الأهله منها ، نورها اكتملا

(١) الخول : الأتباع .

(٢) كلمة لم تظهر في « ط » واضطرب ناسخ « م » في رسمها .

(٣) أقرب ما يمكن أن يستخلص من رسم « م » ، وهي متأكدة في « ط » .

ومن كفاة شِداد البأسِ شأنهم
أنْ يعملوا البيض والحطِيبَةَ الذُّبلا
بِسمعِكَ انتظمتْ تلكَ الجيوشُ لأنْ
أشبهتْ في نظمِها أسلافَكَ الأوَّلا
لا زلتَ تزدادُها نُعمى مُضاعفةً
(لها .. (١)) الأرض منها السَّهْل والجَبلا
44 وخلق اللهُ مِثلَكَ أَنْتَ ناصِرُهُ
ما عاقَبْتْ بِكُورٍ من دَهْرٍنا الأصِلا



(١) فيها «لها» ، ولا يستقيم بها الوزن ، ولا يظهر المعنى .

الباب التاسع

فيما بلغنا من شعر قضاة بلاد الأندلس وقضاها

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب :

محمد بن أحمد الحسيني *

يكنى أبا القاسم ، وأدركته ، ورأيت .

ونسبه : هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم بن عبد

(*) أبو القاسم محمد بن أحمد ، الشريف الحسيني ، أصله من سبتة ، ونزل غرناطة . (ولد ٦٩٧ ، وتوفي ٧٦٠ ، وقيل ٧٦١) . واشتهر بالشريف الغرناطي لطول ملازمته إياها وتولييه القضاء زماناً بها ، وتكليفه بالكتابة والخطابة . كان في رؤوس القضاة والكتاب الشعراء . شهد له تلامذته ومعاصروه بالفضل والتقدم إلى ديانة وتصاون . وقد توفي في غرناطة وهو على قضاها . للشريف مؤلفات منها شرح على مقصورة حازم القرطاجني سماه : رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (ط) . وشرح على الخزرجية في العروض (خ) .

(ترجمته وأخباره في : نثر فرائد الجمان : ٢٣١ ، والإحاطة ٢ : ١٢٩ ، والمرقبة العليا : ١٧١ ، والديباج المذهب : ٢٩٠ ، والدرر الكامنة ٣ : ٤٥٢ . ودرة الحجال : ١٠٤٢٨ ونفح الطيب ٧ : ٣٣٩ وجذوة الاقتباس : ١٩٣ ، والتعريف بابن خلدون : ٦١ . وللأستاذ العلامة عبد الله كنون عدد في سلسلة مشاهير رجال المغرب عن الشريف ، برقم ٢١ . وهو يتشدد في تسميته بالشريف السبتي) .

الله بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن جثنون بن القاسم بن الحسن بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب ، كرم الله وجوههم .

وهو من أهل سبته ^(١) ، وارتحل عنها إلى غرناطة ، فاستكتبه في الحضرة السلطانية أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل عمّ أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد ، وجعله من كتّاب الإنشاء ، ثم قلّده القضاء والخطابة بغرناطة . وولي أيضاً مالقة ^(٢) القضاء ثم ولي أيضاً القضاء بغرناطة ثانية في دولة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد (المخلوع) .

حاله - رحمه الله - :

احتوى على مجل من الآداب رائقة ، وطرائق في الإنشاء فائقة . وشعره يشبه بالشجور لو نظمت سلكا ، ويجري مع النفوس فيملكها ملكا . وحصل من علم البيان مفيدة وعجيبة ، ومعرفة باللغات الغربية . وقوة نفس في استخراج المعنى ، ولو أنفذ ^(٣) فيه المثلغز مرمى . وتقنن في جميع العلوم ، والمعرفة منها بالجهول والمعلوم ، وثقوب ذهن في الآداب والفهوم ^(٤) .

(١) سبته مدينة عظيمة على بحر الزقاق ، وهي تقابل الجزيرة الخضراء بالأندلس . وهي مدينة قديمة . والبحر يحيط بها من كل جهة إلا من جهة الغرب . وكان للمدينة شأن أيام ازدهار الأندلس ، وأيام الدولتين الموحدة والمرينية .

(٢) مالقة من مدن الأندلس ، وثغر بحري هام لدولة غرناطة ، على شاطئ البحر المتوسط .

(٣) في الاصلين : أنفذ (بالبدال المهمة) ونرجح ما أثبت .

(٤) كذا وردت العبارة فيها .

فمن قوله يتغزل (١) :

- دَعَيْني من مقالِ العاذِلَيْنِ وَخَلَسِي بين تَهْنِئامي وَبَيْني
وَمِنْ يَكُ سائِلًا (٢) فَلَدِي حُبٌ سلوهُ القلبِ مِنْهُ غَيْرُ هَمٍّ
عَلَقْتُ ، فمَقَلَّتِي للنومِ حَرْبٌ بأَعْزَلٍ ، وَهُوَ شَاكِي (٣) المَقْلَتَيْنِ !
مَلِيحُ الدَّلِّ شَاقَتْ كُلُّ قَلْبٍ شَمَائِلُهُ ، وَرَاقَتْ كُلُّ عَيْنٍ
جَنَى وَحَمَى فَلَمْ أَطْلُبْ بِنَّارِي 5 مُحَاجِرَهُ ، وَلَمْ أَتَقَاضَ دَيْنِي
أُهِمُّ بِخُدَّةٍ وَبِمِسْمِيهِ
عَقَدْتُ مَعَ الْغَرَامِ فَبَعْتُ فِيهِ وَفَارِي وَالتَّصْبِيرَ صَفْقَتَيْنِ (٤)
وَهَمْتُ بِنِاعِمِ الْعِطْفَيْنِ فِيهِ عَذَابُ الصَّبِّ ، عَذَابُ الْمُرْشَفَيْنِ
تُذِيرُ عَلِيٌّ عَيْنَاهُ كُؤُوسًا كَأَنَّ سُلَافَهَا مِنْ رَأْسِ عَيْنٍ (٥)
فَأَحْلَفَ بِالْمُحْتَضَبِ وَالْمُصَلَّتِي 10 وَأَعْلَامِ الصَّقَا وَالْمَازَمِينَ (٦)
لَا تُنْصِرَنَّ بِالْأَجْفَانِ حَتَّى تَكُونَ دُمُوعُهَا فِي الْحَبِّ عَوْنِي

(١) أورد ابن الأحمر معظم القصيدة في كتابه الآخر ، نثير فرائد الجمان ، وسنقابل عليه . وأوردها الأستاذ كنون في ترجمة « الشريف السبتي » نقلاً عن الكتابين .

(٢) في نثير الفرائد : سالياً .

(٣) شاكي المقلتين ، من قولهم « شاكي السلاح » : ذو شوكة وحدة .

(٤) الحمى والأبرقان : مواضع . والأبرقان أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل بعد رميلة اللوى بطريق البصرة إلى مكة .

(٥) رأس عين أو رأس العين من مدن الجزيرة وبقرية من نصيبين ، ذكرها الشعراء بجودة الحمر ، ومنهم حسان في شعره الجاهلي .

(٦) المازمان بين عرفة ومزدلفة .

وحين تعرفوا كسلفي وقلي
يصون السر عنهم كل صون
كففت المقلتين ليشهدا لي
فجرتحت الدموع الشاهدين!
[٤٣ / أ]

فلو أبصرت ناظري المعنى
وماء الدمع فوق الوجنتين
بصرت بوردتين يسح منها
سكيب القطر فوق بهارتين (١)

إذا عرضت أعرض كل صبر
وآذت نوم أحداق بيمين
ولم تبأ (٢) الرياض بحسن زي
ولم تزه الرضا بكال زين

كان نسيمها من أفاقي
تهب عيلة بالأبردتين (٣)
كان الزهر غب سما بكتنه
لما أبدى حمام الشاطئين (٤)
أهيج لها الهوى وتهمج به لي
فستلني في الهوى مشتطار حنين
وقد هاج الحمام الوجند قبلي
لتوبة عند بطن الواديين (٥)

(١) البهار: الترجمس .

(٢) في نثر الفرائد: تبد . والبأ : الفخر والتعظيم .

(٣) الأبردان : الغداة والعشي .

(٤) في نثر الفرائد ، وفي الأصولين المخطوطين لنثر الجمان : غب بها . وقرأها الأستاذ كنون (غب سما) وهي قراءة مناسبة اعتمدها .

(٥) توبه بن الحمير (ت ٨٥) شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلي الأخيلية (وهي من شواعر العرب) ، وخطبها فردة أبوها ، وزوجها غيره . فتغزل بها واشتهر أمره . وله مع ليلي حديث طويل (الأغاني ١١ : ٢٠٨ دار الكتب) وهو القائل :

حمامة بطن الواديين ترغي سقاك من الغر الغوادي مطيرها

- بعيشك هل تشرى ثاني وحيد
يرى بك ثالثاً في النسيئين ؟
- وهل يدنو من الآمال صب
بعيد بين هذب الناظرين ؟
- فإن يكن الجمال جباك ملكاً
وأبسد ناظريك بحاجبين
- 25 فما أَرْضَى للملك أن كسرى
وقصر في مقام الحاجبين (١)
- وإن أقل حظ يبتغي من
رضاك يفي بملك الحارثين (٢)
- تخبرني وفي عطفيك لين
فعالك أن قلبك غير لين ! (٣)
- وأعرف في لحاظك ما رأت في
طبي الشقي قاتلة الحُسين (٤)
- وألقي في الهوى بيدي ومالي
على فتمكات لحظك من يدين
- 30 علام الغيب عني؟ لا أغبت
بك الحسرات هامية السدين !
- ولا جرت الرياح عليك إلا
صبا وسقى محللك كل جَوْن (٥)

(١) الحاجبان في البيت السابق هما المعروفان فوق العينين. والحاجبان هنا منقح حاجب، وهو من يقوم على حجابة الملك، وتنظيم الصلة بينه وبين الناس.

(٢) قال المحبي في جنى الجنتين (٣٧-٣٨) الحارثان هما: الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع (من فتاك العرب في الجاهلية) والحارث بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحاملة (من فرسان الجاهلية).

(٣) في نثر الفرائد: « فعالك عن فؤاد غير لين ».

(٤) خرج المختار بن عبيد الشقي على بني أمية فدعا باسم محمد بن الحنفية، وغلب على الكوفة والموصل، وتبّع قتلة الحسين بن علي رضي الله عنها، فقتل كثيراً منهم.

(٥) الجون: الأسود. وإذا كان السحاب جوناً كان أكثر ملاءمة للعطر الغزير.

الفقيه الخطيب علي بن أحمد الحسني (*) :

[٤٣ / ب]

يكنى : أبا الحسن ، وأدركته بسنني ، ويُعرف بالأحيمر ، وهو من أهل مالقة .

حاله - رضي الله عنه - :

هو صدر الصدور ، وواسطة الشذور ، ورضيع ثدي الدين ، ومعدن الورع المتين . راح في ميدان الصلاح وغدا ، وتوشح بفضل عن الفلاح . وارتدى . وطلع في سماء الأدب شهاباً ، وبرز في ميدان الفصاحة أيقامها . وهو في العلوم مشارك ، وآخذ في حفظها غير تارك .

فمن قوله يمدح (**) :

الآن تطلبُ ودَّها ووصالها

من بعد ما شغلتَ بهجرِكَ بآلها (١)

(*) ترجم له في نثر الفرائد ، وأثنى عليه ، وقال فيه « الشريف الفقيه الخطيب الصالح » . وترجم له لسان الدين في الكتيبة الكامنة في الباب الذي خصه للخطباء والصوفية ، وقال « رجل وقار وسكون له إلى الخير ركون . . . وله شعر يجيد ويجيد » . ولم يذكر ميلاده ووفاته .

(نثر فرائد الجمان : ٢٣٥ ، والكتيبة الكامنة : ٦٢) .

(**) القصيدة - كما قرر في نثر فرائد الجمان - في مدح صاحب غرناطة السلطان إسماعيل ابن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف (حكم ٧١٣ - ٧٢٥) .

(١) القصيدة في نثر الفرائد (ص ٢٣٦ - ٢٣٨) عدا الأبيات : ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، وورد منها في الكتيبة الكامنة الأبيات (١ - ٢٢) بزيادة بيت بعد البيت الأول . و (٤٢ - ٤٦ - ٤٧) ، بزيادة (٧) أبيات في قسم المديح .

وَأَتَيْتَهَا مَتَلْبَسًا بِرَوَائِعِ

نُكْرِ بِفُودِكَ أَصْبَحَتِ (١) عُنْدَهَا

بَيْضُ تَخِيلُ لِلنَّفْسِ نُصُولَهَا

سُمْرًا تَحْوِلُ لِلشُّحُورِ نِصَالَهَا

مِثْلُ الْأَفَاعِي الرُّقُطِ تَنْفُثُ فِي الْحَشَا

وَأَرَى بِفُودِكَ جِثْمًا (٢) أَصْلَاهَا

5 نَارُ تَضَرَّمُ فِي الْفُؤَادِ حَرِيقَهَا

لَكِنْ تُنِيرُ (٣) بِمُفْرِقِكَ ذُبَابَهَا

جَزَعَتْ لِهَذَا الشَّيْبِ نَفْسِي وَهِيَ مَا

زَالَتْ تَهْوَنُ كُلَّ صَعْبٍ نَالَهَا

وَلَكُمْ صَدَعَتْ بِذَافِرٍ مِنْ عَزَمَتِي

يَهْمَاءَ (٤) لَا يُهْدَى الْعَلِيمُ ضَلَالَهَا

صَادَمْتُ مِنْ كَرْبِ الدَّائِي أَسْتَأْتَهَا

مَا خَفْتُ غُرْبَتَهَا وَلَا إِقْلَالَهَا (٥)

وَلَمَنْ تَقْلُصْ عُسْرَتِي فِي الْعَيْنِ

عَنِّي ، فَلِي نَفْسٌ تَدُهُ ظِلَالَهَا

(١) في نثر الفرائد : صبحت .

(٢) في الكتيبة : كنها .

(٣) في الكتيبة : تشب .

(٤) الهماء : المفازة لاعلم (لا أثر) بها .

(٥) في الكتيبة : إخلالها .

10 ما مزقت° ديباجتي عين° امرى°
 عرضت° عليه النفس° قط° سؤاها !
 ألقى الليالي غير هيّيب°^(١) صرفها والأسد غير مجنّب° أغياها
 أمشي الهووينى والعادة تمر° بي مره°^(٢) يطير عن الجياد نساها
 علمت° لي الخلق الجميل محققاً وتسيء° في° على عمى° أقواها
 [٤٤ / أ]

تبغى اثنيائى° ، هل سمعت° بنسمة°
 مرت° على نجد° تهز° جباها !
 15 ولربما عرضت° ليعينى نظرة°
 يرضى الحكيم° غرامها وخباها
 من غادة° سرق° الصباح° بهاءها
 والبدرد° في ليل التمام° كالها
 تهوى المجرّة° أن تكون نجومها
 من حلتيتها° ، وهلاها خلخاها
 عرضت° كما مرت° بعينك° مطّفل°
 ترعى° بنّاظرها الكحيل° غزاها
 ما نهنت° نفسى° وإن ضمنن°^(٣) لها
 عبراتها° يوم الوداع° وصاها

(١) في الكتيبة : غير طيب .

(٢) في الكتيبة : تمر في جري . والنسال : ماسقط من الشعر عند نسله .

(٣) كذا في نثير الفرائد أيضاً . وفي الكتيبة : ظمئت .

20 من كان يأمل أن يقوم بمجلسٍ

حطت به شهبُ السَّما أثقالها

يحيى (١) أحاديث السَّراة أولى الشَّهي

نصلي ويتضرب في العُلا أمثالها

ألقى هواهُ جانباً وهوت (٢) به

وجناء تُدمن في الدُّجى إعمالها

منها في المدح :

ألبستَ دينَ اللهِ حِلَّةَ آمينِ

أضفتَ على أسرابِهِ (زلزالها) (٣)

أنتم بني نصرٍ نصرتم مِلَّةَ الـ..

..إسلامٍ حين شكتَ لكم خُدالها

25 كنتم لنا أهلاً ورحبتم بنا

في العُدوتينِ (ومنهم انزالها) (٤)

نزلتَ على سَعْدٍ (٥) ليُسعدَ جدُّها

وأوتَ إلى نصرٍ لينصرَ آلهَا

أحرزتم يوم السَّقيفةِ (٦) قِتوَدَها

دون الأنامِ وقيدَها وشكالها (٧)

(١) في الكتيبة : يحيى .

(٢) في الكتيبة : وسرت به .

(٣) في الأصلين : زلزالها . ولم يرد البيت في المصادر الأخرى .

(٤) كذا وردت العبارة في الأصلين ، وفي نثر الفرائد . ولعلها : وصنتم .

(٥) الإشارة إلى جد الأسرة النصرية الصحابي الجليل سعد بن عبادة .

(٦) سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة ، والإشارة واضحة .

(٧) القود : الناقة ، والشكال : الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .

لكن حبوئتم من أجرئتم مينةً
 بخلافه الله التي يعنى لها (١)
 إذ تؤثرون سواكم قالت بهذا
 أي الكتاب (٢) ، فمن يرد مقالها ؟
 30 حتى إذا عثرت ولم ينهض بها
 إلاكم بادرتهم إنشالها
 أو يئتم خير البرية كلتها
 ومغيثها ونجاتها وثمالها
 من التيس الشرف الرفيع وضيعها
 وكسا مئصفرة الحجا جهتها
 وكسا مئصفرة الحجا جهتها

[٤٤ / ب]

ومنها :

لما تحققت النبوة أنها
 وقد قاعست عن منعها أعمامها
 35 فوثبت مثل الليث لنصرها
 فأدرتم منها زبوناً أصبحت
 قد زلزلت منها الورى زلزالها
 أمت أمة نصرها أخوالها (٣)
 والحرب تخطف خلفها أمثالها
 ترمي رؤوس الملأجدين ثفالها

ومنها :

« بدر » وما بدر وردم قليبها
 ولکم « بأوطاس » (٥) وقد تحمي الوطيس على العیدی يوم أطاح بحالها
 فنزعتم أرواحها ، وسبيتم أولادها ، وسلبتم أموالها
 يجنادل الطاغوت تملأ جالها (٤)

(١) عشى إلى النار : رآها من بعيد فقصدها .

(٢) يشير إلى الآية الكريمة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

(٣) الإشارة إلى خؤولة النبي صلى الله عليه وسلم في الخرج .

(٤) الجال : جانب البئر ، والقليب : البئر . والإشارة إلى وقعة (بدر) .

(٥) أوطاس : واد بديار هوازن فيه كانت وقعة حنين .

- 40 وَذَهَبْتُمْ بِالْمُصْطَفَى لِدِيَارِكُمْ
وَحَبَابِ سِوَاكُمْ شَاءَهَا وَجَمَالُهَا (١)
فَزِتُمْ بِهِ فُوزَ الْمُعَلَّى مَنَحَةً أَحْرَزْتُمْ دُونَ الْأَنَامِ مَنَالَهَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مِّنْ مُلْكِهِ جَنَّتِ الْمُلُوكُ جَمَالَهَا وَجَلَّالُهَا
مَا زَالَ حَزْبُكَ فِي الْوَرَى يعلُّوْ عَلَى
مَرَّ الدُّهُورِ وَيَعْتَلِي أَجْبَالَهَا
حَتَّى حَمَلَتْ مِنَ الْجَادَةِ ذُرَّةً
مَا حَلَّ غَيْرُكَ فِي الْجَادَةِ حَالَهَا
45 تَحْمِي الْهَلْدَى، تَهْمِي النَّسْدَى، تُولِي الْجَدَا
وَتَقِي الرَّدَى، وَتُري الْعِدَا أَوْجَالَهَا (٢)
خُذْنَاهَا كَمَا دَارَتْ بِكَاسِ سُلَافِهَا
حَوْرَاءَ تَمْزِجُ بِاللَّسْمَى جِرْيَالَهَا (٣)
تُثْنِي عَلَى السَّحَرِ الْحَلَالِ وَشَاحِبِهَا
وَتُثْدِرُ مِنْ خَمْرِ الْفُتُونِ حَلَالَهَا !

(١) الإشارات كثيرة إلى ما كان في حنين وبعدها .

(٢) في نثر الفرائد : ترمي العدا أوجالها .

(٣) الجريال : صبغ أحمر !

الفقيه القاضي الخطيب محمد بن محمد السلمي (*) :

يكنى : أبا البركات ، ويُعرَف بالبَلِّغِيّ ، وبابن الحاج . وأدرّكه ورأيتُه . وأصل سلفه [٤٥ / أ] من بَلِّغِيّ (١) ، من بيت العلماء والمحدثين والحفاظ . وكان أبوه محمد بن إبراهيم محدثاً حافظاً متفناً في العلوم .

وإبراهيم : والد محمد كان فقيهاً إماماً عالماً محدثاً حافظاً ؛ رأيتُه .

ونسبه : هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف ابن محمد بن سليمان بن سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير ابن أبي عيشون عياش بن محمود بن عَنَسْبَة بن حارثة بن العباس بن مِرْدَاس السَّلْمِيّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(*) أبو البركات ابن الحاج البليغيّ ، (ت ٧٧٣) وقيل ٧٧١ واحد من شيوخ غرناطة وقضاها المعدودين في القرن الثامن . كان شيخ لسان الدين بن الخطيب وطبقته . وهو ينتمي إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي .

نشأ بمدينة المرية وتلقى علومه فيها وفي مدن الأندلس الأخرى. ورحل إلى المغرب أكثر من رحلة قاصداً العلم والعلماء ووصل حتى بجاية . وعاد إلى الأندلس فولّي القضاء في عدد من بلدانه كإبرية ، ومالقة ورحل إلى المغرب في أغراض سلطانية . ولأبي البركات تصانيف متعددة الأغراض منها : تاريخ المرية ، والمؤتمن على أبناء أبناء الزمن . وخلف ديوان شعر كان متداولاً معقوبه .

أنشأ عليه الذين ترجوا له بالفهم والفضل وإفادة طلبة العلم ، وكان أصحابه وقلامته يقدمونه ويقدرونه غاية التقدير والتبجيل .

(انظر ترجمته وأخباره في : الإحاطة لابن الخطيب : ١٠٢ ، والكتيبة الكامنة له ١٢٧ والمرقبة العليا للتباهي ١٦٤ ، والديباج المذهب لابن فرحون : ١٦٤ ، والتعريف لابن خلدون : ٦١ ، ونفح الطيب ٥ : ٤٧١) .

(١) بليغيّ : حصن من عمل مدينة المرية .

والدّاخِل من أجداده إلى الأندلس من المشرق هو محمود بن عنبسة ؛ دخلها مع موسى بن نصير .

وولاه القضاء ^(١) في سنة سبع عشرة وسبع مئة بشبالش ، أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدتنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج . ثم لم يزالوا يوالونه ^(٢) القضاء والخطابة بغرناطة وغيرها من البلاد ، أبناء عمتنا الملوك من بني الأحمر آل نصر .

فلما ولي الملك ابن عمتنا أمير المؤمنين الغالب بالله المتوكل على الله أبو عبد الله محمد قدمه على قضاء الجماعة بغرناطة بطول دولته . وبعثه رسولاً للملك العدو ؛ وهو أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم . فلقبته بفاس ، وأنا إذ ذاك بها في حضرة الملك من بني مَرّين حين أخرجنا بنو عمتنا الملوك من بني الأحمر آل نصر ، فطلبت منه أن ينشدني من شعره فأنشدني ما نذكره إن شاء الله تعالى .

حاله :

هو علم أعلام القضاة ، وصاحب الخِلال المُرتضاة . ورجل الحديث وأسد رجاله ، وعلامة العلم وفارس مجاله . وعالم الرواية ، والمحصل للدراية . وربّ البلاغة والفصاحة ، ومبرز ميدان الذكاء والسّماحة . وباعه في القراءات مديد ، ورأيه في الأحكام سديد . وبيته بيت عِلْم سحّب من الصّوّن ذيلًا ، وقصّوَعَت من عَرَف عِرْفانه نَواسم الجلالِ نهاراً وليلاً .

(١) عود الحديث إلى صاحب الترجمة .

(٢) كذا في النسختين : وترى أنه استعمل لغة « أكلوني البراغيث » .

أنشدني لنفسه (١) :

يَفْنَى الهَوَىٰ وَغَرَامُ عَزَّةَ بَاقٍ وَالشَّوْقُ يَنْذَهُبُ مَا عَدَا أَشْوَاقِي
حَلَفَ الهَوَىٰ أَلَا يَفَارِقَ مُهْجَتِي طَوْلَ الزَّمَانِ إِلَى بُلُوغِ تَرَاقِي
فَالْوَجْدُ مَا طَوَّيْتَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

وَالدَّمْعُ مَا جَادَتْ (٢) بِهِ آمَاقِي

أَنَا فَارِسُ الْمُشْتَاكِ مَا مِنْهُمْ فَتَى يَهْتَرُ بَيْنَ يَدَيَّ يَوْمَ سِبَاقِ
5 وَإِذَا هُمْ يُعَدُّونَ خَلْفِي مُسْرِعًا لَمْ يَظْفَرُوا يَوْمَ الهَوَىٰ بِسِلَاقِ
فَأَنَا الَّذِي عَرَفَ الرِّجَالُ مَقَامَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي مَصْرَعِ الْمُشْتَاكِ
قَالُوا لِيَعَاذِلْنَا وَعَاذِرِنَا وَمَا بِي مِنْ غَرَامٍ مِنْهُمْ وَوَفَاقِ (٣)
قَدْ صُمْتُ أَذِنِي عَنْ حَدِيثِكُمْ كَمَا عَمِيتْ إِذَا شَاهَدْتِكُمْ أَحْدَاقِي !
إِنْ شِئْتَ تَعْلَمْ هَلْ شَعَرْتُ بِأَمْرِكُمْ

أَمْ لَا ، فَهَاكَ أَنْظِرُ إِلَى اسْتِغْفَرَاقِي
10 الْحَالُ أَغْلَبُ وَالِدَلِيلُ مُؤَخَّرُ وَالْحُكْمُ فِي ذَا الْبَابِ لِلْأَذْوَاقِ
دَعْنِي وَعَزَّةَ وَالْغَرَامُ فَإِنَّهُ تَثْلِيثُ تَوْحِيدٍ بَغِيرِ نَفَاقِ !
دَاءُ الهَوَىٰ مَا إِنْ أَدِينُ بِبِئْرَتِهِ مَا لِلطَّبِيبِ وَلِي ، وَمَا لِلرَّاقِي ؟ !

(١) قال التباهي في ترجمته له (١٦٥) : وكان التكلم بالشعر من أسهل شيء عليه في كثير من مراجعاته وفنون مخاطباته . وله منها ديوان كبير يحوي من ضروب الأدب على جسد وهزل ، وسمين وجزل سماه بـ «العذب والأجاج» .

(٢) في النسختين : ماجأت ، ولعله تحريف عما أثبت .

(٣) كذا البيت في النسختين ، ولعل مطلعته : قولوا .

هي عيلةٌ أو سكرةٌ لا ترجي
صجّوا ، وكيف وما عدمتُ الساقى ؟
لله ساقٍ في حلاوةِ كأسِهِ للمُدْنَفِ الهيمان مرهُ مذاقِ
15 وأمرهُ من محنِ الهوى أن لم أبلُ
بعظيمِ ما في جنبِ ذاك ألاقِ
يا قلبُ كم أَسْعَى ومالي تخلصُ
نحو التفلتِ من شديدِ وثاقِ
لله ما يلقاهُ أربابُ الهوى
من كئيلٍ ما يفري عُرَى الأعناقِ
لا غرو أن يشقى الحبُّ بعده
إن لم يدينْ محبوبُهُ بتلاقِ
الموتُ كلُّ الموتِ أنّي مُبْتلى
بفراقٍ من يشكو أليمَ فراقى !

[٤٦/أ]

20 يا مَنْ فؤادي في وصالِ جِلالِهِم
ما زالَ في طمعٍ وفي إشفاقِ
إن كان دهرٌ قد قضى بفراقنا
فَعَسَاكُمُ لا تنقضوا (١) ميثاقى !

(١) لا هنا : النافية . وأظن الوزن أجأه إلى الضرورة .

وأنشدني أيضاً لنفسه ، يخاطب بعض الطلبة معتذراً له وقد
[غفل عنه] في بعض حلق العلم ^(١) :

إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتَ
بَصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانَهَا
لَا غُرُو أَنْتِي لَسَمِّ أَشَاهِدُكُمْ
فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِنْسَانَهَا !

وأنشدني أيضاً لنفسه في البعاد ^(٢) :

قَالُوا تَقَرَّبْتَ عَنْ أَهْلٍ وَعَنْ وَطَنِ
فَقُلْتُ لَمْ يَبْقَ لِي أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
مَضَى الْأَحِبَّةُ وَالْأَهْلُونَ كَلَّمْتُهُمْ

وَلَيْسَ لِي بَعْدَهُمْ سَكْنَى وَلَا سَكْنُ
أَفْرَغْتُ دَمْعِي وَحُزْنِي بَعْدَهُمْ فَإِذَا ^(٣)

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَا دَمْعٌ وَلَا حَزَنُ !

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَدْوَةً فِي سَادَةِ
عَدَوَا بَغِيرِ رِضَايَ مِنْ أَكْفَائِي

فَاجْتَا حُفَّتُمْ رِيبُ الْمُنُونِ فَاصْبَحُوا
رَهْنَ الثَّرَى نَبَأَ مِنَ الْأَنْبَاءِ

وَأَقَامَ بَعْدَهُمُ الزَّمَانُ صِفَارَهُمْ
رَغْمًا أَمَامِي ، وَالْكَبَارُ وَرَائِي !

(١) البيتان في الإحاطة ٢ : ١١٢ وفيه : إنه قالهما بسببته . ومما في نفع الطيب ه :

٤٨١ ، وفي المرقبة العليا : ١٧٦ .

(٢) البيتان في المرقبة العليا : ١٦٦ .

(٣) في المرقبة : فأننا .

لم أَرْضَ بِالطَّيْرِفِ الْعَتِيقِ مُسَابِقًا
فَبَيْلَيْتُ بِالْجَرَّانِ خَلْفَ الشَّاءِ !
وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي الْمُحْجَبَةِ (١) :
وَمَصْفُورَةِ الْخَدَّيْنِ مَطْوِيَةِ الْحَشَا
عَلَى الْجَبَنِ وَالْمَصْفَرِّ يُؤْذَنُ بِالْخَوْفِ
لَهَا هَيْئَةٌ كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَلَكِنَّهَا فِي الْحَيْنِ تَغْرُبُ فِي الْجَوْفِ !

الفقيه الكاتب القماضي محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي (*) :

[٤٦ / ب]

يكنى : أبا بكر . وأدر كتبه ، ورأيت . وكتب في الحضرة السلطانية
لأبناء عمنا الملوك من بني نصر . وصالتي بالسلطان منا بمسجد قصره في
تراويح شهر رمضان . ثم صلتني بالناس بالمسجد الأعظم من الحضرة بعد
ذلك . ثم ولي قضاء الجبل من غرناطة ، ثم عزل عن ذلك الموضع وولي
قضاء بسطة (٢) .

(١) البيتان في الإحاطة ٢ : ١١٣ ، والمرقبة العليا : ١٦٦ ، ونفح الطيب ٥ : ٧٨١ ،

(*) ترجم لسان الدين بن الخطيب في الكتبية الكامنة (ص ٥١) لوالد المترجم به هنا وهو
أبو علي عمر بن علي بن عتيق القرشي ، وقال إنه رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج
وأنه «له شعر قليل» . وترجم في الكتاب نفسه ص ٢٠٠ «للكاتب أبي بكر محمد
ابن محمد بن عمر بن علي القرشي» وكانت بينه وبين لسان الدين مراسلات ومطارحات
شعرية (ص ٢٠١) . ويرجح عندي أنه أبو بكر محمد بن عمر بن علي صاحب الترجمة
عند ابن الأحمر . ويكون مافي الكتبية من أنه (محمد بن محمد) سهواً من ناسخ النسخة
المتعمدة هناك ، حين زاد (محمد) بين الأب عمر وابنه أبي بكر محمد .

(٢) بسطة : مدينة بالغرب من وادي آش ، وهي من كور جيان .

حاله - رحمه الله تعالى -

كاتب الإمارة وقاضيا ، ومنفذ أحكام الشريعة ومُنْضِيها ، وخطيب
الحفل ، وإمامُ الفرَض والنسفل . وفريد البلاغة التي لا يشحُّ يُنبوعها ،
ووحيد الفصاحة التي لا تقفر من البراعة رُبوعها . وروضة العِلْم التي
تفتَحَتْ فيها للفنون أزهير ، ورافعُ راية الأدب التي عجز عن حملها
كل ماهر .

فمن قوله يهنئ أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي
الوليد إسماعيل عمّ أئينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ، بإبلا
من مرّض .

عادتْ بِبِئْرَتِكَ بهجة الأيتامِ
واستقبلتْكِ بشغرها البسَامِ
وغدتْ عليك وفود راحتيك التي
نهبتْ جيموش الشقم والآلامِ
فانزاح عَنْكَ الضيّرُ غير معاودِ
وأُتيحُ بالآمال كلُّ مرامِ
فاستأنف العمرَ الطويلَ فهذه
بُشرى السعادةِ آذنتْ بدوامِ

ومنها :

5 فلأنتَ حائزُ خَصْل^(١) كلِّ فضيلة
في الدّين يومَ تراهنِ الأقوامِ

(١) أحرز خصله ، وأصاب خصله : غلب .

ولأنّنتَ أزهاهمُ وأطولهم يَدًا
 في الحالتين : النّقْضِ والإِبْرَامِ
 برزت فوقَ النّجمِ في طلبِ العُلا
 والغَيْمِ كَعُ^(١) ومالَ للإحْجامِ
 أفعالُ أسرتك التّدين تَسْنِمُوا
 مرّقى العُلا فَعَلُوا على بهرامِ^(٢)
 وتميّزوا بين الأنامِ بيمَجْدِهِمُ
 كتميّزِ الأعيادِ في الأيامِ

[٤٧/أ]

10 قَتَمُوا إذا افتخَرَ الكيرَامُ فإنّهمُ
 غَوَتْ الصّريخُ وقَاتِلُوا الإعدامِ
 فضحوا البيحارَ وكلّ طوْدٍ راسخٍ
 بِندامهمُ ورَجَاحَةِ الأحلامِ
 وكفى بِهِمُ شرفاً على من غيرهم
 حُبُّ النّبيِّ ونُصرةُ الإسلامِ
 أمّا بنو نصرٍ فأرواحٌ ، رَها
 حَيِّي الورَى ، والنّاسُ كالأجسامِ
 والقَومُ جِسمٌ ، يوسفٌ هو روحه
 وُصِلَتْ لَهُ الأعوامُ بالأعوامِ
 15 قُطِبَ إذا دارُوا ، وواسطةٌ إذا
 نَظَمُوا ، وشمسٌ ضُحِي وبدرٌ قَمامِ

(١) كع : جبن وضعف .

(٢) بهرام : كوكب المريخ .

هو واحدُ الدُّنيا الذي إن يُرْتَجَى
كالغَيْثِ أو يُخْشَى فَكَالضَّرْغامِ

طَلَقُ الْجَبِينِ مُحِبُّهُ فَكَأَنَّهُ
جَذِبَ الْقُلُوبَ أَنْفُسِهِ بِزَمَامِ

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الذي إِنْعامُهُ
أَبْدَأَ يَسْحُ ، ولا انْشِكَابُ غَمَامِ !

غَفَلَ الْأَنَامُ فَأَهْمَلُوا شُكْرَ الذِّي
وَهَيَّوْهُ مِنْكَ ، فَأَنْتَ خَيْرُ إِمَامِ

20 وَتَنَبَّهُوا لَمَّا اعْتَرَاكَ تَأَلُّمٌ
بِالْحَالِ أَتُكَّ غَايَةُ الْإِنْعَامِ

فَلَقَدْ تَشَكَّمِي مِنْ شُكَايِكَ مَنْ نَأَتْ
أَسْبَابُهُ فَضْلاً عَلَى الْخُدَامِ

والآن صَحِّ لَكَ الشِّفَاءُ وَكُلُّهُمْ
قَامُوا بِفَرَضِ الشُّكْرِ أَيَّ قِيَامِ

وَتَكَفَّلَتْ لَهُمُ السَّعُودُ بِمَا ابْتَمَعُوا
فَالْخَيْرُ أَجْمَعُ فِي الْبَسِيطَةِ نَامِ

فاسْتَشْهَدُوا الْبُشْرَى لِذَلِكَ بَيْنَهُمْ
وَأَصَاحَ سَمْعاً مُعْرِقٌ وَشَامِي

25 نَسَا (١) الْإِلَهَ لَنَا حَيَاتِكَ إِنَّمَا
ذُخْرُ الْأَنَامِ وَبَهْجَةُ الْأَيَّامِ

(١) نَسَا الله في أجل فلان ، من : نَسَا الأمر إذا أخره .

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن عبد الله بن جُزَي الكلي (*) :

يكنى : أبابكر ، وأدركته ؛ وهو من أهل غرناطة من أعلامها ، من
بيت العلماء والقضاة والخطباء (١) .

وأبوه ، أبو القاسم محمد كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة (**)

(*) أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي ، خطيب ، فقيه ، قاض ، كاتب ، من وجوه
غرناطة ، وهو واحد من أسرة بني جزي ، ويرجع أصل أسرة بني جزي إلى حصن
البراجلة من ولبة . واستقر أسلافه بغرناطة منذ أن صارت هي الحاضرة وكان أبو بكر
في جملة كتاب الدولة النصرية وقضاها . وله - إلى ذلك - مشاركة في شيء من التصنيف
والتأليف ، قال ابن الخطيب « له تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين
الفقهية ، ورجز في الفرائض » ومن جملة أعماله القضاء بحضرة غرناطة والخطبة
بمسجد السلطان ، وكان موصوفاً بالنزاهة والمضاء . ولد سنة ٧١٥ وتوفي سنة ٧٨٥
وكنيته في الإحاطة واللمحة البدرية أيضاً أبو بكر ، وكناه في الكتيبة الكامنة وبعض
نسخ اللمحة البدرية (حاشية ص ١١٦) بأبي جعفر .

(الإحاطة ١ : ٥٢ ، واللمحة البدرية : ١١٦ ، ١١٩ ، والكتيبة الكامنة : ١٣٨ ،
وبغية الوعاة ١ : ٣٧٥ والدرر الكامنة ١ : ٢٥٣ ، والديباج المذهب : ٤١)

(١) بنو جزي أسرة مشهورة من الأسر التي كان لها ظهور في دولة غرناطة في القرن الثامن
على الخصوص . وتعود شهرتهم في غرناطة إلى نبوغ عدد من رجالهم في علوم الشريعة ،
وفنون الأدب المختلفة ، ولاصطناع السلاطين النصارى لهم في خطط الكتابة ،
والقضاء ، والخطابة ، وغير ذلك . وأشهرهم أبو القاسم محمد بن أحمد (المفسر)
وأبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الذي ولي القضاء ، والخطابة بالجامع الأعظم بغرناطة
ومحمد بن محمد بن أحمد الكاتب لدى النصارى والمرينيين ، ومدون رحلة ابن
بطوطة بقلمه .

(*) الفقيه الخطيب المفسر ؛ علامة عصره ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي ،
صاحب التصنيف في فنون الشريعة والعربية ، الشهيد في معركة طريف مجاهداً محتسباً =

وكان [٤٧ / ب] فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم ، محصلاً ، قارب درجة الاجتهاد ، ودون وصف في كل فن . وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة ، وقُتِل شهيداً بطريف في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولجده السلطان الأمير أبي بكر بن جزى الظهور بمدينة جيان^(١) . بُويع بها في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مئة .

== قال تلميذه لسان الدين في ترجمته « من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها . كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقيد والتدوين فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقرارات وحديث وأدب . حافظاً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جوعة للكتب ، ملوكي الخزانة ، حسن المجلس تمتع المحاضرة ، صحيح الباطن . تقدم خطيباً على حدائث سنه ، فاتفق على فضله ، وجرى على سنن أصالته . » .

وله مؤلفات كثيرة ، منها : وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، وكتاب الأقوال السنية في الكلمات السنية ، وكتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار . وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنبلية والحنفية ، وكتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول . وكتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين ، وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع ، وكتاب أصول القراء الستة غير نافع ، وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة . وله فهرسة كبيرة . وأبو القاسم بن جزى هو مؤلف التفسير الشهير - التسهيل إلى علوم التنزيل - (انظره محققاً بعناية الدكتور عدنان زرزور والدكتور محمد رضوان الداية) .

كانت ولادة ابن جزى سنة ٦٩٣ هـ وفي شهيداً في معركة طريف التي جرت سنة ٧٤١ بين دولة بني نصر المتحالفين مع بني مرين من جهة وتحالف الدول الإسبانية البرتغالية والمطوعة معهم من جهة أخرى ، ومحض الله فيها المسلمين . قالوا في ترجمته إنه فقد وهو يحرض الناس - على الجهاد - ويقاثل مجاهداً . تقبل الله شهادته .

(١) جيان مدينة كبيرة ، كانت حاضرة كورة باسمها .

والقاضي أبو بكر ^(١) هذا استكتبه بالخرقة السلطانية ابن عم أبينا أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف ، ثم بعد ذلك ولي القضاء ببيسرجة ، ثم بأندرش ، ثم بوادي آش ^(٢) . وولي أيضاً قضاء الجماعة بغرناطة بمسجدها الأعظم في دولة ابن عمنا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل .

حاله - أكرمه الله -

قدّم للقضاء فعدّل ، وما عن النهج القويم عدل . ولا وُجد له جورٌ ولا ذوى للحقّ بعدله تورّ . فطابّت يمينك بذكره الخواطر ، وتضوّع من حسن سيرته المسك العاطر . وقُلِّدَ الكتابة فأجالَ قِداحها ، وأبانَ بالإجادة مساءها وصباحها . وسلك من الفضل الجسيم ، الواضح الوسيم ؛ على السنين المأثور ، ورخص في ميدان الآداب جياذ المنظوم والمنثور . إلى ما شئت من سكينه وعفاف ، وتخلّص بالمحامد وإنصاف . ونسب قصر عن وصفه الحافظ المجيد ، وشرف تحلّى به للفخر الذّخر والجديد .

فمن قوله يهتئ بها ابن عم أبينا ، أمير المسلمين أبا الحجاج ^(٣) ببعض المغازي ^(٤) :

(١) عود إلى المترجم به .

(٢) برجة من أعمال المرية ، وهي على واد يعرف بوادي عذراء . وأندرش : مدينة من أعمال المرية . ووادي آش : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة .

(٣) هو الأمير النصري أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج . حكم غرناطة (٧٣٤ - ٧٥٥) .

(٤) في مدة الأمير المذكور كانت وقعة طريف (٧٤١) وأدت إلى استيلاء صاحب قشتالة ألفونسو على الجزيرة الخضراء وحاصر المسلمين وجاس خلال ديارهم . ونازل جبل الفتاح سنة ٧٥١ ولكنه هلك حتف أنفه دون ذلك فانقض جيشه وطورد فله .

سعودُ بها الإسلامُ نال أمانِيهٗ أشادتُ ببشراهُ وشادتُ مبانِيهٗ
هَنِيئًا لهذا الملكِ نصرٌ مؤزَّرٌ وحقٌ علينا أن نُدِمْ تَهَانِيهٗ
ضمانٌ على الأيامِ أنكَ غالبٌ وأنتك لا تُبقي من الشرِّكِ باقيهٗ
لقد نصرَ الإسلامَ منك مؤيدٌ معالِمُه أحيى ، وأعلى مراقِيهٗ
[٤٨ / أ]

فيا غزوةً ما كان أسعدَ يومَها ويا نعمةً للدينِ والمُلكِ ضافيهٗ
ويا بطشةً ما كان أعظمَ صَوْلَها ويا عزيمةً كانت على الرُّومِ قاضيَهٗ
ومنها :

لقد عزَّ دينٌ كنتَ أنتَ حُسامَهٗ
وناصرهٗ إن نابَ خطبٌ وحامِيَهٗ
هو المُلكُ زانتهُ مكارمُ جمَّةٗ
لسديك وصانتهُ عزائمُ ماخِيَهٗ
فأوليتهُ الإعزازَ لما وليتهُ
وأخصَّبتَ مرعاهُ وأعشبتَ واديَهٗ
وسدَّدتَ مرماهُ وأعليتَ أمرَهٗ
وشيّدتَ مبناهُ وشرقتَ ناديَهٗ
وحلَّيتَ بالإسلامِ والجودِ جيْدَهٗ
وجلَّيتَ بالتَّوفيقِ والرُّشدِ داجِيَهٗ
ألا في سبيلِ اللهِ ما أنتَ صانعٌ
وللهِ والإسلامِ ما كنتَ آتيَهٗ
قضى لك بالفضلِ كُلُّ مُجربٍ
عليمٌ بأخبارِ الأوائلِ راويَهٗ

وله أيضاً في العذار ، وهو أحسن ما قيل فيه . وسبب ذلك أن كُتِّبَ
الْحَضْرَةُ السُّلْطَانِيَّةُ الْيُوسُفِيَّةُ تَذَاكُرُوا مَعْنَى مُخْتَرَعاً فِي الْعِذَارِ لَمْ تَسْبِقْ إِلَيْهِ
الشَّعْرَاءُ فَأَتَى كُلُّ بَمَا فِي قَدْرَتِهِ فَقَالَ هُوَ - عَلَى الْبَدِيَّةِ :
أَتَى أُولُو الْكُتُبِ وَالْحَرْبِ الْأَلَى عَزَمُوا

من بَعْدِ سِلْمِي عَلَى حَرْبِي وَإِسْلَامِي
وَأَسْتَظِرُّ دُونِي لِتَشْبِيهِ الْعِذَارِ لَهُمْ

وَجَادَلُونِي فِيهِ دُونَ أَحْلَامِي
فَقَالَ ذُو الْكُتُبِ لَا أَرْضَى الْكُتَائِبَ فِي

تَشْبِيهِهِ لَا وَأَنْفَاسِي (١) وَأَقْلَامِي
وَقَالَ ذُو الْحَرْبِ مَا الْحَرْابُ مُشْتَبِهاً

عِنْدِي بِهِ لَا وَأَسْيَافِي وَأَعْلَامِي
فَقُلْتُ أَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ إِذَا

بِالْلام ، فَاسْتَحْسِنُوا التَّشْبِيهِ بِالْلامِ !

وَقَالَ أَيْضاً مَوْرياً بِالْكَتَبِ :

(أُمَالِي) الشُّوقُ تَمْلَأُ لِي الدَّفَاقِيرُ

أَقُولُ هِيَ (الصَّحَّاحُ) هِيَ (النَّوَادِرُ)

وَمِنْ حُبِّي (خِلَاصَةٌ) كُلُّ حُبِّ

وَمِنْ صَبْرِي (مَعُونَةٌ) كُلُّ صَابِرٍ

[٤٨ / ب]

وَمِنْ قَلْبِي (المُخْلِصُ) (٢) وَ (المُوطَّأُ)

وَمِنْ دَمْعِي (المُفْصَّلُ) وَ (الجَوَاهِرُ)

(١) فِيهَا : أَنْفَاسِي (بِالْفَاءِ) . وَأَنْفَاسُ جَمْعُ نَفَسٍ (بِكَسْرِ النُّونِ) : الْمَدَادُ يَكْتَبُ بِهِ .

(٢) فِي النَّسَخَتَيْنِ : الْمُخْلِصُ .

الفقيه الكاتب القاضي الخطيب علي بن عبد الله بن الحسن
الجدامي (*) :

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيت ، ويعرف بابن الحسن ، وبالبني .
وهو من أهل مالقة ، من بيت رفيع المجادة ؛ من أولي علم وقضاء
وخطابه .

وقدّمه قاضياً بغرناطة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد
المخلوع واختط به ، واستكتبه ، ثم قدّمه على قضاء الجماعة ثانية .

ولجده الفقيه القاضي ابن الحسن المالقي أخبار شهيرة مع الحاجب المنصور
بالله ، أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري ، حاجب هشام المؤيد بالله أمير

(*) أبو الحسن علي بن عبد الله ، الشير بالقاضي النباهي . من رجال الدولة النصرانية في
النصف الثاني من القرن الثامن . ولد بمدينة مالقة سنة ٣٠٧ ، واستكمل علومه في مدينة
غرناطة . وولي القضاء في بعض مدن دولة غرناطة ثم التحق كاتباً بالديوان . وقد حظي
عند الغني بالله محمد الخامس بمكانة مرموقة فصار قاضي الجماعة على أيامه . ولا يذكر القاضي
النباهي دون أن يذكر معه لسان الدين بن الخطيب . فقد بدأ صديقين ، يتقارضان الثناء .
وذكره ابن الخطيب في الإحاطة في ترجمة مدحية لم يضمن فيها بالإطراء ، ولكنه نقض
كلامه في (أعمال الأعلام) وفي (الكتيبة الكامنة) وهجاه هجواً مرأ . ولما اشتد
بينها الخلاف ألف فيه « خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن » . وكان النباهي من
أهم المحرضين على ابن الخطيب ، لا يعدله في ذلك غير ابن زمرك الوزير الذي جاء بعد
ابن الخطيب . واشتدت الحملة بينهما بعد أن غادر لسان الدين إلى المغرب تاركاً وزارته
بغرناطة ومقاطعاً السلطان النصري . للنباهي « المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا »
ط - القاهرة - وشرح المقامة النخيلية - خ - . قال في « نيل الابتهاج » إنه كان حياً
سنة ٧٩٣ .

(انظر نيل الابتهاج ٢٠٥ والكتيبة الكامنة ١٤٦ ، وأزهار الرياض ١ : ٢١٢ ،
ونفح الطيب ٥ : ١٢٢ . وفيه كتاب النباهي إلى لسان الدين بلومه ويفند مواقف) .

المؤمنين الأموي ، خليفة الأندلس ، أثبت هنا منها حكاية طريفة . ولم أثبتها إلا ليعلم منها أصلتها ^(١) ، وعلو منصبه . وهي ما قال ^(٢) محمد به موسى بن عزرون عن أبيه موسى . قال : اجتمعنا يوماً في متنزه لنا يجهه النساءُورة بقُرطبة مع المنصور بن أبي عامر ^(٣) في حادثة سنه ، وأوان طلبه ، وهو مُرجيء ^(٤) مؤتمل . ومعنا ابن عمه عمرو بن عبد الله بن عسقلانجه ^(٥) ، والكاكب ابن المرعزي ، والفقيه ابن الحسن المالقي ^(٦) وكانت معنا سفرة فيها طعام . فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذي يتكلم به : لا بد أن أملك الأندلس ! وأملك الرجال ! وأقود الجيوش ! وينفذ حُكمي في جميع الأندلس ! ونحن نضحكُ من قوله ^(٧) ونتعجب من حديثه . فقال ^(٨) :
يتمنى كل واحدٍ منكم ما شاء ، فتمنى كل واحدٍ منهم ، فقال عمرو بن عبد الله ، تمنى ^(٩) أن توليني المدينة لضرب الظهور والجُنَاة ^(١٠) ، ونفتحها مثل هذه الشاردة ^(١١) . وقال ابن المرعزي : أنا أشتهي هذه الإسفنج ، توليني أحكام السوق حتى نشتقي منها ! وقال ابن الحسن ، أحبُّ هذا التين تمنى

(١) في النسختين : أصلتها . ولعله : أصلته .

(٢) الخبر في المرقبة العليا للنباهي (المترجم به) : « ٨١ » .

(٣) في المرقبة العليا « وهو في حادثة سنه » .

(٤) في النسختين : (مرجيء ، مهموزة) وفي المرقبة : مرجي . قلت كأنه يريد : راج .

(٥) في نسخة ط : عسقلانجه . والمثبت من م ، ومثله في المرقبة .

(٦) في المرقبة العليا : الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي .

(٧) في المرقبة العليا : ونضحك معه .

(٨) في المرقبة العليا : تمنوا علي .

(٩) في المرقبة العليا : أتمنى .

(١٠) اختصر النباهي : في « المرقبة » من القصة الحديث عن المآكل الواردة بعد .

(١١) في « ط » : الساردة .

تُولِيَنِي الْقَضَاءَ بِرُيَّةٍ (١) حَقِّ أَتَشْفَى مِنْ ذَلِكَ .

[٤٩ / أ] قَالَ مُوسَى بْنُ عَزْرُونَ : فَقَالَ لِي تَمَنُّ أَنْتَ ! قَالَ فَشَقِقتُ لِحَيْتِهِ ، وَضَرَطْتُ بِهِ وَقَلَّصْتُ قَوْلًا قَبِيحًا مِنْ أَقْوَالِ السَّفَالِ . قَالَ فَلَمَّا صَارَ الْمَنْصُورُ إِلَى مَا صَارَ مِنْ مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ وَلِيَ ابْنُ عَمِّهِ الْمَدِينَةَ ، وَوَلَّيْتُ ابْنَ الْمَرْعُزِيِّ أَحْكَامَ السُّتُوقِ ، وَوَلَّى ابْنَ الْحَسَنِ الْمَالِقِيَّ قَضَاءَ رُيَّةٍ ، وَبَلَغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا تَمَنَّى ، وَأَغْرَمَنِي أَنَا بِالْأَعْظَمِ أَعْجَفَ بِي وَأَفْقَرَنِي لِقَبْحِ مَا جِئْتُ بِهِ ! (٢) .

حاله :

ملك من الطريقة الأدبية الصُّدُور والأعجاز ، وضرب القِدَاحَ في منشورها وَمَنْظُومِهَا بِمَعْلَمِهَا وَفَازَ . وَاهْتَزَّ قَضِيبُ بَرَاعَتِهِ فِي الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ أَيْ اهْتَزَّازَ . ذُو إِصَابَةٍ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَوَقُوفٍ عِنْدَ حُدُودِهَا السَّنِيَّةِ . إِلَى سَمْتٍ وَوَقَارٍ ، وَكَلَامٍ أَلْذَمَ كَسَاتِ الْعِقَارِ .

فَمِنْ قَوْلِهِ مَا كَتَبَ بِهِ لِالشَّرِيفِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ حَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ السَّبْتِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْتَّهْسَانِيِّ :
يَا عَمَادِي الَّذِي لَهُ الْقَدْرُ الْعَالِي ، وَالْفَضْلُ الْمُسْتَوَالِي ؛ وَالْمَكَارِمُ الَّتِي صَحَّتْ مِنْهَا الْأَسَانِيدُ وَحَسَنَتِ الْأَمَالِي . خَصَّصَكَ اللَّهُ بِدَوَامِ السَّعَادَةِ ، وَحَبَّأَكَ مِنْ عَوَارِفِهِ بِالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةِ . وَصَلَتْ الْعَقِيلَةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي قَادَتِ الْجَنْدَلَ ، وَسَحَرَتْ بِجَاهِلِهَا الْمَثَلَ . وَهَبَتْ أَسْرَارَ مَعَانِيهَا هَبُوبَ الرِّيَّاحِ ، وَسَمَرَتْ أَلْطَافَهَا الشَّرِيفَةَ تَمَسَّرَى الْحَيَاةِ فِي الْأَرْوَاحِ . أَكْرَمَ بِهَا مِنْ زَهْرَةٍ سَمْعِيَّةٍ ، وَزَهْرَةٍ لَشْرَحِ الشَّبَابِ مُعِيدَةٍ . لَمْ تَكْدَرْ صَفْوُ شَهْدِهَا (٣) ، إِبْرَ النَّمْلِ . وَلَا شَكَّتْ دُوحَةُ مَجْدِهَا

(١) ربه : كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة . قال في المغرب : وتعرف الآن بمالقة ، والتين

فيها مفضل على سائر تين الأندلس (المغرب ١ : ٢٣) .

(٢) اختصر في «المراقبة» هذه الفقرة .

(٣) في (م) ثمدها .

ألم الحل . يمينا لقد أدست صباحتها محاسن أدباء بغداد ، وأزرت فصاحتها
بخطباء إباد . فمن سطور تحاكها الشذور ، وتغص بمراها البُذور ، ومن
طُرف أغراض تذهب بعلى القلوب المراض ، ويقصر عن طيب شذاها
أنفاس [٤٩ / ب] الرِّياض . ومن معانٍ تطلق من ربة الجهل كلَّ عان ،
فنزعت فيها الناظر والخطاطر ، ونافعت بها الرؤوس الماطر ، والمسك
العاطر . وناديت بأعلى صوتي : بثل هذه الحريدة ، الفذة الفريدة ؛ يُكاثِر مَنْ
يُكاثِر ؛ ويثاخر من يفاخر . ثم إنني أقبلتُ أناجيها بالضمير ، وأقول في مراجعتها
بلسان التقصير :

يا تحفة القلم الذي زان الزَّمنُ
من ذا يقومُ بشكر مَنْ أهداك مَنْ ؟
إن خطَّ مَهْرَقَه فَقَد سَحَر النُّهى
وأراك فيه وَشْي صَمْعاء اليمَنُ
وكلامه نظماً ونشراً لؤلؤ
لكنه يُربي على غالي الثمنُ
أبدى وأظهر من صفاة كماله
ما كان لي في القلب منه قد كَمَنُ
لا زال يبلغُ في الزَّمانِ مُرادَه
وبيتُ من طرق الليالي في أَمَنُ

وعذراً يا سيدي في الاختصار والاقتصار من الكلام على هذا المقدار .
فلا خفاء عليكم بما لدي من القصور في المنظوم والمنشور . على أني لو كنتُ
أشعر من حبيب ، وأخطب من شبيب ، وأحكم من أكثم ، أو عمرو بن
الأهم ؛ وأطرف وأطبع من الملقب في عدوان بندي الإصبع ، وأصبحت

بعلوم البيان أعلم من الشيخ أبي عبد الرحمن ، أو (...) (١) عمرو بن أبي عثمان (٢) أو الأخفش علي بن سليمان لاستقصرت كل لسان ، ولوأيت الواجب لكم فوق ذلكم الإحسان .

بيد أن المعظم يُعاتب مثابة الجمال والإجمال معاتبة الإدلال ، والجمع بين المفاهكة والإجلال ، والإحماض والإخلال . فنقول : العقيلة المعبر عنها أصاب كمالها سهم النقص ، إذ دُفعت إلى الشخص الذي هو دون قدرها بالقياس والنص ! فليس لمثلي على القيام بحقها من يدين ، ولو أني علوت الفرقدين ، واستنزلت الثيرت الأكبرين ، وسققت لها النعائم والشعر يمين ، والزباني مع البطين . وأما قُرطا مارية فما إن رضيت بهما لها من قرطين ، ولو كلالا بالغفر والشرطين [٥٠ / أ] ولم لا وهي بنت فكر إمام المتغري يمين ، وجمال المشرقين ، وقدوه المدوتين . فكيف جرى هذا الواقع ، ومق حل السبب القاطع ، حتى ظهر على الشمس المنيرة السر الواقع . هنا يجمل تعصب الفقيه ، ويحمد تكلّمه بلاء فيه ، وإظهار ما يرويه ويدعيه ؛ من سندی وثيق ، ونكت تحقيق ، ونصوص توثيق . فهو محلّ القبول والرد ، والحل والعقد ، والاستدراك والنقد .

إيه ، أيها المنعم بالتحفة المعطارة ، قد آن للمعظم أن يكف من هذه الغزارة (٣) . ويراجع نفسه ، فبئست الجارة ، والعصية الأمارة ، والمكرهة المختارة . فأقول - وبحلق أصول - صنّيع العباد إنما هي درر وشندور . ثبت عدم قارون عندها وإن العديم لمعدور . وغير نكير على البحر الكبير

(١) في ط : كريمة ، وفي م : لريمة . ولم تتوجه لي في قراءتها .

(٢) فيها عمرو بن عثمان ، قلت لعله عمرو أبي عثمان (الجاحظ) .

(٣) في النسختين : الغزارة ، « بغين وزاي » .

أن يجود على فقير أو حقير بمذخور. فسيئذني أولى من تطوّل بالهبة السّمحة
والنعمة السّحة، من غير من ولا أذى، ولا تعلّيل بفتح باب «حتّى»
و «إذا». فهو ربّ الأيادي، ومسلّاذ الحاضر والبادي. أبقاه الله شرفاً
للأيام، وفخر الدولة السامية المقام. وهذا ما حضر من الكلام، والسّلام.

الفقيه الكاتب أحمد بن علي بن محمد بن علي

ابن محمد بن محمد بن خاتمة الأنصاري (*)

يكنى أبا جعفر، وأدركته .

(*) أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة، الشاعر، الفقيه، الكاتب (٧٠٠-٧٧٠) كان
مشاركاً في ضروب من العلوم والمعارف، مشهوراً بالبراعة والإتقان، سالكاً خطة حميدة
من الزهد والتقوى، بارعاً في الأغراض الشعرية. أثنى عليه معاصروه، وخصه لسان
الدين بن الخطيب بعد من التراجم في كتبه التي ألفها، وكانت بينهما مراسلات تدل على صداقة
وطيدة. وقد شارك ابن خاتمة في التأليف وكان من وجوه العصر وأدبائه المعدودين.
فمن كتبه «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد» مخطوط، ومزىة المرية على
غيرها من البلاد الأندلسية، منه نقول عند المقرئ وغيره، و «إبراد اللال من إنشاد
الضوال» في لحن العامة، مطبوع، ورسائل متفرقة. كما جمع تلميذه ابن زرقاله طائفة
حسنة من شعر أستاذه ابن خاتمة في غرض التورية في كراس سماه «رائق التحلية وفاق
التورية» مخطوط، وقد حققت ديوان ابن خاتمة معتمداً على نسختين إحداهما عن مخطوطة
بخط المؤلف نفسه، (طبع بوزارة الثقافة والإرشاد القومي - بدمشق - ١٩٧٢).

(انظر ترجمة ابن خاتمة في الإحاطة للسان الدين ١ : ١١٤، والكتيبة الكامنة له :
٢٣٩، ودرة الحجال لابن القاضي ١ : ٤٠، ونيل الابتهاج ٧٢. وانظر أخباراً
وافية عن حياته وأدبه وديوانه في مقدمة الديوان).

وهو من المريّة^(١) ، وكان يكتب على أمهليها إلى السلطان ويُقَرىء
العربية وسائر العلوم بها .

حاله - سلمه الله -

أسد ميدان الطلب ، وربّ الفصاحة والأدب . وفارس البيان والبراعة ،
ورب الكتابة والبراعة . إلى خطٍ يستوقف من حسنه الأبصار ، وقريض
يقرض شعراء الأعصار . وإنشاء نشأت منه الإجادة في الأمصار . وشعراء
الأندلس يقدمونه على أنفسهم ، ومع ذلك يلتزم التواضع لأدناهم
وأنفسهم .

[٥٠ / ب]

فمن قوله يتغزل^(٢) :

أكل شاكٍ بدامِ الحبِّ مُضْنَاكِ
ماذا جَنَّتْهُ على العشاقِ عَيْمَانُكِ
قد كان لي عن سبيلِ الحبِّ مُنْصَرَفٌ
حتى دعوتِ له قلمي فلبَّاتُكِ

(١) المرية مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي من الأندلس، كانت فرضة رئيسة في دولة
غرناطة تقصدها المراكب من الإسكندرية والشام وغيرها . والمرية مدينة عربية
أسسها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ .

() انظر في التعريف بها الروض المطار للحميري : ٥٣٧ ، ومعجم ياقوت ٥ : ١١٨
والمغرب لابن سعيد ٢ : ١٩٣ ، ومشاهدات لسان الدين : ٤٣ - ٤٤ ومقدمة ديوان
ابن خاتمة) .

(٢) أوردت القصيدة في ديوان ابن خاتمة (نقل عن نثير الجمان) ، انظر ٢٠٣ .

- أيقظته لأساة^(١) ثم نمت وما
بالسبت ، إياك شكوى الصب إياك !
أحيي ذمائي وما أتلفت من رمتي
إن قلت عطفك قالا بل دلالك
5 كأنني لست أدري من أراق دمي
والله ما بغواذي غير مرماك
أستغفر الله لا أبغيك مظلمة
فأنت مني في حل ومن ذاك
كل علي له جند مجندة
يكفيك يا هند أني بعض قتلاك !
كيف الخلاص لمثلي من هواك وقد
رمتي بي الوجد في أشراك أسراك
أعدت جفونك قلبي حيرة وضي
فهل دليل لقلب حائر شك ؟
10 قد كنت أطمع أن تصبحو صبايته
لو قد صحت من حميتا التيه عطفك
زجرت فيك رسول الطيرف عن نظري
فهل على القلب عتب إن تمناك ؟ !
يا طلعة الحسن تزهو في ملبسه
رحمك في أنفوس العشاق ! رحك !

(١) كذا في الأصلين ، ولعلها ، لأساء

تيمّني على الشمس واسبي البدرَ مطلعةً
فإنما روضة الدنيا مُحَيّاك

أقولُ والروضُ يُجلى في زخارفه
منَ علَمِ الرّوضِ يحكي حُسنَ مغناك ؟

15 في فيكِ راحٌ وفي عطفكِ هزتها
فهل تثنّيكِ سُكراً من ثناياك ؟

أليسَ من أعظمِ الأشياءِ موجدةً
أن تضحكي بي وطرّفي دائمٌ (١) باكٍ

وأقطعُ العمرَ ما لي في سواكِ هوى
وليس لي منك يوماً حظٌ مِسواكِ !

أومي بفيّ لِسْتَقْبِيلِ الصَّبَا ولما
أقولُ شوقاً عساها قبلتُ فاكِ !

وأملاً الصّدْرَ من أنفاسها كلفاً
بما أشمّ بها من طيب رَيّاكِ

[٥١ / أ]

20 هلْ بالأثيلِ وبانِ الجَزَعِ تسليةً
وما الأثيلُ وبانِ الجَزَعِ لولاكِ ؟

إني لأهواهُ والشّاوي بجلّته
ولستُ أهوى على التّحقيقِ إلّاكِ !

أحبُّه نَجْداً إلى جرّاءِ ساكنه
وما محبّتهُ إلّا بيجرّاك

يَا مَنْ نَأَتْ وَأَبْأَحْنَاءُ الضَّلُوعِ ثَوَتْ
تَرَاكَ تَتَنَسَّيْنِ صَبَبًا لَيْسَ يَنْسَاكَ ؟
أَمَّا وَسِرِّ جَمَالٍ أَنْتَ رَوَّنَقُهُ
لَوْ صُوِّرَ الْحَسَنُ شَخْصًا مَا تَعَدَّكَ !
25 حَيَّيْ عَلَى الْبُعْدِ تُحْيِي نَفْسَ ذِي كَمَدٍ
مَا إِنْ تَهَبَّ صَبَبًا إِلَّا وَحْيَاكَ !

وكتب إليه صاحبنا الفقيه العالم الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي
القاسم محمد بن جُزَي الكَلْبِي (١) الأندلسي قصيدة حذف منها الراء المهمة
للشخ يعترى لسانه ؛ يجعل مكان الراء غيناً معجمة وهي :

وَعَدَ الْوَفَاءَ وَلَبَّيْهُ مَا نَجَزَا (٢)
طَيْفٌ أَلَمْ يُقْلِقِ مُسْتَوْفِرَا
مَاذَا يُفِيدُ الطَّيْفُ إِذَا يَتَتَابُنِي
وَالنُّومُ قَدْ أَعْيَى الْجُفُونَ وَأَعْجَزَا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ الزَّمَانَ فَإِنَّهُ
مَا زَالَ فِي عُنُونِهِ مُتَجَوِّزَا
وَإِذَا تَغَاوَلَ عَنْكَ حِينًا خَطْبُهُ
فَمَكِيدَةٌ حَتَّى يَصَادَفَ مِنْهَزَا !
لِلَّهِ أَيَّامٌ خَوَالٍ لَمْ أَكُنْ
فِيهِنَّ إِلَّا لِلْهَوَى مَتَّحِمَزَا

(١) سبق الحديث عنه ، وعن أسرة بني جزي .

(٢) في الأصلين « ما نجزا » .

5 أَتَتَّبَعُ اللذاتِ حيثُ وجدَتْها
وأَمِيلُ نحو الأَنسِ حيثُ تحوَّزا (١)
وأَظِلُّ حيثُ اللّهُو يبسطُ ظِلَّهُ
حتّى عَزَّاني للبطالةِ مَنْ عَزَا
والعَيشُ غَضُّ والحَيِّبُ مُسَاعِدُ
بالوَصْلِ عفواً قبل أن يُسَمِّتُنَّجَزَا
إِنَّ الشَّبابَ ، إذا مَموتَ لِلنَّدَا
وجعلتَهُ مَفْتاحَهُ لَن تَعْجَزَا !

10 ومُعَلِّلِ قَلْبِي بِخُلُوبِ لَفْظِهِ
وعَدَّ الجَمِيلَ ووعدُهُ لَن يَنْجَزَا
قد كُنتُ أَحْمَلُ صَدَّةً وَجَفَاءَةً
حتّى أُعَيِّنَا بِالْبِعَادِ وَعَزَّزَا

[٥١ / ب]

ها إِنِّني من بَعْدِهِ لَا مَيِّتُ
أُبْكِي ، وَلَا حَيٍّ ، فَهَلَا أَجْهَزَا ؟

ياعيشة أَلَوِ يَجِدُهَا النُّوَى
كَانَتْ كَمَا أَنشأتُ لَفْظاً مُّوجَزَا
ومَحَا مُحاسِنِهَا البَعَادَ فَقَدْ سَلَا
عَنهَا فُسْوَادي بِالْتَعَلُّلِ واجْتَزَا

15 خَدَعَ الزَّمانُ بِهَا وَكُنتُ أَظُنُّنِي
خَادَعَتُهُ فَأَبَانَ عَمَّا أَلْمَزَا

(١) تحوز كتحيز : تنحى . يريد : أميل نحو الأَنسِ حيث مال .

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي ابْنَ خَاتِمَةِ الَّذِي
خُسِّمَتْ بِهِ الْبُلْدَاءُ فَذَا مُعْجِزًا
إِنِ الْبَلَاغَةُ قَدْ مَلَكَتْ زَمَامَهَا
وَفَتَحَتْ مُقْفَلَهَا الَّذِي قَدْ أُعْزَا
جَلَسَتْ فِي مَيْدَانِهَا وَفَضَحَتْ مَنْ
كَانَ انْتَمَى قِدْمًا إِلَيْهَا وَاعْتَزَى
وَلَدَكَ الْبَيَانُ سَجَبَ مَنْ أَذْيَالُهُ
فِي حَالَتِهِ مُطْنِبًا أَوْ مُوجِزًا
20 قَادَ الْقَوَافِي طَائِعَاتٍ فَهَوَ لَا
يَخْشَى عَقَائِلَ نَظْمِهَا أَنْ تَنْشُرَا
خُذَهَا أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ ذِي خُلَّةٍ (١)
لَكَ قَدْ غَدَا بِمُخْلُوصِهَا مُتَمَيِّزًا
حَسَنَاءَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى خُلِصَتْ
لِتُخَطَّ فِي صُحُفِ الْقُلُوبِ وَتُكْتَرَا
حَاشَيْتُ أُخْتَ الزَّايِ مِنْهَا عَامِدًا
حَتَّى لَسَكْتُ إِخَالُ ذَلِكَ مُعْزَا
وَافْتَكَّ مُبْلَغَةً سَلَامِي بَعْدَمَا
طَالَ الْبُعَادُ فَأَوْهَا حُسْنُ الْجَزَا !

فجاوبه بقصيدة هجر فيها الرأء المهمة ، وبرسالة مثلها زائفة ، معجمة ، وهي (١) :

مزجَ البلاغة بالجزالة مُوجِزا
وَأَتَى بِهِ فِي الْحُسْنِ بَدْعًا مُعْجِزا
يَنسَابُ بَيْنَ حَلَاوَةٍ وَطَلَاوَةٍ
جَمَعَ الْبَدِيعُ بِهِ الْبَدِيعَ فَأَوْجِزا
وَافِيَ يُجَاذِبُنِي الْحَدِيثَ وَإِنَّمَا
وَافِيَ يُجَشِّمُ بَذَلَ نَيْلٍ مُعْزِزا
هَلَا وَمَلْعَبُ خَيْلِي الْأَدَابُ إِذْ
أَسْمُو لَهُمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُتَنَجِّزا
5 تَهْفُو بِمِطْفِي نَحْوَهَا خَلَقَ الصَّبَا
مَيْلًا لِحَيْزِ حُسْنِهَا وَتَعْمِيزَا

[٥٢ / أ]

أَمَّا وَقَدْ جَذِبَتْ عَيْنَانِ عَيْنَايَ
أَيْدِي الْحَفَائِقِ فَانْتَبَهْتُ تَجَوُّزَا
هَمِّي تَلَقَّيْ عِلْمَ أَوْ الْقَاوَةِ
يَمَّا يُؤْمَلُ نَفْعُهُ يَوْمَ الْجَزَا
وَعَقَائِلُ الْأَدَابِ مَا لَمْ تُصْطَنِعْ
بَعْدَ التَّنْيِ أَوْشَكَتْ أَنْ تَنْشُرَا
وَعَزِيزَةُ الْأَيَّاتِ أَوْدَعَ نَظْمَهَا
مَنْ وَاضِحَ الْآيَاتِ مَا قَدْ أَعْجَزَا

(١) أوردت القصيدة في ديوان ابن خاتمة : ١٩١ نقلا عن نثر الجمان .

10 لو واصلُ بن عطاء (*) أُعطي وصلها
لم يعتزلُ عن حُسْنِها ، ولها اعتَزَى !
ولأصبحتُ فيها أَنَاهُ أُسْوَةٌ
يَعْتَادُهَا مَنْ جَدُّ قَوْلَا أَوْ هَزَا (١)

حَيَّتِي بِهَا (كَلَابِن) (٢) بَلْ أَحْيَى بِهَا
مَاضِي الْبَدِيَّةِ مُسْهِباً أَوْ مُوجِزاً
قَسَمًا بَا خَطَّتْ عَوَالِي نِقْصِهِ (٣)
فِي وَجْهِ صَفْحَتِهَا الَّذِي لَا يُوثَقُ (٤)
مَا جَنَّةُ بِالْحَزْنِ دَبَّحَ وَشَيْهَا
وَكُفَّ (٥) مُزْنٍ لَمْ يَبْتَ مُسْتَوْفِرَا

15 قَدْ عَمَّهَا وَجْهُ الزَّمَانِ مُحَاسِنًا
تَسْتَوْقِفُ الْأَحْدَاقَ أَنْ تَتَجَوَّزَا (٦)

لِغَنَاءٍ سَاجِعِهَا افْتَتَانُ مُسَاجِلٍ
يُثْنِي عَلَيْهَا مُفْصِحاً أَوْ مُلْغِزَا

(*) واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣٠) من رؤوس المعتزلة . كان من أئمة البلغاء والمتكلمين ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ؛ فتجنب الراء في خطابه ، وضرب به المثل في ذلك .

(١) يريد : من جد أو هزل . وقد ورد مثل هذا الحذف في الشعر .

(٢) فيها : كلابن . ولم تظهر .

(٣) وردت الكلمتان في الأصلين « عوالي نفسه » . ولعل ما أثبتته هو الصحيح لسياق المعنى . والعوالي جمع غالبية « ضرب من الطيب » . والنقس : الخبر .

(٤) آزى الشيء : حازه وجاراه .

(٥) في م : وكف .

(٦) يريد : محاسن تجتذب النظر اجتذاباً .

سحبَ التَّسِيمُ بها فضولَ ذبوله
فَتَهَوَّعَتْ طَيْباً ولانَتْ مَفْمَزا
بأتمَّ أنفاساً وأعذبَ نَعْمَةً
منهُ ، لَدَى سَمْعٍ ، وآتَقَ حَيِّزا
إِيهِ مُهَيَّجَةً الجَوَى بِجِوَانِحِي
شوقاً لمن يَحْلِي عُلاهْ تَمَيِّزا
20 بحياةٍ وُدِّي في امتدادِ حَيَاتِيهِ
ووفاءٍ عَهْدٍ مُنْتَهَاهُ أَنْ يَغْمِزا (١)
قُولِي وَزَيْدِي وَابْسُطِي لِي حالَهُ
لا تُوجِزِي ، ما حَقَّقَهُ أَنْ يُوجِزا
وصِفي فَصْفِي أوصافِهِ ما يُجَنِّتُلى
صَدْعاً بها فَبَيَّوَحِّسُها لا يُجَنِّزا (٢)
لِمحمد بن جُزَيٍّ آيَةً سُودِ (٣)
قَدْ ظَلَّ في العَلْيَا بِها مُتَمَيِّزا
نَدْبٌ إِذَا ما المجدُّ نِيلَ بِمَهْنَةٍ (٤)
لَمْ يَأْلُ أَنْ يَحْطَى بِهِ مُتَعَزِّزا
25 أَضْحَى ذَكَاءَ بَنِي جُزَيٍّ (غَدَواً) (٥)
شُهِبَ العَلامُ بِكُلِّ أَفْقٍ حَيِّزا

(١) يريد وفاء عهد صادق لا مطعن فيه .

(٢) اجتزأ به : اكتفى .

(٣) أضلها بالهمز ، وسهلت .

(٤) الندب : التجيب ، الخفيف في الحاجة . واستعمل الشاعر « المهنة » هنا بمعنى المهانة .

(٥) في الأصلين : غدواء ، ولم يتوجه .

[٥٢ / أ]

وعدّ الزمانُ بهِ اعتدالَ محاسنِ
والآنَ آنَ لوعده أن يُنجزا
وإليكمَا مِنِّي تَعْلَةٌ مُعَوِزِ
فلقد سموت إليهِ سَهْلًا مُعَوِزَا
جَانَبْتُ مَا جَانَبْتَ فِيهِ تَشِيْعًا
فَمَنْ انْتَبَهَتْ فَتَنْبَهُهُ عِنْدِي الْجَزَا^(١)

يا أخي ، الذي سَمَا وده أن يُجَازَى ، وَسَيَدِي ، الذي عَمَّا مَجْتَدُهُ من
أن يُوَازَى . وَصَلَّ اللهُ تَعَالَى لَكَ أَسْبَابَ الْعِتْلَاءِ وَالْإِعْتِزَازِ . وَ « كَف »
مَالِكَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِالْفَضَائِلِ وَالْإِمْتِيَازِ . أَمَّا إِنَّهُ لَوْ وَسَّعَ التَّخْلُفُ عَنْ
جَوَابِ أَخٍ أَعَزَّ ، وَلَمْ يَجِبِ التَّكَلُّفُ عَلَى تَوْسُدِ الْعِجْزِ ، لَسَغَطَيْتُ
عَجْزِي عَنْ عَيْنِ تَعْجِيزِكَ ؛ وَلَمَّا تَعَاطَيْتُ الْمَثُولَ فِي زِيِّ مُنَاهِيزِكَ أَوْ
مُجِيزِكَ . لَكِنَّهُ فِي حُكْمِ الْوُدِّ الْمَكْنُونِ الْمَكْنُونُزِ ؛ تَمَّا لَا يَحِلُّ وَلَا
يَجُوزُ . فَلكم الْفَضْلُ فِي الْإِغْضَاءِ عَنْ عَاجِيزِ ، دَعَاهُ حُكْمُ التَّكَلُّفِ
إِلَى الْقِيَامِ مَقَامِ مُنَاجِيزِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِنْصَافِ ، وَحَمِيدِ الْأَوْصَافِ
مِنَ الطَّائِفِ الْجَائِزِ . فَعِنَّ جَهْدٍ مَا بَلَغَ وَلَيْسَ لَكَ إِلَى هَذِهِ الْأَجْوَازِ ، وَلَمْ يَحْصُلِ
مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَّا عَلَى الْمَجَازِ . أَمَّا مَا ذَهَبْتُمْ^(٢) إِلَيْهِ مِنْ تَخْمِيسِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي

(١) تجنب حرف الراء .

(٢) لم يثبت ابن الأحمر غير قصيدة لابن جزي ولم يصلها برسالة كما صنع في إيراد قصيدة ابن
خاتمة ورسائله . ويبدو من الكلام أن ابن جزي كان قد أتى على قصيدة خمسة لابن خاتمة
كما ترى . قلت ، وفي ديوان ابن خاتمة تخميس (تسميط) لطيف لقصيدة ابن الخيمى
مطلعها :

أعجزت ، وبلغت من البلاغة الغاية التي عزّت منهاضتها ، وأعوزت ، فلم
أكنّ لأستهدف ثانياً لضاضة الإعجاز ، وأسجل على نفسي بالإفلاس
والإعواز !

شيخنا الفقيه الخطيب فرج بن قاسم
ابن أحمد بن لبّ التغلبي (*) .

يكنى أبا سعيد ، وأدركته ، وبعث لي بالإجازة العامة من غرناطة إلى
فاس ، وأنا قاطنٌ بها في حضرة الملوك من مرين ، حين أخرجنا عن الأندلس
بنو عمنا الملوك من بني نصر . وهو من أهل غرناطة . وولاه الخطابة
بجامعها الأعظم أمير المسلمين يوسف ابن عم أبينا . وهو الآن يخطب به على
حاله - أعانه الله تعالى - .

منك التجلي ومنا السر والحجب وكل نعمى فمن عليك ترتقب
وأنت أنت الذي أبغى وأطلب « يا مطلباً ليس لي في غيره أرب
إليك آل التقصي وانتهى الطلب »

انظر ديوان ابن خاتمة : ٣ وما بعدها .

(*) قال في نفع الطيب في التعريف به : شيخ الشيوخ العلامة أبو سعيد فرج بن لب ، وذكره
لسان الدين في الإحاطة بالمدح والثناء وقال إن عليه مدار الشورى وإليه مرجع الفتوى
لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه ، إلى المعرفة بالعربية واللغة ، ومعرفة التوثيق ،
والقيام على القراءات والتبرين في التفسير ، والمشاركة في الأصليين والفرائض والأدب .
وقد ولي الخطابة بالجامع (بغرناطة) وقعد للتدريس ، وأقرأ بالمدرسة النصرية . ووصفه
مترجموه بالذكاء وحسن الخلق وإصابة التعليم ، وسعة المعلومات .

(ترجمته في نفع الطيب ٥ : ٥٠٩ وأكثر نقله عن الإحاطة لسان الدين . وفي نبيل الابتهاج
٢١٩ ، وبغية الوعاة . وترجم له في الكتبية السكّانة ولكنه انقلب عليه ونلبه : ٦٧) .

حاله - نسأ الله في أجله -

هو معيد البلاغة ومبديها ، وعالم الأندلس ومفتيها ، ومظهر مشكلات العلوم ومجليها . وشيخها وفتاها ، وحامل لواها ، وفارس البراعة والمتلفع برداها . قد تحلى بالسكينة والتقوى ، والتزم الطاعة في السر والنجوى . إن حضر مع الفقهاء مجلساً ، واحتل للأدباء مكاناً ؛ فله يتبعون ، وعلى قوله يعملون . وهو المصيب في كلامه ونظمه ، بثقوب ذهنه واتساع علمه . مع باع مديد في النحو واللغة العربية ، وحفظ للأدب والتواريخ العجيبة ، ومعرفة شديدة ، بالأصول والفروع والحديث ، مصيبة . ونبل فائق في العروض والمنطق والبيان ، وعلم الكلام والقراءات وتفسير القرآن . وهو (يرى) ؟ ^(١) في كل هذه ^(٢) العلوم قارياً ، ولتدريسها ملازماً ، وعلى نهج تبيينها جارياً . وينظم القصائد النفائس ، فتأتي كالقلائد في أجساد العرائس . ولعمري ما تكلم مع أحد من الناس ، في توجيهه مسألة فقهية أو قياس ؛ إلا كان له عليه الظهور ، شهد له بذلك الخاصة والجمهور .

أنشدني لنفسه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إذا البرقُ نَارٌ أثارَ أدكاراً	لقلبي فأذكى عليه أواراً ^(٣)
ترومُ جفوني لنار الهوى	مُخموداً فتسهمي دموعي غزاراً
فماء جفوني يسحُ انهماكاً	ونارُ فؤادي تهيجُ استيعاراً

(١) كلمة لم تتضح لي ، وهذه أقرب قراءة تبينتها .

(٢) في النسختين : لهذا ، ولعله كما أثبت .

(٣) نقل المقرئ في نفح الطيب (٥ : ٥١٠ - ٥٢١) القصيدة عدا البيت ١١ .

أطيلُ العَوِيلِ صباحَ^(١) مساء
5 رقيتُ مراقبيَ للحُبِّ شتى
كثيباً ولستُ أُطيقُ اصطباراً
أحينُ اشتياقاً لريحِ مَرتْ
فأفنى مِراراً وأحْيى مِراراً
وأبدي هياماً لِبَرَقِ أنارا

[٥٣ / ب]

حنيناً وشوقاً إلى مَعْلَمٍ
به أسكنَ اللهُ أسمى الورى
تحوى شرفاً خالداً لا يُجارى
هو المصطفى المنتقى المُجتبى

أرى مُعْجَزا تِ وآياً كباراً
10 يحقُّ علينا ركوبُ البحارِ
وتجوب القفارِ إليه ابتداراً
وأمّ ذراهُ فَمَنْ يُعطيه
كفاهُ اعتلاءً، أجلُّ، وافتخاراً
فيا فوزَ مَنْ فازَ في طيّبةٍ
بِلِسْمِ المغاني جداراً جداراً
والصقِ خدّاً على قُرْبِها
وأهدى السلامِ لحَيِّرِ الأنامِ
على حينِ وافي عليه فزاراً
15 لأنّ الوسيلةَ والمرتجى
ليومٍ يرى الناسُ فيه سُكاري
وما هم سُكاري ولكنّهم
تَرى المرءَ للهولِ مِنْ أُمّةٍ
دَهْتَهُمْ دَوَاهِ فهاموا حيارى
وكلُّ يخافُ على نفسِهِ
ومن أقربيه يُطيلُ الفيراراً

فيكسّوه خوفُ الإله انكيساراً
فصلّى الإله - رسولَ الهدى -
عليك ، وأبقى هُداك منارا

20 وَقَدْ سَ رَبِّي ثَرَى رَوْصَةً
يَعْمُ الْجَهَاتِ سَنَاها انْتِشَاراً
أَعْيَر شَدَى الْمَسْكُ مِنْهَا الثَّرَى
بَلِ الْمَسْكُ مِنْهَا شَذَاهُ اسْتِعَاراً
هَنِيئاً لِمَنْ بِسِهْدَاكَ اهْتَدَى
وَمَعْنَاكَ وَافَى وَإِيَّاكَ زَاراً

قال إسماعيل بن الأحمر ، مؤلف هذا الكتاب : أخبرني شيخنا أبو سعيد هذا ، أنه عارض بقصيدته (١) هذه قصيدة الفقيه الإمام القاضي الرئيس شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي (*) صاحب «ديوان الإنشاء بالشام» التي هي :

وَصَلَّيْنَا السُّرَى وَهَجَرْنَا الدِّيَارَ
وَجِئْنَاكَ نَطْوِي إِلَيْكَ الْغِفَارَ
وهذه القصيدة نظمها الرئيس أبو الثناء بالحجاز الشريف في طريق

(١) في م : قصيده ، وفي ط قصيدة ، ولعله كما أثبت .

(*) شهاب الدين محمود بن سليمان (وقيل سلمان) بن فهد الحنبلي الحلبي ثم الدمشقي ، من كتاب ديوان الإنشاء المشهورين . ولد بجلب سنة ٦٦٤ ، وولي كتابة الإنشاء في دمشق وانتقل فعمل في مصر مدة ثم عاد إلى دمشق ، واستمر فيها إلى وفاته سنة ٧٢٥ . وولي كتابة السر ثلثي سنوات قبل وفاته . قال في الأعلام « وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره . وعرف الشهاب محمود كاتباً بليغاً - لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله - وشاعراً مشهوراً » . له كتب ومصنفات في الترسل والأدب والتراجم ، وشعر غزير . وقال ابن حجر إن شعره يقع في ثلاثين مجلدة .

(ترجمته في الدرر الكامنة ٤ : ٣٢٤ وفوات الوفيات ٢ : ٦٤٤ والبداية والنهاية ١٤ :

١٢٠ وشذرات الذهب ٦ : ٦٩ والأعلام ٨ : ٤٩) .

المدينة شرفها الله - وعلى ساكنها السلام . وقد شرحتها ، وشرحي لها
أذكره هنا معها .

وحدثني بالقصيدة شيخاي الفقيهان الإمامان العالمان المحصلان المفتيان
القاضيان الخطيبان : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي قاضي
الجماعة بفاس (١) ، والشريف أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الحسني
المعروف بالمومنان الفاسي عن الفقيه الإمام المحدث الرواية المأسند الحافظ
الحاج الرحال محبّ الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن
محمد بن رشيد الفهري السبّتي (٢) ، نزيل فاس . قال أنشدني لنفسه
الفقيه الإمام العام العلامة الرئيس القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود
ابن سليمان بن فهد الحلبي في سنة تسع وثمانين وست مئة بطريق
المدينة :

وَصَلَّيْنَا الشَّرَى وَهَجَرْنَا الدِّيَارَا
وَجَنَّاكَ نَطْوِي إِلَيْكَ الْقِفَارَا
أَتَيْنَاكَ نَحْنُ دُو الْبُكَاءِ وَالرَّكَابِ
وَنَبْعَثُ لُثْرَ الْقِطَارِ الْقِطَارَا

- (١) ترجم له لسان الدين في الإحاطة (٢ : ١٣٣) وأحمد بابا في نيل الابتهاج (٢٦٥)
وغيرهما . ووصفه ابن الخطيب بأنه مديد الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد وكاتب بليغ
وقال : إن أبا عنان المريني قدما قاضياً بحضرته . وهو توفي سنة ٧٧٩ كما في نيل الابتهاج .
- (٢) من أهل سبتة ولد بها سنة ٦٥٧ ، وتوفي بفاس سنة ٧٢١ ، يعرف بابن رشيد . أنقى
عليه ابن فرحون في الديباج المذهب (٣١٠) وقال إنه برع في علوم كثيرة رواية
ودراية . وهو صاحب الرحلة المشهورة باسمه ، وعنوانها :
« ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكرمتين إلى مكة وطيبة » .
قال في درة الحجال (٢ : ٩٦) إنه بدأ رحلته من المرية سنة ٦٨٣ .

إذا أخذت هذه في الرثبا
 مُصوداً أبى ذاك إلا التحدياراً
 وإن فاض ماء لِفَرَطِ الحنين
 ورجع حادي السرى عاد ناراً
 كأنني به وهو يجري دمًا
 وقوفاً على الحَيْفِ ترمي الجباراً

قال إسماعيل بن الأحمر مؤلف هذا الكتاب - لطف الله به - :
 قوله « أتيناك نحدو » إلى آخره . الحادي هو السائق من خلف العيس
 مُنْشِداً لتقوى على السير . والهادي : السائق من أمام . والبكا يد ويقصر
 بمعنى . وقيل البكاء (ممدود) ، [٥٤ / ب] هو العويل والصياح .
 [والبُكا] (مقصور) البكاء بالدمع من غير عويل . والركاب : الإبل تحمل القوم ،
 ويقال لراكبيها وراكبي سائر الدواب : الرُكب ، على وزن الضرب ،
 والأركوب ، بضم الهمزة ، والركبان . ويقال في جمع راكب السفينة رُكَّاب
 بضم الراء ، وإضعاف الكاف . والقطار الأول جمع قطر (مفتوح القاف ،
 ساكن الطاء المهملة) : الاسم لما يقطر من الماء . يُقال قطر الماء (بالفتح) قطراً
 - بسكون الطاء - وقطراناً . والاسم القطر ، والجمع القطار . والقطار الثاني تقطير
 الإبل على نسق حتى تكون كالسطر .

وقوله : « إذا أخذت هذه في الرثبا » إلى آخره . جمع ربوة ، بضم الراء
 وهي الأكمة . والأجمة التل . ويقال : الرابية ، والربوة ، بكسر الراء .
 والرباوة على وزن الهراوة . و « الصعود » بضم الصاد والعين المهملتين الارتفاع
 يقال : صعد ، بكسر العين صعوداً . أو أصد . أيضاً - على وزن أكرم ،
 إذا ارتقى مشرفاً ، أي موضعاً يُشرفُ عليه . والصعود - بفتح الصاد -

الطريق إليه . والجمع أصعدة . وقيل ، يقال : صعد في الجبل ، وأصعد في الأرض لا غير . والانحدار : الهبوط من علو إلى سفلى .

يقول : إذا طلعت بهذه الإبل ربوة بعد ربوة زادت الدموع جريانا وهبوطا . يصف بذلك وبالبيتين بعده : الدمع .

أَتَيْنَاكَ سَعِيًّا نُنَادِي الْبِيدَارَا	إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ الْبِيدَارَا
إِلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي تَحْتِيدِهِ	وَحَامِهِ (١) جَوَارَا ، وَأَعْلَى نَجَارَا
إِلَى مَنْ بِهِ اللَّهُ أُسْرَى إِلَيْهِ	وَمَا زَاغَ نَظِيرُهُ حِينَ زَارَا
وَلَمَّا تَزَعْنَا شَعَارَ (٢) الرُّقَادِ	لَبَسْنَا الدُّجَى وَادْرَعْنَا النَّهَارَا
نَمِيلُ مِنَ الشَّوْقِ فَوْقَ الرَّحَالِ	كَأَنَا سَكَارَى وَلَسْنَا سُكَارَى !
نُجَافِي عَنِ الطَّيْفِ أَجْفَانَنَا	فَلَا نَطْعُمُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا (٣)

وَنَسْتَسْرِي مَعَ الشَّوْقِ أَنْتَى سَرَى

وَنَتَّبِعُ حَادِي السَّرَى حَيْثُ سَارَا

وَنَسْأَلُ وَالِدَارُ تَدْنُو مِنَا	عَنِ الْقُرْبِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَزَارَا
وَمَا ذَاكَ أَتَانَا سَمْنَا السَّرَى	وَلَكِنْ دَنَوْنَا فَزِدْنَا انتظَارَا
إِذَا الْبَرْقُ عَارَضَنَا مَوْهِنَا	حَسَبْنَا سَنَى طَيِّبَةٍ قَدْ أَنَارَا
فَنَفْرِي بِأَذْرَعِ تِلْكَ النَّيَاقِ	أَدِيمِ الْفَلَاحِ غُدُوَّةً وَابْتِكَارَا
وَنَزْمِي بِهِنَّ صُدُورَ الْفِجَاجِ	كَأَنَّا نَنْشُنُ عَلَيْهَا مَغَارَا

قوله « موهنا » يريد ساعة مضت من الليل . يقال لذاك الوقت وَهْنٌ ؛

(١) في الأصلين : حامي (بالياء) .

(٢) في م : شفار (بالفاء) .

(٣) الغرار : القليل من النوم .

بسكون الهاء ، وموهن ؛ و « نفري » : نقطع . و « أذرع » جمع ذراع .
 و « النِّبَاق » جمع ناقة . و « أديم الفِلا » : وجهها ، أراد ظاهرها .
 و « الغُدوة » : بضم الغين المعجمة ، معروفة . وبفتحها المِرة الواحدة من
 الفعل في ذلك الوقت . و « الابتكار » الماضي بكرة ، وكذلك البُكور .
 و « الإِبكار » على وزن الإكرام اسم للبكرة . والفِجَاج : الطُّرُق الواسعة
 في أقبال^(١) الجبال واحدها فج ، بفتح الفاء وإضعاف الجيم . والأقبال : جمع
 قبل ، وقبلك ، على ما لم يسم فاعله ، أي استقبل وجهك . « نشن » أي نبث
 خيلاً . يقال شن وأشن . والمغار : اسم المصدر من أغار ؛ هذا بفتح الميم ،
 والاسم الغارة ؛ وهو إتيان القوم للقتال .

إذا رقصت في الفلاة المسطّية جعلنا الذموع عليها نثاراً^(٢)

تساند أرجلها في السرى لئديها وتشكو اليمين اليسارا
 ونجتمع بين السرى والمسير

ونخفقو الكسرى ونعاف القسارا
 وكيف القسار إلى أن نراك

وتسدي المسطي إليك المزارا
 ومن كان يأمل منك الدنو

أملك دون اللقاء اصطبارا ؟
 ترى تنتظر العين هذا البشير

يريني على البعد تملك الديارا

(١) الأقبال جمع قبل (بضم وضم) وهو من الجبل سفحه .

(٢) النثار والشاراة مائتات من الشيء .

[٥٥ / ب]

لأعطيه رُوحِي سُوراً بِهَا
وأوطيه طَرْفِي وَخَدِّي اعتذاراً

وَأَمْسَحَ عَنْ أَرْجُلِي اليَهُمَّاتِ
بِأَجْفَانٍ عَيْنِي ذَاكَ الْغُبَارَا

وأهدي - عَلَى الْقُدْرَبِ - مِنِّي السَّلَامَ
حَسْبِي بِهَا رُتْبَةٌ وَاقْتِصَارَا

وَأَكْتُبَ شَوْقِي بِمَاءِ الدَّمُوعِ
بَسِيطاً إِذَا اللَّفْظُ كَانَ اخْتِصَارَا

وَأَفْدِي بِمَا طَالَ مِنْ مُدَّتِي
بَطِيئَةً تِلْكَ اللَّيَالِي الْقِصَارَا

مَتَى هَلْ أَتَانِي هُنَاكَ الرَّسُولُ
جِهَاراً كَمَا أَرْتَجِي أَوْ سِرَاراً؟

وَأَعْلَمَ أَنِّي عَلَى بَابِهِ
وَقَفْتُ وَقَبْلْتُ ذَاكَ الْجِدَارَا

وَمَاذَا أَقُولُ وَكُلُّهُ الْوَرَى
نَشَاوَى هُنَاكَ مِثْلِي حَيَارَى

وَأُنْشِدُ يَا شَافِعَ الْمُذْنِبِينَ
أَجِيرُ مَنْ بَابِ حِمَاكَ اسْتَجَارَا

أَجِيرُنِي فَقَدْ جِئْتُ أَشْكُو الذُّنُوبَ
إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَنْقِيلُ الْعِثَارَا

فَكُنْ شَافِعِي يَوْمَ لَا شَافِعَ
سِوَاكَ يَنْقُلُ الْعَنَاءَ الْأَسَارَى

فما لي سيوى حق هذا الجوارِ لديك ومثلك يرعى الجوارا
وإنني قطعتُ إليك القِفَارَ فقيراً أَقْلَ^(١) ذُوباً كِبَاراً
وفي قَطْعِهَا لَكَ فَضْلٌ عَلَيَّ

ولو خُضْتُ دُونَ اللَّقَاءِ الْبِحَارَا
ولتَوْ أَسْتَطِيعُ قَطَعْتُ الزَّمَانَ

- وَأَنْتَ الْمُنَى - حِجَّةٌ وَاعْتِبَارَا
وما كنتُ أَظْعَنُ إِلَّا إِلَيْكَ

إِذَا مَا مَلَكَتْ لِرُوحِي اخْتِبَارَا

قوله : « اليَعْمَلَات » هي الإبل التي تعمل حملاً وركوباً وغير ذلك.
و « العُتَاة » جمع عان ، وهو الأسير . و « الظَّائِن » : الشاخص . يقال
ظعنٌ يظعنُ ظعنًا ، بفتح العين فيها ، وظعنوا على وزن خروج ، إذا
شخص . وشخص هنا صار من مكان إلى مكان ، شخوصاً .

حِمَى حِلٍّ فِيهِ نَبِيّ الْهُدَى
فَأَضْحَى بِهِ أَشْرَفَ الْأَرْضِ دَارَا

[٥٦ / أ]

فِيَا فَوْزَ مَنْ كُلِّ عَامٍ أَتَاهُ
وَيَا قَوْتَ مَنْ غَابَ عَنْهُ خَسَارَا

شَمْنَا الشُّدَى مِنْ مَبَادِي الْحِجَارِ
فَخَلِنَا الْعَبِيرَ أَعَارَ الْعَرَارِ^(٢)

(١) أَقْلُ الشَّيْءِ : حمله ورفعته .

(٢) العَرَار : بهار طيب الرائحة الواحدة عرارة .

فواهاً (١) لها نفحة أذكّرتْ

هوايَ وأذكّنتْ بِقَلْبِي الشُّرَارَا

إذا خَطَرَتْ في الرُّبَا سُحْرَةَ

وَجَرَّتْ ذُبُولًا عَلَى الْغَارِ غَارَا

« الغار » هنا نبت طيب الريح . وغار : الماضي من « الغيرة » . تقول

غار الرَّجُلُ يَغَارُ غَيْرَةً وَغَاراً فهو غيران . وامرأة غيُورٌ وغيرى ، والجمع الغُيُورُ على مثال الشُّرُرُ ، والغَيَارَى على مثال الحَيَارَى .

يَمَانِيَّة زَاتَهَا أَنْهَا بِطِيبَةِ مَرَّتْ وَجَرَّتْ إِزَارَا

عَلَى مَنْ سَرَّتْ مِنْ حِمَاهُ السَّلَامُ

وَحَيَّى الْحَيَا ذَلِكَ الرَّبْعَ دَارَا

الفقيه الحاج محمد بن محمد بن الشَّدِيد (*) :

يكنى : أبا عبد الله . وأدركته ، وهو من أهل مائقة ؛ وارتحل عنها

ويعرف بالشَّدِيد .

حاله - رحمه الله تعالى - :

شاعر طلقُ اللسان ، وأديبٌ أحسنَ في القريض كلَّ الإحسان . وسابقٌ

ركضَ في ميدان الفصاحة فجلّسى ، وأريبٌ طلع في سماء البراعة فتَجَلّى .

(١) فيها : فهو أ . وأرجح أنها معرفة عما أثبت .

(*) ترجم له لسان الدين في « الإكليل الزاهر » ، ونقل عنه صاحب النفع (٦ : ٢٣٧)

وفيه : شاعر مجيد حول الكلام ، ولا يقصر فيه عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز لأول مرة فطال في البلاد الشرقية ثوابه ، وعميت أنبأه . ونقل قصيدته هذه التي رواها ابن الأحمر .

فإن مدح أصاب ، وإن تغزل أهل المصائب ^(١) . ولم تزل روضات إجادته ذات أزهار ، وبدائع قصائده في سمو واشتهار . فمن شعره الذي يخبر بإجادته ، ويدل على براعة أدبه ومجادته ، قوله يمدح ابن عم أبينا أمير المسلمين أبا الحجاج :

لَسْنَا فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ مَقَامٌ وَمِنْ فَوْقِ النُّجُومِ لَنَا مَقَامٌ
رَوَيْنَا مِنْ مِيَاهِ الْمَجْدِ لَمَّا وَرَدْنَاهُ ^(٢) وَقَدْ كَثُرَ الزُّحَامُ
فَنَحْنُ هُمْ وَقُلَّ لِي مَنْ سِوَانَا
لَنَا التَّقْدِيمُ قِدَمًا وَالْكَلامُ

[٥٦ / ب]

لَنَا الْأَيْدِي الطُّوَالُ بِكُلِّ ضَرْبٍ ^(٣)
يَهْزُ بِهِ لَدَى الرُّوعِ الْحُسَامُ
5 وَنَحْنُ اللَّابِيسُونَ لِكُلِّ دِرْعٍ
يُصِيبُ السَّمَرِ مِنْهُنَّ انْتِشَامُ
بَأَنْدَلُسٍ لَسْنَا أَيَّامُ حَرْبٍ
مَوَاقِعُهُنَّ فِي الدُّنْيَا عِظَامُ
تَوَى مِنْهَا قُلُوبَ ^(٤) الرُّومِ خَوْفُ
يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي الْمَهْدِ الْغُلَامُ
حَمِينَا جَانِبَ الدِّينِ احْتِسَابًا
فَهَا هُوَ لَا يَهَانُ وَلَا يُضَامُ

(١) كذا فيهما .

(٢) في النسخ : وردناها .

(٣) في النسخ : بكل صوب .

(٤) كذا في النسختين ، وفي النسخ أيضاً .

وَتَحَنَّتْ الرَّايَةَ الْحَمْرَاءِ مِنَنَا
10 بَنَوْا نَهْرِي وَمَا أَدْرَاكَ مَا هُمْ
كَتَائِبُ لَا تَطْلُقُ وَلَا تُرَامُ
لَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ فَتَسَكَّاتُ عَمْرُو
أَسْوَدُ الْحَرْبِ وَالْقَوْمُ الْكَرَامُ
يَقُولُ عِدَاتِهِمْ مِمَّا أَلَمُوا :

إِذَا شَرَعُوا الْأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبٍ
فَحَقِّقْ أَنْ ذَاكَ هُوَ الْجَمَامُ !

كَأَنَّ رَمَاحَنَا فِيهَا نُجُومُ
15 أَنَاسُ تَخْلُفُ الْأَيَّامُ مَيْتًا
إِذَا مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَ الْقَتَامُ
رَأَيْنَا مِنْ أَبِي الْحِجَاجِ شَخْصًا
بِحَسْبِ مِنْهُمْ ، فَلَسَهُمْ دَوَامُ
مُؤَقَّتِي الْعِرْضِ ، مَحْمُودُ السَّجَايَا
عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ لَهُ قِيَامُ
كَرِيمُ الْكَفِّ ، مَقْدَامُ مِمَامُ
يَجُولُ بِذِمَّتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
إِذَا مَا الرَّأْيُ فِي نَوْبِ اللَّسَالِي
قَوِيمُ الرَّأْيِ فِي نَوْبِ اللَّسَالِي
20 لَهُ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ مَضَاءُ

رُؤُوفٌ قَادِرٌ يُغْضِي وَيُغْفُو
تَطُوفُ بَيْتِ سُودَدِ الْقَوَافِي
وإنَّ عَظِيمَ اجْتِنَاءٍ وَاجْتِرَامُ
وَتَسْجُدُ فِي مَقَامِ عُلَاهِ شُكْرًا
كَمَا قَدْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْأَنَامُ !
وَنِعْنَمَ الرُّكْنُ ذَلِكَ (١) وَالْمَقَامُ (٢)

[٥٧ / أ]

أَفَارِسَهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَخْنَتْ عَلَى أَبْطَالِهَا وَدَنَا الْحِيَامُ

(١) في النسختين : ذلك المقام . والمثبت من النسخ .

(٢) تجاوز الشاعر في الثلاثة الأبيات إلى مبالغات شديدة !

25 ومُمَطِّرَها إذا ما السَّحْبُ كَفَّتْ
- وكفَّ أخِي النَّدَى أبداً غماماً! -

لَكَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ بِكُلِّ قَطْرِ
لَكَ الشَّرَفُ الْأَصِيلُ الْمُسْتَدَامُ

لَقَدْ جُبِينَا (١) الْبِلَادَ فَحَيْثُ سِيرْنَا
رَأَيْنَا أَنَّ مُلْكَكَ لَا يُرَامُ

فَضَلْتَ مَلُوكَهَا شَرْقاً وَغَرْباً وَبَيْتُ الْمُلْكِهَا يَقِظُ، وَنَامُوا!
فَأَنْتَ لِكُلِّ مَعْلُوءَةٍ مَدَارٌ وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ إِمَامُ
30 جَعَلْتَ بِلَادَ أَنْدَلُسٍ إِذَا مَا ذُكِرْتَ تَغَارُ مِصْرُ وَالشَّامُ!

مَكَانٌ أَنْتَ فِيهِ مَكَانُ عِزٍّ وَأَوْطَانٌ حَلَّتْ بِهَا كِرَامُ

وَهَبْتُكَ مِنْ بَنَاتِ الْفَكْرِ بِكْرًا
لَهَا مِنْ مُحَسِّنٍ لِقِيَاكَ ابْتِسَامُ

فَنَزَّهَ طَرْفَ مَجْدِكَ فِي مُحْلَاهَا
فَلِلْمَجْدِ الْأَصِيلِ بِهَا اهْتِمَامُ



الفقيه الضرير :

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري (*) :

يكنى : أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، وهو من أهل المرية . وارتحل
عن الأندلس إلى المشرق ، فحج ، واستوطن مدينة حاب من الشام ؛ ودرّس
بها العلوم ، وكان^(١) أهل الفتيا فيها .

حاله - رحمه الله - :

تَحَلَّى بِعِلْمٍ بَارِعَةٍ ، وَمَحَاسِنِ لِأَشْتَاتِ الْفَوَائِدِ جَامِعَةٍ ، وَهُوَ سِرَاجُ
الْأَدَبِ الْمُتَوَقَّدِ الضِّيَاءِ ، وَالْمُسْتَوَلِي عَلَى أَمَدِ الْمَكَارِمِ وَالْحَيَاءِ . وَشَعْرُهُ مَهْمَا فَرِي
يَسْتَلِمُ أَرْقٍ وَأَجْزَلَ مِنْ شَعْرِ الرَّضِيِّ بِذِي سَلَمٍ^(١) . مَعَ النَّثْرِ الْبَدِيعِ ، الَّذِي فَاقَ
بِهِ الْبَدِيعَ ، الَّذِي كَنَجَمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ فَسَمَا بِأَدَبِهِ ، وَطَلَبِ الْعُلُومِ فَجَازَهَا
بَطَلْبِهِ . وَارْتَحَلَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ لِلطَّلَبِ ، فَاحْتَلَّ مِنَ الشَّامِ بِحَلَبَ . فِدْرَسَ
الْعُلُومَ بِهَا ، [٥٧ / ب] وَنَجَحَ مَطْلُوبُهُ بِسَبَبِهَا .

فمن قوله يمدح ابن عم أبينا أمير المسلمين أبا الحجاج :

عَلِيٌّ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ ذِمَامٌ وَلِي بَمَدَارِكِ الْمَجْدِ اهْتِمَامٌ
وَأَحْسَنُ مَا لَدَيْهِ لِقَاءُ حُرٍّ وَصُحْبَةُ مَعْشَرٍ بِالْمَجْدِ هَامَامُوا

(*) من ارتحلوا إلى المشرق أبو عبد الله بن جابر الضرير (ت ٧٨٠) وعرف في المشرق
بلقب شمس الدين . صاحب بديعية العميان ، ارتحل مع صاحبه الرعيني . قال في النفع
(٢ : ٦٦٤) له أمداح نبوية كثيرة وتواليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك ،
وله ديوان شعر . وأمداحه النبوية في غاية الإجادة .

(ترجمته في نفع الطيب ٢ : ٦٦٤ ، والدرر الكامنة ٣ : ٣٢٩ ، ونكت الهميان

٢٤٤ ، والوافي للصفدي ٢ : ١٥٧ ، وبغية الوعاة ١ : ٣٤ ودرة الجلال ٢ : ٢٤٢)

(١) كذا فيها .

وإني حين أنسب من أناسٍ على قسطن النجوم لهم مقام
يميل ٣٣ إلى المجد ارتياح كما مالت بشاربها المدام
5 هم لمبسوا أديم الليل برداً ليُسفر عن مُرادهم الظلام
هم جعلوا متون العيس أرضاً
فقد عزّموا الرّحيل فقد أقاموا
فمن كل البلاد لنا ارتحال وفي كل البلاد لستنا مقام
وحول موارد العلياء منها لنا مع كل ذي شرف زحام
تصيب سهامنا غرض المعالي إذا ضللت عن الغرض السهام
10 وليس لنا من المجد اقتيناع ولو أنّ النجوم لنا خيام
أنزّه (١) عرضنا عن كل لؤم فليس يشين سوددنا ملام
ونبذل، لآنقول : العام ماذا (٢) سواء كل خصب أو حطام
وإن حضر الكلام ففي يدينا
ملاك أمورهم ولستنا الكلام
وفينا المستشار بكل علم ومينا اللئث والبطل الهام
15 فميدان الكلام لستنا مداه (٣) وميدان الحروب بينا يقام
كلا الأمرين ليس له بقوم سيوانا [عند] (٤) نازلة تمام
تريق دم المداد بكل طرس
وليس سيوى الميراع لنا سهام

(١) في الأصلين أنزه ، والأشبه « نزه » .

(٢) فيها «ماذا» ، ولعلها محرفة عن مثل « محل » .

(٣) فيها : مدامه . ونرجح ما أثبت .

(٤) أسقط النساخ كلمة من الشطر الثاني . وما بين معقوفتين مقترح .

ونكتبُ في المثقفة العوالي
بحيثُ الطرسُ لبَّاتٌ وهامُ !

[٥٨ / أ]

إذا عبستُ وجوه الدهر منّا^(١)

إليها فاثنتُ ولها ابتسامُ
20 ومها اغوجت الأيامُ كنّا
لها في كلّ مُعضلة قوامُ
وجرّ لباسها لأمات حربٍ
لهنّ بحكم السردِ اتّسامُ
ونلبسها إذا عري الحُسامُ
ونبسمُ والوجوهُ لها انقباضُ
ولولا صبرُنا في كل حربٍ
25 نحارب دونهُ الأعداءَ حتمى
تذلّ لعزّه الثوبُ العظامُ
لقد علمتُ مثوكُ الرومِ أنّا
أُناسُ ليس يُعوزنا مرامُ
وليس يضرُّنا أنّا قليلُ

لعمُرُ أهلكَ ما كثرَ الكرامُ !
إذا ما الرّايةُ الحمراءُ هزّتْ

فثمّ هناكَ للحربِ ازدحامُ
وما احرّتْ سُدّي بل من دماءِ
لهنّ على جوانبها انسيجامُ
30 نطلّلُ من بني نصّرٍ ملوكاً

حلالُ النومِ عندهمُ حرامُ
فكم قَطَعُوا الدُّجاءَ في وصلِ مجدٍ
وكم سَهَرُوا إذا ما النَّاسُ ناموا

(١) كذا فيها . والأشبه أن تكون مثل « تمنا » .

إذا بانَ العَجَاجُ بِبَيْتِومِ حَرَبٍ

فَمَا يَنْدَرِي الْوَرَاءُ وَلَا الْأَمَامُ

هَدَتْهُمْ نَحْوَ قَصِيدِهِمْ وَجْوهُ

كُتَائِبُ لَا يُفْلُهَا اعْتِزَامُ

35 إِذَا رَكِبُوا مَتُونَ الْخَيْلِ قَالَتْ

رَأَوْا أَنَّ الْعِلاَّ سَيْفٌ وَسَيْبُ

يَعْمَدُونَ السِّیُوفَ فَنُونَ زَهْرٍ

فَمَا غَيْرُ الدِّمَاءِ لَهُمْ مُدَامُ

[٥٨ / ب]

وَلَيْسَ نَجُومُهُمْ إِلَّا الْعَوَالِي

40 وَأَكْدَ مَا عَلَيْهِمْ بَذْلُ نَعْمَى

وَمَا افْتَتَحُوا بِغَيْرِ النَّصْلِ أَمْرًا

فَمَا لِلْجَمِيلِ شُكْرُهُمْ انْتِهَاءُ

بَنَوْا فِي الْمَسْجِدِ مَا لَمْ يُبَيِّنْ قَدِيمًا

فَمَا لِمَسْشِينِهِمْ نَجْدُهُمْ انْتِهَامُ

يَعْوِضُ مِنْهُمْ مَاضٍ بَاتٍ

45 أَقَامَ لَهُمْ أَبُو الْحَجَّاجِ ذِكْرًا

تَأْمَلُ كُلَّ مَكْرَمَةٍ لَدَيْهِ

فَتَنَى فَضْلَ الْمُلُوكِ بِكُلِّ وَجْهِ

فَبَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ مِنْهُ

تَرَاهُ - مع الشباب - أَغْفُ شَخْصٍ

عَلَى كَشْحِيهِ قَدْ عَقَدَ الْحَزَامُ

50 نقيي^(١) عرضهُ عن كلِّ شَيْئِنِ

سليمٌ فِعِلُّهُ عما يُذام
لقد نهضتْ جِيادُ علاه حتَّى
فوردَها المجرَّةُ لا بِبِصَدَى^(٣)

ومرعاها الكواكبُ لا الإِكامُ^(٤)
ومن بين البُرُوجِ لها تَجالُ^(٥) وفي أيدي الرِّياحِ لها زِمَامُ^(٦)
بحَقْلِكَ هل تُنْقِصِرُ من مرادٍ جِيادُ قَادَها ذاكَ اللِّجَامُ؟

55 وما تركتْ مَدَى في المَسْجِدِ إلا
عليه لَهَا استِباقُ واقتِحَامُ

فمن نَسَجِ النُّجُوعِ لها جِلالُ^(٥)
ومن مُحِبِّكِ السَّمَاءِ لها حِيْزَامُ^(٦)
هو البَحْرُ الذي لولا نَسَداهُ
لكان لكل ذي أَمَلٍ أَوامُ^(٧)

فما لي ليسَ أنْفِقَ فيه شعري
ولولاهُ لَمَّا نَفَقَ الكَلَامُ !

(١) في الأصلين : نقي . ونرجح ما أثبت .

(٢) فيها : يرام ، ونرجح ما أثبت .

(٣) صدى : ركية «بشر» ليس عند العرب -قالوا- أعذب منها .

(٤) الإِكامُ ج أكمة (التل) .

(٥) الجلال جمع جل (بالفتح) ما تغطى به الدابة لتصان .

(٦) الحبك جمع حبيكة وهي مسير النجم .

(٧) الأوام : العطش .

تَحْمُومٌ عَلَى مُحَاسِنِهِ الْمَسْعَانِي
نَعَمٌ وَعَلَى مُحَاسِنِهِ يُجَامُ
60 وَتَزْدَحْمُ الْقَوَافِي فِي حِمَاهُ
وَحَوْلَ الْعَذَابِ قَدْ كَثُرَ الزَّحَامُ
فَمَنْ^(١) لَا يَعِدُ الْمَالَ إِلَّا
لِحَمْدٍ يُقْتَنَى وَعُلا يُسَامُ
جَعَلْنَا الْحَمْدَ مَبْدَأَ كُلِّ مَجْدٍ
لِعِلْمِكَ أَنَّ ذَاكَ لَهُ تَمَامُ

الفقيه الحاج

إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي (*)

يكنى : أبا إسحاق ويعرف بالساحلي وبالطشويجن^(٢) ؛ بضم الطاء المهملة ، وفتح الواو ، وسكون الياء بائنتين من أسفلها وفتح الجيم . وأدركته وهو من أهل بلدنا غرناطة من بيت ثروة^(٣) وصلاح وأمانة .

(١) في الأصلين « فحن » . ولا يستقيم .

(*) كاتب ، شاعر ، فقيه ، متفنن ، عالم بالفرائض . عمل في حدائته موثقاً بسماط شهود غرناطة ، وقصد إلى المشرق فأدى فريضة الحج ، وفي عودته استقر بمالي مكرماً عند ملكها . وأقام هناك إقامة مستقر ، ففي الإحاطة (١ : ١٨٣) ما يدل على أنه رزق بأولاد من أمهات سمراوات . وقال صاحب النفح ٢ : ١٩٤ إنه نقل عن يوثق به أن وفاة الساحلي كانت سنة ٧٤٧ بمدينة تمبكتو بمالي . بينما قال ابن الخطيب في الإحاطة إنه توفي سنة ١٣٩ .

(٢) ترجمته في نشير الفرائد الجمان ٣٠٨ ، ونفح الطيب ٢ : ١٩٤ ، والاستقصا ٣ : ١٥٢ (

(٣) في الأصلين ثورة . وهو تحريف .

كان أبوه أمين العطارين بغرناطة . وكان مع أمانته من أهل العلم ،
فقيهاً متفهماً . وله الباع المديد في الفرائض .
وأبو إسحاق هذا كان في صغره موثقاً بسباط شهود غرناطة .
وارتحل عن الأندلس إلى المشرق . فحج ثم سار إلى بلاد السودان (١)
فاستوطنها ، ونال جاهاً مكيناً من سلطانها . وبها توفي ، رحمه
الله تعالى .

حاله - رحمه الله - :

طلع في سماء الأدب كوكباً وقادراً . وقام في روض البراعة غصناً
ميداً . وزها في النّحو على سيبويه ، وفي اللغة على نفطوَيْه . وفي
الإنشاء على ابن العميد ، كما أربى في البلاغة على عبد الحميد . وله
مُشاركة في المسائل الفقهية ، وأبرع ما كان في الطريقة الأدبية .
وكان صاحب همّة سنية . ومن علو همّته ، وجلالة رتبته أن أمير
المسلمين أبا الحسن ملك المغرب الحسن ، طلب منه أن يكتب في
حضرتِه ، ويكون من جملة خدام دولته ، [٥٩ / ب] فتأبى منه
وانحرف عنه ، وأنف من ذلك ، ولم يرض أن يكون أحد له مالِك !
وقال له : أيد الله مولانا الخليفة ، وأدام أيامه المنيفة ! أقبلني من
هذا ، وكن منه ملاذاً . فقال الملك ولم ، وقد عمّتك النعمى ؟
قال : لا أرضى أن يرأسني عبد المهيمن (٢) الحضرمي ! فتعجب منه
السلطان ، وأجزل عليه بذلك الإحسان ! فانظرُ همة هذا الفقيه
ما أعلاها ، ونفسه النفيسة ما أزكاها !

(١) هي بلاد « مالي » كما سبق .

(٢) سترجم له ابن الاحرار في أول الباب العاشر .

فمن قوله - رحمه الله - ما كتب به من أرض الحبشة للأندلس ،
 إلى صديقه الفقيه الكاتب القاضي أبي القاسم بن أبي العافية .
 لِمَنْ الرُّكَّابُ خُضْنَ رَمْلَ زُرُودٍ (١)
 وَسَرَيَيْنَ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنُجُودٍ
 وَجَرَيْنَ فِي بَحْرِ السَّرَابِ سَفَائِنًا
 أَلْبَسْنَ قَارَأَ لِلْيَمَالِي السُّوْدَ
 وَرَأَيْنَ وَطَاءَ الْأَرْضِ مَنَقَصَةَ الْهَوَى
 فَوَطْنَنَ فَوْقَ حَاجِرٍ وَخُدُودٍ !
 هُنَّ الْمَسَاطِيَا عَوَّضَتْ مِنْ طَائِفِهَا
 يَوْمَ النَّوَى نُونًا لِكُلِّ عَمِيدٍ
 5 وَهَفَّتْ بِهَيْفٍ عَاقَرُوا تَحْتَ الدُّجَا
 خَمْرَيْنِ مِنْ أَيْنِ (٢) وَمِنْ تَسْهِيمِدٍ
 تَرْكُوكَ تَسْتَقْرِي الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ
 وَسَرَوْا بِسِلْسُورِ فُؤَادِكَ الْمَفُودِ (٣)
 فَبِكُلِّ وَادٍ أَنْتَ رَائِدُ مَرْبَعٍ
 وَبِكُلِّ نَادٍ أَنْتَ نَاشِدُ غِيدٍ
 سِيرًا فِدُونَ مَنَّاكَ قَطَعَ مَهَامِهِ
 قَطَعَ النَّيَاطُ بِهَا نِيَاطَ الْقُودِ (٤)

(١) زرود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع .

(٢) الأين : التعب والإعياء .

(٣) الشاو : البقية من كل شيء .

(٤) يقال مفازة بعيدة النياط : بعيدة الحد . والقود -ج- أفود : الذلول المنقاد من الخيل .
 والنياط الفؤاد ، وعرق غليظ علق به القلب إلى الرئتين .

- طَرَبِي إِذَا جَنَّ الظَّلامُ لَأَنَّهُ
 فِي ظَهَرِ عَوْدٍ (١) لَا لِسِرَّةٍ عَوْدٍ !
- 10 كَمْ مِينَ طِيلَاحِ (٢) فَوْقَهَا أَمْثَالُهَا
 لَمْ تَكْتَحِيلْ أَجْفَانُهُمْ بِسَهْجُودٍ
 كَالسَّمَرِ هُزَّتْ فِي أَكْفٍ فَوَارِسٍ
 وَالْبَيْضُ سَلَّتْ مِنْ بَطُونِ غُمُودٍ
 أَنْضَاهُمْ طُولُ الشَّرَى فَتَخَالَهُمْ
 أَوْهَامَ فِكْرٍ فِي صُدُورِ الْبَسِيدِ !
- [٦٠ / أ]
- سَاجَلَتْهُمْ تَحْتِ الدُّجَى بِشِمِيلَةٍ (٣)
 فُطِرَتْ عَلَى التَّأْوِيبِ وَالتَّسْمِيدِ (٤)
 أَهْدَتْ إِلَى سُلْعٍ تَحِيَّةَ حَاجِرٍ (٥)
 وَحَشَّتْ عَلَى نَجْدٍ تُرَابَ زَرْوُدٍ
- 15 وَكَأَنَّمَا آثَارُهَا فَوْقَ الثَّرَى
 وَطَأَتْ مُنْشَعِبِ (٦) الْجِرَاحِ طَسْرِيْدٍ

(١) العود : المسن من الإبل .

(٢) طَلَح : تعب من السير ، وطلح الرجل البعير جعله يعمي ويهزل .

(٣) الشملة : السريعة الخفيفة . و« التسديد » هي القراءة الظاهرة للكلمة .

(٤) التأويب سير النهار كله إلى الليل .

(٥) سلع : جبل متصل بالمدينة . وحاجر : منزل للحاج بالبادية (موضع) .

(٦) انشعب الماء والدم ونحوهما : انفجر .

ولكم قصي الحوض منهد الجببا (١)
 لا يهتدي فيه القطا لورود
 إن ضل وارده هده صوبته
 رمم الضراغم دونه والسيد (٢)
 5 وكانها ريش النواهض (٣) حوله
 مسنونة (٤) برت قصار العود (٥)
 وافيته والذيب يوجس خيفة
 فيه ويرعد رعدة المرؤود (٦)
 فبروت منه - ولم أكد - حتى ارتوى
 مسراي من نبي (٧) ، وني قعودي
 ولكم رحيب الصدر مملوم (٨) القرى (٩)
 كلح التواجد مشرب الجيد
 مها أحس بيناة (١٠) أصغى لها
 أذني مسمع والتفات رصييد

(١) الجببا : الماء المجموع في الحوض .

(٢) السيد : الذئب .

(٣) النواهض ج ناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه ، وتهيا للطيران .

(٤) المسنونة : الأرض التي أكل نباتها .

(٥) في م : برئت . وفي ط برت .

(٦) ترأد «الشيء» : اهتز واضطرب .

(٧) نوى ينوي نية ونوى : تحول من مكان إلى مكان .

(٨) المملوم : المجتمع المدور .

(٩) القرى : الظهر . وكلح : عبس .

(١٠) النبأة : الصوت الخفي .

- 10 كَفَاهُ كِفَّتُهُ^(١) لِيَوْمٍ قَنِيصِهِ
وِذْرَاعُهُ حَبْلٌ لِكُلِّ مَصِيدِ
مَا بَاتَ مِنْهُ قَضَاقِضٌ^(٢) إِلَّا عَلَى
أَسْلَامٍ لَحْمٍ أَوْ دَمٍ مَمْعُودِ
آوِي إِلَى أَجْمَاتِهِ مُسْتَسْلِمًا
وَأَهَابُ مَاوَى شَامِتٍ وَحَسُودِ !
أَخْشَى الْمَقِيلَ بِظِلِّهِ مُسْتَوْفِزًا^(٣)
وَأَظْلَ بَيْنَ أَسَاوِدِ^(٤) وَأُسُودِ
يَارَاكِبَا إِمَّا أَنْخَضْتَ مُقْتَلًا
فِي ظِلِّ ضَالٍ^(٥) بِالْعَقِيقِ^(٦) نَضِيدِ
15 وَرَقَعْتَ مِنْ رَوْضِ الْجَلَالِ بِبَاسِقِ
غَضَّ الْأَزَاهِرِ يَانَعِ الْأُمْلُودِ^(٧)
قُلْ لِمِلَّتِي عَاطِيَتُهُ مَحْوُضَةٌ
مِنْ خَالِصِي وَدَّتِي وَحُسْنِ عَهْدِي
أَعْلَى الْغِنَى أَوْجَفْتُ لَا كَانَ الْغِنَى
سَبَقَ الْقَضَاءُ بَرَزِقِي الْمَوْعُودِ

(١) الكفة : حباله الصائد .

(٢) القضاقض : الأسد .

(٣) استوفز : جلس على هيئة كأنه يريد القيام .

(٤) أساود ج أسود : العظيم من الحيات وفيه سواد ، وهو أخبثها وأنكأها .

(٥) الضال : السدر البري « شجر » .

(٦) عقيق المدينة على ميلين منها ، وفيه نخل .

(٧) الأملود : الناعم اللين .

بل طيرتُ ملءَ قَوادِمي نَحْو العِلا
 طيرَ القِطَاةِ تَخَافُ فِتْوَتَ وُرُودِ !
 فَطَلَعْتُ مِنْ أَثْنَاءِ كُلِّ ثَشْبِيَّةٍ
 وَتَرَكْتُ مُطْلِعَ أَفْقِي المَعْمُودِ
 [٦٠ / ب]

20 هذا ، وما نَجْدِيَّةٌ قَدْ عَارَضَتْ
 ضَالَ العَقِيقِ وَطَلَعِهِ المَخْضُودِ (١)

وَلِهَاءُ تَعْتَرِضُ الصَّبَا كَلِيفًا بِمَا
 جَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَبْلَا وَبُرُودِ
 إِنَّ مَسْهَا وَخَزْهُ الهَجِيرِ تَذَكَّرْتُ
 مَاءَ الْحِجَازِ وَظِلِّهِ المَمْدُودِ

أَوْ عَارَضَتْ شَوْقِي وَدَمْعِي سَاءَلَتْ
 عَنْ بَرْقِهِ وَسَحَابِهِ المَوْرُودِ
 بِأَشَدِّ مِنْ شَوْقِي لِنَبْعِ رَكِيَّةٍ (٢)

عَلَيْتُ سَرَاةَ بَنِي أَبِي وَجُدُودِي
 25 قَتَوْتُ تَنَابُوتِ النُّوَابِ شَمْلَهُمْ
 فَتَشَرَّنَ سَلَكَ نِظَامِهِ المَعْقُودِ

صَدَعْتُ لِفَقْدِهِمُ الخُطُوبُ زُجَاجَتِي
 وَلَاحَتْ (٣) لِبَعْدِهِمُ اللَّيَالِي عُودِي

(١) الطلح : شجر عظام « المخضود » في النسختين ، ومن معانيها الثني .

(٢) الركبة : البئر .

(٣) لحا الشجرة : قشرها .

وأضلَّ صَبْرِي طَرْقَهُ ، وَهَدَى الْأَسَى
 دَمْعِي لِمَسْلِكِ خَدْيِي الْمَخْذُودِ
 قَدْ كُنْتُ أَرْتَعُ مِنْ نَدَاهُمْ فِي حِمَى
 رَوْضٍ وَأُكْرَعُ فِي حِيَاضٍ بِرُودِ
 فَإِذَا وَرَدْتُ وَرَدْتُ غَيْرَ مُزَاحِمِ
 وَإِذَا صَدَرْتُ صَدَرْتُ غَيْرَ مَذُودِ
 30 وَلَرَبُّ سَافِرَةِ النَّقَابِ تَبَسَّمتُ
 عَنْ لَوْلُؤٍ مِنْ ثَغْرِهَا مَنْضُودِ
 نَظَمْتُ مِنَ السَّحَرِ الْحَلَالِ مُكَلَّلًا
 فَضَحَ الْقَلَائِدَ فِي نَحُورِ الْغَيْدِ
 وَتَبَسَّمتُ عَنْ رَوْصَةٍ قَدْ أَقْطَفْتُ
 بَيْضَ الْأَمَانِي مِنْ سُطُورِ مَوْدِ !
 وَأَرْتُكَ مِنْ أَنْقَاسِهَا وَحَرُوفِهَا
 شُهَا تَجَلَّتْ فِي بُرُوجِ سَعُودِ
 وَأَتَتْ مُحَاسِنُهَا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ
 أَغْنَتْ مُقَلَّدَهَا عَنِ التَّقْلِيدِ
 35 وَقَفَ ابْنُ حُجْرٍ دُونَهَا وَتَخَبَّطَ
 فِي نَسْجِ حُلَّتِهَا أَكْفَ لَبِيدِ (١)
 يَا بِنْتَ مَنْ حَلَمْتُ سَوَاقٍ فَضْلِهِ
 وَشَاتُ هِمَمِ الْعُلَا وَالْجُودِ

(١) ابن حجر « امرؤ القيس » وليد ، شاعران مشهوران .

أَمَّا حَدِيثُكَ فَهوَ دُرٌّ كُلُّهُ الـ
 أَسْمَاعَ حَلَمِيَّ جَوَاهِرٍ وَعُقُودِ
 أَتَنَدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ وَقَعِ النَّدَى
 وَالَّذِ مِنْ نَفْثَاتِ صَوْتِ الْعُودِ !
 أَذْكَرَ تِنِينِي - وَأَبْيَكَ - عَصَرَ شَبِيئَةٍ
 ذَهَبَ الزَّمَانُ بِعَيْشِهِ الْمَحْمُودِ

[٦١ / أ]

40 وقصصت غير مطيلة أنباءه
 عُودِي لِبَدْ حَدِيثِهِ ، أَوْ عَيْدِي (١)
 كَانَ الشَّبَابُ دُجَى تَمَزَّقَ لَيْلُهُ
 عَنْ ضَوْوٍ لَا حَسَنٍ وَلَا مَحْمُودِ
 وَإِذَا الْجَدِيدَانِ (٢) اسْتَجَدَا (٣) صُحْبَةً
 ذَهَبًا بِشَوْبِ اللَّبْيَانِ مَدِيدِ
 جَلَسَتْ بِدَيْهَتِكَ التِّي قَدْ أُعْجِلَسَتْ
 عَنْ مَوْقِفِ التَّهْذِيبِ وَالتَّجْوِيدِ
 وَرَمَتْ مُسَاجِلَكَ الْجَهَالَةِ فِي مَدَى
 شَاوِرِ (٤) قِصِي الْجَانِبَيْنِ بَعِيدِ

(١) فِي النسختين : أَنبَاؤُهُ ، عِيد . وَنَرَجَحُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

(٣) فِي النسختين : اسْتَجَدَ . وَنَرَجَحُ مَا أَثْبَتَ .

(٤) فِي النسختين : شَاوِي .

45 فَمَتَى دَعَوْتُ لَهَا الْقَوَافِي أَجْفَلْتُ
فَعَلَ الظِّلِمَ (١) وَأَذَنْتُ بِشُرُودِ

فَلَوْ اسْتَطَعْتُ لِنَفِضْتُ دَرًّا بِكَيْتِي (٢)
وَسَتَرْتُ بَهْرَجَ قَوْلِي الْمُنْقُودِ

وَلَوِيتُ ثَنِيًّا مِنْ عِنَانِي نَاكِصًا
عَنْ مَرْقَبِ أَعْبَى إِلَيْهِ صُعُودِي

لَكُنْهَا نَفْثَاتُ مُلْتَهَبِ الْجَوَى
وَكَلَامُ مَكْلُومِ الْحَسَا مَنُجُودِ (٣)

50 غَطَّيْ هَوَاهُ عَقْلَهُ فَاقْتَادَهُ
لِمَوَاقِفِ التَّهْذِيبِ وَالتَّجْرِيدِ

فَجَاوَبَهُ صَدِيقُهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي الْعَافِيَةِ ، الْمَذْكُورُ ،
بِقَوْلِهِ :

أَمَلِي عَلَى كَيْبَرِي وَطُولِ عُهُودِي
رَجَعُ الشَّيْبَةِ وَالْهَوَى الْمَعْهُودِ

(١) الظلم : ذكر النعام .

(٢) بكأت البئر : قل ماؤها . وبكأ الحيوان الحلوب . قل لبنه .

(٣) نجد « بضم النون » أصابه الكرب والغم فهو منجود .

وَدُنُوهُ مُنْتَرِحِ الدَّيَارِ رَمَتْ بِهِ
 كَالسَّهْمِ مَبْرِيئًا قِيسِي الْقُدُودِ (١)
 فَسَرَى كَبْدَرِ الْأَفْقِ يَعْتَرِضُ الدَّجَا
 وَيُمِيطُ سِجْفَ (٢) رَوَاقِهَا الْمَمْدُودِ
 تَرْدُ الْقَطَا مِنْ سُورِهِ (٣) حَيْثُ انْتَهَتْ
 أَسْرَابُهَا بِسِحْفَيْفِهِ الْمَجْهُودِ
 وَتُظْلِمُهُ كَالشَّجْبِ رِيشُ قَوَادِمِ
 مِنْ كُلِّ فَتَحَاءِ الْجَنَاحِ صِيدُودِ (٤)
 وَالْوَحْشُ تَأْكُلُ فَضْلَ مَا يَغْتَالُ مِنْ
 صَيْدٍ بِسَيْدَيْمُومِ (٥) الْفَلَاةِ وَسَيْدِ
 فَقَرَى سَبَاعِ الطَّيْرِ شِلْوُ غَرِيضَةٍ
 وَقَرَى سَبَاعِ الْوَحْشِ شِلْوُ قَدِيدِ (٦)
 وَلَهُ مِنْ الْجَيْنَسَيْنِ (٧) تَحْتَ وَفَوْقَ مَا
 يُغْنِيهِ عَنْ جَيْشٍ وَخَفَقَى بِسُودِ

(١) قود ج أقود : الفرس طال ظهره وعنقه .

(٢) السجف : الستر .

(٣) السور : بقية الشيء .

(٤) الفتحاء من العقبان : اللينة الجناح . والصبود : الصياد « مبالغة » . وصيد ج أصيد : الأسد . والسيد الأسد ، وهو الذئب أيضاً .

(٥) الديوم والديومة : الفلاة الواسعة .

(٦) الغريض : الطري ، والقديد عكسها .

(٧) كلمة لم تظهر في كلتا النسختين . وهذه أقرب قراءة .

[٦١ / ب]

- خاضَ البحارَ وجازَها ثمَّ ارْتَمَى
يَفْطِي الفِلا بِسِنَجِيَّةٍ صِيْهُودٍ ^(١)
- 10 تَفْرِي ^(٢) الفَرِيَّ ولا تخافُ خِفافُها
من وحلٍ مِثْءٍ ^(٣) ، ولا جُلُودٍ
الشمسُ فوق قَتُودِها حَلَّتْ فِها
غَرْبٌ وَشَرْقٌ عِنْدَها بِبَيْعِدٍ
بِالْيَتِّها حَنَّتْ إلى أَعْطَانِها ^(٤)
من جَوِّ كَاطِمةٍ ودَوِّ زَرْوَدٍ ^(٥)
- ولها عَلِينا أن نَعْمَوْضَها إذا
رَجَعَتْ مواطىءَ أَعْيُنٍ وَخُدُودٍ!
تِلْكَ النُّوى أَجْنَتْ عَلَيَّ وَكَدَّرَتْ
شَرِي وَنُغْبَةً عَيْشِي المِثْمُودِ ^(٦)

(١) النجية : الناقة السريعة . الصيود - كما في اللسان - الجسم . وفي القاموس الصيود :

الفلاة لا ينال مأواها ، والصيود : الجسم .

(٢) في الأصلين المعتمدين : يفري . والحديث عن الناقة ، فلعل الصواب ما أثبت . وفري الأرض : سارها وقطعها .

(٣) ميثاء : هي الأرض اللينة السهلة .

(٤) أعطان ج عطن : وطن الإبل ومبركها .

(٥) كاطمة : اسم ماء ، وجو اسم اليمامة في الجاهلية . والدو بلد لبني تميم وهو ما بين

البصرة إلى اليمامة . وزرود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع .

(راجع مواد دو - وزرود - وكاطمة وجو في معجم ما استعجم للبكري) .

(٦) النغبة - في الأصل - الجرعة . والمثمود : ماء نقد من الزحام عليه .

15 هَبْنِي مُقِيمًا بَعْدَ أَنْ رَحَلَ الْهَوَى
فَالْمَيْتُ يَوْجَدُ وَهُوَ كَالْفَقُودِ !

قَسَمًا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَطِيئِبِهَا
وَبَيْنَظْمِ شَمْلِ أَحِبَّتِي وَعُهودِي

وَبِمَا حَدَا الْحَادِي بِهِمْ يَوْمَ النَّوَى
مَنْ مُنْتَقَى رَجَزٍ وَحُرٍّ قَصِيدِ

وَبِمُسْتَمِرِّ جَنَاهُمْ يَحْيَاهُمْ
مَا بَيْنَ شُهْبٍ قَنَّا وَغُلِبِ أَسُودِ

لَأَشَدَّ مَا يَلْقَى امْرُؤٌ مِنْ دَهْرِهِ
شَيْئًا وَشَيْكُ نَوَى وَطُولِ صُدُودِ

20 إِلَّا مَشِيبَ الْعَارِضِينَ فَإِنَّهُ
يُنْذِي الْفَتَى مِنْ يَوْمِهِ الْمَوْعُودِ

يَا طَائِرًا فِي الْجَوِّ مِلْءَ جَنَاحِهِ
لَا سَائِرًا فِي الدَّوِّ فَوْقَ قَعُودِ (١)

أَسْرَعُ لِعَلَّتْكَ بَعْدَ دَهْرٍ بِالْبَغِ
مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مَطَى بُوخِيدِ (٢)

وَانْشُدْ فُوَادِي فِي الْمَهَامِيهِ إِنَّهُ
رَهْنُ الْمَطَايَا وَالسَّرَى وَالْبَيْسِندِ

(١) القعود : البعير من الإبل ، وهو البكر « بفتح الياء » حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب . والدو : المغازة .

(٢) الوخيد للبعير : الإسراع . والمطي : الناقة تطو « تسرع » في مشيها . والمطا : الظهر وفي نسخة « م » مطي « بياء مشددة » ولا يستقيم بها الوزن .

وإذا اعترفت القلب بلبغ سمع مَنْ
هو في يديه ألوكة المفؤود^(١)

25 يا نازحاً لعب المطي بكوره^(٢)
لعب الرياح الهوج بالأملود

ورمت به للطية القصى التي
ما ورد لها لسيواه بالمورود

هلا حننت إلى معاهدنا التي
كنت الحلي لنحجرها والجسند !

ورياض أنس بالمشايح طارحت
فيها الحمام سجع صوت العود

ومبيتنا فيها ؛ وصفو مدامنا
صرف المودة ، لا ابنة العنقود

[٦٢ / أ]

30 والعيش أخضر والهوى يندني جنى
زهرات ثغري أو ثمار نهود

والقضب رافلة يهانق بعضها
بعضاً ، إذا اعتنقت غصون قدود

لتهفي على ذاك الزمان وطيبه
وعلى مناه وعيشه الماحمود

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) الكور : الرحل .

تِلْكَ اللَّائِيَالِي لَا لِيَالِي بَعْدَهَا
عُطِّلْنِي إِلَّا مِنْ نَجْوَى وَسُجُودِ
كَانَتْ قِصَاراً ثُمَّ طُلْنِ فَهَا أَنَا
أَسَى عَلَى النِّقْصَانِ وَالْمُسْجُودِ !
35 وَتَحَوَّلَتْ حُلُلُ التَّثَامِ الْوَصْلِ فِي
سِيلِكِ انْتِظَامِ الشَّمْلِ لِلتَّبِيدِ
وَمَضَى الشَّبَابُ كَدِيمَةٍ قَدْ أَقْلَعَتْ
مَنْ بَعْدَ سَقْيِ تَهَاثُمِ وَنَجُودِ
وَأَتَى الْمَشِيبُ بِمَحْلِهِ فَأَعَادَ مَا
أَحْيَى الشَّبَابُ الْنُفْرَ عَصْفَ حَصِيدِ
لَوْ يُفْتَدَى عَنْهُ الصَّبَا لَفَدَيْتُهُ
بَتَحْلَمِي وَبَطَارِفِي وَتَلْيِيدِي !
لَكِنَّهَا الْأَيَّامُ أَجْلُ شَيْمَةٍ
مَنْ أَنْ تُعْمِدَ شَيْبَةً لِمُعِيدِ (١)
40 أَهْأَبَا إِسْحَاقَ مَنْ بَعْدَ الْمَسْدِ
أَهْأَبَا يَزِيدُ أَسَى عَلَى التَّرْدِيدِ
طَارَحْتُ فِي تَرْدَادِهَا مِنْ شَاقِهَا
دَعَوَى نَزِيعٍ كَالْهَدِيلِ فَقِيدِ (٢)
صِنُّو الْحَمَامَةَ فِي الْخِضَابِ وَطَوْقِهَا
وَعَيْنَاهَا الْمُتَرَنِّمِ الْغَرِيدِ

(١) فيها : لمعبد ، كأنه يريد (لمستعبد)

(٢) النزيع : الغريب . والهديل : الذكر من الحمام ، وهو صوته أيضاً .

تأبى الصيانة أنْ أصرّحَ باسمِها
واللّحنُ يُفهمُ مُعْتَرَى المقصودِ (١)

وجبتْ مبرّتها عليكَ وكيفَ لا
والشّرعُ ليسَ بشاهدٍ مرْدودِ

45 هذا الجناحُ وطيرٌ إليها قبلَ فو...
... تِ الأمرِ ، ماذِي الدّارُ دارُ خلودِ

لو كنتَ مُطلِعاً ، وقد طالعتْها
بخطابكِ المُستعذِبِ المورودِ

لأستَ ضِعفَ أساكَ عِندَ فراقها
وحللتَ حُبوةَ حِلْمِكَ المَعْقودِ

هذا العتابُ وبعده العُتْبَى التي
تأسيسُها يُغني عنِ التّوكيدِ (*)

للهِ دركٌ من رثيسِ بلاغَةٍ
حَسِنِ المآخذِ بارِعِ التّوليدِ

[٦٢ / ب]

50 حلّ العبارة في حلّوة زفّة (٢)
كالخمر مجتّئها مرّاشِفٌ غيْدِ !

كالرّمح لانَ وبأسُهُ في شدّةِ
والسيفِ يدعو (٣) في يدِ الصنديدِ

(١) اللحن - هنا - أن تقول قولاً يفهمه المخاطب المقصود ويخفى على غيره ، واعتراه :

غشيه . يريد أنه اكتفى بالتلميح عن التصريح .

(*) سقطت ابتداء من هنا ورقة من نسخة (ط) .

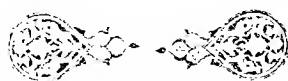
(٢) في النسختين : زفة . ولا « زف » معان متعددة .

(٣) فيها : يدعوا . وترسم الألف أحياناً بعد الفعل المضارع في الخط .

أو كالغمامة أرعدت وتبسّمت
 فأرت نخاييل موعيد ووعيد !
 أو كالتّي زارت وغنت ورقها
 فارتعت ، ثم أنست بالتغريد
 روض من الآداب أينع قبل أن
 تتفرّ زهرته لطيب العود
 55 بكّر أنت تمشي على استحيائها
 تزهي بحلية مبسم وعقود
 حوراء مقلتها سواد مدادها
 والسحر في مقل العيون السود !
 سحبت على سحبان^(١) فضل رداها
 وعبيد^(٢) استغشى ثياب عبيد
 وليبد^(٣) انقلبته عليه حروفه
 ففدا بليدا ! - وهو غير بليد -
 نظمت من السحر الحلال قوافيا
 أغنت مقلدها عن التقليد
 60 لكنّها عثرت بيضالسة طلحها
 فلما^(٤) ليمشقة طلحها الخضود^(٥)

- (١) سحبان بن زفر بن إياس الواثلي (٥٠٠-٥٤٠ هـ) خطيب شهير ، أدرك الجاهلية الإسلام
 قيل فيه «إنه خطيب العرب غير مدافع» .
 (٢) عبيد بن الأبرص شاعر جاهلي عده ابن سلام في الطبقة الرابعة .
 (٣) لبيد بن ربيعة العامري (٥٠٠-٥٢٠ هـ) شاعر مخضرم معمر .
 (٤) لمّا لفلان : دعاء للعائر أن يرتفع من عثرته .
 (٥) خضد النبت : ضعف ووهن .

وبهمزة الوهاء مدّتْ باعَها
 فجَعبتْ من مَقْصُورِها ^(١) المَمدُودِ !
 لَكِنَّها رَقَّتْ وراقَتْ وانْتَمَتْ
 لِلْعِلْمِ رَاغِبَةً عَنِ التَّقْلِيدِ
 فَجَعَلْتُ يَوْمَ قُدُومِها عِيداً ، وَمَنْ
 (يَحِلِّي) ^(٢) مَسَرَّتْهُ لِيَوْمِ الْعِيدِ



(١) يقال في صفة المؤنثة : رلهى ووالهة وواله وميلاه .
 (٢) هذا ما استوضحته من الأصلين ؛ ولم يستقم الطرف الثاني من البيت .

الباب العاشر

فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى
عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (*)
يكنى أبا محمد . وأدركته ، ورأيت .

(*) الفقيه الكاتب النحوي اللغوي المحدث أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي (٦٧٦-٧٤٩) يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ، وأصل سلفه من اليمن . كانت لآل الحضرمي صلة قرابة ببني العزفي أصحاب سبتة ، وعينوا الفقيه محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (والد المترجم به) قاضياً بها ٦٨٣ واستمر مشكور الحال حتى أخذ النصريون سبتة ٧٥٠ فارتحل مع ابنه وأسرته إلى غرناطة وأقام بها مدة ، ثم أذن لهم صاحب غرناطة بالعودة إلى سبتة والقاضي طاعن في السن ، ضعيف ، فتوفي سنة ٧١٢ . وقد وصفه الذين ترجموا له بالفضل والعلم والاستقامة والصرامة .

واتصل أبو محمد عبد المهيمن بالدولة المرينية حين استقدمه من سبتة الأمير عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق ، فكتب له العلامة ، ثم استكتبه ابنه أبو الحسن علي ، واصطحبه في أسفاره وتنقلاته ، وتوفي بتونس سنة ٧٤٩ عام الطاعون الجارف .

ترجم له لسان الدين في الإحاطة وعده في شيوخته ، وأثنى عليه . ونقل المقرئ في النفع جملة من أخباره وأشعاره وقال « كان عالي الهمة . سريعاً ، أعطى المنصب حقه . وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم . . . سريع الجواب . . . » وقد نبغ من بعده ابنه أبو سعيد وحفيده عبد المهيمن الذي كتب العلامة لأبي العباس أحمد المستنصر المريني .

(ترجمته وأخباره في : نفح الطيب : ٥ : ٤٦٤ - وانظر : ٥ : ٢٤٠ - ومستودع العلامة : ٥٠ ، وجذوة الاقتباس : ٢٧٩ ، والتعريف بابن خلدون : ٢٠) .

وهو من أهل مدينته ، وأصل سلفه من الأندلس ، من بيت القضاة ،
والعلماء ، [٦٣ / أ] والإمارة . ولجده الأمير كريب بالأندلس ثورة .
وكان أبوه قاضي الجماعة بسبته . (١) قدمه الأمير أبو طالب عبد الله بن
الأمير أبي القاسم العزفي اللخمي .

وكتب عبد المهيمن هذا للأمير يحيى بن الأمير أبي طالب العزفي بسبته .
وكتب قبل ذلك بالأندلس لخال جدنا أمير المسلمين الغالب بالله الناصر لدين
الله أبي عبد الله محمد الخلوع بن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله
محمد صاحب الدبوس ، ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ،
ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن خميس بن نصر
الخزرجي .

وكتب بالعدوة أيضاً للأمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان
ابن أمير المسلمين المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، العلامة . ثم
كتبها لابنه أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي - رحمه الله - ولم يزل
عليها إلى أن ارتحل السلطان أبو الحسن إلى تونس ؛ فلما استقر بها أخبره
عن العلامة ، فمات بتونس سنة خمسين وسبعمئة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو فخرُ الكتاب والعلماء ، وصدر الصدور الكثر ماء . ذو همة سميت

(١) « وانظر ترجمة محمد بن عبد المهيمن الحضرمي في نفح الطيب ٥ : ٢٤٠ ، والرقبة

العليا للنباهي ١٣٢-١٢٣ . ودرة الحجال ٢ : ١٠٦ » .

فوق الكواكب ، وذو بلاغة وذهن ثاقب . وقدره في العلماء معروف ،
وبيته بالنسب الصريح موصوف . صاحب رواية وحديث ، وذاكر رجال
في قديم من الزمان وحديث إلى تحصيل العلوم ، ومعرفة بالجهول منها
والمعلوم . وأما كتاب سيبويه فكان بمسائله عارفاً ، وعلى قراءته بطول
عمره مداوماً وعاكفاً . لم يكن له بالمعرفة به قرين ، ولقد تصدر لإقراءه
وهو ابن عشرين . وقد دوت الكثير من العلوم وصنف ، وقرط مسامع
الفهوم وشف .

[٦٣ / ب] فمن قوله رحمه الله تعالى :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِعَهْدِي كُنْتُ أَعْهَدُ
وَطِيبِ عَيْشٍ تَقْضِي كُلَّهُ كَرَمُ
وَجِيرَةٍ كَانَ لِي أَنْسُ بَوْصَلِهِمْ
وَالْأَنْسُ أَفْضَلُ مَا فِي الْوَصْلِ يَفْتَنَسُ
كَانُوا نَعِيمَ فُؤَادِي وَالْحَيَاةَ لَهُ
فَالآنَ كُلُّ وَجُودِي بَعْدَهُ عَدَمُ
بَانُوا فَعَادَ نَهَارِي كُلُّهُ ظَلَمًا
وَكَانَ قُرْبِهِمْ يَمْحَى بِهِ الظُّلَمُ
5 والعينُ مِثْلِي لَا تَرْقَا مُحَاجِرُهَا (١)
كَأَنَّهَُا سُحْبُ تَهْمِي وَتَنْسَجُمُ
تَبْكِي عُهْدَ وَصَالِي مِنْهُمْ سَلَفْتُ
كَأَنَّمَا هِيَ فِي إِنْسَانِيَا حُلُمُ

(١) رقا الدمع والدم - ونحوهما - سكن وجف وانقطع .

لئن ضحككتُ سروراً بالوصالِ لقد
بكيتُ للبعدِ حُزناً والدموعُ دَمٌ
« همّ علموني البُكا ما كنتُ أعرفهُ
يا ليتهم علموني كيفَ أبتسمُ ! »

الفتية الرئيس الحاجب الكاتب صاحب القلم الأعلى

محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي (*) :
يكنى أبا عبد الله وأدركته ورأيتهُ .

وهو من أهل تلمسان . وأصلُ سلفه من الأندلس . من بيت أصالة
تعين^(١) . ومحمد والده كان من أهل العلم التام . درس العلوم بتلمسان وأفتى بها

(*) الفقيه الحاجب ، الرئيس الكاتب ، محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي
(ت ٧٥٦) من أسرة اشتهرت بالعلم والأدب ، وانخرط كثير من رجالها في خدمة
عدد من الدول كالمرينيين والحفصيين . حجب أبو عبد الله محمد (المترجم به هنا)
لأبي عنان المريني وقال حظوة لديه ، وثقة واسعة ، فقلده عدداً المناصب منها « خطة
السيف » كما قال ابن الأحمر في مستودع العلامة ، وأسند إليه ولاية بجاية ، فاستمر
عليها إلى وفاته : ٧٥٦ . قال في البستان « وسيقت جنازته إلى تلمسان فدفن فيها » .
ترجم له ابن مريم في كتابه « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » : ٢٢٨ ، وقال
فيه : « له همة عظيمة وعلم وشأن كبير » . وابن الأحمر في مستودع العلامة : ٣٦ وقال
إن أبا عنان قدمه على الإمارة ببجاية بينما قال هنا في نثير الجمان إنه ولاه بجاية وقسنطينة ،
ولعل قسنطينة كانت تابعة آنذاك لبجاية ، فلا تعارض .

وذكره ابن القاضي في درة الحجال ٢ : ٢٦٥ وفيه . . . ابن أبي عمر التميمي ، وهو خطأ من
الناسخ والمحقق ، وذكره ابن الأحمر في روضة النسر . وأورد ابن الأحمر في مستودع
العلامة نسقاً من أولاده وأحفاده خدموا في الدولة المرينية في مناصب كتابية رفيعة
انظر (٣٧-٤١) .

(١) فيها . وسترده « تعين » بياء مشددة في الترجمة التالية .

وكان من عباد الله الصالحين ، ومن الأولياء المخلصين . وحسبته من ورعه أنه ولي القضاء بتملسان سنين طائفة ، فلما توفي لم يوجد له غير قطيفة ، ووسادة صوف ، نفع الله به .

ومن سعة علمه أنه رتب التبصرة للإمام أبي الحسن اللخمي وأتى بها نسقاً على أبواب التهذيب ؛ ومسائله اعتنى بها فقهاء الأمصار وعرفوا بها قدره في العلوم .

وقدّمه على قضاء الجماعة بتملسان أمير المسلمين المنصور بالله أبو الحسن علي المريني ، فأظهر من التصميم في الحق وإقامة منار الشريعة ما يكل اللسان عن وصفه . وأحمد والد محمد كان أيضاً [٦٤ / أ] من أهل العلم البارع ، ودرّس العلوم ، وأفتى ، وولي قضاء الجماعة في بعض بلاد إفريقية . وكان علي والد أحمد إماماً عالماً مدرساً مفتياً محدثاً حافظاً ، وولي قضاء الجماعة بتونس لأمر المؤمنين المستنصر بالله ، المنصور بفضل الله أبي عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الموحّد ؛ وقدمه المستنصر بالله هذا على حجابته ، وقلده خُطّة علامته .

ونسبه في تميم ، ويقال إنه من بني الأغلب التميميين ، ملوك إفريقية .

والحاجب أبو عبد الله هذا كان مُلّازماً لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان المريني في الصّحبة بتملسان (١) ، في إمارته حين قدمه

(١) تلمسان : مدينه شهيرة في المغرب الأوسط . كان لها دور بارز في تاريخ المنطقة منذ استقلال بني زيّان واتخاذهم تلمسان عاصمة لهم . وهي مركز ثقافي وحضاري هام على مدى الأعصر الإسلامية . وتقع اليوم في القطر الجزائري . وهي تزخر بآثار إسلامية موحدة ومرينية هامة .

أبوه أمير المسلمين المنصور بالله أبو الحسن عاملاً عليها ، فلما بويغ بها المتوكل على الله أبو عنان ، وسار منها إلى فاس مقعد الملك المريني ، قدمه حاجباً له وصاحب علامته ، وبلغ لديه جاهاً عظيماً لم يبلغه غيره . وكان أحد الأجواد لا يقاس إلا بمن تقدم من البرامكة وأمثالهم . وكان قد أعطاه مخدمته السلطان أبو عنان بعد أن حجه عشرة من الطبول وعشرة من البُنُود ، وقدمه أميراً ببجاية (١) وقسنطينة (٢) فظهر له هنالك من الآثار الجميلة ما أنسى بها من تقدمه من الحجاب والأمراء . وببجاية توفي في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وسيق منها فدفن بتمسان . فوجد لفقده السلطان أبو عنان حزناً عظيماً أداه ذلك لأن بعث أعز بنيه عنده - وهو الأمير أبو زيان محمد - ليعحض جنازته بتمسان ، وأخرجه حزنه أيضاً عليه لأن رثاه بقوله :

أَلِمَّا بِأَجْدَاثِ الْعُلَى وَالْمَنَاصِبِ
تُحْيِي ثَرَاهَا وَكَيْفَاتُ السَّحَابِ
وَعُوجَا بِأَكْنَفِ الضَّرِيحِ الَّذِي حَوَى
مِنَ الْجُودِ وَالْإِفْضَالِ أَسْنَى الْمَرَاتِبِ
أَلَا بَكِّيَا غَيْثَ الْمَوَاهِبِ وَالْجَدَا
وَلَيْثَ الشَّرَى نَسْجَلِ السَّرَاةِ الْأَطَايِبِ

(١) بجاية: مدينة ساحلية بين إفريقية (تونس) ومدينة الجزائر . وهي الآن في القطر الجزائري

(٢) قسنطينة : مدينة كبيرة تقع اليوم في القطر الجزائري (في الشرق منه) ، وكانت لها قلعة كبيرة عالية حصينة .

[٦٤ / ب]

وجودا بيوبل الدمع تهمي شؤونه
كما هتنت موزن الغيوث السواكب

5 وبو حابان المجد أقوت ربوعه
وزلزل منه مشمخيره الأهاضب

فيا رجل الدنيا وواحدتها الذي
تحدث لمغناها مطي الرائب

لقد كنت لي أنسا وخيلا وصاحبا
فببنت ولم تثن العنان لصاحب
وقد أنشبت فيك المنية ظفرها

وما غادرت يوما منيع الجوانب
سقتك صروف الدهر كاسات حتمها
وجرعت منها مفضعات المشارب

10 ولاقيت مكروه الحمام وقد سرى
عبير ثناك في الرضا والسباب

رؤيت أبا عبد الإله بفقدكم
فها أنا ذا أشكو بريب التواب

مسعرة نار الجوى في جوانحي
تذكرني عهد النصيح المراقب

لقد رؤيت فيك السباحة والندى
وضمضع منها جانب أي جانب

وما كنتَ إلا الطَّودَ والبحرَ والسَّنى
تَضِيءُ ضِيَاءَ الزَّاهِرَاتِ الثَّوَابِرِ
15 وما كنتَ إلا حائِزاً كُلَّ شَيْمَةٍ
من الفضلِ سَبَاقاً لِبَسْدِلِ الرِّغَائِبِ
فَمَا اخْتَصَّتِ الْأَمْلاكُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
وَلَا اخْصَّتِ الْأَمْلاكُ مِنْهُ بِحَاجِبِ
وَلَا نَالَتْ الْأَشْرَافُ مَا نِلْتُ مِنْ عُلَا
وَمَا هِيَ نَدَى فِي النَّهْيِ وَالْمَنَاصِبِ
وإنْ خُصَّ مِنْهُمْ مَا جِئْتُ بِمِزْيَةٍ
فَقَدْ حُزَّتْ فِي الْعَالِيَا جَمِيعَ الْمَنَاقِبِ
فَمَكَ إِلَى الْمُنْجِدِ الْأَثِيلِ خَصَائِصُ
يَقْصُرُ عَنْهَا نَجْلُ زَيْدٍ وَحَاجِبِ (١)
20 ظَمَعْتَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيداً مُقَرَّباً
وَمَرَّتْ بَرِيئاً مِنْ ذَمِيمِ الْمَثَالِبِ
وَتَالَهُ مَا دَمَعُ بَرَاقِ (٢) وَإِنَّمَا
أَكْفَكُ مِنْهُ كَالْمِهَادِ الصَّوَائِبِ (٣)
تَسْغَمُكَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ
وَبَلَّغَكَ الزُّهْلَى وَأَقْصَى الْمَآرِبِ

(١) المشهورون من قسَمِي بَزِيدَ كَثِيرُونَ ، وَفِيهِمْ زَيْدُ الْخَيْلِ (٩٠٠٠) من أَبْطَالِ الْعَرَبِ ، وَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ (٣٠٠٠ ؟) من سَادَاتِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(٢) رَقَا الدَّمْعُ : جَفَّ وَسَكَنَ .

(٣) الْمِهَادُ جَمْعُ الْمَهْدِ : أَوَّلُ مَطَرِ الْوَسْمِيِّ .

وبوّأكَ من أعلى الجنانِ قُصُورَهُ
تُحْيِيكَ فيها مُسْبَلاتُ الذَّوائبِ

[٦٥ / أ]

عليكَ سلامُ اللهِ ما لاحَ بَارِقُ
وما سَجَعَتِ وُرقُ الحِمامِ النَّوَابِ

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو القرمُ الذي حاز الجلالة ، والجَوَاد الذي لم تزل مواهبه منثال
قُدُم للحجاجة ففخرت به الدولة ، وقُدُ لد الرئاسة فكانت له الصُّولة .
عَظِيمِ أَيْاديه وسموّ ناديه ، وكريم أواخر فضله ومباده . ولا مريبة
أنه سادَ بِبِجُودِهِ ، كما فيخر الزّمانُ بوجوده . وزها بنسبه الطاهر
الأكدار ، وسمّا بأفعاله الخالصة من الأغيار . ونجم في الدولة الفارسية
نُجُومَ البدر في السماء ، وتلاعب بسياستها تلاعب الأفعال بالأسماء
وحين غيَّبته الصفائح ، وعُدِم جداه الفائح ؛ رثاهُ العافون ، وتوجّع لفق
المُسْتَلون والمعافون !

فمن رثاه الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن جُز
الكلبي (*) بقوله :

لعمري المعالي ما وفى بحقوقها
مِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرِثِ لابنِ أبي عمرو

(١) يعني بذلك دولة أبي عنان فارس المريني .

(*) من أسرة بني جزي المشهورة في غرناطة ، وله ترجمة في هذا الكتاب .

فتى جُمعتُ فيه المَحاسِنُ كُلُّها
ولا بُدُّ من نَقْصٍ فَكانَ مِنَ العُمُرِ !

وفي رثائه أنشدني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن
محمد بن محمد بن عبد المنان الأنصاري الخزرجي لنفسه (*)
مَنْ كانَ يَبْكِي ما جِداً فَلْيَجِدْ
بالمَدَمِ السَّكْبِ عَلَى الحاجِبِ
يَمَّ وَجْهَ المَجْدِ فَاعْتالَهُ
صِرْفُ الرَّدَى لَمْ يَتَخَسَّ مِنْ حاجِبِ
عَيْنٍ أَصابَتْهُ وَياقُرْبُها
فِي الوَجْهِ بَيْنَ العَيْنِ والحاجِبِ !

وإذ قد فرغنا مما رثي به فلنذكر شعره ، وهو ما كتب به لخدمته
أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عذان :

أنا حاجبٌ لفظاً ، ومعنى ليس لي مِنها نَصيبٌ
فَمَتى دُعيتُ بِحاجِبٍ فالْحَقُّ أَلَا أَسْتَجيبُ
بالعَجْزِ عَن ضَرَرِ العَدُوِّ وَعَن مُوالاةِ الحَبيبِ
فأنا البعيدُ حَقِيقَةً وَعَلَى المَجازِ أنا القَرِيبُ

(*) هكذا ورد اسمه في نثر الجمان . وقد ترجم ابن الأحمر في نثر الفرائد لابن عبد المنان
باسم أبي العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان (ص ٣٤٨) . وترجم له في درة الحجال
(١ : ٥٣) أيضاً باسم أحمد بن يحيى ، كما ترجم لابنه يحيى بن أحمد ، فلعل اسم أبيه في
كتابنا هذا مصحف عن يحيى . وتكون التراجم كلها لواحد .
قال في نثر الفرائد : إنه أندلسي الأصل ، مكناسي الدار ، وتوفي سنة ٧٩٢ .

فجأوبه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان بقوله :
لئن استقممت كما أمر . . . وترعوي فلك النصيب
ومتى دُعيت بحاجب فعليك حقاً أن تُجيب
فلقد جمعت خصالها بفعايل الفطين اللبيب
ونصحت مالِكك الذي ما مثله لك من طبيب
فاشكر ليأ أولاكه شُكراً به أبداً تُصيب
الفقيه القاضي الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الله
ابن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان
ابن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي (*) :

(*) أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري ، الملقب الأندلسي ، ثم الفاسي ، ذكره تلميذه أبو زكريا السراج وقال إنه كان متقناً في علوم شتى أخذاً يحظ وافر من الرواية ، مجيداً ، كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، محباً لأهل الدين معظماً لهم ولمن ينتسب للصوفية . بدأ أبو القاسم حياته العملية في بلدة مالقة فارتسم في العدول ، ثم انتقل الى المغرب فقدم بالحضرة المرينية كاتباً وخطيباً . وقال ابن خلدون فيه إنه كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة رئيس الكتاب ابن عبد المهيمن . « وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه ، وكثرة علمه ، وحسن سمته ، وإجادته في فقه الوثائق والبلاغة في الترسيل عن السلطان ، وحوك الشعر ، والخطبة على المنابر ، لانه كان كثيراً ما يصلي بالسلطان . . » وكتب ابن رضوان العلامة لأبي عنان المريني ولجاعة من ملوك المغرب كما قال ابن الأحمر في مستودع العلامة . وترجم ابن خلدون لابن رضوان هذا ترجمة مفصلة في (التعريف : ٤١) وذكر خدمته لأبي الحسن المريني مدة ، ثم لحاقه بالأندلس ، وعودته الى خدمة أبي عنان المريني وغيره من سلاطين بني مرين إلى أن توفي في بعض حركات السلطان أحمد بأزمور (بالمغرب) .

(انظر ترجمته وأخباره وأشعاره في : مستودع العلامة ٥١ ، والكتيبة الكامنة ٢٥٤ ، والتعريف لابن خلدون ٤١ ومواضع أخرى ، ونيل الابتهاج : ١٤٥ ، ونفح الطيب « مواضع متفرقة منه » -) .

بكسنى أبا القاسم . وأدر كته ، ورأيته .

وهو من أهل مالقة ، وأصل سلفه من قرطبة ، من بيت أصلية وتعيين ،
وعم جدّه القريب رضوان ، وهو أبو عبد الله محمد بن رضوان ، كان لجدي
الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا
الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا السلطان أمير المؤمنين
المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الحزرجي ،
وزيراً ورئيس كتابه وذلك حين كان جدنا الرئيس الأمير أبو سعيد فرج (١)
المذكور أمير مالقة (٢) والجزيرة الخضراء (٣) وسبته من بر العدو .

(١) هو الأمير أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، ومحمد أخو يوسف «جد
فرج» هو أول ملوك بني نصر . كان والياً على مالقة ، وهو الذي أوقع بسبته فاحتلها
وأجلى بني العزقي «راجع الباب الخاص بتراجم بني العزقي من هذا الكتاب» .
وانصرف ملك غرناطة إلى ولده أبي الوليد إسماعيل (خامس ملوك النصريين) بعد نصره .
وكان الأمير فرج شخصية قوية ، وذا نفوذ كبير .

(٢) مالقة : مدينة قديمة على شاطئ البحر المتوسط بين الجزيرة الخضراء والمارية . وصفت
المدينة بالجمال وطيب الهواء ووفرة الخيرات وازدادت أهميتها في عهد بني نصر ، ونشطت
فيها التجارة وازدهر العمران . وكان لصاحب مالقة أيام بني الأحمر مركز مرموق
ومشاركة في كثير من الأمور لمكانة المدينة من البحر وقربها من المغرب . وكانت آنذاك
- حاضرة علم وثقافة خرجت عدداً كبيراً من الأدباء والكتاب والعلماء واشتهرت
المدينة بصناعة الأواني الفخارية والحزفية التي انتشرت على يد التجار منها إلى بلاد
المسلمين وغيرها .

(٣) الجزيرة الخضراء : مدينة بحرية في أقصى الجنوب من الأندلس . وتقابلها مدينة سبته
في بر العدو من المغرب . وكان مرساها من أجود المراسي للجواز وأقربها من البحر
المحيط ، وهو مشق مأمون . وأرض الجزيرة الخضراء أرض زرع وضرع وبخارجهما
المياه الجارية والبساتين النضيرة ، وبها كانت دار صناعة الأمير عبد الرحمن الناصر .
وقد تعرضت المدينة للخطر في القرن اثنامن مع اشتداد غزوات الإسبان عليها وعلى
مملكة غرناطة ، واحتلت في عهد الأمير يوسف مع عدد القرى والقلاع ثم عادت إلى
المسلمين سنة ٧١٠ .

والفقيه أبو القاسم هذا [٦٦ / آ] . كان قد استنابه في القضاء الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي قاضي حضرة السلطان أبي الحسن المريني .

وبابن رضوان يعرف ، ونشأ ببلده مألقة على أحسن حال ، كان شاهداً عدلاً بسماط شهودها ، وارتحل عنها إلى بر العدو فاستنابه القاضي إبراهيم ابن أبي يحيى المذكور . ثم استكتبه بالحضرة المرينية أمير المسلمين أبو الحسن ، ثم اختطب به بتونس حين ملكها من يدي الموحدين آل أبي حفص ، ثم استكتبه ابنه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان في حضرته . ثم قلده خطة العلامة ولم يزل عليها حتى الآن في حضرة الملوك من بني مرين .

حاله - نسأ الله في أجله - :

هو سديد الرأي شديد الفهم ، بارع الإنشاء رقيق النظم . متلفع ثوب الفصاحة ، ورافع راية البهاء والصباحة . قد امتطى صهوة طرف النشئ ، وتقلد نجاد سيف حسن الرواء . وباعه في المشاركة في المعلوم مديد ، وله معرفة بطارفها والتلميد . وهو الآن في الدولة المستنصرية (١) ، والإمارة المرينية ، كاتب سرها ورئيس كتابها ، والمُعظم في وزرائها وحجائها . تحت بر وإكرام ، وسبب إنعام .

وما ذاك إلا للذي حاز من عُلَا

ومِن مَكْرَمَاتِ مَا لَهَا فِي الْوَرَى مُحْصَى

(١) تُلَقَّب أبو فارس عبد العزيز المريني بـ « المستنصر بالله » .

فمن قوله يمدح ملك المغرب أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني (١) :

وهي مولدية (٢) ورفعها له في عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة :

قِفْ بالديارِ فهذه أعلامُها
يُهنّدي إليك مع النسيم سلامُها
وإذا وقفت بها فحجي رُبوعها
وذري المداميع يستهل غمامها
لِسجود هاتيك النجود ونسجتي
تلك التّهائم بالدُموع سِجامها (٣)

(١) السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني بن أبي الحسن علي : أصلح الدولة بعد استبداد وزراء الدولة وقتلهم بعض السلاطين ، وتخلص من الوزير عمر بن عبد الله اليباني . ووصف أبو فارس بعلو الهمة وحسن السيرة . وهو ساعد أمير غرناطة محمد الخامس على استرجاع الجزيرة الخضراء ، واستولى على مدينة تلمسان . وإليه لجأ لسان الدين بن الخطيب بعد خروجه عن غرناطة تاركاً الغني بالله « محمد الخامس » النصري . وتوفي أبو فارس عبد العزيز سنة ٧٧٤ .

(٢) بدأت عادت تعظيم يوم المولد النبوي في المشرق ، وانتقلت إلى المغرب «والأندلس» على يد أبي العباس العزفي بسببته فكان يعقوب المريني أول من احتفل به في المغرب ، ثم انتقل هذا الرسم إلى الأندلس . قال ابن خلدون في وصف احتفال الأندلس بالعيد «وكان يحتفل - بالأندلس - في الصنيع بليلة العيد ، والدعوة ، وإنشاد الشعراء ، اقتداء بملوك المغرب » . وانظر دراسة عن عصر ابن الأحمر « القرون الثامن » في كتابي دراسة عن نثر فرائد الجمان لابن الأحمر - طبع دار الثقافة ببيروت - العدد ١٨ من سلسلة المكتبة الأندلسية .

(٣) في م سجامها ، وهو تصحيف . وسجم الدمع : سال . وجاد المطر القوم : عم أرضهم ، وجادت العين : كثر دمعها . كذا البيت في النسختين .

[٦٦ / ب]

فتعود روضاً دبّجته يدُ الحيا
ويميل ريثاً أثلسها وبشامها^(١)
5 يا نظرة أرسلتها في عبّرة
بين الطلول فشاقتي آرامها
وأطلت بسين كيناسها وعرينها
لتهفي فطال بأينقي إرامها^(٢)
ذكرى حبيب ما ذكرت عهداً
إلا وصال على الضلوع هيامها
عهدي بها الحيّ الجميع ودونه
أسد الشرى ومن القنا آجامها
لم ترن عين الشمس هالة بدرها
إلا وظلّل بالقتام خيامها
10 فمن المزاور والأسنة والظبا
متوقّدة حول القباب ضرامها
ومن المؤمل غير طيف خيالها
لو كان يحظى بالجفون منامها !
فاليوم بعد نبوى الأنيس مقوضاً
أقوت معالمها وصحّ وسامها؟^(٣)

(١) البشام واحده : البشامة : وهي شجرة طيبة الريح والطعم ، يستاك بها .

(٢) أرزمت الناقة : حنت على ولدها ، أو صوتت حينئذ على ولدها .

(٣) صنح الحجر : صوت عند القرع و « وسامها » كذا فيها .

واستوحشت أرجاؤها ، وتجاوبت
أصداؤها ، ودعا الهديل حمامها

أقوى^(١) ملاعبها التي جدّه الهوى
لما تضيّع رنّدها وخزّامها

15 وّجدي على تلك الظّباء وقد نأى
منها المتزارّ فيما استعّيدَ لمامها^(٢)

إنّني ليُحرقني أوارُ صبابتي
ويهبجني للآيات غرامها^(٣)

فلكلّ لمحّة شارقٍ أو بارقٍ
أهفُو فتغلبُ مهجتي آلامها

يا صاحبيّ عن الرّكائب حدّثا
فزّمامها ما تعلّمان ذمامها

ودعا حديث اللّوم عنّي إنّه
يُذكي لهيبَ العاشقين ملامها

20 لما بصرتُ بطالعاتِ الشّيبِ في
شعراتِ رأسي واستنارَ ظلامها

وذكرتُ ما أسلفته فيما مضى
من موبقاتٍ راعني إجرامها

(١) غير ظاهرة في «ط» . وأقرب رسم لها في «م» أقرأ أو أفراء وأرجح ما أثبت .

(٢) اللام : اللقاء اليسير .

(٣) في القاموس : الأبيج : حر وعطش .

أقبلت أطلبُ المتاب وإنَّه
صعبٌ على هذي النفوسِ فِطامُها !
أينَ الرجالُ وصدقُها في زعمِها
هيهاتَ يضمنُ صدقُها تزعمُها
لولا النبيُّ الهاشميُّ مُحَمَّدٌ
خيرُ الأنامِ شفيعُها وإمامُها

[٦٧ / ٢]

25 لقضى على النفس الظلومَ إياسُها
ولسَّحُمٌ من خوفِ الجَحيمِ حرامُها
لولا النبيُّ الأبطحيُّ مُحَمَّدٌ (١)
لم تعرف الكُفَّار ما إسلامُها !
كم أمةٌ ممحوةٌ آثارُها
كم شرعةٌ منسوخةٌ أحكامُها
كم عصابةٌ مغلوبةٌ أنصارُها
كم ملَّةٌ مكسورةٌ أضنامُها
أيقظتها بيهُداك يا صُبْحَ الهدى
من رَقْدَةٍ لعبتُ بها أحلامُها
30 في فترةٍ أخفى الشرائعَ ليلُها
وسَطًا على إشراقِها إظلامُها

(١) قریش البطاح الذين ينزلون بين أخشي مكة . وذكر «الأبطح» في خبر العقبة الثانية

(الروض المطار : ٤١٨) .

والجاهلية تتعتدي كي تعنلي
سفلها ويخضع للصليب طغامها
عميت بها الأبصار عن إدراكها
سبل الرشاد وظلمات أحلامها
وأنت يا علم النبوة صادعاً
بالحق قأبي أن يزبغ قوامها
35 وأنت يا نور الإله مبصراً
أهل العمية فاهتدت أفهامها
وحلت في ذات الإله شداًداً
راعت سيواك وما زهتسك جسامها
ناجزتهم بالمُعجزات شواهداً
يفري حجاج المبطلين حُسامها
أعجب بناطقة الجمادات التي
ما كان يفصح ناطقاً إعجامها
40 أعجب بتكثير القليل براحة
يكفي الألوف شراها وطعامها
أعظم بإزال الكتاب كرامة
أربى على الرتب العلى إكرامها
فالعرب خاضعة الزمام لغزه
إذ عزها بمثالي إلمامها

والبدر شقّ وعادتِ الشمس التي
غابتْ فأشرقَ نورُها وقسامُها (١)
وبليمةِ الإسراءِ أكبرُ آيةِ

جلتْ مكانتُها وعزّ مرامُها
شاهدتْ والتقريب يشهدُ أنه
بعلوِّ قدرِكَ مؤذنٌ إعلامُها
بك شرفِ الله النبوةَ فاعتلتْ

وسما على سمكِ السمك مقامُها
45 فالأفقُ ملتئمُ الضياءِ بنورها
والأرضُ طابَ وهادُها وإكامُها

[٦٧ / ب]

إن تسر في الأنصار سارية لها
حذراً ليوم تروعُها آثامُها
فإليكَ أكرم شافعٍ إنجادُها
وإليكَ أكبر مرسلٍ إتهامُها
لم تنقض حقَّ المجدِ إلا عُصبةُ

أمتٍ معاهدك الكرامَ كرامُها
يا مُصطفى الرحمن كم مينُ آيةِ

بهـرتْ بصدقك واستبانَ تيامُها
50 أوصافُ مجدك لا يُحيط بِمَدحِها
ذِكْرُها ولا حَصْرُها بِهـ إتمامُها

ماذا يقول المادحون ودُرّها
 في الوحي أنزل فنَدّها وتؤامها (١)
 لله مولدك الكريم وفادة
 وإفادة يروي الظّماء جامها (٢)
 هو أكبر الأعياد بُشرى آذنت
 أن [لا يودع ؟] شهرها أوعامها (٣)
 وافى ربيع الخير منه بليلة
 عن وجه ذاك البدر حطّ لثامها
 55 طُفّت بها نيران فارس بعدما
 لم [تُطْفَ] (٤) ألفاً عُدّتْ أعوامها
 والنهر غاض وكان بحرّاً زائراً
 وتداعت الشرفات يسجد هامها
 هي ليلة فاق الليالي فضلها
 وتشرفت بزمانها أيامها
 أبدى الكريم إمامنا تعظيمها
 وله يحقّ بواجب إعظامها (٥)
 فهو المليك الصالح العلم الرضا
 معيبي الشريعة ؛ عزّها ونظامها

(١) الفذ : الفرد ، وتؤام جمع تؤأم .

(٢) جم الماء : معظمه ج جمام .

(٣) لم يظهر من الكلمة غير « لا يو » أو « لا ير » ، وما أثبت مقترح .

(٤) ما بين معقوفتين ساقط من الأصلين ، وهو مقترح .

(٥) بدأ الحديث عن تعظيم المدوح للمولد .

- 60 وهو الخليفةُ وارثُ الملكِ الذي
 منعَ الخلافةَ أن يُنالَ مضامُها ^(١)
 حامِي الحقيقةِ فاعلاً أو قائلاً
 فخرُ الملوكِ إمامُها وهُمامُها
 هو للغواةِ شتاتُها ، هو للعُفا ...
 ... قِ حياتُها ، هو للعداءِ سِهامُها
 عزَّ انتصاراً للمُدينِ بعزِّه
 لاذُوا وألصِقَ بالغواةِ رغامُها
 في اللبثِ من وثباته و ثباته
 شبهُ يقرُّ بفضلِهِ ضِرامُها
 65 في الغيثِ من جدوى يديه مِشابهُ
 لو لم يشقْ سحبَ الحيا إجمامُها
 [٦٨ / ٢]
 تندى غَضارةُ يشره فكَانتما
 حامتْ على ورْدِ النعيمِ حيامُها
 وتريك أفوافَ الرياضِ يمينه
 مَها جَرتْ في رِقها أقلامُها
 لم يَثنِه المُلْكُ العَظِيمُ عن التي
 ضَمَنَ الثَّوابَ بَخطِّه إَحكامُها
 هذا وللخطبي منها هولةُ
 في الحَربِ تَهزأُ بالدُروعِ سِطامُها ^(٢)

(١) في ط : مضامها ، وفي م : مصامها .

(٢) السطام : حد السيف .

70 يا ابنَ الملوكةِ وإنهم لملائكٌ
 في الصالحاتِ علتُ بها أقدامُها
 لله فيكَ سرّاءُ شهدتُ بها
 آثارُ عدليكَ صادقاً إفهامُها
 تلكَ الخلافةُ من مَرينِ أصبحتُ
 والدينُ والدنيا لديكَ قوامُها
 فلعلَّ نصرَكَ دائماً إسرارُها
 وعلَّوْ أَمْرِكَ دائماً إجماعُها
 إنَّ الليالي أُنتمُ قوامُها
 إنَّ الهواجيرَ أنتمُ صوامُها
 75 إنَّ المعارفَ منكمُ استهداؤُها
 إنَّ العوارفَ منكمُ استتِهامُها
 فرغتُ ثَنائاً المآثراتِ حسانُها
 فرغتُ مِرَاعِي المكرماتِ سَوامُها
 لكَ صِدْقٌ وعدِ اللهِ في إظهاره
 للدينِ أنتَ لها، وأنتَ عِصامُها ! (١)
 لكَ في الجِهادِ سريرةٌ أخلصتِها
 لله فليُنشرَ عليكَ علامُها
 لكَ راحةٌ في الجودِ راحتُها وكم
 كَفِ بِنَعِ نَوالِها إفعامُها !

(١) من المثل المشهور - وينسب للنايفة - * نفس عصام سودت عصاما * .

80 ولك المـواضي الفاتـكاتُ صِفاحُها
 ولك الأيادي المـالـكاتُ جِسامُها
 ولك الإيالةُ شـاهـداً إقبالُها
 إن السـعودَ بها يـكونَ دَوامُها
 هامتُ بها مِصرُ فلو واصلتُها
 لرأتُ شـيـبةَ عُمـرها أهـرامُها !
 ولو أنُ بـغـدادُ أـردتُ وجـلـتُها
 لـهـوى إـلـيـك عـراقُها وِشامُها
 إن الفـتـوحَ عـلـيـك يـخـفـقُ بـندُها
 ولـتـديـك فـيـا تـرتـضـيه قـيـامُها
 85 وعـيـداك عـودُك الإلهُ بـأنـها
 إن لم تـطـمـك تـحـيطُ بـها آثامُها

[٦٨ / ب]

تلك العـطـاية عـبـيد الوادِ لم
 يُـرـفـعَ لها عـلـمٌ ولا أقوامُها (١)
 نامتْ لهمْ عـيـنُ الحـوادثِ بُـرـهـةً
 فاستيقظتْ من بـعدِ ذاكَ نـيـامُها
 لا تحسبنَ لها غـنـاءَ في الوغى
 فوراؤها عـند الـهـيـاجِ أمـامُها !
 إن الإلهَ قـضى لها مـها بـدتُ
 تـخـفى ، وعـند وُجـودِها إـعـداُها (٢)

(١) يشير إلى انتصار المدوح المربني على أبي حو العبد الوادي صاحب تلمسان سنة ٧٧٢ هـ

(٢) يريد : وجودها كعدمها ، واستعمل إعدام بمعنى عدم .

- 90 أنتَ السَّدي تَرثُ البلادَ وأهلَها
منها سِوى ما حازَهُ أَرْجامُها ! (١)
- لَكَ من سَعودِ «المَشترى» ما شِئتَهُ
ولها نُحوسٌ ذَكَبَها بِهَرامِها (٢)
- إِن الشَّقِيَّ وَإِنْ تَوَلَّيَ مُجْهِلاً
فِي النَّازِحَاتِ كما يُراعِ نَعامِها
لَتَسوقَهُ الأعرابُ خادِمَةً بِهِ
ويَقودُ ناقِصَتَهُ إِلَيْكَ زِمَامِها !
- ويَحُلُّ حَيْثُ مَضَى الذِّينَ، تَنَقَّدُمُوا
طُوعَ السَّيُوفِ هوى بِهَمِّ الحامِها
- 95 مولايَ يا عَبدَ العَزيزِ وَمَنْ لَهْ
تُحَدِى الرِّكائِبُ والرَّجاءُ خِطامِها
يا ابنَ الإمامِ عَلِيٍّ المَلِكِ الَّذِي
دانَسَتْ إِلَيْهِ مِنَ المُلُوكِ ضِخامِها
- نَجَلِ الإمامِ أَبِي سَعِيدِ ذِي النُّشَي
والكَفِّ تَطمَعُ بِالعَطاءِ رِهامِها (٣)
- نَجَلِ الرِّضا يَعاقُوبِ ذِي المُلُكِ السَّدي (٤)
مَلِكِ البَسِيطَةِ فَاسْتِقامَ أَنامِها

(١) أَرجامُ ج رجم : القبر .

(٢) بهرام : المريخ . والمَشترى عند المَشغَلين بالنجوم دلالات ولهم فيها ادعاءات .

(٣) الرهام جمع رهمة وهي المطر الخفيف الدائم .

(٤) أبو سعيد عثمان ويعقوب الماريني المنصور، من سلاطين المرينيين المشهورين .

خُذْهَا إِلَيْكَ مَدَانِحًا أَهْدِيَتْهَا
 كَالزَّهْرِ يُطْلَعُ زَهْرُهَا أَكَامُهَا
 100 حَمَلْتُ شَذَا أَوْصَافِكَ الْغُرِّ الَّتِي
 أَرَجْتُ ^(١) بَعْرِفِ ثَنَائِهَا أَيَّامُهَا
 وَاهُنَا بَيْلَادِ الرَّسُولِ مَسْرُةً
 خَفَقْتُ عَلَى دَيْنِ الْهَدْيِ أَعْلَامُهَا
 وَاخْلُدْ وَدُمَ مَا خَلَدَتْ أَمْدَانُهَا
 كَالْمِسْكِ يَنْفَحُ بَدْوُهَا وَخَيْتَانُهَا

الفقيه الكاتب القاسم بن يوسف بن رضوان رحمه الله (*):

يكنى أبا الفضل . وأدركته ، ورأيت . ومولده بمالقة ، بلده ، وكتب
 لأمر المؤمنين [٦٩ / أ] المتوكل على الله أبي عثمان فارس .

حاله - رحمه الله - :

كان بالحديث عارفاً ، وعلى درسه عاكفاً ، ولرجاله واصفاً . مع معرفة
 بالأصول والفروع ، ومشاركة في النحو واللغة ترويحاً . إلى بهاء وصباحة ،
 وحسن رُواء وسماحة .

(١) لم تظهر الكلمة في « م » والمثبت من « ط » .

(*) ذكره المقرئ في نفح الطيب ٧ : ١١٨ ، ونقل مساجلات شعرية بينه وبين أبي إسحاق
 ابن الحاج النميري الغرناطي .

فمن إنشائه البارع ، ما كتب به لخدمته أمير المؤمنين المتوكل على الله
أبي عنان ، والتزم في كل منها بالسين . تقدست أسماء السَّمِيع . سعود
سيد السلاطين مُتَسَاعِدَه ، وسِريرته لِسُننِ السَّنَةِ السَّمْحَةِ مُسَاعِدَه ،
وَمَنَا سَنَائِهِ ^(١) استنارَ الإسلام بحسن سيرته السَّمِيَّة ، وسرى بالبَسِيطَةِ
سِيبُ سَحَابِ إِحْسَانِهِ وسِمَاحَتِهِ السَّخِيَّة ، وسَمَا بِسَنَامِ سَفْحِ السُّودِ
بحسامه النامخ سبيل البأس والبؤس ، وسبق بنفسه النفيسة سُطُورَ
العساكر ، وعساكر الطُّرُوس ، فحسبك استنباطُ السفن بالمراسي المحروسة ،
وإسعافُ الرِّسْلِ بِسَوَابِغِ الحَسَنَاتِ الجَسِيمَةِ المَغْرُومَةِ . فيستفتح
بأسنة سُمره ، وسُمر أُمْنَتِهِ رسوم الأندلس الدارسة ، وبه يسلك سَبِيلَ
سَلَفِهِ (...) ^(٢) ، المستنيرة بِسَنَامِ السَّدَفِ الدَّامِسَةِ . فشمس السرور
بسماء مسرته مُسْتَنِيرَة ، وسعد السعود بِتَسَنُّتِي سُؤْلِهِ ساطعة مستديرة .
ومجالس أنسه منفسحة الآسَاسِ والمَسَالِكِ ، وسلسيل السؤل بساحة سِمَاحَتِهِ
يَسْتَحْلِيهِا النَّاسُكُ والسَّالِكُ . وسَائِلُ إِسْعَافِهِ السَّابِغِ ، القَاسِمِ سَلِيلِ
يُوسُفِ ^(٣) مسترق سلطانه ومستمنح إحسانه . ساعد سلطته السامية الإِسْعَادَ
وساعفها السُّرُورَ المُسْتَفَادَ . والسلام المتسق السلك ، المنتقم المسك يسري
للمجاس السعيد الأسمى [٦٩ / ب] .

(١) أقرب ما يمكن أن يقرأ فيها .

(٢) كلمة طعست في «م» ومكانها بياض في «ط» .

(٣) يشير إلى اسمه : القاسم بن يوسف .

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى وكاتب الأشغال السلطانية

علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي (*) .

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ورأيت . ومسقط رأسه تلمسان ، وأصل سلفه من الأندلس من بني سعود . والقادم من الأندلس على تلمسان أبوه محمد . والوالد جده الفقيه موسى بن سعود ولي قضاء أدله^(١) بالأندلس في دولة أسلافنا الملوك بني نصر . ثم ولي بها القضاء بعده ابنه الفقيه أحمد ؛ ثم ارتحل أحمد إلى غرناطة فاستوطنها ، واستخدمه جدنا أمير المسلمين أبو عبد الله محمد الفقيه ابن جدنا أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله محمد صاحب الدبوس ابن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ، في الأشغال السلطانية ، ثم ارتحل عن الأندلس إلى بر العدو ، واستقر بتلمسان هو وولده محمد ، فاستوطنها إلى أن توفي بها .

واستكتب الملوك من بني زيان بحضرتهم من تلمسان لولده محمد وقلده

(*) ترجم له ابن الأحرر في مستودع العلامة « ٦٢-٦٤ » ، واسم جده فيه « مسعود » ، وقال إن نقرأ من آبائه تولوا القضاء بالأندلس ، وإن والده انتقل من الأندلس ، واستقر بتلمسان . وذكر ابن الأحرر أن المترجم به كتب في حضرة بني عبد الوادي أولاً ، ثم استقر كاتب أشغال في حضرة بني مرين . وتحدث عنه ابن خلدون في « التعريف ٤٣ » وفسر عبارة كاتب الأشغال السلطانية حين وصفه بأنه « صاحب ديوان العساكر » . وقد أسندت إليه كتابه العلامة بالإضافة إلى منصبه السابق في دولة السلطان أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني .

وانظر في ترجمته درة الحجال وجذوة الاقتباس لابن القاضي .

(١) أدله: فيها .

وزارته السلطان أبو زيان محمد بن السلطان عثمان ابن السلطان
يغمراسن بن زيان . ثم قلده منهم كتابة الأشغال السلطانية أمير المؤمنين العادل
بالله أبو تاشفين عبد الرحمن ، ثم استكتب بنو زيان بحضرتهم ابنه الفقيه أبو
الحسن (١) علي هذا . وقلده منهم خطة الأشغال السلطانية أمير المسلمين المتوكل
علي الله أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن أمير المسلمين
يغمراسن بن زيان .

واستكتبه أيضاً في الأشغال السلطانية بالحضرة المريمية أمير المؤمنين المتوكل
علي الله أبو عنان فارس بن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي
سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، وابنه
أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر ، وعمه أمير المسلمين المستعين بالله
أبو سالم إبراهيم ، وهو الذي قلده خطة القلم الأعلى مضافة إلى الأشغال
[السلطانية] (٢) [٧٠ / أ] بطول دولته .

وقلده أيضاً منهم الأشغال أمير المؤمنين المتوكل علي الله أبو زيان محمد ،
وعمه أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز ، وابنه أمير المسلمين السعيد بالله
أبو زيان محمد .

حاله - أكرمه الله - :

هو فارس ميدان الحساب ، وحامل راية الآداب والأنساب ، ورئيس
النحويين وعلمهم للغويين . ولديه من الأصول حظ وافر ، كما وجه الفروع له
سافر . وخطه ينسب ابن مقلّة في تنميقه ، وشعره يسكت المرقش في تزويقه .
وقدمه في الكرماء أرسخ من أبي قبيس وفضله ينسب فضل الأمير دبّيس !

(١) في النسختين « أبو الحسن علي » .

(٢) لم ترد في الأصلين .

أنشدني لنفسه يمدح ملك المغرب أمير المؤمنين
المتوكل على الله أبو عنان (١) :

هو الدين عزّ اليوم بالنصّر جانبُهُ
وذلك مناويه وهان مناصبُهُ
وكنّا من الإشفاق في مُدْهَمَةٍ
تجلست بمرآك السني غياهبُهُ
وربّ غويّ كان يُخفي نفاقَهُ
وفي ساعة (الإيحاف) (٢) دبت عقاربُهُ
أذقهم وبال البغي إن قتالهم
جهاد ولا عهدٌ لديهم تراقبُهُ
5 وأرسل عليهم من جيوشك عارضاً
بصائبية النشاب يُمطر حاصبُهُ
هو اللّيل والزرق الطوّال نجومُهُ
هو السيل (٣) والبيض القصار مدانِبُهُ
إذا أمّ أرضاً دوختها سلاهبُهُ
وإن رامّ أمراً وصلته قواضبُهُ
وقد وثقت طير الفلاة بغارة
لحوم الأعادي فهي بمنّ تَصاحِبُهُ

(١) فيها « أبو عنان » .

(٢) في النسختين : الآجاف . وما بين قوسين مقترح ، على أن مصدر « وجف » بمعنى اضطرب لا يكون على إيحاف ، كما في القاموس .

(٣) فيها : والسيل ، وظاهر أن المقصود مثل ما أثبت .

وكم لك من يومٍ أبدت به العدا
 بالسنة الأغمد تستلى مناقبه
 10 إذا خط رُمح الخط في معرك الوغى
 أذاك ظهير الفتح والنصر كاتبه
 أقام بك الله الخلافة بعدما
 وهت وعاد الدين إذ هُدَّ جانبُه
 وناضلت عن دين الهدى غير مقصر
 فعز، ولولا أنت عز مغالبه

[٧٠ / ب]

فتتجع الأملاك غيث يمينكم
 فيرجع كل مُمْنِيات حقائقه
 وكم ملك سوغته الملك مُنعمًا
 فلما بغي قامت عليه نوادبه !
 15 تُسالم من قد أوجب الشرع سلته
 وتقطع في نصر الهدى من يناصبه
 فيا سعد من سالتُموه فقد نجا
 ويا ويل من كانت تمرين تحاربه
 فهل من قبيل لم يسده أميرهم
 وهل من بلاد لم تسدها كتابه
 أجلتك أملاك الزمان لعلهم
 بأنك شمس والملوك كواكبُه !
 وأنفذ كل رسله لمقامكم
 ونيل رضاكم سُؤلُه ومآربه

20 فَنَدِمُ لِرَجَا رَاجٍ وَتَأْمِينِ خَائِفٍ
وَنُصْرَةٍ مَظْلُومٍ تَضِيقُ مَذَاهِبُهُ
وَأَيْدِكَ الرَّحْمَنِ فِيمَا تَرَوُّهُ
وَيَسَّرَ مِنْ قَهْرِ الْعِدَا مَا تَطَالِبُهُ

الفقيه الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن تادارات (*) .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ومسقط رأسه مالقة ، وأصل نسبه من تونس . وعبر البحر من الأندلس إلى العدو يكتب في الحضرة المرينية في دولة أمير المسلمين أبو الحسن .

حاله - رحمه الله - :

كان ممن برز في الكتابة ، وأصاب في التصح كل الإصابة . وارتقى من المفاخر مرقى لا يُطرق . وحاز من الكمال ما ليس يلحق ، مع البهاء البهي ، والجلاء الجلي ، وحسن الصحبة ، وكرم الخيتم ، وطهارة النسبة .

فمن قوله ، وكتب به من إطرابلس إلى صاحبه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي القاسم بن رضوان النجاري (١) :

(*) ترجم لسان له في الكتيبة الكامنة « ٢١٣ » ، وترجم لأخيه أبي علي حسين بن عبد الحكيم ، وقال في أثناء التعريف به « ٢٠٧ » : التينملي ، المحسوب من الاندلس لولادته بها ، كان أبوه من قسنطينة . ووصف المترجم به بأنه فاضل من الفضلاء ، اشتغل بالكتابة والقضاء . ونقل له قطعة شعرية في غرض الرثاء قال فيها إنه لم يسمع له غيرها . وعلى هذا فإن المترجم به مقل في غرض الشعر يشارك فيه مشاركة عارضة .

(١) سبق التعريف به والترجمة له .

سَلِّ قَلْبَكَ المصدوعَ من بعدي
ماذا لقيتَ لحِداثِ البُعدِ

[٧١ / آ]

فلدَّيه من ذاكَ الحَدِيثِ - مَقَى
تَسْأَلُهُ - ما أُخْفِي وما أُبْدِي
وإذا شَرِقتَ بملحِ دمعِكَ مِنْ
أَسْفِرِ عَلَيَّ عَمَتَ ما عِنْدِي !

الفقيه الكاتب أحمد بن شعيب الجزناني (*) .

يكنى أبا العباس ، وأدركته . وكتب في حضرة أمير المسلمين أبي
الحسن علي ملك المغرب .

(*) هو أبو العباس أحمد بن شعيب الجزناني ، التازي الدار ، نزبل فاس . كما في نثير
فرائد الجمان ، غير أن ابن خلدون عده في أهل فاس ، وقال في التعريف : ٤٨ « برع
في اللسان والأدب والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها » . وكان كاتباً
لدى السلطان المريني أبي سعيد وطيبياً ، واستمر على ذلك عند أبي الحسن المريني .
وكان المترجم به - إلى ذلك - شاعراً متقدماً ، وناقداً بارعاً ، وعبارة ابن خلدون في
ذلك تدل على مكانة عالية له في كلا الفنين ، قال « وله شعر سابق به الفحول من المتقدمين
والمؤخرين وكانت له إمامة في نقد الشعر وبصر به » ؛ ووصفه ابن القاضي في
درة الحجال بالنحوي .

وكانت وفاة المترجم به في تونس ، في أثناء الطاعون الجارف الذي اجتاحت الاندلس
ومغرب ومناطق أخرى في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يجدد ابن خلدون سنة وفاته ، وأرخها
ابن الأحمر في نثير الفرائد بسنة ٧٥٠ هـ ، وقال ابن القاضي إنه توفي سنة ٧٤٩ هـ .
(انظر في ترجمته نثير الفرائد : ٣٣٥ ، ونيل الابتهاج : ٦٨ ، والتعريف لابن خلدون :
٤٨ ، وجذوة الاقتباس ٤٧ ، ودرة الحجال ١ : ٤٥) .

حالـه - رحمه الله تعالى - :

كان عالماً بالحساب ، حافظاً بالأنساب ، عارفاً بالطبّ والنجوم ، كما كان له في الشعر النجـوم !

فمن قوله :

يا غائباً في الضميرِ ما برحنا	إني محل ^(١) الهوى وإن تزحنا
لم تضر الصبرَ عنك جارحة	ولا فتؤادي لسلوة جنحنا
مستعبر المزنِ فيك أدمعه	يظل يبكيك كلّما سنحنا
ولا أرى البرق عادَ مُبتسماً	بعدك بل زند شوقه قدحنا
وما تغنى الحمامُ من طرب	بل يعلن النوحَ كلّما صدحنا

الفقيه الكاتب محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثباني (*) :

يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيتـه ، وكتب للملوك من بني مريـن

بحضرتهم .

وكان أبوه عبد الله (**) هو الذي نجم في بني أبي مدين في خدمة الملوك من بني مريـن . قلده الحجابة ورياسة الكتاب ، وكان أحد الموصوفين

(١) كذا فيهما .

(*) تحدث ابن خلدون في « التعريف » وابن الأحرر في « مستودع العلامة » عن أسرة بني أبي مدين ، فقد كانت أسرة علم واشتهار بالخدمة السلطانية . ونص ابن خلدون « ص ٤٠ » : « أنه كتابة العلامة كانت مقصورة على هذا البيت . وقد ألم ابن الأحرر في هذا الكتاب ونثير الجمان بذكر نفر من مشهوري هذه الأسرة ، وقد أعد أخباره عنه وإشاراته مصدراً أساسياً عنهم لاستفاضته في بعض تراجمه ، وتقصيه ، ومعاصرته ، ومعرفة بعضهم معرفة شخصية .

(*) انظر ترجمة لعبد الله بن أبي مدين في مستودع العلامة : ٤١ ، والتعريف : ٤٠ .

بالكرم الفائق ، كانت عطاياه هتيدات (١) .

أخبرني بفاس غير واحد من رآه أن عطاياه كانت من خمسين ديناراً ذهباً ، إلى مائة دينار مثلها ، إلى أكثر من ذلك .

ومولده بقصر كتامة (٢) ، ونشأ بمكناسة الزيتون (٣) ، وبها قرأ القرآن وتفقّه ؛ فتعلّق بخطّة [٧١ / ب] ، التوثيق ، وسكنها مدة . ثم ارتحل عنها إلى فاس فأقام بها موثقاً بسباط شهودها ، وكان أصل قريبه من دار السلطان أن الوزير أبا علي عمر بن الوزير السعد بن خرباش الحشمي (٤) طلب من قاضي مكناسة في حينه كاتباً لنفسه يكون حسن الحظ ، فعرفه بعبد الله هذا ؛ فاستكتبه . وانتقل بعد وفاة الوزير عمر بن السعد لقراءة الحزب بدار أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . ثم تعلّق بخدمة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق على يد (٥) . . . من كتاب الحضرة السلطانية اليعقوبية على يد صاحب قامها الأعلى أبي عبد الله محمد الكناني . فلما توفي الكناني قدمه السلطان أبو يوسف للعلامة فكان يُعلم ، وأبو الطيب الكناني أخو المتوفى يعلم ، وأبو عبد الله محمد بن الربيب الكناني يُعلم ، وأبو عبد الله

(١) الهنيدة المثة من الإبل .

(٢) قصر كتامة أو مدينة قصر عبد الكريم ، غربي مكناسة بانحراف إلى الشمال ، (انظر تقويم البلدان لأبي الفداء : ١٣٣ ، والاستبصار : ١٩٠) .

(٣) مكناسة الزيتون : مدينة بالمغرب « في المملكة المغربية » ، من نظر فاس إلى جهة المغرب ، وهي مدينة جبلية . وكانت في معظم الأوقات مركز نشاط حضاري وعمراني . قال في الاستبصار : وزيتها أكثر زيت في المغرب .

(انظر الروض المعطار : ٥٤٤ ، وتقويم أبي الفداء : ١٢٣ ، والاستبصار : ١٨٧) .

(٤) تحدث السلاوي عن بعض خبره في الاستقصا : ٣ : ٧٥ .

(٥) بياض بمقدار كلمة في الأصلين .

محمد العمراني يُعلم ؛ مَنْ حضر منهم علم . فمات السلطان أبو يوسف ، وولي بعده السلطان أبو يعقوب يوسف فبقي كاتباً كما كان ، إلى أن استبد بأمر أبي يعقوب كلها ، وقلده الحجابة ورياسة الكتاب ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أبو يعقوب ، وولي بعده حفيده ابن ابنه ، أبو ثابت عامر . فبقي على ذلك إلى أن مات أبو ثابت وولي أخوه لأبيه أبو الربيع سليمان ، فبقي على ذلك إلى أن قتله أبو الربيع في عام عشرة وسبع مئة .

وأبو مدين شعيب والد عبد الله كان منخرطاً في سلك المتصلحين ، فصيح اللسان ، وكان يصلي في بعض الأوقات بالسلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . وليس هو أبو مدين شعيب بن الحسين^(١) الأنصاري الأشبيلي الأندلسي

(١) سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي ، اشتهر بشيخ المشايخ ، فسأل فيه أبو الصبر شيخ مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى . وقال التادلي : كان مبسوطاً بالعلم مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم بذلك . وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي وكان يقوم عليه . وكان يلزم كتاب الإحياء ويعكف عليه ، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الحال . وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه جيلاً ، ويخصه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل .

قضى في الأندلس مدة من حياة الصبا ، ثم ارتحل إلى المغرب ، واستقر بفاس يتلقى هالومه ويتعبد ويلتقي بالعباد الزهاد ، فأخذ عن ابن حرزم وابن غالب وغيرهما . ولزم الشيخ أباء يعزى الفقيه الزاهد ، واستأذنه في الحج فأدى الفريضة ولقي سيدي عبد القادر الجيلاني ولبس منه الخرقة وقرأ عليه كثيراً من الحديث في الحرم . وعاد فاستوطن بجاية فاشتهر أمره وقصده الناس وطار صيته حتى وشى به بعضهم إلى أبي يوسف يعقوب المنصور الموحد فاستقدمه الأمير ووصى صاحب بجاية أن يرفق به ، فقال أبو مدين لأصحابه وتلاميذه - وقد تغيروا لطلب الأمير - أنا لأرى السلطان ولا يراني ! «

وليّ الله تعالى ، الذي دُفِنَ بالعُبَّاد^(١) من مدينة تلمسان ؛ وإنما اتفق
الاسمان .

وهو من بني عثمان ، قبيلة ، يسكنون بقصر كُتّامه . وأبو الحسن هذا
كتب في حَضْرَةِ أمير المسلمين أبي الحسن ملك المغرب المريني . وكتب أيضاً
في حضرة أمير المؤمنين [٧٢ / أ] المتوكل على الله أبي عَينان .

حاله - رحمه الله - :

كان قد تَابَعَ والده في هديه ، ولم يتخطه^(٢) في أمره ونهيه . وحاكاه في
بذل العطايا ، ولم يحد عن تلك السَّجَايا . وكان للقرآن حافظاً ، وعلى أوقات

==فارتحلوا به على أحسن حال حتى وصلوا حوز تلمسان فبدت لهم رابطة العباد فقال
لأصحابه: ما أصلحه للرقاد ! . فرض فلما وصل وادي يسر اشتد مرضه ونزلوا به هناك
فكان آخر كلامه : الله الحق . وتوفي سنة ٥٩٤ هـ ، ودفن بالعباد في مشهد عظيم .
من كلامه : من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل ، ومن لم يحد من قلبه زاجراً فهو خراب .
وقوله : بفساد العامة تظهر ولاة الجور ، وبفساد الخاصة تظهر دجاجة الدين الفتان .
وقوله : من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه . وفي تراجمه الكثيرة أحاديث مطولة
عن فضائله وما ينسب إليه من كرامات . ولم يظهر من أخباره ما يدل على ادعائه وتطوله ،
والله تعالى أعلم .

(انظر تراجمه وأخباره في . التشوف لرجال التصوف للتادلي ٣١٦ ، ونفح الطيب
للمقري ٧ : ١٤٢ ونيل الابتهاج لأحمد بابا : ١٢٧) .
وألف فيه ابن قنفذ القسنطيني كتاباً مستقلاً بعنوان : أنس الفقير وعز الحقيير ط الرباط) .
ولسيدي أبي مدين ديوان شعر لطيف الحجم ، طبع في دمشق ، وهو في حاجة إلى تحقيق
وإلى تخليص شعره وموشحاته من أشعار غيره .

(١) عباد تلمسان عند وادي يسر قرب تلمسان ، موضع معروف ، مشهور بالحسن وجمال
الطبيعة ، واشتهر بعد ذلك بضريح سيدي بومدين ، ثم أقيم إلى جانبه مسجد مشهور .
(٢) في الأصلين : يتخطاه .

قراءته محافظا . لاتراه إلا تاليا ، كما كان للفواحيش قاليا . وأبوه عبد الله هو الذي أشاد المعالي في قومه ، وأيقظ لهم جفن الفخار من نومه . وساد بما أشاد من المفاخر ، ونشر بعبائنه رداء السيادة الفاخر . أعطى وما أبطأ ، وأصاب في ذلك وما أخطأ^(*) . وسطا في حجابته بالظلام ، ورفع في رياسته من وضعته الأيام . وكان مكرما بالشرفاء^(١) ، رفيقا بالضعفاء . عظيم الصدقات ، حلما في السكون والحركات . كثير التواضع ، قليل التصانع .

أنشدني أبو الحسين المذكور لنفسه - رحمه الله تعالى - يتشوق :

يا سقى الله دهرنا المستقصي
من شائب دمع^(٢) المرفض
لو بيملك العراق أسعف دهري
ما رضيت المقام في غير أرضي !
يا رسول الهوى^(٣) تحمل سلامي
للذي حال بين جفني وتخصي
وإذا ما أتيت فتادب
فعلى الحسـن حاجب غير مغض !
بديار الحبيب قلبي مقيم
وبدار النوى القصية بعضي
شيمة الدهر فرقة وتلاق
كل ما فيه مؤذن بتقص

(*) وأقرأ « أبطا » و « أخطا » بالتسهيل .

(١) كذا عبارة المؤلف ، والأشبه : للشرفاء .

(٢) في الأصلين « دمع » ، ونرجح ما أثبت .

(٣) في الأصلين « الهدى » بالdal ، ونرجح ما أثبت .

إن مَضَى عهدُ قُرْبنا وتَوَلَّى
 فزَمانُ البِعادِ لا شكَّ يَمِضي !
 وأنشدني أحيانًا كتب بها لأبيه الفقيهُ الكاتبُ صاحبُ القلمِ الأعلى أبو محمد
 صالح بن حجاج (*) وهي :
 يا سَيِّدِي لم أنمِ البارِحَةَ من فيكرةٍ سائِجةٍ بِارِحَةٍ
 إذْ باتتِ النَّفْسُ لأوطانِها شَيْقةً ، ونحوها جانحةً
 وكان في صُحْبَةٍ مَنْ قد مضى لي أَمَلٌ ومَهْمَةٌ طامِحةً
 حتَّى إذا وَلَّوْا وأَضْحَتِ
 رُكابُهُم غاديةً رائِحةً
 قنطُتْ حتَّى لم أجِدْ سَلوةً
 إلا بتلكَ الغُرَّةِ الواضِحةً
 كذاكَ حالي إنْ نأتُ سَلوتي
 بِكمْ أَرُدُّ سَلوتي الذِّارِحَةَ
 وإنما المَقصودُ يا سَيِّدِي
 جَوابُكم فَكُنْ إِذنْ مانِحَةً
 بالنِّظْمِ أو بالنَّثْرِ إن شِئْتُمْ
 تلكَ فَعَمالٌ كلُّها صالِحَةٌ !

(*) كاتب العلامة الفقيه أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي السبتي ، كاتب علامة السلطان
 عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريفي ملك المغرب. وقد وصله ابن الأحرر في مستودع العلامة
 بأسرة بني حجاج الذين كان لهم نفوذ بإشبيلية أيام الدولة المروانية .
 (انظر مستودع العلامة : ٤١ ، وروضة النسرین : ٢٤) .

فأخبرني أن أباه جابوه بقوله :

تَشَمَّتُ مِنْ رَبِّحَانِيهَا رَائِحَةً
 لِمَسْكِ دَارِينَ غَدَتُ فَاضِحَةً
 أَيْبَاتُ شَعْرِ أَشْعَرْتُ أَنْتَهَا
 لِذِي وَدَادٍ خَالِصٍ مَادِحَةً
 قَدْ نَفِثْتُ سِحْرًا وَلَكِنْتُهَا
 صَادِحَةً بِالْبَثِّ بَلُّ بَائِحَةً !
 وَرَاعَتْنِي تَخَطُّ يَرَاعٍ غَدَا
 مُقْلَمًا زَنْدَ الْأَمَى قَادِحَةً
 لَا أَهْلَ بِالْبَيْنِ وَلَا مَرْجَبَا
 جِرَاحُهُ مَا غَادَرْتُ جَارِحَةً
 يَا فَارِقًا مِنْ فُرْقَةٍ غُرْبَةً
 أُمِسْتُ لَهَا سِلَوْتُهُ نَازِحَةً
 هَوْنٌ عَلَى نَفْسِكَ مَا هَالَهَا
 فَإِنْ عَثَبَنِي صَبْرُهَا نَاجِحَةً
 سَتَجِدُ الْحَالَةَ يَا صَالِحَ
 عَمَّا قَرِيبٍ وَتُرَى صَالِحَةً
 بِقَضَلِ رَبِّ قَادِرٍ لَمْ تَزَلْ
 الْطَافُفُهُ غَادِيَّةٌ رَائِحَةً

ابن عمه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى محمد بن محمد ابن
أبي مدين (*) :

'يكنى أبا المجد ، وأدركته ، ورأيتة . وكتب في الحضرة المرينية . ثم
كتب العلامة [٧٣ / أ] لأمير المساهمين أبي الحسن علي المريني في حين
كان يجبل عامر بن محمد الهنتاتي .

حاله : - رحمه الله تعالى - :

كان شاعراً أريباً ، وطالباً لبيباً . ذا سميت جسيم ، وظرف شكل وسم .
أنشدني لنفسه :

عزّ صَبْرِي ولم أَكُنْ بِالْجَهْلِ
عندما أَذَنُوا لِشَدِّ الْحُمُولِ

ها أَنَا فِي الطُّلُولِ أُرْسِلُ دَمْعاً
ليسَ إِلَّا بِهِ شِفَاءُ الْعَلِيلِ

لم تكن أدْمُعِي بأَوَّلِ دَمْعٍ
طَلَمَهُ الْعَاشِقُونَ بَيْنَ الطُّلُولِ

فدموعي الغيزارُ طوفانُ نوحٍ
وضُّوعِي الحيرارُ نارُ الخَلِيلِ !

(*) وصفه في مستودع العلامة بأنه كان غزير الأدب ، جم الحياء ، وقال إنه كتب في
حضرة السلطان أبي الحسن المريني ثم كتب له العلامة يجبل هنتاته «مستودع العلامة: ٤٦»

5 لهبوب الشمال ملت ارتياحا
فكأنني شربت كأس شمول

والتزام الربوع صير جسمي
مُشبهًا منهم إكل نحيل

آه بما أضرت بي من غرامي
واشتياقي ولوعي وغلي

سادتي هل إلى الوصال سبيل ؟
إنني لم أجد له من سبيل !

إن أمت في الهوى فغير نكير
كم لنا في ذوي الهوى من قتيل !

10 فارحموا من تشا لغير رحيم
بعدكم واستتال غير منيل

نال عِزًّا بكم وذلل لديكم
فاعجبوا منه للعزير الذليل !

وبشوقي بعث قلبي رسولا
فارفقوا ؛ لايحل قتل الرسول

أنا عبد لكم على كل حال
كنتم ؛ ليس لي بكم بديل !

أخوه الفقيه الكاتب شعيب بن محمد

ابن أبي مدين شعيب بن مخلوف العثماني (*) :

يكنى أبا مدين ، وأدركته .

وهو ابن أخي الفقيه الوزير الحاجب الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الله بن أبي مدين المذكور أولاً . وكان أبوه محمد قد كتب [٧٣ / ب] العلامة لأمر المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

وشعيب هذا كتب في الحضرة المرينية ، وامتحنه أمير المسلمين أبو الحسن - رحمه الله - وأسكنه دار السجن سنين طائلة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان ممن أصفق الإجماع على براعة نظمه ، وتوقع في الأسماع إجادة فهمه . كثير الارتياح إلى الآداب ، شديد الكلف بمعرفة لأنسب . عظيم الثروة ، عمى الخطوة . وكان في الدار السلطانية رفيع الجاه ، ثم إن الدهر أضاعه وأجلاه . والدَّهر لا يبقِي على حال ، وتصرفاته كم لها من قبيح أفعال . وقلب له الجن ، وأورثه يحوره المِحن ! وسكن السجن من قبل السلطان ، لأمر أبغضه الله ، وأحبه الشيطان !

(*) نعرف من أسماء أبناء أبي مدين شعيب العثماني - بحسب ما في مستودع العلامة والتعريف بابن خلدون - كلا من عبد الله ، وأبي القاسم ، ومحمد الحاج ، ومحمد القصري . وفي أولاد هؤلاء عدد سموا بـ « محمد » . ووالد شعيب . المترجم به هنا هو محمد الحاج بن أبي مدين كاتب علامة السلطان عثمان بن يعقوب . ولم أقف على ترجمة لشعيب هذا . وفي نيل الابتهاج لأحمد بابا ترجمة لشعيب بن محمد بن جعفر بن شعيب (٧٢٧-٧٧٥) وقال إنه غادر إلى المشرق ، واستقر بحماة . ويكون لأبي مدين - على ما نقل أحمد بابا - ولد آخر هو جعفر .

(نيل الابتهاج ١٢٩ ، وروضة النسرین ٢٤ ، ومستودع العلامة ٤٤)

فمن قوله - رحمه الله تعالى - :

كم باتَ طيفُك بالزَّرداءِ يُغرِني
وَأَسْهُمُ الْوَجْدِ لَا تُخْطِي وَتُصْمِي

لِيَالِيَا سَلَفَتْ نَادَمْتُ سُدَّ قَتَهَا
يَغِيبُ فِي اللَّيْلِ أَحْيَانًا وَيَبْرِي

كَمْ وَقْفَةٍ لِي فِي أَطْلَالِهِمْ سَحَرَأُ
حَيِّتُ فِيهَا نَسِيمًا كَانَ يُحْيِي

وَنَشَقَةٍ مِنْ نَسِيمِ الرَّثَدِ نَمَّ بِهَا
عَرَفُ الصَّبَا نَفَحَتْ بِالْخُرْدِ الْعَيْنِ

5 رَصَدَتْهُمْ فِي النِّقَا وَالْجِزْعِ مِنْ إِضْمٍ
رَصَدَ الْعَبِيدِ لِأَبْوَابِ السُّلَاطِينِ !

أَهَا لَهَا نَظَرَةٌ مَا إِنْ شَعَرْتُ بِهَا
حَتَّى عَرَانِي حَبْلٌ غَيْرُ مَأْمُونِ

يَا سَاكِنَ الْجَزْعِ أَعْيَانِي النَّدَا فَمَتَى
أَرَاكَ يَوْمًا مِنَ الدُّنْيَا تَلَسَّبَنِي ؟

مَنْ لِي بِنَظَرَةٍ خَلَسَ فِي مَحَاسِنِهِ
أَجْنِي بِهَا الْوَرْدَ بَلْ كُلُّ الرِّيَاحِينَ

ظَنِي تَنَقَّلْتُ مِنْ نَعْمَانٍ ثُمَّ غَدَا
يُزْرِي' بِأَهْلِ الشَّهَى وَالْعَقْلِ وَالدِّينِ

10 لو أَنتَنِي بَعْتُ دُنْيَايَ وَزُخْرُفَهَا
بِنَظَرَةٍ مِنْهُ مَا بَيْعِي ^(١) بِمَقْبُورٍ !

(١) يقال باعه إذا باعه وإذا اشتراه (ضد) .

ولو بذلتُ لهُ نَفْسي وما ملكتُ
لِلْمَحَةِ عَرَضَتْ ما كانَ بالدوْنِ

[٧٤ / أ]

فَقَيْسُ لَيْلَى وَغِيْلانَ وَشِعْبَةَ
وَكَلَّ ما رَسَمُوا مِنْ وَجْهِهِمْ دُونِي^(١) !

ابنه الفقيه الكاتب حمزة بن شعيب
ابن محمد بن أبي مدين شعيب (*) :

يكنى أبا يعلى ، وأدركته ، ورأيتُه ، وكتب في حضرة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عثمان فارس ملك المغرب ، ونال لديه جاهاً مكيناً . ثم امتحنه بسبب الحاجب الرئيس الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله محمد بن أبي عمرو التميمي الحنة العظيمة التي أدخلته رسمه ، واعتقه له بالسجن ، وبه مات مقتولاً في عام اثنين وخمسين وسبع مئة .

حاله - رحمه الله - :

كان من أهل البراعة في الكتاب ، ومن أولي^(٢) النظم البديع اللطاب . صفت موارِدُ شعره ، ورق نسيْمُ نثره . وتدفقت جداولُ بلاغته ، واعتنقت نواسمُ فصاحته . ولا مِرية في أنَّ بهاءه يختلبُ العقول اختلاباً ،

(١) في الأصلين : دون ونرجح ما أثبت .

(٢) في « م » من أول

(*) ترجم له ابن الاحرر في نثير الفرائد « ص ٣٤٧ » ، ولم يكذ يزيد في المعلومات عما ذكره هنا . واختار له قصيدة أخرى ، ونبه إلى أنه كان يجيد قرض الشعر .

وسناه يجتلبُ النفوس اجتلاباً . ومع ذلك فكان مجاذباً للشعو، وفي براعة الخط بعيد الشأو .

أنشدني لنفسه :

ألي في سِدْرَةِ^(١) الوادي مَقِيلُ
غداة شكتُ لِبَيْتِهِمُ الطَّلُولُ
مُحْدَاةَ الْعَيْسِ رِفْقاً بِالْمَطَايَا
فقد أودى بها السَّيْرُ الذَّمِيلُ^(٢)
وعُوجِي بي عَلَى الْعَلَمَيْنِ حَتَّى
يُرَوِّي تَرْبَهَا الدَّمْعُ الْهَمُولُ
لقد رُمْتُ التَّصَبُّرَ يَوْمَ شَطَّوْا
وإِثْرَهُمْ نَأَى الصَّبْرُ الْجَمِيلُ
5 وقد بانُوا فلم يُقْضَ اجْتِمَاعُ
ولم يُشْفَ بِقُرْبِهِمُ الْغَلِيلُ
وإن ذقتُ الهوى مُرّاً فَتَقَلَّبِي
تَجَرَّعَ مِنْهُ عُلْقَمَهُ « جَمِيلُ » !
فلمستُ بِأَوَّلِ الْبَاكِينَ فَقَدْأ
على الْأَحْبَابِ مُذْ قَسَرْتُ الرَّاحِلُ

(١) السدر : شجر النبق .

(٢) الذميل : السير اللين أو مافوق العنق (بفتح النون) .

[٧٤ / ب]

أَحِبُّهُمْ وَأَعْجَبُ مَا تَرَاهُ
قَتُولُ ظِلِّ يَهْوَاهُ الْقَتِيلُ
فلا تَسَلِّسْنِي ^(١) كَيْفَ الْحَالُ صَحِي
فَسَرِّحْ الْحَالِ بَعْدَهُمْ يَطُولُ
10 أَحْبَبْنَا احْفَظُوا قَلْبًا لَدَيْكُمْ
غدا ما بَيْنَ أَرْجُلِكُمْ يَحُولُ !
أَقَمْتُ عَنِ الرَّحِيلِ بَلَا اخْتِيَارِ
وَقَصَّرَ عَنْكُمْ الطَّرْفُ الْكَلِيلُ
أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ يَوْمٍ
مُزِي لِلظَّاعِنِينَ بِهِ قُفُولُ
فَبَعْدَكُمْ تَشَكَّتِي الصَّبُّ وَجَدَا
وَقَلَّ لَهُ الْمُسَاعِدُ وَالْكَفِيلُ

الفقيه القاضي الكاتب علي بن محمد
ابن عبد الحق بن الصباغ العقيلي ^(*)
يكنى أبا الحسن ، وأدركته ، ورأيت .

(١) في « م » تسألني وفي ط تسألني .

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن الصباغ العقيلي . ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة والتاج ، ونقل تراجمه هذه عنه صاحب النفع . كما ترجم له ابن الخطيب في الكتبية الكامنة « ٢٢٨ » وقال في ترجمته في الإحاطة « إنه من أهل الفضل والسرارة والجزالة . اشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ، ومشاركة في فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة متمعة ... » .

(نفع الطيب ٦ : ٢٥٨ ، والكتبية الكامنة : ٢٢٨) .

وهو من أهل غرناطة ؛ من بيت أصالة وخدمةٍ لأسلافنا الملوك من بنى نصر في محلّ الوزارة .

وكان أبوه محمد قائد المناهل بمرج غرناطة في دولة أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عمّ أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس ابن نصر الخزرجي .

وابنه الفقيه أبو الحسن علي هذا أبرز عدلاً في سماط الشهود من غرناطة واستنابه بعض قضاة الأندلس فأبدى هنالك جزالة وصلابة في الحق ، شهدت له بالجلالة .

أخبرني مخبر صدق أنه لم يقبل شهادة بعض عُدول ذلك الموضع ، فعظم ذلك عند الناس ، وأكبروا هذا الموقع ، فقليل له في ذلك ، فقال : كل يعمل على ما يتقرر عنده ! ثم انتقل إلى العدو - لأشياء حذفناها لطولها - فتلقى هنالك من ملكها أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان رتبة التبجيل والقبول ، واستعمله في أعمال ظهرت فيها نجدهته ، وشكرت خدمته ، وارتسم [٧٥ / أ] في ديوان كتابه ، حتى إن أمير المؤمنين ، المتوكل على الله أبا عنان حين طلع إلى بلاد إفريقية في عام ثمانية وخمسين وسبع مئة تركه بالمدينة البيضاء - دار الإمارة - مع ولده الأمير أبي زيد عبد الرحمن ناظراً له في أموره . وكانت كتب أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ترد عليه من فلان إلى فلان . أطلعني على ذلك ابنه ^(١) الفقيه العدل أبو عبد الله محمد صاحبنا .

(١) ابنه من « ط » وأحال على كلمة في الهامش في « م » لم تظهر في الصورة .

حاله - رحمه الله تعالى - :

واحد الدنيا رُجلة ووفاء ، ومعول الأصحاب عزماً ومضاء ، وأطيمهم
ذكرأ وأضوعهم ثناء ، وأصدقهم لهجة وصحبة وولاء .

كاتب ناظم ، وبحر علوم موجه متلاطم . (ماشئت) ^(١) من إيضاح
معقول ، وتوقل ^(٢) طود له إشكال ، واشتباہ حقق نقطه والأشكال .
وتأييد في إلهام ، لتنوير الأفهام . واسترقاق لألباب بحلال السحر اللباب .
ولرقاب بأيد لا تعفيها تعاقب الأحقاب . شاهدت من تكلمه في تأليفه المترجم
بـ « جليس الأديب » ، وأنيس الغريب « ما يُنبئ عن رسوخ قدمه ،
وتقدمه .

وأخبرني والدي - رحمه الله - من أصالته ما شهد به الاختبار على
قدمه فإنه من بيت نباهة ووزارة ، وخدمة من القيادة لأسلافنا بإدية الإنارة .
وأبو الحسن هذا هو الذي ^(٣) . . . وبرز مع حذاق مُديري قرقفه ^(٤) . عكف
ببلده على كتب الشروط إبان الشبيبة ، وبرز عدلاً مع أعلام تلك الكتبية .
واستنابه بعض قضاة وطنه ، فأثار العدل من مكمنه ، وقهر المتكبر في مأمنه .
عبر البحر قاصداً حضرة السلطان أبي عنان ، بعد ذكره بذلك المكان ، في
غرض الإصابة والإحسان . فترقى لديه من الخطوة مراقبة ، واستنارت ذاته
من اعتنائه بمشكاة . واستعمله [٧٥ / ب] في الرسالة تنبيهاً على ماله من

(١) في الأصلين : ماشئت ، (بالسين المهملة) ورسم الهمزة على ألف « ماسأت » ونرجح
ما أثبت . والعبارة كما ترى .

(٢) وقل في الجبل وتوقل : صعد .

(٣) فراغ في الأصلين بمقدار نصف سطر .

(٤) القرقف : الخمر .

الجلالة . وتوفي في خدمته منوهاً ، ومن لحظه مرفها . امتدحه بقصائد غر ،
وأثنى عليه ثناء يفوق الزهر والزهر .

فمن ذلك ما أنشدني له ابنه محمد ، ونقلتها أيضاً من خطه ،
يمدح أمير المؤمنين ، المتوكل على الله أبا عنان فارس عند وقيعته
بسلطان بني عبد الوادي أمير المسلمين المتوكل على الله أبي سعيد عثمان^(١) ، وأنشدها
إياه ليلة يوم الإثنين التاسع لذي حجة ثلاث وخمسين وسبع مئة :

بُشِّرِي لدولتك الغرّامِ في الدَّوَلِ

حِيطَتْ بِهَا المِلَّةُ البَيْضَاءُ فِي المِلَلِ

أَنْتَ الَّذِي صَنَعْتَ أَيْدِي الْقَضَاءِ لَهُ

مَا لَيْسَ تَصْنَعُ أَيْدِي البَيْضِ وَالْأَسْلِ

يَا خَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٍ

عَلَيْهِ ، مُعْتَمِدٍ فِي الْأَمْرِ مُتَّكِلٍ

لِلَّهِ مِنْكَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَا

بَدَتْ بِأَحْسَنِ^(٢) مَرَأَى الشَّمْسِ وَالْحَمَلِ

5 وَطَلَعَةٍ أَطْلَعَتْ سَعْدَ السَّعُودِ لَنَا

وَرْتَبَةُ الْمَلِكِ تَعْلَوْنَ عَنْ ذُرَى زُحَلِ

مُؤَيِّدِ الْعَزَمِ وَالْأَرْأَى مُحْكَمَةِ

تَزِينَتْ بِسَدَادِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

(١) انظر في تفصيل الحادثة في الاستقصا للسلاوي ٣ : ١٨٢ .

(٢) في النسختين : من مرأى . ولعله كما أثبت .

مَلِكٌ تصوّر في شكل الوارى وله
 خليفة الملاكِ المخصوصِ بالرّسلِ !!
 فرحمةٌ لأولي التقوى تعمهم
 ونقمةٌ لذوي العُدوانِ والخطلِ
 كم فتنةٍ أخذتْ نيرانها يدهُ
 بما أراقت عليها من دمٍ هطلِ
 10 ونعمةٍ سدلتها لم تدعُ بشراً
 حلت فلم تُحص بالتفصيل للجملِ
 وضيقه فرجتها عن صدورهم
 عزائم منه ما خامتْ (١) ولم تحلِ
 ومن مُسيءٍ وسترُ العفورِ يؤمنه
 من الخافِ فلم يُذعر ولم يسل
 ومن جيوشٍ أزيلت عن مواقفها
 حتى رآتهُ فلاذتْ منه بالجبلِ
 كم ثبت الله من جأشٍ بموقفه
 وخلّص الله من هولٍ ومن وهلِ
 15 وسلّ بني عابدي الوادي غداة عتّوا
 وقد أتوا بعظيمِ المكرِ في الأصلِ (٢)

(١) خام : نكص وجبن .

(٢) قصد أبو عنان المريني يريد تلسان لرد طاعة أهلها وإخضاع بني عبد الوادي رؤسائها .
 قال السلاوي « وأجمع بنو عبد الوادي على صدمة الزينيين وقت القائلة وعند ضرب
 الأبنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فحملوا عليهم . . . » وقد
 انتصر أبو عنان عليهم ، وتقبض على أبي سعيد العبد الوادي ثم قتله .

[٧٦ / أ]

هم جادلوا الحق بغياً واعتدوا فتدوا
 والسيف يذهب رسم البقي والجذل
 كانوا تصدوا لملك لم يكن لهم
 حقاً وكيف وهم من جملة الخول
 راموا وقد خاب ماراموا فما حليمت
 آملهم يسوى قسرب من الأجل
 20 لا قنتهم من أكف العيز معملة
 غيراري العضب لا تؤتى من الملل
 فللكساء - ولا عيب بهم - نهم
 إذ جد جدهم في الموقف الجلل
 ترميم ببروق من أسنتها
 رمي الملائك هذا الجين بالشمل
 فالسمر تهتز في الأشلاء من قرم
 والببيض تحمر في الأعناق من خجل
 حتى ارتدوا يجلابيب الظلام وكم
 أبقوا بمعتك الأقران من ظلل
 25 وخلفوا من يتيم أو من أرمل
 يذرون دماً بمنهل ومنهميل
 تقطعوا أمرهم عذلاً فما انتفعوا
 والسيف عند التلاقي سابق العدل

لله عَيْنٌ رَأَتْهُمْ فِي اللَّقَاءِ وَمَا
 أَذَلَّتِ الْحَرْبُ مِنْهُمْ بِالْقَنَا الذُّلَّ
 وَسَمَهُمْ عَزْمِيكَ لَمْ يَتْرُكْ بِهِمْ رَمَقًا
 بِالضَّرْبِ لِلْهَامِ فِي الْقِيَعَانِ وَالْقُلَلِ (١)
 فَابْعَثْ لِمَا أَسَارَ الْخَطِي جِيشَ وَغَى
 يَشْرِبُهُ سُورًا غَدَا أَشْهَى مِنَ الْعَسَلِ
 30 هُمْ ضَيَّعُوا الْحَزْمَ إِذْ جَاؤُوا مُقَاتِلَةً
 عَمَى الْبَصَائِرِ أَدْهَى مِنْ عَمَى الْمُقْتَلِ !
 لَوْ سَاعَدَتْهُمْ سُعُودُ الْجَدِّ لَاتَّبَعُوا
 مَوَاطِئَ الْخَيْلِ خَيْلِ اللَّهِ بِالْقُبَلِ
 كَيْمَا يَجْرُوا مُذْيُولَ الْأَمْنِ سَابِقَةً
 بِحُسْنِ عَفْوِكَ مَا جَعَرُوا مِنَ الْوَجَلِ
 لَكِنْ دَعَتْهُمْ أَمَانِي (٢) تَمِينُ بِهِمْ
 لَيْسَ الْجَبَانُ إِذَا يُدْعَى مِنَ الْبَطَلِ
 مَنْ كَانَ تَخْدُمُهُ الْأَقْدَارُ مُسْعِدَةً
 فَهَلْ يُعَارِضُهُ مُسْتَشْعِرُ الزَّلَلِ
 35 أَوْ مَنْ يَقُومُ لِنَصْرِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
 يَلْقَاهُ مَنْ قَامَ بِالْإِفْسَادِ وَالْخُلَلِ
 وَكَيْفَ يُخْذَلُ مَنْ قَدْ جَاءَ مُتَكَلِّيًا
 عَلَى الْإِلَهِ وَمَا بِالْحَقِّ مِنْ حَوْلِ

(١) القيعان ج قاع : وهو أرض سهلة مطمئنة « قد انفرجت عنها الجبال » ، والقلل

ج قلة : وهي الجبل .

(٢) مان يمين : كذب .

[٧٦ / ب]

هذا شمائل^(١) مَنْ طَابَتْ شَمَائِلُهُ

وَأُورِثَ الْمُلْكَ مِنْ آبَائِهِ الْأَوَّلِ

مَلِكٌ خَلَّاهُ مَاءُ السَّحَابِ إِذَا

جَاءَ الْخَلَائِقُ لَمْ يَشْكُوا مِنَ الْغُلْلِ^(٢)

بَلْ أَصْبَحُوا فِي ذَرَى أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ

وَسَتَرَ عَدْلٍ وَمَا شَاوَوْهُ مِنْ جَدَلٍ

حِلْمٍ وَعَدْلٍ وَإِقْدَامٍ وَجُودٍ يَدِ

وَرَحْمَةٍ وَهَدْيٍ لِلنَّاسِ وَالسُّبُلِ

فَهَذَا اللَّهُ هَذَا الْمَلِكُ فَارِسُهُ

فَهُوَ الَّذِي شَادَهُ بِالْعَدْلِ يَوْمَ وَلِي

وَمِنْ إِنْشَانِهِ الْبَارِعِ ، مِمَّا رُفِعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ

أَبِي عَنَانَ فَارِسِ الْمَذْكُورِ يُطْلَبُ مِنْهُ الْإِنْعَامُ بِخَطِّ الْأَزْوَاجِ الْمُنْعَمِ بِهَا

عَلَيْهِ بِقَرْيَةِ آجَلَمَى مِنْ حَوَازِ فَاسٍ مِمَّا كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ

الْبُيْهَقَانِيِّ الْمَرْيَنِيِّ ، وَالتَّزَمَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ السِّتِينَ :

« أُسَدُّ سَهْمِ الْإِسْتِعْطَافِ لِقَرْطَاسِ الْإِسْعَافِ بِاسْمِ الْقُدُّوسِ .

وَأُسْتَرْفَعُ بِالسَّلَامِ لِلْمُسْتَوْدَعِ لِسَيِّدِ بَاسِ الْبُوسِ . وَأُسْتَوْهَبُ السَّلَامِ

— مَسْجَانَهُ — لِسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمُسْتَخْلَفِ ، السَّامِيِّ ، السَّنِيِّ السَّنِيِّ ،

الْمُسْتَمْنَحِ ، الْمُسْتَعْطَفِ ، فَارِسِ ؛ وَلِسُلَالَتِهِ سَلَامَةُ الْجُسُومِ وَمُرُورِ

النَّفُوسِ .

أُسْتَرْفِعُهَا لِسَابِغِ الْمُسْتَخْلَفِينَ فِي السِّتِينَ السُّوَالِفِ ، وَسَامِعِ سُّوَالِ

السُّوَالِ لِلْإِسْعَادِ بِالسُّوَالِ بِسَامِعِي الْمُسَاعِدِ الْمُسَاعِفِ .

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : هَذَا شَمَائِلُ . (٢) الْغُلْلُ : الْعَطَشُ .

وأستودعها مستودع الأسرار ، السالم الإسرار ، مُستقبلها بالاستقثار .
ليستوصلها للجلس المستحق للأسماء ، والبساط القدسي الحسن الاسم
والسيما ، المستحفظ بعساكر سكان السماء . المستنير كالسبع السارية
بالسنا والسنا . مسترق سببه الواسع الساكب ، السادل سابغ إحسانه
الجسيم سدل المستكبر الساحب . المُستكتب بسدة سلطنته الفارسية
السعيدة ، المستعبد المستملك الأندلسي . ووصلته لسؤاله قسطه بسوق
[٧٧ / أ] السبت سهم سليل يوسف الونجاسي ، فسيح الإحسان
المُستعذب وواسع السبب المُستدنى المُستقرب . فالمنتصب سليل
لموسى استوفى سجالها وسرى سربالها . وليس مسرحها بشامع لوائ
فاس . فعساه يسقى لسلسيلها بكاس . ويستفيد لها لسة وتسعة سلاله
وناس . ليستعين باستفادتها مستهلك كوكب سلطانك ، ومسترقو إحسانك .
لسيرهم سيرة مرملي رسائل السين . وسلوكهم لسؤال سؤلهم بالسييل
المستقيمة والمسلك المستبين . لسلطنتك السوس وفارس وامتفتحت
بسيوفك ساحات القسطنطينية وقادس !

والسلام يسري نسيمه المُستطاب ، ويستنزيء بآس البساتين
سقاء السحاب . يستعده قنم المسك ، ويستحسنه تناسق السلك .
يستقر بالجلس السعيد السلطاني الفارسي - أسعده ساميك المماوات
السبع ، وباسط البسيطة لساحة السبع . ونستوهب مسرى النسيم
لسلطانك سعداً سرمداً ، ومهماً لاستئصال فساد المفسدين مسدداً !

الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم ابن
زكريا الأنصاري الأوسي (*)

يكنى أبا عمرو ، وأدركته ، ورأيتة .

وهو من أهل غرناطة من بيت أصالة ورفعة وعلم وقضاء وكتابه .
وكان أبوه إبراهيم قد كتب لجدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج
ابن جدنا الأمير أبي إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير
بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد
ابن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي ؛ في حين سار جدنا أبو سعيد من
دار إمارته مالقة إلى بر العدو وملّك مدينة سبتة ودخلها عنوة
على أميرها أبي طالب العزفي ، في دولة أمير المسلمين أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق .

وأبو عمرو هذا كتب لبني عمنا الملوك من بني الأحمر ، ثم عبر
البحر إلى الحضرة المرينية ، فكتب [٧٧ / ب] لملوكها .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسان . حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة .
موصوفاً بالرجولية والمروءة الفائقة ، ونزاهة النفس والهمة الراقية . مع براعة
في إنشاء الرسائل ، ونظم أحلى من وصل ذات الغلائل !

(*) ترجم له لسان الدين في الإكليل الزاهر ، ونقل منه أيضاً في الكتبية الكامنة
(٢٧٦) وكنيته ثمة « أبو عمر » وقال في أبيه إنه « زين الزين ، وراحة القلب
وقرة العين » .

أنشدني لنفسه - وكتب بها لابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن
جدنا الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أبينا بن
جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج (١) صدر من عمنا له ، وكان السفير
بينها فيه خديم لابن عمنا اسمه فارح :

خبر الرّوض طيّ وَاِنِّي النّسيم
سَلْ خَيْراً عَنْ سِرِّهِ الْمَكْتُومِ
أَبْكَى الْمُزْنَ رَحْمَةً بِعُيُونِ
مَنْ سَحَابٍ وَشَقَّ جَيْبَ الْغُيُومِ؟
فَرِيحِيئُهُ تَحْلَى بِدَرٍّ
وَتَعْلَى الشَّرَابِ مِنْ تَسْنِيمِ
وَتُفُورُ الْأَقْصَاحِ ذَاتُ ابْتِسَامِ
قَدْ غَذَاها النَّدى بِمَاءِ النَّعِيمِ
5 وَقُدُودُ الْغُصُونِ مَالَتْ بِبَلِيْنِ
حَمَلَتْ أَنْجُمًا هَوَتْ بِرُجُومِ!
وَاخْتِلَافُ الْفُنُونِ فِيهَا بِدِيْعُ
فَقَسِمُ غَدَا إِزَاءَ قَسِيمِ
قِطْعٌ لَمْ تَدَعْ زَخَارِفَ زَيْنِ
مَا حَوَى حَصْرَهَا عُرُوضُ نَدِيمِ
فَبَسِيطٌ أَمْدٌ تَجَرَّ مَدِيدِ
وَطَوِيلٌ وَكَامِلٌ وَلَزُومِي

(١) فراغ فيها بقدر كلمة واحدة .

أَبَدَعْتُهَا الطُّشْيُورُ تَجْنِيسَ لَحْنٍ
 فِي أَسَالِيهِ حُلًى التَّرْنِيمِ
 10 أَسْمَعَنِي الطَّبَاقَ عَنْ صَوْتِ طَبَعٍ
 يَحْمِلُ السَّجْعَ فِي الْمَسَاقِ السَّلِيمِ

عَجَزَتْ عَنْ أَدَائِهِ فِي الْمَثَانِي
 « نَعَمْ » وَهِيَ غَايَةُ التَّحْكِيمِ
 فَتَى غَنَتِ الْمَهَامُ « بِرَمَلٍ »
 زَمْ رَحْلِي فَتُحِتَ فِي « الْمَزْمُومِ »
 شَوْقَتَنِي وَلَمْ أَكُنْ بِخَلِيٍّ
 مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقٍ وَحَمِيمِ

[٧٨ / أ]

أَغْرَتِ الْوَجْدَ فَاسْتَطَالَ مُلِجًا
 يَطْلُبُ الْقَلْبَ بِاشْتِيَاقٍ لَرِيمِ
 15 طَارَحَتْنِي أَصِيلَ يَوْمٍ إِلَى أَنْ
 صَارَفَ الْأَفَقُ شَمْسَهُ بِالْمُجْجَمِ
 صَبَّهَا الشَّرْقُ وَهِيَ فِي الْغَرْبِ تَحْصِي
 عِدْدًا فِي وَعَائِهِ الْمَضْمُومِ
 نَثَرَ اللَّيْلُ زَهْرَهَا فَقَدَّتْ فِيهِ
 سَهْ عَيْونًا فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ !
 فَقَطَعَتْ الدُّجَا بَنِيرَ حَزْمِ
 مُنْجِدٍ قَدْ أَثَارَ شَدَّ الْحَزْمِ

- أَمْسَحُ الْأَرْضَ لَا أَقْرُ بِحَيٍّ (١)
 قَدْ كَفَّنِي السُّرُوجُ ذُلَّ الْمُقِيمِ
 20 إِنْ جَفَانِي أَبُو الْوَلِيدِ بَعْدَ
 وَقَدِيمًا مَكْشَتُهُ مِنْ شَكِيمِي (٢)
 وَادْدَخَرْتُ الْعَتَادَ مِنْهُ حُسَامًا
 مَاضِيًا عُدَّةً لِكُلِّ جَسِمِ
 قَدِمْتُ إِذَا خَارَ دَهْرٌ طَوِيلِ
 يَوْمَ إِذْ صِرْتُ فِي زَمَانٍ عَدِيمِ
 يَا وَحِيدَ (٣) الْعُلَا وَقَدْزُ الْمَعَالِي
 لَمْ [أَكُنْ ؟] (٤) بِالْبَعَادِ جَدِّ عَلِيمِ
 كُنْتُ أَلْقَى الْخُطُوبَ مِنْكَ بِوَأَقِ
 لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُهُ بِالْمَعْدُومِ
 25 فَهَتَكْتُ احْتِرَامَ حَبِّي وَنَصَحِي
 وَابْتَدَلْتُ الْمَصُونِ وَجَهَ الْكَرِيمِ (٥)
 وَقَطَعْتُ الدُّثُورَ وَهُوَ رَجَاءُ
 فَأَنَا مَذَّةُ عَدَمَتِهِ فِي جَحِيمِ !
 ثُمَّ لَمَّا أَعَدَّتْهُ يَوْمَ بَيْتِنِ
 نَالَ مِنِّي النَّوَى فَأَدَمَى كُلُّوْمِي

(١) في « ط » بحى ، وفي « م » بجو .

(٢) الشكيم ج الشكيمة ، ولها معان منها العهد ، والحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام

(٣) في « ط » وحيد ، وفي « م » واحد .

(٤) ما بين معقوفتين مقترح ، ولم تشر النسختان إلى سقط .

(٥) في « ط » حي وفي « م » حي . وفي النسختين : « وابتدلت » بالداء المهملة ورجحت

ما أثبت . وقد يسقط الذاسخان بعض النقط .

ومتى ما أُعيدَ شرُّ حديثٍ
والذي نلتُ من عذابِ أليمٍ
ثارتَ وجدي وأحوجتني أمورٌ
ضيقْتُ منها بفادحٍ من همومٍ (١)
30 ما ليصبري على ابتلاءٍ وفاءٍ
إذ أتى فارحٌ (٢) وضاع قديمي
موقفٌ جرَّعَ العداة فطيماً
هو عندي أجلُّ خطبٍ عظيمٍ
فأثار الأسمى وعزَّ التأسى
إذ رماني بقعدٍ ومقيمٍ !
ثم لما خصصتني بسلامٍ
- وهو أسنى هدية التميم -
برَّحَ الوجدُ بي وذُبت اشتياقاً
عندما عادَ عهدُكم للصميم

[٧٨ / ب]

35 قلتُ واللهُ شاهدٌ سرِّي سري
عالمٌ حقٌ قولي المحتومِ
ألزمتُ القلبَ بعدها شرط طوعٍ
أن يرى الذلَّ فيك غيرَ ذميمٍ !
فاحتكم في الأنامِ إنك ملكٌ
ولك الحمدُ يا أَمَنَ رحيمِ

(١) فيها : هموم . واقرأ أيضاً : مومي .

(٢) انظر مناسبة النص ، و « فارح » اسم علم .

وَبُحْبُوبِكَ بِالسَّلَامِ فَوَّادِي
وَلِإِسَانِي تَحِيَّةُ التَّكْرِيمِ
وَعَلَيْكَ الشَّنَاءُ يَتَشَرَّى جَدِيداً
فَجَدِيداً مُوَاصِلَ التَّنْمِيمِ !

ومن إنشائه - رحمه الله - هذه الرسالة الزائفة والتزم في كل كلمة منها حرف الزاء المعجمة ، وبعث بها من سبعة حين شيع منها بنيه لوطنهم الأندلسي ، لزعم دعواه لفراقهم اضطراباً لا اختياراً ، لأُمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز المريني طالباً منه أن يرده لكتابه بالحضرة حين أخره عنها لِسماية بعض الحُساد :

بِعِزَّةِ الْعَزِيزِ مَنْزِلَ الرِّزْقِ وَتُجْزَلُهُ ، وَاللَّازِمُ الزَّاكِي ^(١) لِلْمُزْمَلِ
الْحِجَازِيِّ الزَّمَمِيِّ ، الْمُمْتَازِ مِنْ زُمْرَةِ زُهْرَةِ بَهْرَةِ التَّنْزِيلِ وَالْمُعْجَزَاتِ ، وَلَحْزِبِهِ
الْفَائِزِينَ بِجَزِيلِ الْجَزَاءِ يَزُولُ مُزْعَجٌ جَزَعِي بِهِزِ عِزَمَاتِ هُزْبِ مَأْزِقِ الزُّبُونِ .
مُحْجَرِ الْمِزْيَةِ ، مُزْجِجِ الْأَزْمَاتِ ، مُزِيلِ الزَّائِفِينَ بِحُجَجِهِمْ ، الْفَائِزِ بِزُفَى
الْغَزْوِ ، وَمِيزَابِ مُزْنِ الرِّزْقِ ، كَنْزِ الزَّاوِينَ ، زَهْوِ زَنَاةٍ ، وَطَرَاظِهَا الزَّاهِرِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ . لَا زَالَ زَمَانُهُ فِي إِزْدِيَادِ زِينَةِ لِيلِزَمِ رِزْقِي زَمَامِ مِزْمَعِيهِ الْمَزْدَحْمِينَ .
لَا عَزَبَ اعْتِرَائِي لِزُرَافَتِهِمْ ^(٢) زَهْوُهُ ، فِي زَهْوِ يَنْزِهِ زَائِفِي ، كَزِينِ الزَّمَانِ
بِعَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَفَزْتُ بِرِزْقٍ مَزِيدٍ جَزِيلٍ وَحَرْزٍ حَرِيزٍ وَعِزٍّ عَزِيزٍ .

زَفَفْتُهَا بِزِينَتِهَا الزَّخْرَفِيَّةِ الزُّبْرَجْدِيَّةِ . فَأَزْمَعْتُ فِي زِيِ الْخُفْصَارِ ، زَاهِيَّةٍ
كَالزُّهْرِ ، مُزْدَرِيَّةٍ بِالزُّهْرِ ، زَعِيمَةٍ بِجَزِيلِ الْجَزَاءِ ، وَالْفَوْزِ بِالْجَازِزِ الْإِعْزَازِ

(١) في ط : والازم الزكي .

(٢) في ط : لزرافتهم .

للمعزى لذكرايا، مزجي ملتزمها الزائي ، أجزل من الجزئية منزعاً ، وأعز مغزى ، وأحزم عزم جزم من منزل كالجزيرة يوازي الجزيرة في زمان النيروز وزفير الزمهرير !

الفقيه الكاتب محمد (*) بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن يحيى بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن الثائر بجيان^(١) بن يوسف ابن سعيد بن جزّي الكلبلي الأغرناطي ، المتوفى بفاس في عام ثمانية وخمسين ومسبع مئة .

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ورأيتة .

وهو من أهل بلدنا غرناطة . وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها ، علم الأندلس الصائرة فتياه منها إلى إطربلس ؛ وقتل شهيداً في المعترك

(*) هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن جزّي ، أحد أفراد أسرة بني جزّي النابغة في دولة غرناطة . بدأ حياته في الأندلس في ظل والده الفقيه المفسر أبي القاسم واشتهر فيهم بالأدب والكتابة بالإضافة إلى مشاركته في العلوم والفنون المختلفة . وقد تعرض لحنة أيام أبي الحجاج يوسف النصري الذي أمر بضربه بالسياط . وقال ابن الأحمر في نثير الفرائد إنه ضرب مظلوماً . وغادر ابن جزّي بعد ذلك إلى المغرب فكتب في دولة أبي عنان المريني . وهو الذي دون رحلة ابن بطوطة بقلمه وصاغها بأسلوبه . وله شعر جيد . وتوفي بفاس في شوال سنة ٧٥٧ .

(انظر ترجمته في نفح الطيب ٥ : ٥٢٦ ، وأزهار الرياض للمقري ٣ : ١٩٥ ، ونثير فرائد الجمان ٢٩٢ ، والكتيبة الكامنة : ٢٢٣) .

(١) نقل المقري في أزهار الرياض أن أصل سلفه من حصن البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلابي . وعند خلع دعوة المرابطين كان لخدم يحيى بجيان رئاسة ، وانفرد بالتدبير . وقال لسان الدين بن الخطيب في أعمال الأعلام عند ذكر الثوار أواخر أيام الغتوينين إن القاضي أبا الحكم يوسف بن جزّي رأس في الفتنة بجيان ثم عقب بأنه يشك في هذا ، وعنده أن المتأمر بجيان رجل آخر غير يوسف المذكور .

في الوقعة التي كانت للنصارى - دمرهم الله - بطريف على المسلمين في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، بعد أن أبلى بلاءً حسنًا .

وأبو عبد الله محمد هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبو الحجاج^(١) يوسف وله فيه أمداح عجيبة ، ولم يزل كاتباً في الحضرة الأحرية النصرية إلى أن امتحنة أمير المسلمين أبو الحجاج ابن عم أبينا ، فقوض الرّحال عن الأندلس واستقر بالعمدوة ، فكتب بالحضرة المرينية لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان إلى أن توفي بها؛ رحمه الله تعالى .

حاله - رحمه الله - :

طلع في سماء العلوم بدرأ مشرقاً ، وسارت براعته غرباً ومشرقاً . وسمى شعره فوق الفرقدين كما أربى بذثره على الشعري والبطين ، له باع مديد في التاريخ والحساب ، واللغة والنحو والبيان والآداب . بصير بالأصول والفروع والحديث ، عارف بالماضي من الشعر والحديث . إن نظم أنساك أبا ذؤيب برقته ، ونُصيب^(٢) بمنصبه ونخوته . وإن كتب أربى على ابن مقلة بخطه ، وإن أنشأ رسالة أنساك العماد بحسن مساقها وضبطه . وهو رب هذا الشأن ، وفارس هذا الميدان . ومع تقننه في العلوم فهو في الشعر قد نبغ ، وما بلغ أحد من شعراء عصره البحر الذي منه قد بلغ بل سلموا التقدم فيه إليه ، وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ، ودخلوا تحت راية الأدب الذي حمل ، إذ ظهر ساطع [٧٩ / ب] براعته ظهور الشمس بالحمل .

أنشدني لنفسه : يمدح ' أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أمين بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج ابن جدنا أبي الوليد إسماعيل

(١) فيها : أبو الحجاج . (٢) فيها : نصيب .

ابن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور
بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الحزرجي، هذه القصيدة
البارعة، وحذف منها الرءاء المهملة (١) :

قَسَمًا بوضّاح السَّنَا وهَجَاجِ
من تَحْتَ مَسْدُولِ الذَّوَابِ دَاجِ
وبأبلجِ بالمسك خُطَّتْ نُونُهُ
من فوق وَسَنَانِ اللّٰوَاظِرِ سَاجِ
وبِحُسْنِ خَدِّ دَبَّجَتْ صَفَحَاتُهُ
فَقَدَّتْ تُحَاكِي مُذْهَبَ الدِّيَبِاجِ
وبِمْبَسَمِ كَالْعِقْدِ نَظَّمَ سِلْكُهُ
ولمى حَكَى الصَّهْبَاءِ دُونَ مِزَاجِ
5 وِبِنَظْقِ تَصَبُّو الْقُلُوبِ لِحُسْنِهِ
أَنْسَى الْمَسَامِيحَ نَعْمَةَ الْأَهْزَاجِ
وبَنَائِسِ الْأَعْطَافِ تَنْثِيهِ الصَّبَا
فِيْمَيْسُ كَالْخَطِّي يَوْمَ هِيَاجِ
وَمَنْعَمٍ مِثْلَ الْكُثِيبِ يَقْلَبُهُ (٢)
مُسْتَضْعَفٌ يَشْكُو مِنْ الْإِدْمَاجِ
وَبِوَعْدِ اللّٰوَصْلِ أَنْجَزَ فِجَاجَ
من بَعْدِ طُولِ تَمَنُّعٍ وَلِجَاجِ

(١) القصيدة في نفح الطيب ٥ : ٥٢٧ ، وفي أزهار الرياض ٣ : ١٩١ ، ونقلتها عن نثير
الجهان في كتابي: مختارات من الشعر الأندلسي صفحة ١٦٣ فلما بعدها .
(٢) أقله : حملة ، والمدمج : التام المحكم .

- وبأَكُوسٍ أَطْلَعْنَ فِي مُجْنَحِ الدُّجَى
شَمْسَ السَّلاَفَةِ فِي سَمَاءِ زَجَاجٍ !
- 10 وَخَدَائِقِ سَحَبِ السَّحَابِ ذُيُولَهُ
فِيهَا وَبَاتَ لَهَا النَّسِيمُ يُنَاجِي
وَجَدَّاولٍ سَلَّتْ سُمُوفًا عِنْدَمَا
فُجِئَتْ بِحَيْشٍ لِلصَّبَا عَجَاجٍ -
وَبَاقِحْوَانٍ قَدْ تَضَاحَكَ إِذْ بَكَتْ
عَيْنُ الْغَمَامِ بِمَدْمَعٍ فُجِئَاجٍ -
وَقُدُودٍ أَغْصَانٍ يَمْلَنَ كَأَنَّهَا
تُخْفِي حَدِيثًا بَيْنَهَا وَتُسَاجِي
وَحَمَائِمٍ يَهْتَفَنَ شَجُونًا بِالضُّحَى
فَسَهْدِيلُهُنَّ لِذِي الصَّبَاةِ شَاجٍ -
- 15 إِنْ الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي وَالنَّدَى
وَالْبَاسَ طَوَعُ يَدَيَّ أَبِي الْحَجَّاجِ -
مَلِكٌ تَتَوَجَّ بِالْمَهَابَةِ عِنْدَمَا
لَمْ يَسْتَجِزْ فِي الدَّيْنِ لِبَسِّ التَّاجِ -

[٨٠ / أ]

وَأَفَاضَ حَكْمَ الْعَدْلِ فِي أَيْتَامِهِ
فَالْحَقُّ أَبْلَجٌ وَاضِحٌ الْمُنْهَاجُ (١)

(١) هذه القصيدة معارضة لقصيدة جرير يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي ، وفيها شيء من
ترسم خطاه (انظر ديوان جرير : ٨٩) .

هو مُنْقَذُ العاذي ومُنْغِي المُعْتَفِي
 ومُنْدَلَسُ العاتي وغوثُ اللاجي
 ماضي العزيمة والسُيُوفُ كَلِيلُهُ
 طلقُ الحُمَيَّا والخُطُوبُ دَوَاجِ
 20 علمُ الهُدَى والنَّاسُ في عَمِيَاءٍ قَدْ
 ضَلُّوا لِيَوْقَعَ الحَادِثُ المُهْتَاجِ
 غِيثُ النَّدَى والسَّحْبُ تَبْخُلُ بِالحَيَا
 والمَحَلُّ يُبْدي فَاقَةَ المُحْتَاجِ
 لَيْثُ الوَغَى والحَسِيلُ تُزْجَى بِالقَنَا
 والْبَيْضُ تَنْهَلُ في دَمِ الأوداجِ
 يَتَقَشَّعُ الإِظْلَامُ إِذْ يَبْدُو لَهُ
 وَجْهُ كَمَثَلِ الكَوْكَبِ الوَهَّاجِ
 من آلِ قَبِيلَةٍ من دُؤَابَةٍ سَعَدِيهَا
 أَعْلَى بَنِي قَحْطَانَ دُونَ خِلَاجٍ (١)
 25 حَيْثُ العُلَا مَمْدُودَةُ الأَطْنَابِ لَمْ
 تُخْلِقْ مَعَالِمَهَا يَدُ الإِنْهَاجِ
 والأَعْوَجِيَّاتُ السُّوَابِقُ تُتَمَطَّى
 فَتُظَلِّلُ الآفَاقَ مُسَحَبَ عَجَاجِ

(١) هو سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، جد أسرة بني نصر ، الصحابي المشهور .
 والأقوال : الملوك ، وقيل الملوك من حمير . والخلاج ، من قولك : خالج قلبي أمر :
 نازعني فيه .

والبيضُ والأسلُ العَواملُ تقتضي
 مُهَجَّ الكَاةِ بأبلغِ الإزعاجِ !
 مجدُّ لِيُوسُفَ جُمِعَتْ أَشْتَاتُهُ
 أُعْنِي سِوَاهُ بَعْدَ طَوْلِ عِلاجِ
 مولايَ هَاكَ عَقِيلَةً تَزْهَوُ عَلَى
 أَخَوَاتِهَا كَالْفَادَةِ الْمِغْنِجِاجِ

30 إنشاءً عبدي خالصٍ لك حبه
 - ومن العبيدِ مُدَاهِنٌ ومُدَاجِ -

أَوَى إِلَى أَكْنَافِ نِعْمَاكَ الَّتِي
 لَيْسَتْ إِلَيْهِ صِلَاتُهَا بِخِيدَاجِ (١)

سَبَّاقِ مِيدَانِ الْبَلَاغَةِ وَالْوَعَى
 لَشِعَابِ كُلِّ مِنْهَا وَلَاجِ
 جَاذِبَتْ أُخْتُ الزَّايِ (٢) مِنْهَا عَامِدًا
 فَأَتَتْ مِنْ الْإِحْسَانِ فِي أَفْوَاجِ

فَافْتَحْ لَهَا بَابَ الْقَبُولِ وَأَوَّلِ مَنْ
 أَهْدَاكُمَا مَا يَبْتَغِي مِنْ حَاجِ !

(١) أخذجت الصيفة : قل مطرها .

(٢) يشير إلى تجريد القصيدة من حروف الراء . وكانت في الشاعر لثغة تمرّيه حين ينطق

بحرف الراء !

وانشدني أيضاً لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس
ملك المغرب^(١) : [٨٠ / ب]

إنّ قلبي لِمَهْدَةِ الصبر ناكثٌ عن غزالٍ في عُقْدَةِ السَّحَرِ نافِثٌ
أُضْرِمَ النَّارَ في فُؤَادِي وولَّئِي قَائِلًا : لا تخف ، فإنِّي عَابِثٌ !
ورَمَانِي من مُقْلَسَتَيْهِ بِسَهْمٍ ثم قال : اصْطَبِرْ لثَانٍ وثَالِثٌ !
كَمْ عَنَدُولٍ أَتَى يُنَاطِرُ فِيهِ كان تَعَذَّلَهُ على الحُبِّ باعِثٌ
5 وِيعِنَ آلِيتُهَا بالتَّسْلِي فَقَضَى حُسْنُهُ بِأَثَرِي حَانِثٌ
جَبَرِ اللَّهُ صَدْعَ قَلْبٍ عَمِيدٍ صَدَعَتْ شَمْلَهُ صُرُوفُ الحَوَادِثِ
فَهُوَ يَهْفُو إِلَى البُرُوقِ وَيَرُوي عن نَسِيمِ الصَّبَا ضَعِيفَ الأَحَادِثِ !
سَلْبَتُهُ الأشْجَانُ إِلَّا بَقَايَا من أَمَانٍ حِبَالِ السُّنَنِ رِثَائِثُ
وبِكَاءٍ على عَهْدٍ مَوَاضٍ ملَأَتْ صَدْرَهُ هُمُومًا حَدَائِثُ
لَسْتُ وَحْدِي أَشْكُو بَلِيَّةَ^(٢) وَجْدِي 10

إِنَّ دَاءَ الْغَرَامِ لَيْسَ بِجَادِثٍ
يَا مُضِيعَ الْعُهُودِ - وَاللَّهُ يَعْفُو
عَنْكَ - أُنْسِي ارْتَضَيْتَ خُطْبَةَ نَاكِثٍ ؟

عَرَّيْتُ مِنْكَ وَالْجَمَالَ غُرُورٌ وَظَلَمْتُ اللَّسْعَظَ فِي الْقُلُوبِ عَوَابِثُ
مُقْلٌ يَقْتَسِمُنَ أَعْشَارَ قَلْبِي بِالرَّضَى مِنْتِي اقْتِسَامَ الْمَوَارِثِ !

(١) نقلها المقرئ عن نثير الجمان في كتابه: نفح الطيب ٥: ٢٩٠ ، وأزهار الرياض ٣: ١٩٢

(٢) في النفح : بليلة .

كَيْفَ غَيَّرْتَ بِانْتِزَاحِكَ حَالِي وَتَغَيَّرْتَ لِي وَلَسْتَ بِجَارِثٍ^(١)
 فَرَطُ حُبِّي وَفَرَطُ بُخْلِكَ إِلَّا أَنْ عَيْنِيكَ بِالْفُتُونِ نَوَافِثُ
 وَنَدَى فَارِسٍ وَحَسْبُكَ رَدَاً قَوْلُ مَنْ قَالَ مُدَّ بَابُ الْبَوَاعِثِ
 مَلِكُ الْبَاسِ وَالنَّدَى فَهُوَ بِالسَّيْفِ وَبِالسَّيْبِ عَائِثُ أَوْ غَائِثُ !
 مَحْرُزُ الْمَجْدِ وَالْثَنَاءِ فَهَذَا سَائِرُ فِي الْوَرَى وَذَلِكَ لَا يَبِثُ
 أَوْطَأُ الشُّهْبِ رَجُلَتَهُ وَتَرْقَى صَاعِدَا فِي سُمُوءٍ غَيْرِ مَا كَثُ
 فَدَرَارٍ تَسْرِي وَمَا لِحَقَّتَهُ وَنَجُومٌ تَخْلَفُ الْقُصُورَ لَوَابِثُ
 وَلَهُ الْمُقَرَّبَاتُ لَا بَلْ هِيَ الْعُقْبَانُ مِنْ فَوْقِهَا اللَّيُوثُ الدَّلَاهِثُ^(٢)

[٨١ / أ]

مُطْلَعَاتُ مِنْ كُلِّ نَعْلٍ هَلَالاً فَلِهَذَا تَجَلَّسُوا دُجَا كُلِّ حَادِثُ
 إِنْ تَرَاقَفْنَ فَالْجِبَالُ الرُّوَاسِي أَوْ تَسَابِقْنَ فَالْقِيُوثُ الْحُدَاثُ^(٣)
 وَالْمَوَاضِي كَأَنَّهَا قَدْ أُعِيرَتْ حِدَّةُ الذَّهْنِ مِنْهُ عِنْدَ الْمُبَاحِثِ
 هِيَ نَارُ مُحْتَرِقَاتِ الْأَعَادِي وَهِيَ مَاءٌ مَطْهَرَاتُ الْخَبَائِثِ
 فَيَرِدُنَ الْوَعْيَ ذِكُوراً عَطَاشاً ثُمَّ يَصْنَدُرْنَ نَاهِلَاتِ طَوَامِثِ^(٤)
 مِنْ مَعَالِيهِ^(٥) قَدْ رَأَيْنَا عَيَاناً كُلَّ فَضْلٍ يَنْصُصُهُ مَنْ يُجَادِثُ

(١) يشير إلى قول إبراهيم بن العباس الصولي (وينسب لغيره) :

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث

(وانظر نفع الطيب ١ : ٢٦ ، و ٥ : ٥٢٩) .

(٢) الدلاهت : جمع دلهات وهو المقدام .

(٣) في الأصلين المخطوطين : فالليوث الدلاهت . وقد وردت الكلمتان في البيت قبل السابق ، والمثبت من نفع الطيب والأزهار . و « تراقفن » كذا فيها .

(٤) من « طمئت » : حاضت .

(٥) في النسخ والأزهار : من معانيه .

30 خَلَقَ كَالنَّسِيمِ مَرَّ سَحِيرًا
فِي سَبِيلِ إِلَهِ يُقْصِي وَيُدْنِي
شَرَفُ الْمَلِكِ مِنْهُ سَامٌ وَحَامٌ
هَا كَهَا مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي بِكَرًّا
ذَاتُ لَفْظٍ لَا يَعْتَرِيهِ اخْتِلَالٌ
زُعْمَاءُ الْقَرِيضِ أَبْقَوْا بَقَايَا
مَنْ أَرَادَ اتِّقَادَهَا فِيهِ (هَذَا) (٢)

بِالْأَزَاهِيرِ فِي الْبِطَاحِ الدَّمَائِثُ
وَيُدْوَالِي فِي ذَاتِهِ وَيُنَاكِثُ
فَقَدَّتْهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ !
لَيْسَ يَسْمُو لَهَا مِنَ النَّاسِ طَامِثُ
وَمَعَانٍ لَا يَنْتَحِيهَا الْمُبَاحِثُ (١)
كَنتَ دُونَ الْوَرَى لَهْنُ الْوَارِثُ
عَرْضَةُ الْبَحْثِ فَلْيَكُنْ جَدُّ بَاحِثُ

وَأُنْشِدُنِي - أَيْضًا لِنَفْسِهِ - يَمْدَحُهُ :

لَعَلَّكَ لِي عَنْ حُسْنِ عَهْدٍ مُكَافِيءُ
فَيُسْرِعْ نَحْوِي وَدُكَّ الْمُشْتَبَاطِيءُ
يُسْرِرَ بِهَا مِنْتَا حَسُودٌ وَشَانِيءُ
أَمَّا يَسْعُ الْغَفْرَانُ مِنْ كَانَ خَاطِيءُ (٣)
وَتَمْتَمُ بِالْإِفْضَالِ مَنْ هُوَ بَادِيءُ
وَأِنْ رَاعَنِي خَطْبٌ مِنَ الْهَجَرِ فَاجِيءُ
لَهُ بَعْدَ مَا أُعِيَتْ عَلَيْهِ مَبَادِيءُ
تَحَامَتِ حِمَايَ النَّائِبَاتِ الطَّوَارِيءُ
فَدَيْتُكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الْبُعْدُ لِلَّتِي
كَأَوْسَعِ الْإِحْسَانِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا
وَمَا ضَرَّ لَوْ رَبُّ (٤) الصَّنِيعَةِ مِنْ مَعَا
عَلَى أَنِّي لَمْ يَصْرِفِ الْيَأْسُ سَاحَتِي
فَكَمْ طَالِبٌ أَمْرًا تَسَنَّتْ عَوَاقِبُ
لَنْ رِيحٍ بِالْأَشْجَانِ رُوعِي لَطَالَمَا

(١) فِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : لَا تَنْتَحِيهَا (بِاتِّئَاءِ) .

(٢) فِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : هَذَا . وَفِي الْأَصْلَيْنِ « هَذَا » .

(٣) فِي « م » كُلُّ مُحْسِنٍ . كَانَ خَاطِيءٌ . وَفِي « ط » كُلُّ . . . وَنَرْجِعُ مَا أَثْبَتَ .

(٤) فِيهَا « رَب » .

وإن أمس قد شابت ذوائب لممتي
فطعن الهوى في حجر قلبي تاشيء

[٨١ / ب]

وليلاء ملء الأفق روعاً وظلمة^(١) فلا تظر هادي ولا قلب هادي

ظلمت يعطيني بها^(٢) أكؤس الشرى
حبيب على ما شئت منه بمالي

ولا صبح إلا وجهه متطلع ولا برق إلا ثغره متلألئ

إذا غار منها نجمها وهالها بدت غرر من خيلنا ومواطي

وبيداء لم تقدر الشراء أديمها

ولم تخترقها اليمعملات النواجي

كان الشراب الجون في جنباتها حياض ميلاء أو سحاب تواشي

بعث لها عزمي وخضت عبابها كما خضت بجرأ لا يرى منه شاطئ

وأجريت ذكر الجود من كف فارس

بها فارتوى في الركب من هو ظامي

وإن امرأة يروي الصدا ذكر جوده

لتحسد جدواه الغمام النواشي

هو البدر لكن الشمود مطالع

هو البحر لكن العلوم لآلئ

ليعلياء تم الفخر بالعلم والتدنى

إذا اقتسم العلياء قاف وقاري

(١) ليلة ليلاء : طويلة شديدة أو هي أشد ليالي الشهر ظلمة .

(٢) في الأصلين : بنا ، ونرجح ما أثبت .

لئن كان معنى الجود منه مبيتاً
 فلفظ الورى في شكره متواطىء
 لك الخير كم هيجاء جليت غمها
 وقد عجز الداري وكع المدارى (١)
 تطاول فيها المرفعات إلى العلا
 فتغنوا لها من هيبة فتتطاطىء
 تركت بها الأبطال صرعى كأنهم
 ندامى عقارب سكرهم متكافىء
 فاطمعت ذوؤبان الفلا وهي جوع
 ورويت بيض الهند وهي ظوامىء
 حسامك مها تنظم الرمح ناثر
 ورمحك مها مزق السيف رافىء
 رفعت لواء العدل والذهر جائر
 وأغريته بالجيد إذ هو هازىء
 فنام الرعايا تحت ظيل كلاته
 وعزمك يقظان وحزمك كلىء
 وأمن مدعور وأعتب مذنب
 وأغني معتبر وقرب لاجىء

[٨٢ / أ]

مساع من العليام وفيت حقيها
 وربك عن تلك المساعي مكافىء

ومن إنشائه البارع مورياً بالكتب ودفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنات فارس بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي الحسن علي بن أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين المنصور بالله أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق يهنئه بإبلاذ ولده وولي عهده الأمير أبي زيان محمد من مرض :

ماذا عسى أدبُ الكتاب يُوضح من
خِصالِ مجدك وهو الزاهرُ الزاهي ؟

وما الفصيحُ بكلياتٍ موعبها
كافٍ فسيأتي بأنباءٍ وإنباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة والسعادة (١) ... القدحُ المعلى ، ولزاهر كلاله التاجُ المجلسى . تجلّى من حلاه نزهة الخاطر ، ويسير بعلاه المثل السائر . ويتسق من ثنائه العقدُ المنتظم ، ويتضح بهداه القصْدُ الأهم ، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطه ، ومعونة السعد بإشارته منوطة . وهدايته متكلفة بإحياء علوم الدين ، وإيضاح منهاج العابدين . وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين ، ويأتي من شفاء الصدور بالنور المبين . وميقاتُ الخدمة ببابه مطمح الأنفس ، وملخص الجود من كفه بغية الملتمس . قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك ، لما أتت عوارفك بالمشروع السلسل ومعارفك بنظم السلوك . ووضحت معالم مجدك وضوح أنوار الفجر ، وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر . فلك في جهرة الشرف النسب الوسيط ، ومن جمل

(١) هكذا في الأصلين ، ولعل كلمة سقطت (انظر الفقرة التالية) .

المآثر الخلاصة والبسيط . وسبيل الخيرات لها برعايتك تيسير ، ومحاسن
الشريعة لها بتحصيلك تحبير . وأنت حجة العلماء الذي تقصّر عن
تقصي مآثره فِطْنُ الأذكياء ، إن انبهم [٨٢ / ب] التفسير
ففي يدك ملاك التأويل ، أو اعتاصَ تفريع الفقه
فعمدك فصلُ البيان له والتحصيل . وإن تشعب التاريخ فلديك
استيعابه ، أو تناول الأدب ففي إيجاز بيانك اقتضابه . وإن ذكر
الكلام ففي انتقائك من برهانه المحصول ، أو المنطق ففي موجز
أماليك لبابه المنخول . وليس أساسُ البلاغة إلا ما تأتي به من فصل
المقال ، ولا جامعُ الخير إلا ما حزته من تهذيب الكمال . ولذلك
صارت حرمتك غاية المطلوب ، وحبك قُوت القلوب . ولا غرو أن
كنتَ من العلياء دُرّتها المكنونة ، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة .
بحماستهم أُصيبَت مقاتل الفرسان ، ويجودُ جودهم تسنى ريُّ الظمآن ،
وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الإيمان . وأنت المنتقى من سبط
جمانهم ، والواسطة في قلائد عقيانهم . عنك تُؤثر سيرة الاكتفاء ،
وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الأبناء . فهم لمملكته
العلية بهجة مجالسها ، وأنس مُجالسها ؛ وقطب سرورها ، ومطالع
نورها . وولي عهدك درتهم الخطيرة ، وذخيرتهم الأثيرة .

لازال كامل سعادته بطول مقامك مُحكما ، وحرز أمانته بالجمع بين
الصحيحين : حبك ورضاكَ مُعلما ! وقد وجبت التهنئة بما كان في حلية (١)
برئه من التيسير ، وتهيباً في استقامة قانون صحته من نجاح التدبير .
ولم يكن إلا أن بُعدتْ به عنك المسالك . وأعوزَ نور طرفه

(١) فيهما : حيلة ، ونرجح ما أثبت .

تقريب المدارك . وتذكر ما عهدَهُ من الإيناس الموطأ جنباه عند
أفضل مالك . فوري من زنده سقط الزند ، والتهب في جوانحه
قبس الوجد . فامدد له من دُعائك الصالح بحلية الأولياء . فظفر لما
شارف مشارق الأنوار من حَضرتك بالشفاء . وقد حاز لإكمال الأجر
بذلك العارض الوجيز ، وكان له كتشبيه الإبريز . وها هو قادمٌ
بالطالع السعيد ، آيبٌ بالمقصود الأسنى [٨٣ / أ] من الفتح والتمهيد .
يطلع بين يديك طلوع الشهاب ، ويبسمُ عن مفصل الثناء في الهناء
بذلك زهر الآداب . فأعد له تحفة القادم من إحسانك الكامل .
واخصه بالكلمة من إيناسك الشامل . فهو الكوكبُ الدُري المستمدُّ
من أنوارك السُنية ، وفي تهذيب شمائله إيضاح للخلق^(١) الكريمة
الفارسية^(٢) . لا زالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الأخبار ، وتتعطر
بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار . وتتلّى من محامدك الآيات
البينات ، وتتوالى عليك الألفاظ الإلهيات ؛ بِمَنِّ الله وفضله .
والسلام الكريم يعتمد المقام العليّ ؛ ورحمة الله وبركاته



(١) فيها : للخلق .

(٢) نسبة إلى أبي عنان فارس المربني .

الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى عبد الرحمن بن محمد بن
خلدون الحضرمي (*) :

صاحب علامة أمير المؤمنين المستنصر بالله بفضل الله إبراهيم بن
أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر
الحفصي الموحد ، بحكم الاستنابة ؛ وهو إذ ذاك شاب صغير . واستقر
بالمغرب فاستكتبه بالحضرة السلطانية المارينية أمير المؤمنين المتوكل على
الله أبو عنان فارس وقلده كتابه سره ؛ فحسده بعض بطانة السلطان
وأغروا به إليه ، فقبض عليه ، وامتنحه ، واعتقله بسجن دار الإمارة

(*) الأديب المؤرخ العالم الاجتماعي البجاعة الشهير أبو زيد ابن خلدون الحضرمي
الإشبيلي . مولده في تونس سنة ٧٣٢ وأصل سلفه من الأندلس من إشبيلية . وخالد
المعروف بـ « خلدون » هو جده الأعلى الداخل إلى الأندلس . تتلمذ على علماء تونس
وعلى جبهة من علماء المغرب والأندلس لما قدم بهم أبو الحسن المريني في طلعتة إلى
الجزائر وتونس . وتنقل طويلاً في بلاد المغرب والأندلس ، وتقلب في المناصب ، وتعلم
على كبار الشيوخ ، وصادق الجلالة من الوزراء والأدباء والعلماء ، وعرفوا - جميعاً - له
قدره ومكانته . وكان مشهوراً بالكتابة والشعر والمشاركة في العلوم . وخلد ذكره في
تاريخ الحضارة الإسلامية بكتابه « العبر » ويجزئه الأول - المقدمة - على الخصوص .
ولجزئه الأخير أهمية خاصة لانه ترجمة ذاتية للمؤلف ، طبعت أيضاً منفردة بعنوان
وضعه هو : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً .

وقد انتقل ابن خلدون - بعد عودته إلى تونس - إلى المشرق ، واستوطن مصر . وأعطى
قضاء المالكية ، وتعرض لحصومات بعض الفقهاء وبعض المتنفذين ، ولكنه - على الجملة -
حظي بمكانة رفيعة وعرف الناس - وأهل السلطة - له حقه وكرامته وكانت وفاته
في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

أشهر مؤلفاته تاريخه المعروف . وكتبت عنه كتب وألفت فيه دراسات وبحوث وعقدت
حوله ندوات وملتقيات .

المدينة البيضاء ، ثم سرحه من السجن السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، واستكتبه في حضرته . ثم ارتحل إلى بلاده الإفريقية ؛ فقدمه حاجباً أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن أمير المؤمنين المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أبي يحيى أبي بكر الحفصي الموحد ببجاية . وهو الآن بالأندلس في حضرة ابن عمنا أمير المسلمين الغني بالله أبي عبد الله محمد الخلوع . وحين كان في سجن أمير [٨٣ / ب] المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان بعث من السجن ^(١) لأبي عنان المتوكل في العشر الأول من شعبان عام تسعة وخمسين وسبع مئة قصيدة رائعة من نظمه يستعطفه بها ، وكان له في السجن ثمانية عشر شهراً .

حاله :

هو ممن لا ينكر حقه في ارتياض العلوم الشريفة ، واستئصال رتبها العالية المنيفة . لما احتوت عليه ترجمة ذكره ، وخبيثة فكره ، من أساليب النظام الرائقة الحلاء . ومجاري أقوال النثر البارة في الإنشاء . ولا يسع المصنف في هذا الشأن أن يتركه ، لظرفه الكامل ؛ ولا يدعه لعلمه الشامل . له باعٌ واسعٌ في المنطق وعلم النجوم ، وما يتعلق بالعلوم النظرية والفهوم ؛ وطريقةٌ رائعةٌ الفروع والأصول ، كاد أن يصل بها إلى درجة الاجتهاد غاية الوصول . ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة ، وإرسال ديمة من سحائب علمه يتبعها ديمه !

(١) تفصيل خبر سجنه في « التعريف » ص ٦٦ ، وقد عقد ابن خلدون فصلاً بعنوان « حدوث النكبة من السلطان أبي عنان » .

وقصيدته المذكورة هي (١) :

على أيّ حالٍ للتيالي أَعَاتِبُ
وأيّ صُروفٍ للزّمانِ أَعَالِبُ
كفّنى حَزَنًا أنّني على القُربِ نازِحُ
وأنّني على دَعْوَى شُهودِي غَائِبُ
وأنّني على حُكمِ الحَوَادِثِ نازِلُ
تُسَالِمُنِي طَوْرًا وطَوْرًا تَحَارِبُ (٢)
أَحِنُّ إلى إلفي وقد حالَ دونَهُمْ
مهاميهُ فينحُجّ دونَهُنَّ سَبَابُ
5 وبِيداءٍ كَقَرٍّ غَيَّرَتْهَا يَدُ البَلي
وأزَرَتْ بِمَغْنَاهَا الصَّبَا والجَنَائِبُ

- (١) قال ابن خلدون : كان اتصالي بالسلطان أبي عنان آخر سنة ست وخمسين (وسبعمئة) وقربني وأداني واستعلمني في كتابته حتى تكدر جوي عنده.. ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين . وكانت قد حصلت بيني وبين الأمير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم. وغفلت عن التحفظ في مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو إلا أن شغل بوجهه ، حتى أننى إليه بعض الغواة أن صاحب بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن علي . فانبعث السلطان لذلك ، وبادر بالقبض عليه . وكان فيما أننى إليه أنى داخلته في ذلك فقبض علي وامتحنني ، وجبّني ، وذلك في ثامن عشر صفر سنة ثمان وخمسين . ثم أطلق الأمير محمدًا ، ومازلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك . وخاطبته بين يدي مهلكه مستعطفًا بقصيدة أولها . . . « الأبيات » . وذكر من القصيدة خمسة أبيات فقط ثم قال « وهي طويلة نحو المئتين بيتًا . . » . والقصيدة عند ابن الأحمر هنا في ١٠٧ أبيات ، ونرجح أنها كاملة ، ويكون الرقم الباقي في ذاكرة ابن خلدون عن القصيدة مبالغًا فيه .
- (٢) أورد في التعريف « ٦٧ » الأبيات الثلاثة الأولى ، وأردف بالبيتين التاسع والعاشر . وقال إن بقية الأبيات « ذهبت عن حفظه » .

بها ليعزيف الجن^(١) أي^(٢) تراجع
وبين الرياح الهوج فيها تلاعب
يضل بها الخريت^(٣) في كل موقف
فيصرفه بحر من الآل راسب
سلوتهم إلا اذكر معاهد
لها في الليالي الغبارات غرائب
وإن نسيم الريح منهم يشوقني
إليهم وتصبيني البروق اللواعب

[٨٤ / أ]

10 ولم أنس ، لا أنسى الوداع وقد جرت
دموع وزمت للوداع ركائب
عشية بانوا والقلوب جوامد
وكان عقيق في النواظر ذائب
وقفنا ولا نَجْوى سوى بين أعين
وشت بالهوى منها دموع سواكيب
تخطيب رسم الدار شوقاً وما لنا
على القرب إلا من صداها مجاوب
مضوا يزمعون السَيْر إلا تلتفتنا
كما التفتت بين الأراك الربارب^(٣)

(١) قالوا : المزيف صوت الجن ، وهو صوت الرمال إذا ذهب بها الرياح .

(٢) الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة .

(٣) في الأصلين : الربائب ، ونرجح ما أثبت . والربارب ج الربرب وهو القطيع من الظباء ، ومن البقر الوحشي والإنسي .

- 15 وأتبعنهم طرفي وقلبي وما دروا
بأنني على آثار هذين ذاهب
وما راعني إلا المآقي تحدرت
من قلوب في الدموع ذواب
وقد طويت شمس الأصيل بأفقيها
كما نشرت الليل منها ذواب
وسرنا وترجيع الحداة يحمينا
كما رجع الإنجيل في الصبح راهب (١)
نميل على الأكوار سهدا كأثنا
نشاوى مدام أنحللتها الحقائق (٢)
20 أقول لصحبي - والظعائن ترتعي
وقد أخذت منا السرى والنجائب
وقد ظمئت منا المطي وأظمت
دجى خفيت فيها علينا المذاهب -
: ردوا ليس يروينا الغمام وهذه
دموعي لا يظما بسها بعد شارب!
وإن يك بالشهب اهتداء فهذه
ببصدري شهب للفرام ثواقب
رعى الله عهداً ضمه أفق تونس
ومعه أنس لم ترعه الثواب

(١) في الأصلين « كما رجع الإنجيل في الصبح » وترجع ما أثبت .
(٢) جمع الشاعر حقبة - وهي من الدهر: المدة لاوقت لها - على حقائق . ولم أجد لها هذا الجمع .

25 وجادتْ عليه الغاياتُ بها حَوَتْ
 من الظلم لا ما تحتويه السَّحائبُ (١)
 وروض منها كل قطرٍ بأغصنٍ الـ ...
 قدود اللّواتي لم تثرها الأهاضِبُ
 بلادُها عَقْ (٢) الشبابِ قِماي
 ولا مَس فيها التَّربَ مِنِّي الدَّرَائِبُ
 يذكرني عهدَ الرضا في جنابِها
 أمانٍ تَقَضَّتْ لي بها ومآربُ
 فأصبو ولكنْ أين مِنِّي مَزارُها؟
 وأبكي وإن لم تُغن عني السحابُ!
 30 ويُقلِّقُنِي شوقٌ تَضُرَّم بالحشا
 فتَجرقني لولا الدُموعُ لواهِبُ

[٨٤ / ب]

آيتُ تُناجيني الهمومُ كأنني
 صديقٌ عفا (٣) في الحبِّ وهي تُعَاتِبُ
 وإن قمتُ غَشَّتَنِي قِيَانُ أَداهِمُ
 لها بينَ أقدامِ الكُماةِ مَلَاعِبُ
 وقد أمتطي فيكري لَدَى اللَّيْلِ مَرَكِباً
 بِذكرِ السَّدى تُجَدِي إليه الرَّكائبُ

(١) الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

(٢) في الأصلين : « غص » ولا معنى لها ، والصواب ما أثبت .

(٣) كذا فيها .

وَأَعَشُوْهُ إِلَى مَدَحِ الْخَلِيفَةِ فَارِسٍ
 فَتَمَجَّابُ عَنِّي لِلْخُطُوبِ غِيَا هِبُ
 35 إِمَامُ هُدَى ضَاءَتْ شَمُوسُ اهْتِدَائِهِ
 فَبَانَتْ لَنَا مِنْ بَيْنِهِنَّ الْمَذَاهِبُ
 تَرْقُقَ مَاءُ الْبِشْرِ فِي صَفْحَاتِهِ
 وَأَيُّعَ مِنْهُ الْمَجْدُ فَالْحُلُ عَاشِبُ (١)
 وَأَوْسَعَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ نَوَالِهِ
 فَلَيْسَ سِوَى مَمْنٍ يَنْوَلُ كَاسِبُ
 خَلَاتِقُ يَحْكِيهَا الرِّيَاضُ بِدَائِعَا (٢)
 فَتَعُزِّي لَهُ إِنْ حَقَّقَ الْقَوْلَ نَاسِبُ
 تَجْرَى الْجُودُ أَنْهَارًا - بِكَفْيِهِ - عَذْبَةُ
 (مَا تَلَّكَ) (٣) فِي الرِّاحَاتِ مِنْهَا مَشَارِبُ
 40 وَسَارَ عَلَى الْآفَاقِ طَيْبُ ثَنَائِهِ
 فَمَا الْمِسْكُ لَوْلَا عَرَفُهُ الْمُتَطَايِبُ
 وَأَشْرَقَتْ الدُّنْيَا بِنُورِ حَبِيبِهِ
 فَمَا الْمِسْكُ لَوْلَا عَرَفُهُ الْمُتَطَايِبُ
 وَأَشْرَقَتْ الدُّنْيَا بِنُورِ حَبِيبِهِ
 فَمَا الشَّمْسُ إِلَّا إِنْ بَدَأَ مِنْهُ حَاجِبُ !

(١) مكان عاشب : ذو عشب .

(٢) فيها : بدائعا .

(٣) فيها : ما تَلَّكَ .

مناقبٌ تحكي الشهبَ ضوءاً ورفعةً
 فيسري بها في مهمه الخطب راكبٌ
 ففكرٌ إذا ما أظلم الخطبُ نيرٌ
 وفهمٌ إذا ما أشكل العليمُ ثاقبٌ
 وهمةٌ من لم يجعل الإرثَ وحدةً
 طريق العلى حتى استتمت مناصبٌ
 45 تراحمٌ تيجانُ الملوكِ بيابه
 كما ازدحمت بالدارعين المواقبُ
 وتفخرٌ من ملكٍ أغرَّ مهذبٌ
 ثقل المراقى عنده والمتنصبُ
 جبرت عماد الدين بعد انصداعه
 على حين لم يجبر له الصدع شاعبٌ (١)
 وميلت عن الدنيا إلى الدين راغباً
 على رغبةٍ منها فنعمة المراعِبُ
 50 وشيدت فخراً في ذؤابة معشرٍ
 تمتك إلى العلياء منهم عصائبُ
 ومهدت ركن الملك منك بعزيمة
 تذبُّ بها عنه الحماة الضواربُ
 [٨٥/أ]

ودوخت أرض الغرب حتى تسابقت
 لأمرِكَ طوعاً وعُجمه والأهاربُ

(١) شعب الشيء فرقه، واستعمل في الضد فقليل : شعب الصدع إذا لمه وأصلحه، و« شاعب »
 في البيت من هذا النحو .

فَأَوْطَأَتْهُمْ فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَنَزِلًا
 فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا هُنَاكَ مَرَاتِبُ
 وَلَمَّا طَغَى بِالشَّرْقِ كُلُّ مُكَذِّبٍ
 عَصَى تَنَاجِيهِ الْأَمَانِيِّ الْكَوَاذِبِ
 55 وَتَخَلَّوْا عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ بِنَفْسِهِ
 فَتَعَصَّبَهُ (١) مِنْ طَعْنِ الْعِيدَا مَا يُطَالِبُ
 بِدَأْتَهُمْ بِالْقَوْلِ (٢) لَوْ أَنَّ سَعِيمَهُمْ
 حَمِيدٌ (٣) لَمَّا سَاءَتْ لَهُمْ عَوَاقِبُ
 وَلَكِنْ أَبَوَا إِلَّا جَمَاحًا وَمَا دَرَوْا
 بِأَنَّكَ حِزْبُ اللَّهِ - وَاللَّهُ غَالِبٌ ! -
 وَلَجَّوْا عَلَى ظَنِّ بَأْنِ حُصُونِهِمْ
 مُنْتَمِعَةً لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ طَالِبُ
 فَسُمَّتْهُمْ بِالرُّعْبِ قَبْلَ نِزَالِهِمْ
 فَقُلْتُ جُمُوعٌ مِنْهُمْ وَمَضَارِبُ
 60 وَأَرْسَلْتَهُمْ مِنْ آلِ أَعُوجِ غُلَبٍ
 عَلَيْهِمُ مِنَ الْأَبْطَالِ شُوشُ أَغَالِبُ
 مِنَ الْقَوْمِ مَا غَيْرُ الْقَنَا فِي طَرِيقِهِمْ
 أُنَيْسٌ وَلَا غَيْرُ الْمَهْتَدِ صَاحِبُ

(١) فِي « م » فَتَعَصَّبَهُ ، وَفِي « ط » فَتَعَصَّبَهُ . (٢) فِي « م » بِالْقَبُولِ .

(٣) فِي « م » حَمِيدًا .

إذا أظلمت مُجَنِّجَ النهار دُرُوعُهُمْ
 أضاءت وجوهُ منهمُ ومناقبُ
 وإن ضلَّ في ليلِ الكفاحِ دليلُهُمْ
 هَدَتْهُمْ من العزمِ الصِّمِيمِ كواكبُ
 بأيديهمُ سمرُ الرِّمَاحِ كما على
 عواثيقِهِمْ بيضُ السيوفِ القواضبُ
 65 فذاك أصمُّ يبلغُ الطَّعْنَ للعِدا
 وهذا تَمِيعُ إن تناجي الكتابُ !
 غنائمُ للعافين ، تهتنُ ، صيَّبُ
 وفي عَرَصاتِ المارقينِ مصائبُ
 ففي الحربِ آسادُ وفي السلمِ سادةُ
 ويومَ النداءِ والمكْرُماتِ سَحَابُ
 ندبَتْهُمْ لِلَّهِ ثُمَّ بَعَثْتَهُمْ
 تقامُ على الأعداءِ منهمِ نوادِبُ
 وسيرتَ فلولا أنْ أَمْرَكَ وازرعُ
 لسارتَ جبالُ عندها وأهاضبُ
 70 ورينوا فلولا طُودُ حَمَلِكَ قَدَ رَسَا
 لَزُعْزَعُ من ذاكَ الأشْمِ جَوَانِبُ
 يحيشُ يَفْصُ الأفقُ منه بَمَرَكِبِ
 ويمعزُ عن حَصْرِ الكَتِيبةِ حاسبُ
 يباحُ حِمَى الأفلاكِ عندَ فريقِهِمْ
 وتنبُ إن أومى إلى الشَّهْبِ ناهِبُ

[٨٥ / ب]

أثرت بهم فوق الأعادي مصائباً
 من النقع جدواها السهام الصوائب
 وجسست على رَغَمٍ خيلال ديارهم
 تعطَّرت بالأردان منك مساحب
 75 فلولا اعتصام كان منهم بطاعة
 لأغرقتهم طوفانك المتراكب
 ولما انتضى جبار تونس عزمة
 ورام فراراً لو نجا منك هارب
 بعثت بها غربان زجر يحشها
 لتفريق شمل من أعاديك ناعب
 وملاكتها شرقاً وغرباً كأنما
 لأمرِك من جاري المقادير صاحب
 ولولا خطوب كنت حاسم دائها
 لقد علموا كيف الفريم المطالب
 80 أمولاي طاب القول لي فأطلتُه
 وما طيب الأقوال إلا الأطاييب
 وما كان لي نظم القريض بيضاعة
 ولكن دعاني نحو مدحك جاذب
 فجئت بها حسناء تلمس الرضا
 وإن رَغِمَ الواشون منها وشاغبوا

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لِي
يَدَانِ بِسَخَطِ مَنْكَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ
أَسَاقُ مَدَى الْأَيَّامِ فِي الْقَيْدِ مُفْتَعَمُ
وَجَسْمٌ عَلِيلٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَاحِبُ
85 وَقَدْ وَضَحْتُ لِلْحَلَمِ فِي كُلِّ طَيْعِ
وَعَاصٍ مُرَوِّدٍ عَنْكَ طُرُقُ لَوَاحِبِ
وَأَرْضَعْتَهُمْ نَدَى الْأَمَانِي وَكَمْ بَغَوْا
وَأُورِدْتَهُمْ صَفْوَةَ الْأَمَانِي وَحَارَبُوا
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْعُلَا
تَنْبِيلُ الْوَرَى عَفْوًا فَتَعْفَى الْمَعَايِبُ
وَأِنْ أَثْبَتَ الْأَعْدَاءُ أَنِّي مُتَذَنِّبُ
فَصَفْحُكَ يَا مُوَلَايَ لِلذَّنْبِ سَالِبُ
وَهَبْتَهُمْ رَمَوْنِي بِالنَّيِّ لَسْتُ أَهْلَهَا
أَلَيْسَ انتِسَابِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبُ ؟
90 أَبْعَدَ انْتِزَاحِي عَنْ بِلَادِي تَحْشُنِي
إِلَى بَابِكَ الْأَعْلَى مَطْيِي شَوَازِبُ (١)
وَعَرَاءُ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقُ (٢)
لَهَا فِي الرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ
يَجَازِبُ عَظِيمُهَا الْمِرَاحُ فَتَنْتَنِي
كَمَا التَفَتْتُ فِي الرُّوْضِ حَسَنَاءُ (٣) كَاعِبُ

(١) شواذب ج شازب : وهو الضامر .

(٢) الجدِيل ، وشَدَقَ فحلان مشهوران للنعمان بن المنذر .

(٣) « حَسَنَاءُ » سَقَطَتْ مِنْ « م » .

وتكبرُ قدراً أنْ يميلَ بثليها
اغريكَ قصداً أو تحنَ مطالبُ

[٨٦ / ١]

رقتُ بها في صفحة البسيد أسطُراً
كما زانَ رقماً في الصيحة كاتبُ
95 و جُبتُ بها غورَ الفلاة ونجندَها
وليسَ سِوى من ذنبها ما أ صاحبُ !

كأنني لفظُ والبلادُ تجيئني
خواطيرُ منها للمعاني صوائبُ

نظنَّ بأنَّ الشرقَ عن حملِ كتفه
نَضيقُ فَنَطْوَِي سِرْهُنَّ المغاربُ

إلى أنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ في سَرَحَةِ الْعِلا
لَسَدَى بِابِكَ الْأَعْلَى كما حَطَّ آيِبُ

وأصدَرْتَنِي عن وَرْدِ نَعْمَاكَ نَاهِلًا
وقد أثْقَلْتِ ظَهْرِي لَدَيْكَ الْمَوَاهِبُ

100 فكيف أولي سَطَرَ غَيْرِكَ وَجْهَةً
أؤْمَلُ مِنْهَا نُجْمَةً أو أراقِبُ

وما خلصتُ إلا لبابِكَ هِجْرَتِي
ولم تَصِفْ لِي يَمْنَنَ سِوَاكَ الْمَشَارِبُ

وإني على علمٍ بأنَّ لا مَمْلُوكُ
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا ولا عَنْكَ ذَاهِبُ

ولكن عوادٍ إن عدتني عن الرضا
 زماناً فإنني اليوم مینهن تائب
 سأنزع عما أنت - والله - ساخط
 فأمرُك محتومٌ على الخلق واجب
 105 وأسطو على الأيام منك بنوبة
 كما افترستني بينهن النوائب !
 وتوسعني رُحماك أفضلَ نعمة
 تریش بها عظمي وتترى المكاسب
 فما في اللئالي من ذمير - ولو أتى -
 إذا حُمِدت بعد المبادي العواقب

★ ★ ★

صاحبنا الفقيه القاضي الكاتب يحيى بن أحمد بن محمد ابن
 البغلة الأموي .

يكنى : أبا زكريا ، وأبنته ، وصحبته ، ويعرف بابن البغلة .
 وهو من أهل طنجة واستنابه بعض قضاةها ، وكان عدلاً بسيطاً
 شهودها . وأصل سلفه من الأندلس من الجزيرة الخضراء . وكتب في
 الحضرة المرينية لموكها ، وهو الآن كاتب الإنشاء بها لأمير المسلمين
 المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المسلمين المستعين بالله أبي سالم إبراهيم .
 وبينه وبينه وداد عظيم ولما [٧٦ / ب] كنت بالحضرة المرينية
 حين أخرجنا عن الأندلس بنوعنا الملوك من بني الأحمر آل نصر كان

(١) بويح المستنصر بالله أحمد بطيخة سنة ٧٧٥ وخلع سنة ٧٨٦ ، وهذه هي دولته
 الأولى . (وحكم ثانية من ٧٨٩ إلى ٧٩٦) . انظر روضة السرين ٣٤ ، ٣٨ .

يسنخلص لي حوائجي من ملوك بني مرين ، فعرضت لي يوماً عند
الوزير أبي يحيى أبي بكر بن الوزير أبي مجاهد غازي بن الكاس
المجدولي ، المدبر للملك أمير المسلمين السعيد بالله أبي زيان^(١) محمد حاجة ،
وكان الفقيه أبو زكريا هذا له جاء^٢ مكين عند هذا الوزير ؛ فطلبت
منه ، وكتبت له في ذلك أبياتاً من قولي ، وهي :

أَيُّحْيى مَيِّتُ الأَحْيَاءِ يَرْجُو كَلَامَكَ للوزِيرِ بغيرِ رِيثٍ
فَأَنْتَ نَصِيرٌ من أَخْنَى عَلَيْهِ زَمَانٌ قَدْ أَنَاخَ بِكُلِّ لِيثٍ
ومها أرسلتُ كَفَاكَ جُوداً يَكْفُ بِجُودِهِ وَكَثافَ غَيْثٍ !

حاله - أكرمه الله تعالى - :

هو صدرُ الأعيان ، وعَلَمُ أُولي البلاغة والبيان . الفصيحُ الذي
يقصر عن مرماه في الفصاحة سحبان ، ويعجز عن مضاهاته في الاختراعات
والإنشاءات بديع الزمان . سليم الصدر من البأو والمباهاة ، ذو ذكاء
وفكاهات !

فمن قوله يمدح الوزير أبا علي عمر بن الوزير أبي عامر
عبد الله بن علي بن سعيد اليباني^(٢) مدبر الدولة المحمدية المتوكلية
والعززية المرينية :

(١) تحدث السلوي في الاستقصا عن خبر تدبير أبي بكر بن غازي بن الكاس للدولة
السلطان أبي زيان بن محمد المريني ، وقال إنه استبد ، واستعمل على الجهات ، وجلس
بمجلس الفصل ، واشتغل بأمر المغرب إرباماً وفقراً . (انظر الاستقصا ٤ : ٦٠ ،
وروضة التشرين : ٣٥) .

(٢) انظر روضة التشرين لابن الأحمر : ٣٢ - ٣٣ .

أَعَاذِلْتِي أَنْ أَبْصَرْتَ رَاحَتِي صِفْراً
وَأَنْ لَسْتُ بِمَنْ يَقْتَنِي الْبَيْضَ وَالصُّفْراً
ذَرِينِي فَلَيْسَ الشَّحْ أَوَّلَى بِذِي نُشَى
مَنْ الْجُودِ ، إِنَّ الْجُودَ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى !
وَأَنَّ الْفَتَى مَنْ صَانَ بِالْمَالِ عِرْضَهُ
وَأَبْقَى بِتَخْلِيدِ الثَّنَاءِ بِهِ ذِكْراً
وَدَانَ بِتَشْفِيعِ الصَّنِيعِ تَمْدَهُ
بِحَارُ جَدَى لَا يَتَّقِي مَدُّهَا جَزْراً
5 لِنَعْمِ الْعُلَا وَالْجُودِ وَالْعُرْفِ وَالنُّدَى
لَقَدْ أَلْفَتْ خُلُقِي السَّهَابَةَ وَالْبَرَا

[٨٧ / أ]

وَلَا سِيَّماً إِذْ دَاوَرْتَ عُمَرَ الرِّضَا
وَأَهْدَيْتَهُ آمَالاً فَأَصْدَرَهَا وَفَرَا
هُوَ الْبَحْرُ لَا بَلْ دُونَهُ الْبَحْرُ إِنَّهُ
لَعَذْبُ الْحَيَا جَمُّ اللَّيْثِ يَلْفُظُ الدَّرَا
يُرَوِّي الظِّمَاءَ ، يَشْفِي الضَّنَاءَ ، يَنْقَعُ الصَّدَى
يُنِيلُ الْمُنَى ، يُبْلِي الْغَنَى ، يَصْرِفُ الْفَقْرَا
إِذَا أَخْلَفَ الْغَيْثُ اسْتَفْثَنَّا بِجُودِهِ
فِيُوسِعُنَا رُحْمَى ، وَيَمْنَحُنَا يُسْرَا
10 رَعَى اللَّهُ عَصراً جَاءَنَا مِنْهُ بِالَّذِي
نُؤْمَلُ فِي الْأَوَّلَى وَنَعْتَمِدُ فِي الْأُخْرَى

وزيرٌ تَقَى صانَ الخِلافةِ فَاغْتَمَدَتْ
 بِتَدْبِيرِهِ تَسْتَعْدِمُ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَا
 يَرَى وَارِدَاتِ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهَا
 فَيُبْدِي مِنَ التَّدْبِيرِ مَا يَشْرَحُ الصَّدْرَا
 وَقَدْ بَسَطَ الْعَدْلَ الَّذِي مِنْ رُؤَايِهِ
 خَلَائِقُ حِلْمٍ لَا نُؤْفِي لَهَا شُكْرَا
 إِذْ أَنْتَ يَوْمَ الرُّوعِ لَا قِيَمَتَهُ فَقَدْ
 أَمِنْتَ، فَهَذَا تَدْرِي الْخَتَافَ وَلَا الزَّجْرَا
 15 وَإِنْ أَزَتْ فِي يَوْمِ الْهَيَاجِ رَأْيَتَهُ
 وَقَدْ أَعْمَلَ الْبَيْضَ الْبَوَاتِرَ وَالشُّمْرَا
 وَعَوَضَهَا هَامَ الْعِدَا مِنْ جُفُونِهَا
 فَأَوْرَدَهَا بَيْضًا وَأَصْدَرَهَا حُمْرَا
 يُولِّي وَيُقْصِي^(١) فِي الْإِلَهِ وَإِنَّهُ
 لَسَمِينٌ طِينَةُ الْمَجْدِ الَّتِي كَرُمْتَ نَجْرَا
 نَمَتْهُ إِلَى الْعُلْيَا سَرَاةً أَكْبَرُ
 فَلَيْلَتُهُ مِنْهُمْ مَا أَجَلٌ وَمَا أُسْرَى
 حَمُوا حَوَازَةَ الْمُلْكِ الَّذِي لَمْ يُبْسَحْ بِهِمْ
 حِيَاهُ وَشَدَّوْا مِنْ قَوَاعِيدِهِ أَزْرَا
 20 وَهَآكَ الَّتِي أَهْدَيْتُهَا مِنْكَ كَفْؤُهَا
 وَأَبْدَيْتُهَا شَمْسًا مَيْمَةً بَدْرَا !
 خَرِيدَةٌ نَظْمٍ أَنْتَجَيْتُهَا قَرِيحَةً
 لِغَيْرِكَ لَمْ تَعْمُرْ مَدَى دَهْرِهَا فَيَكْرَا !

(١) فيها « يوالي » ونرجح ما أثبت .

تجرّر من فرط الحياءِ رداءها
وتلتئمِسُ الإغضاءَ لا غيره مَهْراً !
على أُنْزِي لم أدّع الشعرَ صَنعةً
ولم أنعطَ النظمَ يوماً ولا النثراً
ولكنني إذ رُمْتُ مَدْحَكَ قدتها
قَدَوافيَ فانقادتْ مُجْجَلَةً غُراً
25 ووافتمك تُثني بالذي أنت أهله
من الشَّيْءِ اللَّاتِي سَمَتْ وَاَعْتَلَّتْ قَدَرَا

* * *

صاحبنا الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد
[٨٧/ب] المَنَّان الانصاري الخزرجي (*) :

يكني : أبا العباس ، ورأيتُه ، وصحبته ، ويعرف بابن عبد
المَنَّان ، ومسقط رأسه مدينة مكناسة ، وأصل سلفه من الأندلس ؛
من إشبيلية . وجده أحمد والد يحيى هو القادم من الأندلس على
بر العدو ؛ وأبوه يحيى استخدمه ملوك مرين في ولاية الخراج .

وله نظر في في علم الطب مع المشاركة في الطلب ، والإجادة
في نظم الشعر . وأحمد والد يحيى القادم من الأندلس كان قد قدمه

(*) أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المَنَّان الخزرجي الأنصاري (٧٩٣ - ٠٠٠)
من كتاب الدولة المرينية . كان أثيراً لدى السلطان أبي عنان المريني ، وعند عدد من السلاطين
الذين جاؤوا بعده . وفي درة المجال لابن القاضي أخبار تدل على ثقة صلته ببني مرين وحسن
علاقاتهم معهم .

(انظر درة المجال ١ : ٥٣ ، ونثير فرائد الجمان : ٣٤٨ وجذوة الاقتباس : ٦٠)

جدنا الرئيس الأمير أبو سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد
اسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا
أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن
خميس بن نصر الخزرجي أمير مالقة بالجزيرة الخضراء على خراجها .
فلما عبر البحر للعدوة قدمه ملوك مرين على خراج مكناسة وولوه
قيادة قصبته ، ونال لديهم جاهاً مكيناً .

وأبو العباس هذا استكتبه أمير المؤمنين المتوكل أبو عنان فارس
في حضرته السلطانية ؛ وله فيه أمجاد عجيبة . واستكتبه أيضاً في
الحضرة السلطانية المرينية أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر ،
وأمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم ، وأمير المسلمين أبو عمر تاشفين ،
وأمير المؤمنين المتوكل على الله أبو زيان محمد ، وأمير المسلمين أبو فارس
عبد العزيز ، وأمير المسلمين السعيد بالله أبو زيان محمد ، وأمير المسلمين
المستنصر بالله أبو العباس أحمد .

حاله - أكرمه الله - :

ظهر له في القريض باع أي باع ، وكان لمعانيه جلاء وللثنايا
اطلاع . وهو مجيد في فكرته ، يأتي بالغرابية في رويته ، وقد انقادت
له ركائب الآداب بأزمته ، وتجلت له شمس البديهة عن ظلمتها . إلى خلق
في [٨٨ / أ] الفضائل بمكنة ، وأفعال حسنة بسنه .

أنشدني لنفسه ، ورفعها ليلة مولد رسول الله ﷺ من عام سبعة

وخسين وسبعانة ، لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس (١)
وعارض بها قصيدة الشيخ الفقيه الإمام العالم الصوفي الحق أبي عبد
الله محمد بن خميس الحجري (٢) التي أولها :

أما المشيبُ فقد لاحتْ لواميهُ

فبما ليدمعيك لا تهمني هواميهُ

(١) كانت للسلطان أبي عنان المريني عناية فائقة بالعلوم والآداب ، ونقل المترجمون لابن
خيس أنه كانت لأبي عنان عناية خاصة بأخباره وأشعاره (نفح الطيب ٥ : ٣٦٦) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الحبري الحجري - حجر ذي رعين ، وهو أبو قبيلة من
اليمن - التلمساني عرف بابن خيس (. . . - ٧٠٨) من علماء تلسان وشعرائها
المعروفين . وقد أفاض مترجموه في ذكر مآثره ومزاياه العلمية والأدبية ، ومنهم لسان
الدين بن الخطيب ، وابن خاتمة الأنصاري شاعر المرية وأديبها .

ارتحل ابن خيس إلى سبتة ، دار إمارة بني الغزي فأقام مسده ، ثم ارتحل إلى الأندلس تحت
رعاية وزيرها ابن حكيم ، وطاف في بعض بلاد الأندلس . وكانت وفاته في حادثة
فكبة الوزير ابن حكيم ، قتله بعض مهاجري قصر الوزير دون جريرة سنة ٧٠٨ ، وله
نيف وستون سنة (؟) كما نقل في نفح الطيب وأزهار الرياض .

قال ابن خاتمة في مزية المرية في حقه « كان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء ، يصرف
العويص ويركب مستصعبات القوافي » وذكر عنايته والعلوم اللغوية ، ومشاركته في
العقليات ، وقعوده للإقراء أيام مقامه بفرنطة . قال : « ومال بأخرة إلى التصوف
والتجوال ، والتجلي بحسن السميت وعدم الاسترسال » . ويلتقي هذا الكلام مع ما
يذكره ابن الأحرر عن تصوفه . وقد جمع أبو عبد الله الحضرمي - معاصر ابن خاتمة
ولسان الدين - شعر ابن خيس في ديوان سماه الدر النفيس في شعر ابن خيس .

(ترجمته وقصائد من شعره في : أزهار الرياض ٢ : ٣٠١ ، ونفح الطيب ٥ : ٣٥٩ والدرر

الكلمة ٤ : ١١٣ والتعريف بابن خلدون ٣٩٠ . وانظر : مختارات من الشعر

الأندلسي : ١٩٣) .

فقال - نسا الله في أجله - :

هل العقيقُ وما ضمت أجارعهُ
كما عهدناه أم أقوت مرابعهُ

وهل تغير بان الحَيَّ بعدَ نوى
أهليه أم رَوَّضتْ خِصْباً أجارعهُ
ديارُ سلمى سقاها من ديارِ هوى
من صَيَّبَ الغيثَ هاميه وهاميهُ

قِفَا بها إنَّ عهداً للطُّلُولِ على
دَمعي السَّكيبِ بأنَّ تَجْري دوافِعُه

5 وهل وقوفٌ مُحِبٍ بالطُّلُولِ على
إثر الخَلِيطِ الَّذِي قد بانَ نافعُه ؟

لِلَّهِ عَهْدُكَ يَارُبُّعِ الأَلَى ظَفَعُوا
أَيَّامَ رَوْضِكَ غَضَّ الدَّوْحِ يَانِعُه
أَيَّامَ ظَبْيُكَ لَمْ تَقْفِرْ مَرَاتِعُه

منه ، وَبَدْرُكَ لَمْ تَظْلَمْ مَطَالِعُه

ودار سلمى يجرعاءِ الحُمى كَثَبُ
وَمُورِدُ الوَصلِ لَمْ تَحْظَرْ مِشارِعُه

لَسَعْمَرُ سلمى لَقَدْ باذَتْ وما تركَتْ
سِوَى جِوَى يَسْفَعُ الأَضلاعَ سَافِعُه !

10 ومنيةٍ يترجّاهما ^(١) على طمعٍ ^(٢)
 منه ويأبى مشوق القلب جازعه
 في ذمّة الله قلبٌ كلّما ذُكرتْ
 سلى تفصُّ به خفقاً أضالعه
 وإن سلى لتظي في النفّار وفي
 طُرقِ الملاةِ قد أعيت منازعه
 ماذا تجرّعت من مرّ الغرام هوى
 يا قلب فيه ، وماذا أنت جازعه !
 أبيت ليلى من جرّاه مُكْتَحِلًا
 بالسُّهْدِ وهو نؤوم الجفنِ هاجعه

[٨٨ / ب]

أدفعُ الوجدَ في سلى فيغلبني
 والوجد لا شك مغلوبٌ مُدافِعُه !
 15 أُخادِعُ القلبَ عنها وهو يَخْدَعُنِي
 كذلك القلبُ خدوعٌ مُخادِعُه !
 ويح الحبُّ لقد نمت شمائله
 بحُبّه فهو خافي السّرّ ذائعُه
 وأيُّ واشٍ به في الحُصْبِ يكذِّبه
 سهادُه أم ضناه أم مداميعُه ؟

(١) فيها : يترجّها « بتشديد الجيم » ورجع ما أثبت .

(٢) في « ط » طعم ، وهو تحريف .

أُم دَقْنَةُ قَذَفَ الْوَجْدُ الصَّمِيمُ بِهَا
 طَيَّ النَّسِيبِ وَقَدْ رَقَّتْ وَشَائِعُهُ
 20 هل تَعْلَمَانِ لَهُ رَاقٍ فَيَطْمَعُ فِي
 بُرْءِ أُمِ الْحُبِّ دَاءُ عَزٍّ دَافِعُهُ ؟
 أَوْ مَلْجَأَ غَيْرِ أَعْلَى الْخَلْقِ مَنَزَلَةٍ
 يَوْمَ الْحِسَابِ وَقَدْ رَاعَتْ رَوَائِعُهُ
 خَيْرَ الْبَرِيَةِ أَوْلَاهَا وَآخِرَهَا
 وَحَائِزَ الْفَضْلِ دَانِيَهُ وَشَاسِعُهُ
 يَا لَيْلَةَ أَسْفَرَتْ عَنْهُ ظَفَرَتْ عُلَا
 بِالْفَخْرِ قَدْ مَلَأَ الْأَقْطَارَ شَائِعُهُ
 ضَاعَتْ لِمَوْلَدِهِ الْآفَاقُ وَاتَّضَحَتْ
 سُبُلُ الرِّشَادِ بِمَا جَلَّتْ نَوَاصِعُهُ
 25 وَأَصْبَحَتْ^(١) صُورُ الْأَصْنَامِ مِنْ وَجَلٍ
 وَالْكَلُّ نَاكِسٌ أَعْلَى الْهَامِ خَاضِعُهُ
 وَأَمْسَكَ النَّهْرُ خَوْفًا عِنْدَ ذَلِكَ إِذْ
 أَحْسَ بِالْجُودِ قَدْ فَاضَتْ يَنَابِعُهُ
 وَأَخَذَتْ نَارُ كَيْسَرٍ وَهِيَ مَا عَلِمُوا
 وَقَوْدُهَا قَبْلَ وَارْتَجَّتْ مِصَانِعُهُ
 وَكَمْ دَلِيلَ لَهُ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ
 وَبَعْدَهُ صَدَعَ الظُّلُمَاءِ سَاطِعُهُ
 كَأَيِّ الْغَارِ لَمَّا قَامَ نَاسِجُهُ
 مِنْ دُونِهِ وَأَوَى لِلْوَكْرِ سَاجِعُهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ .

30 وأَعْلَمْتُهُ ذِرَاعُ الشَّاةِ مُشْفَقَةٌ
بِسْمِهَا لَيْتَهُ (يَفْتَضُ) (١) نَاقَعُهُ
وَالضُّبُّ وَالذُّئْبُ تَصْدِيقًا لَهُ نَطَقًا
وَالطِّفْلُ أَفْصَحُ لَمْ تَفْطَمْ مَرَاضِعُهُ
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ هَذِي (٢) رُدَّةً غَارِبُهَا
بَعْدَ الْأَفُولِ ، وَهَذَا شَقٌّ طَالِعُهُ
وَالْمَاءُ فَاضٌ مَعِينًا مِنْ أَصَابِعِهِ
وَهَلْ يُجُورُ النَّدَى إِلَّا أَصَابِعُهُ ؟
وَعَادَ فِي الرَّوْعِ جَدَلُ (٣) النَّخْلِ مِنْ يَدِهِ
بِاللِّسِّ أبيض لا تَنْشَبُو مَقَاطِعَهُ
35 وَالْفُصْنُ لَمَّا دَعَاهُ جَاءَ مُؤْتَمِرًا
يَخْطُ فِي الْأَرْضِ لَا شَيْءَ يُبَايِعُهُ

[٨٩ / أ]

وَالجِدْعُ أَسْمَعُ تَرْدِيدَ الْحَنِينِ لَهُ
لَوْ لَمْ يُفَارِقْهُ لَمْ يَسْمَعُهُ سَامِعُهُ
آيَاتُ صِدْقِي جَلَّتْ عَلَيَاءَ مُنْتَخَبِ
لَمْ يُطْلِعِ الْكَوْنُ مِنْ خَلْقِي يُضَارِعُهُ
مُؤَيَّدِ بِجَنُودِ اللَّهِ يَكْنِفُهُ
هَادِي إِلَى الْحَقِّ مَهْدِي مُتَابِعُهُ

(١) هذا أقرب ما يقرأ في النسختين .

(٢) فيها « هادي » ورجح ما أثبت ، وانظر الشطر الثاني .

(٣) فيها جدل ، وتحتمل قراءة جدل (بالذال) وجل (بالزاي) .

غَصَصَ بِمَزَايَا الْقُرْبِ طُولُوعٍ مِنْ
 مَعَارِفِ الْقَيْبِ بِالْمَحْتَمُومِ طَابِعُهُ
 40 وَأُوتِيَ الْكَلِمَ الْوَضَاحَ حِكْمَتُهُ
 وَلَا مَرَى قَبْلُ لَمْ تُجْمَعِ جَوَامِيعُهُ
 مَا وَصَفُ قَضِيلِكَ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَرَفًا
 يُمْكِنُ فَيُطِيلُ الْقَوْلَ وَاضِعُهُ
 وَكَيْفَ يُدْرِكُ أَوْصَافًا وَقَدْ فَتَرَعَتْ
 مَرْقَى الْعُقُولِ وَإِنْ جَلَّتْ فَوَارِعُهُ ؟
 يَا صُفْوَةَ اللَّهِ وَالِدَاعِي بِرَحْمَتِهِ
 إِلَى النَّجَاةِ بِمَا سُدَّتْ شَرَائِعُهُ
 دُعَاءُ مُحْتَقِبٍ ذَنْبًا أَضْيَقَ بِهِ
 ذَرَعًا فَأَمَّا حِمَاكَ الرَّحْبِ مَانِعُهُ
 45 لَوْلَا تَمَسُّكُهُ قَدَمًا بِحَبْلِكَ مَا
 إِنْ كَادَ يَطْمَعُ فِي الْغُفْرَانِ طَامِعُهُ
 حُبُّ إِلَيْكَ - رَسُولَ اللَّهِ - أَخْلَصَهُ
 قَلْبُ تَقْلِبُهُ شَوْقًا نَوَازِعُهُ
 كُنْ شَافِعًا لِي أَسْعِدْهُ بِالْمَقَازِ غَدَاً
 فَمَا السَّعِيدُ سِوَى مَنْ أَنْتَ شَافِعُهُ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ يَا أَعْلَى الْأَنَامِ عُلَا
 يَا خَيْرَ مُنْتَجِعٍ تُرْجَى نَوَاجِيعُهُ
 أَعْلَلُ النَّفْسَ تَهْلِيلًا بِقُرْبِكَ لَ
 ... كُنْتِي أَرَى الْقُرْبَ قَدْ سُدَّتْ ذَرَائِعُهُ !

50 ولي على الدهر دَيْنٌ لَشَمٌ تُرْبِكَ ل ...

... يَكُنُ التَّقَاضِي تَلْوِيهِ مَوَانِيْعُهُ

ما كُنْتُ آمَلُهُ لولا الخليفة لا

زالتْ تَوْمَلُهُ لِلْحُسْنَى صَنَائِعُهُ

إمامٌ عَدْلٍ وإحسانٍ سَمَتْ شَرْفُهُ

فروعُهُ وَزَكَّتْ طِيْباً مَنَابِيْعُهُ

من عُصْبِيَّةٍ أَثْلَوْا المَجْدَ التَّلِيدَ عَلَا

وَدَوَّخُوا الكُفْرَ فَاسْتَخَزَتْ بَوَاقِعُهُ (١)

يَا آلَ يَعْقُوبَ أَعْلَى اللهُ مُلْكُكُمْ

فَهُوَ الْمَلَاذُ الَّذِي تُرْجَى مَفَارِجُهُ

55 مَا آلُ يَعْقُوبَ إِلَّا مُرْتَقَى شَرَفٍ

سَامَى النُّجُومَ ففَاتَ النُّجُومَ فَارِعُهُ

بَنَى لَهُ المَجْدَ عَبْدٌ الْحَقِّ مُعْتَلِيَا

وَجَاءَ يَعْقُوبُ لِلْفَتَايَا تَابِعُهُ

[٨٩ / ب]

وَيُوسُفُ ثُمَّ عُثْمَانُ وَتَجَلَّسَا

عَلَى مُعْلَى مَنَارِ المَجْدِ رَافِعُهُ

وَفَارِسُ البَّاسِ وَالْإِنْعَامِ مَنْ عَلِمَتْ

بِهِ المُلُوكُ ، مَذَلُّ الشُّرَكَ قَامِعُهُ

(١) الباقعة : الرجل الداهية ، والذكي العارف .

مؤيدُ الأمرِ لم تُعْجَمْ صَوَاهِلُهُ

يومَ النِّزَالِ ولم تَكْهَمْ قَوَاطِعُهُ (١)

60 لَيْثُ الْحُرُوبِ إِذَا مَا جَتِ كَتَائِبُهَا

غَيْثُ الْجُدُوبِ وَقَدْ رَاعَتْ طَلَائِعُهُ

سَلَّ كُلُّ قَطْرٍ بِنَا وَفَى نَدَاهُ بِهِ

إِذَا أَخْلَفَ الْقَطَرُ وَاغْبَرَتْ مَوَاقِعُهُ

وَالْبَدْوَ وَالْحَضَرَ كَمْ أَحْيَيْتَ مَوَاهِبُهُ

وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ كَمْ أَرَدْتَ وَقَائِعُهُ

غَمَرُ النِّوَالِ عَطُوفٌ مُحْسِنٌ جُبِّلَتْ

عَلَى الْمَسْكَارِمِ وَالرَّحْمَى طِبَائِعُهُ

مَا زَادَهُ اللَّهُ مِنْ عِزٍّ لِعِزَّتِهِ

إِلَّا وَزَادَ لَهُ فِيهِ تَوَاضَعُهُ

65 أَبَا عَيْنَانَ لَكَ الْخَيْرَاتُ مِنْ مَلِكٍ

عَاصِيهِ قَدْ خَابَ لَنَا فَازَ طَائِعُهُ

أَعْلَسَيْتَ دَيْنَ الْهُدَى لَازِلَ مُعْتَلِيَا

فَعَزَّ أَهْلُوه (٢) وَاسْتَغْذَى مُهَاصِعُهُ (٣)

وَمُجْتَمَدٍ أَنْتَ مُعْجِبِيهِ (٤) وَجَابِرُهُ

وَمُعْتَدٍ أَنْتَ مُقْصِيهِ وَرَادِعُهُ

(١) سيف كهام : كليل .

(٢) في « م » أهله ، والمثبت من « ط » .

(٣) ماصعوا : قاتلوا وجالدوا .

(٤) عبا المتاع : هيداه ، والجيش : جهزه .

وجنح ليل تجلّى عنك فاحيمه
وأنت قائمه برآ وراكعه
وموسم جلّ قدراً باعتناك به
راقنت لياليه وازدانت سوابغه
70 يذكر الخلد ، نال الخلد منزلة
مقيمه يبتغي الزلفى ، ورافعه
تمت بيسعدك فيه كلّ معجبة
وانقاد كلّ بديع الحسّن رائعه
وآلة للمواقيت استقلّ بها
صنع نفوت النهى لطفاً صنائعه
أبائها عدّ أبراج السماء ولا
قُطب ولا فلّك تُدرى مواضعه !
يجري الهلال عليها جريها أبداً
على المنازل صنع فاق بارعه
75 وفي البيوت جوار كلّ واحدة
منهنّ خصّت بميمات تطالعه
حتى إذا جدّ إسراعاً لوجهه
وحسّ منه فراق حان واقعه
وأذن الطير من أعلى مراقبه
ببينه معرباً عن ذاك قارعه

[٩٠ / أ]

ثارت هنالك قوديعاً له ودنت
إلى الفناء على دعر تشايعه

وفي اليمين كِتَابٌ باسم موقتها
إلى الإمام وقد أومت تبأيسه
80 وشامخ المرتقى آوى لأفرخه
بالوكر وهو أمين السرب وادعه
أُتِيجَ عمداً له مستشنعٌ سبِيطٌ
رحب القذالِ صقيل الطرف لاميعة
أحوى الأديم يُجاري دونما قدم
هوج الرياح، حديد الثاب قاطيعه
جمّ التقلب لم تؤمن غوائله
غدرًا، وتُحذر من ختل خدائعه
يسعى له الحين بعد الحين يرزؤه
تُكَلِّفُ يَصْفَرُ خَوْفاً أو يُقَارِعُهُ
85 كذلك الليل لا ينفك مُتخلفاً
إليه وهو عن الأفراح دافعه
ومثله لأخيه يَنْتَحِيهِ وَمَا
إِنْ مِنْهُمَا لَيْلٌ إِلَّا مُقَارِعُهُ
كأنها الصلّ أمسى مُمَسِيكًا فإذا
ما ساعةٌ ذهبتْ ثارت مطالعه
وظنّها آخرَ الساعات قد أذنت
بِفطره فسما للفرخ لاميعة

رياضُ حُسنٍ بَدَا لولا سُمُودك لم
تُسْتَجَلْ يا مالِكَ الدُّنيا بدائِعُهُ
90 في ليلَةٍ آنستُ مَرَأَى ومُسْتَمَعًا
لا شتٍ من شملها بالأنس جامِعُهُ
نودَ فيها - وإن لَمْ نَمُطَ ذلكَ - أن
لو عرَّسَ اللِّيلُ أو مُدَّتْ هوازِهُ (١)
قد حَجَّبَ السَّجْفَ عَنَّا مُشَبِّهًا وِبدتُ
كواكبُ الشَّمْعِ إذ صُفَّتْ مشامِعُهُ
ولم يكنْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
إلا مُحَيِّثًاكَ من بَدْرِ نَطَالِيعُهُ
بَقِيتَ لِلدِّينِ والدُّنْيَا تَنزِيلُنْهَا
وَالْمَلِكِ ما صَدَعَ الإِظْلَامَ صَادِعُهُ
95 وهاكِهًا من خَبَايا الدَّهْرِ قَافِيَةً
تَزْهِي على الدَّرْ قد (٢) صُفَّتْ رِصَائِعُهُ
أَهْدَاكُهَا فَائِقُ الإِبْدَاعِ بِاسْمِكَ ما
رَقَّتْ مَبَادِيهِ أو رَقَّتْ مَقَاطِعُهُ
وقد تَعَمَّدَ فِيهَا وَصْفَ مُعْجَبَةٍ
أَجَادَ فِي صُنْعِهَا لا شَكَّ صَانِعُهُ
لَمْ يَنْعَتِ الْبَعْضَ مِنْهَا عن مُشَاهَدَةٍ
لكنْ بِهَا هو في الْأَخْبَارِ سَامِعُهُ

(١) المزيج من الليل : الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربه .

(٢) « قد » ساقطة من « م » .

[٩٠ / ب]

فإن أصابَ فذاك اليُمنُ سدّدهُ

قيدماً وإن لم يُصب فالحليمُ واسيعهُ

100 يُتلى بحمدك من أمداحيه كلمُ

يَبلى الزّمانُ ولا تبلى وشائعهُ

لو مرَّ بابن تخيس وفده لدري

بأنَّ ثمَّ تخيساً لا يُهاصيهُ

قضى له الدهر تأخيراً ولا عجبُ

تأخّرُ الشمسُ عن فجرِ تَتابعهُ !

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدحه ، ويصف قتل الأسد بين يديه

بقصره ، والثور المقاتل للأسد ، والأكرة (١) ، والمقاتل ، وغير ذلك

بما يلعب به مع الأسد :

أسرى فهبيحَ لاعيحَ البرحاءِ

برقُ أضاءَ له مِنَ الجرّعاءِ

أهدى - وقد نامَ الحليُّ عن الحمى -

خبراً وطارَ بطارقِ الإغفاءِ

وحكى به أنَّ الثغورَ بواسيمُ

وضّاحةٌ والبيضُ ذاتُ مضامِ

هرقَ الوميض وإنَّ في كنفِ الحمى

لشبيمةٌ بالجَوْدَةِ الغراءِ

(١) « الأكرة » ساقطة من « ط » .

- 5 تَجَلُّوْا عَنْ الْبَدْرِ اللَّثَامَ وَإِنَّمَا
تَفَتَّرُ عَنْ بَدْرِ وَعَنْ صَهْبَاءِ
عَبَثَ الصَّبَا بِقَوَامِهَا عَبَثَ الصَّبَا
بِالْغُصْنِ [عُلَّ] (١) بَوَاكِرَ الْأَنْدَادِ
زَارَتْ وَجُنُحَ اللَّيْلِ مُعْتِكِرٌ وَمِنْ
دُونِ الزِّيَارَةِ مُلْتَقَى الْأَعْدَاءِ
وَالزُّهْرِ كَالْأَزْهَارِ إِلَّا أَنَّهَا
نَشِرَتْ خِلَالَ بَنَفْسِجِ الظُّلَمَاءِ !
وَالْبَدْرِ يَسْبَحُ فِي الْغَمَامِ كَأَنَّهُ
مِرَاةٌ هِنْدٍ وَسَطَ لَحْظَةِ مَاءِ
10 ضَاءَتْ بِشَهْبٍ حَلِيٍّ شَبَّ الدُّجَا
وَأَتَتْكَ تَمْشِي مَشْيَةَ الْخَيْلِ
أَنْتَى أَمَنْتَ - هَدَيْتَ - غَائِلَةَ السُّرَى
وَالْوَاشِيَيْنِ : تَأَرْجِ وَضِيَاءِ
لَمْ تَرْهَبِ الْأَسَادَ غُلْبًا ، وَالظُّبَا
قُضِبًا ، وَجُبْتَ مَضْلَّةَ الْبَيْتِ
قَالَتْ : أَمَا أَحْيَيْتُ مِنْكَ مُسَيِّمًا ؟
أَنْتَى أَضِلُّ ، وَدَيْتُ بِالْإِحْيَاءِ ؟
أَيُّرَى ضَلَالٌ وَالْخَلِيفَةُ فَارِسٌ
فِي الْأَرْضِ أَنْ يُلْفَى عَلَى الْغَبْرَاءِ ؟

(١) في الأصلين « على » ونرجح ما أثبت .

15 يَمُتْ عَلَيْهِ فَمَا مِنْ مُنْذِرٍ
أَخْشَى وَلَمَّا أُرْجَ مَاءَ سَمَاءِ

[٩١ / أ]

صَرَافُ عَادِيَةٍ ، مُزْرِجُ ضَلَالَةٍ
فَرَّاجُ دَاهِيَةٍ ، عَظِيمُ غَنَاءِ
تَجَلَّوُ الْأَسِيرَةُ مِنْهُ بِدَرٍّ مَكَارِمِ
وَيُفِيضُ مِنْهُ الْجُودُ بِحُجْرَ عَطَاءِ
وَتَهْمِجُ مِنْهُ الْحَرْبُ لَيْثَ مَلَا حِمِ
وَيُفَرِّقُ مِنْهُ الْحِلْمُ طُودَ عِلَامِ
هَلَا سَأَلَتْ بِهِ الْغُيُوثُ فَإِنَّهُ
مَهْمَا اسْتَهْلَتْ فَاضِحُ الْأَنْوَاءِ

20 وَسَلِ اللَّيْثُوتَ تُجَبِّبُكَ صِدْقًا ؛ إِنَّهَا
أَدْرَى بِفَتَكَةِ عَضْبِهِ الْمَضَاءِ !
لِلَّهِ يَوْمٌ فِي حِمَاهُ مُفَضِّضٌ إل ...
... إِصْبَاحُ مِنْهُ ، مَذْهَبُ الْإِمْسَامِ

رَتَعَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ بَيْنَ عَجَائِبِ
رَقَّتْ فَرَاقَتْ كُلَّ طَرَفٍ رَاءِ
وَأَجَشَّ مُشْهَرَّتِ اللَّيْثُ نَهْدَ الطَّلَا
عَبَّلَ الْجَزَالَةَ حَكَمَ الْأَنْسَاءِ
طَاوِي الْحَشَا ، رَحْبِ الْمَقْدَمِ ، عَابِسِ
مُتَطَلِّعٍ عَنْ جُنْدَوَاتِي ظَلَمَاءِ

25 بَلِّ كُوكِبِينَ تَقَارَنَا بِجَبِينِهِ
لِحِدُوثِ مَا نَبَأَ مِنَ الْأَنْبَاءِ !

وأرى الأهلّة في البُذور وإنّا
يَعْتَدُّهَا لِلأزْمَةِ الدَّهْماءِ
يَفْتَرُّ لَا لِيَتَبَسَّمْ يَعْتَادُهُ
وَيُعَانِقُ الْأَقْرَانَ لَا لِإِخَاءِ
قد طالما سَهَرَتْ خَافَةَ بِأَسِيرِ
دُونِ الْحَلَالِ طَلَانِعُ الْأَحْيَاءِ
قَذَفَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ بَيْنَ مُخَاوِلِ
وَمُكَابِدِ وَمُنَاجِزِ وَمُنَاءِ
30 رَفَعُوا لِمَوْقَتٍ حَتَفَ كُرَةً فَلَمْ
تُبْزَ لَهُ إِلَّا طَوِيلَ شَقَاءِ !
جَاؤُوا بِهَا شَمْسًا تَيْمَمُ بَيْتَهَا
مَنْهُ ، وَإِنَّ اللَّيْثَ (١) بَيْتِ ذَكَاءِ
عَجَبًا لَهَا جَازَتْهُ إِلَيْهِ النُّورُ لَمْ
تَجْنَحْ إِلَى السُّرْطَانِ وَالْجُوزَاءِ !
وَمُعَدِّلُوا الشُّبُكَاتِ بَعْدَ تَرْدُدِ
حَكَمُوا عَلَيْهِ بِشَدَّةٍ وَرَخَاءِ
أَلْقَوْهُ فِي التَّابُوتِ ثُمَّ تَعَمَّدُوا
إِرْسَالَهُ ؛ أَبْقَوْهُ لَا لِبَقَاءِ !
35 لَكِنْ أَرْبَابَ الصَّفَائِحِ كَسَمُّوا
فَقَضَوْا بِيَدَاهِ لَهْ دَهْيَاءِ
هَذَا وَقَدْ طَلَعَتْ بُوْشَكُ حَمَامِهِ
شُهْبُ الْأَسِنَّةِ ، جَمَّةُ الْأَضْوَاءِ

(١) في « م » الليث . والمنبت من « ط » .

[٩١ / ب]

يا نصبةً حكمتُ على ليث الشرى
 قَسَرَأَ بِقَضِّ المتنِ والأحشاءِ
 لو لَاحَظْتُهُ عنايةً القمر الذي
 في البرج (١) أَمِنَ طارقَ الأرزاءِ
 ... (٢) لَمَّا قَضَى إسلامه
 للشمر والخِطَاطِيَّةِ السَّعْراءِ
 40 والحارث الفتاك بالأسدِ الذي
 لم يُبْقِ إِشْفَاقاً على الآباءِ
 طلعتُ بفرقه الأهلَّةِ إنَّها
 أَبَدَأَ لَهَا مِنْهُ مَعْلٌ ثَوَاءِ
 ياليتُ [لا تَأْمَنُ] (٣) خَتَلَا إِنَّهُ
 لِيَكْرَهُ بَعْدَ تَحْيَيزِ وَثْنَاءِ
 لا يُطْمَعِ نَتِكَ إِنْ أَجَدَّ مُنْكَبَأَ
 لَمَّا دَلَفَتْ لَهُ حَنِيثَ عِدَاءِ
 ما ذاكَ إِلا لو عَلِمْتَ تَأْتِئُما
 من قَطْعِ أَرْحَامِ وَسَفْكِ دِمَاءِ !
 45 وَسَلِ الْجَوَامِيسَ الْبَهِيمَ أُدِيمُهَا
 تُخْجِرُكَ فَهِيَ لَهُ مِنْ الشُّهْدَاءِ !

(١) في الأصلين البروج ، و نرجح ما أثبت ، للوزن .

(٢) في « م » والحار قضي . وفي « ط » فالحار قضي . وأظن الناسخ الاول أخطأ

بنقله عين فكتب جزءاً من كلمة الحارث في البيت التالي ، وتابع ، فاضطرب الشطر .

(٣) فيها : لاتمه ، و نرجح ما أثبت .

فلقد شهدنا أخاك لما أمه
كالسهم قاسمه مدى المثناء
أنهى عليه بصدمته ثورية
تركت أسامة واهي الأنحاء
وبطمعة نجلاء أنهز فتقها
تحت الأديم عريضة جوفاء
شكت فريصته [فولتى] (١) ناجياً
يبيغي التجارة ولا حين نسجاء !
50 ثم استكان يردد الزفرات عن
وهن وتلك شكاية الضعفاء
حق أتمته العين عائدة وما
إن كن قبل له من السجراء (٢)
رحمته - وهي عداته - ولحادث
متفارق ما رحمة الأعداء !
فاحذر مصرع تربك الماضي ولن
يشني الحذار مقدراً بقتضاء
يا ليت سامتك (٣) الهوان بنو الوغى
فاصبر لما سامت بنو الهيجاء

(١) لم يترك الناسخ فيها فراغاً . وما بين معقوفتين مقترح .

(٢) السجاء جمع السجير : الخليل والصفي . (٣) فيها : شامتك ونرجح ما أثبت .

55 تلك الأسنّة والقنا أتحالها
أزهار قُضِب السّرحة الغيناء (١)
والبيض لامة وما هي - فاتتد -
يجداول العريس (٢) ذي الأفياء
ومصارع الأسد ليست هذه
بمصارع الإدلاج والإسراء !

[٩٢ / أ]

دار الخلافة يمتّ ساحاتها
صيد الملوك خيفة ورجاء
راقت مراقي برجمها بخليفة
لم يعند هدي أئمة الخلفاء
60 متهلّ غمر النوال مظاهره
في بردتين : جلالة وبهاء
ترتاده الدنيا فيرجع أهلها
من غير سوء باليد البيضاء !
رحب المجال مناضلاً ومناظيراً
ثبت اللقائم مسدّد الإلقاء
حمل الوري رُشداً وقد ضلّوا على
نَهَج الهُدَى ومحجّة السّمحاء
لا تشكر الإرشاد منه إنّه
لأبو المعالي ، جبهذ العلماء

(١) الغيناء : الخضراء من الشجر .

(٢) العريس : مأوى الأسد .

- 65 يا فارسَ الهَيْجاءِ دُمْتَ لحكمةٍ
ومكارمٍ وبسالةٍ وسخاءِ
دوختَ أرضَ الرُّومِ منتقيماً على
تشطيرِ المزارِ ومنعةِ الأرجاءِ
وبعثتَها غربانَ رَجْرٍ لم تنطُرْ
لهمُ بغيرِ كَرِيهةٍ شنعاءِ !
لما بدتْ وبَنُو الوَغَى من فوقها
والسُّمرِ نازعةٌ إلى الهَيْجاءِ
قالوا الرُّبَا والأسدُ في آجامِها
تختاضُ عرضَ اللَّسجةِ الخَضراءِ
70 جاسُوا خلالَ ديارِهِمْ فكأنَّها
لم تَعْنِ بعدَ مَزهَرٍ وغِناءِ
ونواقسٍ تَهْدِي الضُّلالَ سَمِيعَةً
وكنائسٍ وجآذِرٍ وظِياءِ !
أما بلادُ المَشرقِ نالتْ رُشدَها
بِوَسيلَتينِ : إنايةٍ ووَفاءِ
أَلَقْتُ بِمَقْلَدِها إِلَيْكَ ولم تَنْزِلْ
من قَبْلِ ذاتِ تَنْعِ وإِباءِ
والعربُ تَجْهَدُ في رِضاكَ وإِثْمًا
أَخَذُوا بِحُظِّهِمْ مِنْ العَمَلِاءِ
75 أَنْتَ الكَرَامُ ، وَعَصْرُ مُلْكِكَ دَهْرُهُمْ
والأَرْضُ - أَجْمَعُ - حَضْرَةٌ (١) البَيْضَاءِ !

(١) البِيضاءُ حَضْرَةُ المَلِكِ المَرِينِيِّ مِنْ فاس .

ولك الخطاب الفصل والفضل الذي
لم يختلف فيه ذؤو الآراء
ولك القضاء العدل سده^(١) الذي
ولاك إذ أولاك كلّ علام
لا زلت تكلأ أمة جبارها
يكلؤك في السراء والضراء^(٢)

[٩٢/ب]

وبقيت للإسلام ما جرّ الدجا
للملاء الإصباح فضل رداء
80 واهناً بعيد النحر حلقى جيدة
سلكا فتوح واقتبال سناء
وإليكم عذراء تزهى نخوة
بيحلى محاسنها على العذراء
أسدية لم تدّر ما يمين ولم
تنسب مجاورة إلى الأذواء !
أحكمتها صنعاً فقال رواتها :
عجباً أهذا الوثنى من صنعاء ؟ !
طالت وأحشمها القصور فأقبلت
من خجلة تمشي على استحياء
85 إن لم أقلدها علاك فرأندأ
كالشهب بعد سنا وحسن رواء

(١) فيها : سده ، والمثبت مقترح . (٢) حركة همزة يكلؤك مختلفة .

وأَجِيلٌ فِي مَيْدَانِ شُكْرِكَ عُرْبَهَا
غُرّاً فَلَسْتُ بِشَاكِرِ الذَّمِّاءِ
فَضَحَّتْ يَمِينُكَ كُتْلَ جُودٍ وَابِلٍ
وَتَنَائِي عَرَفَ الرَّوْضَةَ الْغَنَاءِ

وعلى هذه القصيدة حكاية : وهي أن صاحبنا أبا العباس لما رفعها لأمر المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان ، وافق المجلس أن الشريف أبا عبد الله محمد بن القاسم الحسيني العراقي رفع للمتوكل أبي عنان قصيدة مثلها في الوزن والقافية . فلما قرئت قال شيخ بني مرين وهو الحاج أبو مهدي عيسى بن الحسن بن علي بن يحيى بن منديل بن أبي الطلاق العسكري لأبي عنان المتوكل : يا أمير المؤمنين ! إن قصيدة الشريف أحسن من قصيدة ذلك الحضري ! يعني صاحبنا أبا العباس بن عبد المنان . فقال له أبو عنان المتوكل على الله : « ليس الأمر على ما ذكرت ، اسكت ، فإنك غير عارف بالشعر ! إن قصيدة أحمد أهدع من قصيدة الشريف ! » وصاحبنا أبو العباس لهذا قائم بين يدي أبي عنان المتوكل يسمع ما قال السلطان ، وما قال الشيخ أبو مهدي ، فحقدما للشيخ أبي مهدي . فلما قام الشيخ أبو مهدي يجبل [٩٣ / أ] الفتح من الأندلس على أبي عنان (١) ، وقبض عليه ، وسبق للمتوكل

(١) كان انتفاض أبي مهدي عيسى بن الحسين بن أبي الطلاق على أبي عنان المريني سنة ست وخمسين وسبع مئة . ووصفه السلاوي بأنه كان وزير أبي عنان وصاحب شوره ، وأنه من شيوخ بني مرين ووجوهها . وكان انتفاضه يجبل طارق (وهو جبل الفتح المذكور ، سماه بذلك الموحدون بعد إزالتهم الماريطين ودخولهم الأندلس) . قال : وهو انتقض على السلطان لأسباب يطول شرحها . وقد انتهى أمر الناصر إلى سجن أبي عنان ثم قتله مع ابنه ، ولم يقبل منه عذراً . (الاستقصا ٣ : ٢٠٠) .

أبي عنان سرّ صاحبنا أبو العباس بذلك ، ونظم قصيدة ورفعها
لأبي عنان يحرضه بها على قتله ؛ فقتله بالرمح وأنا حاضر لقتله .

والقصيدة هي هذه :

مُعِيَاكَ أَهْيَ لَا الْهَلَالُ وَلَا الْبَدْرُ
وَرِيْقُكَ أَشْهَى لَا الزَّهْلَالُ وَلَا الْخَمْرُ

وَلِحَظُّكَ أَزْكَى لَا الْبَوَاتِرُ تُنْتَضَى
وَعَرَفُّكَ أَذْكَى لَا الْأَزَاهِرُ تَقْتَرُ

أَيَا مَالِكَ الْقَلْبِ السَّذِي جَارَ فِي الْهَوَى
عَلَيْهِ ، تَرَفَّقْ ، رَبِّمَا وَهَنَ الصَّبْرُ

وَيَا بَاخِلًا حَتَّى بِيْطِيفِ خِيَالِهِ
نَشَدْتُكَ : هَلْ فِي الطَّيْفِ تَبْعُهُ وَزُرُّ ؟!

5 أَعْنَدَكَ أَنْتَ مِنْذُ أَخْمَرْتَ هَجْرَةَ

هَجَرْتُ الْكُرَى سَهْدًا سِوَى سَنَةِ تَعْرُو؟

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي السَّقَمُ إِلَّا صَبَابَةً

تَرَدَّدَ فِي أَثْنَائِهَا أَنَّهُ نَزَرُ

وَهَلْ لِي إِذَا لَمْ أَفْنِ فِيكَ صَبَابَةً

بِحَكْمِ الْهَوَى الْعَذْرَى عِنْدَ الْهَوَى عَذْرُ

الْفَتْ الْهَوَى حَتَّى اسْتَهْنَتْ صَبَابَةً

وَحَتَّى تَسَاوَى عِنْدِي (١) الْحَلْوُ وَالْمَرُّ !

(١) في نسخة « ط » عند .

وقال وشاة الحب سحره أصابه
فهل علموا من لحظ^(١) من ذلك السحر؟

10 لك الخير هذا نعت حالي جملة
وشمرحاً فهل للعطف من بعده ذكر؟

بنفسي نشوان المعاطيف عاطف
كغصين النقا ، كالظبي خامره دعر

تجول صدور السمر دون لقائه
ويسحب من أذياله العسكر المسجر^(٢)

هو الظبي إلا أن دوحته القنا
هو البدر إلا أن مطلعته الخدر

له الود مني والخلوص وعنده
تجن كما تهوى الملاحه ، أو هجر

15 ألا إن إنعام الخليفة فارس
لنا الصفو من فياضه وله الشكر

ملك ملوك الأرض أوحدها الذي
به علت العلماؤ وافتخر الفخر !

غمام الندى الهطال والجو أغبر
وليث العدا والبيض قانية حمر

إذا ما ترامى البدر يوماً ووجهه
تجبرت الأبصار أيتها البدر !

(١) في نسخة « ط » من تحظ .

(٢) المجر : الجيش العظيم .

[٩٣ / ب]

تأخر عَصراً في الملوك وإنه

إذا عبء أملاك الزمان هو الصدر

20 إمام الهدى شكراً على النعم التي

يضيّق إذا عدّتها العبد والحصر

لك الجسود تُردّي المارقين جنوده

بأقطارهم من قبل أن تمرح الشقير (١)

وغاوي رمى في هوة الملك قاذفاً

يدّ البغي ، والرأي المضلل ، والقدر

أغارَ على الدين الخفيف يهدّ من

قواعده ما شادّه القادة الغرّ

ملوك الهدى والقائمين بنصره

قديماً وسلّ فالبرّ ينسبّ والبحرّ

25 ورامّ مراماً دونه النجم سارياً

ولم يدرِ جهلاً أنه المُرْتَقى الوعرّ

وهيهات يا بى الله ذلك والعلا

ودين الهدى والملوك والبيض والسعرّ

جنى ثمر (٢) الإيمان بالبغي واعتدى

يؤمّل جهلاً أن يؤتيده الكفر !

(١) في نسخة « ط » ترح الشعر .

(٢) في الأصلين : ثمة . ورجح ما أثبت ، للوزن .

فيا عجباً بعد السعادة نالته
شقاءً وبعد الربيع حُمّ له خسر
سعى راشداً شطراً [من الدهر] ^(١) وافرأ
فلما تنهى السعي واكمل العمر

30 عصى الله في الشطر الأقل ، سفاقة
ألا إنه ذاك الذراع أو الشبر !

ورام غنى بالصفر ^(٢) أو سدّ خلة
وهيات يغني فقر ذي الخلة الصفر !
وأمل في أعدادهم كتم نفسه
وإضمارها منعاً فأخرجها الجبر !
لملك - عيسى - رمت باسمك بيرهم
وماكل عيسى حظته منهم البير !
دعوتهم للغدر لما اتخذته
سبيلاً فقالوا : بدعة أمرها إمر ^(٣)

35 فكان النصرارى منك أوفى ^(٤) بذمة
وأكرم عهداً إن ذا هو الوزر !

(١) ورد البيت ناقصاً ، وما بين معقوفتين مقترح . وسقط البيت من « ط » بنقله عين إذ ذكر ثلاث كلمات من البيت ٢٩ ، ثم ذكر تنمة البيت ٣٠ .

(٢) يريد أنه تقوى بالنصارى الإسبان فلم ينفعوه . وعبر عنهم بالصفر كناية . وكان شاع هذا الاستعمال في المشرق من قبل ، ولم يكن في الأندلس ولاغزاتها صفر على الحقيقة . وفي «الصفر» التالية ثورية لطيفة .

(٣) أمر إمر : منكر عجب .

(٤) في نسخة « ط » أوفى منك .

لئن رُمّت دُنْيَا أَنْتَ قَارُونَهَا الَّذِي
لَهُ الْحُرْثُ وَالْأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ وَالتَّبَرُ

وإن كنتَ لِلْأُخْرَى جَنَحْتَ وَلَمْ يَكُنْ
أَعِيدُ نَظْرًا إِنْ شِئْتَ ، مَا هَكَذَا الْأَمْرُ

أَوَيْتَ إِلَى تِلْكَ الرُّبَا غَيْرَ صَالِحٍ
فَأَدْرَكَكَ الطُّوفَانُ وَهُوَ الظُّبَا الْبُتْرُ

وَجُرْدٌ كَأَمْثَالِ الرُّوَابِي سَوَانِحُ
وَعُثْبٌ كَأَسَدٍ الْغَابِ يَقْدِمُهَا النَّصْرُ

[٩٤ / أ]

40 وسعدٌ إمامٌ يَخْدُمُ السَّدَّهْرُ سَعْدَهُ
وَتَجْرِي بِمَا يُؤْمِي بِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ

أَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّنْدِي اهْتَدَى
بِنُورِ هُدَاهِ الْبَاهِرِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ

أَطَعْتَ مَلِيكَ الْأَرْضِ رَبُّكَ فَاعْتَدَى
يُطِيعُكَ فِيمَا رُمْتَ مِنْ أَمْرِكَ الدَّهْرُ

وَأَنْتَ الَّذِي جَدَّدْتَ بَعْدَ دُرُوسِهَا
مَكَارِمَ قِدَمًا كَانَتْ أَخْلَقَهَا الْعَصْرُ

مَنْنْتَ فَأَوْسَعْتَ الْبِلَادَ رَغَائِبًا
فَفِي كُلِّ حَيٍّ « حَاتِمٌ » الْجُودِ أَوْ « عَمْرُو »

45 تَدَاعَتْ لَكَ الْأَمَالُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
لِيَغْنُمَ وَعِلْمُهُ ، ذَا جَزِيلٍ وَذَا غَمَرٍ

تصد عن الأملاك دونه رغبة (١)
ولانجم يُستهدي وقد طلمع الفجرُ
كأنّي بأقطار البلاد مُنْديها (٢)
ومن لم يذب قد قاده الطّوعُ والقسرُ
وأنس أَرْجاً تُونسٍ أمرُك الذي
هو العدلُ يُرضي مَنْ له الخلقُ والأمرُ
وجاشّتْ بِبطحها الجيوشُ وأصبحتْ
« تقولُ بنو العبّاسِ قد فُتحتْ مصرُ ! »

50 لنعمرى لقد زينت الخلافةَ فاغدتْ
يقصّرُ عن أوصافها النظمُ والنثرُ
ورافتْ بك الدنيا جِمالاً وبهجة
فإظلامها فرعٌ وإصباحها بشرُ
وأنجمها حليٌّ وتجوّى نسيمها
ثناءً بما تُولي وإيماضها ثغرُ
ودونكها عذراءٌ أجلّو عروسها
عليك ومرجوّ القبول له مهرُ
لها نسبٌ في السّحر تعربه النّهي
وإنّ قالتِ الأسماعُ : والدّها الشّعرُ
55 وهنّئت عيدَ النّحرِ والفتحِ إنّه
لكّ العيدُ منه ، والعيدا لهم النّحرُ
بقيتَ لدين الله رِداءً وعصمةً
فما غيرُ عليك - الزمان - له ذخّر !

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدحه ويصف قتل الأسد بين يديه .
 وكان السلطان مولعاً بقتل الأسود ، فسيق إليه يوماً أسدٌ فقتل بين
 يديه بقصره من دار الإمارة المدينة البيضاء ، والسلطان المتوكل جالسٌ
 بأعلى علوية بالقصر ينظر للأسد . وأنا إذ ذاك جالسٌ في ذلك
 [٩٤ / ب] الموضع أتنزه في قتل الأسد ، في جملة من حضر ذلك
 الموطن مع السلطان . ووصف فيها أيضاً أكرة الأسد وهي أكرة
 مستدارة من خشب معدة ، ويدخل فيها رجلٌ يجرُّها ويمشي بها ،
 فيرى الأسد الرجل فيهمّ به ويدور بها ويضرب الأكرة بيده فلا
 يكسرهما لشدتها . ووصف فيها أيضاً شبكة صيد الأسد في القلعة ،
 أنصبت في ذلك اليوم بالقصر ، واصطادوا بها الأسد بين يديه .
 ووصف فيها أيضاً الثور الذي كان من عادته قتل الأسود في ذلك
 الموطن . ووصف فيها أيضاً بعد فراغه من قتل الأسد الساعورة
 الكبيرة ، والنهر والروض المسمى بالمصاراة ، وهو بإزاء القصر .

وهي :

ألفَ الجوى مذ بان سكتان اللوى
 صبُّ يهيجُ غرامه نفسُ الصبّا
 وشجاءُ أن قيل الألى قد ودعوا
 شطّ المزار^(١) وعزّ الملتقى

(*) تحدث ابن الأحمر أيضاً في كتابه نثر الفرائد الجمان عن هذا الاحتفال ، وسرد القصيدة المذكورة هنا . وقال إن الشاعر أنشده هذه القصيدة . ومعلوم أن المؤلف صنف نثر الجمان (هذا الذي تحقّقه) قبل نثر الفرائد بزمان طويل . « نثر الفرائد : ٣٥٠ » .

(١) في « طها » .

حفظَ الإلهُ عهدَهُم وسَقَامُ
صوبَ العهدَ ولا سَقَى يومَ النوى
ماذا أفادُوا مُصْحِرِينَ بِسُحْرَةٍ
تَنظُّها وتَضْحِي عَيْسُهُمْ رَأَدَ الضَّحَى
5 ولَقَدْ كَفَّتْهُمْ وَاكِفَاتُ مَدَامِيعِي
لَمَّا ثَبَّوْا مِنْ أَضْلُعِي بِالْمُنْحَى
قَسَمًا لَمَّا رَاعُوا بَوْشَكَ نَوَامُ
روعي^(١) وقد عَبَثُوا بِشَكْوَى مَنْ شَكَا
إِلَّا وقد نَذَرُوا دَمَاءَ حُرْمَتِ
ظُلْمًا ، أَرَاكَ الظُّلْمَ مِنْهَا وَاللَّيْ
وَبِمُهْجَتِي مِنْهُمْ مُحْجَبَةٌ حَمَتِ
قَلْبِي السُّلُوءَ وَمُقْلَتِي طِيبَ الْكَرَى
حَسَانَةٌ تَجَلَّاءُ بَاهِرَةٌ السُّنْمَا
خُمْصَانَةٌ جِيدَاءُ عَاطِرَةٌ الشُّنْمَا
10 وَقَوَامُهَا كَالْغُصْنِ إِلَّا أَنْتَهُ
يَهْتَزُّ بَيْنَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَالنُّقَا
قَالَتْ وقد ودَّعْتُهَا مُتَجَمِّلًا^(٢)
إِيَّاهُ بِعَيْشِكَ عَنْ فَوَادِكَ^(٣) هَلْ سَلَا؟

(١) في نثر الفرائد : روعي .

(٢) تجمل : تكلف التجميل يريد أنه أظهر التجلد .

(٣) في نثر الفرائد « فوادي » .

فأجبتُها وأبيك لا أسلو ولا
حلّ الفؤاد هوى سيوى هذا الهوى
حقّ يرى فقرُ بساحة بِلدةٍ
وبها الخليفةُ فارسٌ مُغني الوارى !
[٩٥ / أ]

ملكٌ نمتُهُ إلى المسكارم عصبه
كرمتُ أواصرهم وعزّوا مُنتمى
15 ورثَ المعالي عن عليّ المجدي عن
عثمان عن يعقوب ، أعلام الهدى
متهلّلاً ضاهى الغمام مواهباً
ورغائباً فتونى (١) الغمام وماونى
قِطْعاً حبالَ رجاك بمنّ دونته
ملكاً « فكل الصيد في جوف القرا »
ألقى العصا بيجاه وأمتط سابقاً
(امدحه غراً) (٢) فنعم الممتطى
وأنت (٣) معارفه الجميلة إنشأها
بجرّ فترات لا تكتدره الدلا
20 والشمس من أنواره والفجر من
بتارهِ والطيود من ذاك الحجا

(١) الوى : التعب والفترة .

(٢) في نثير الفوائد : أمداحه غراً ، والمثبت كما في الأصلين .

(٣) في « ط » و « م » واي ، وفي نثير الفرائد وأبا . والمثبت مقترح .

والنجم في ظلمة الوغى من ربحه (١)
 ما ضلّ من أثنى عليه وما غوى
 غمر جواد يستضاء بهديه
 وافى كما تهوى المكارم والتقى
 متوكل ، بحر ، وليس يحفر
 أفضاله ، بل زاخير جمّ الشهى
 تتضاءل الأملاك دون مقامه
 والشهب تخفى إن بدت شمس الضحى !
 25 يُخشى ويرجى عابسا أو باسم
 وكذاك ذو البأس المصمم والتدى
 ياغيث أنت كجوده متبعسا
 لكن خصصت وعمّ أقطار الدنيا !
 يا بسدر أنت كوجهه متهللا
 لكن نسقت ودام مكتمل السنا !
 كم من جواد راجيا أولى الغنى
 عفوا ولا كأبي عنان مرتجى !
 ولكم يرى يوم الوغى من فارس
 وك « فارس » يوم الوغى ما إن يرى !
 30 ذلت لبطشته الأسود وإنها
 لتبدل لولا عزه (٢) بطشته الطلأ

(١) في الاصلين رمح والتصريب من نثير الفرائد .

(٢) كذا في النسختين ونثير الفرائد . واقترح في نثير الفرائد أن تكون « إذعانا لبطشته »

مشكلة للمعنى في الشطر الاول .

وضُبارمٍ رحبٍ اللِّسانِ تَقْلُشُهُ
صَهْبٌ مَتِينٌ خَلَقُهَا ، عِبْلُ الشَّوَا
يَفْتَرُ عَنْ نَابٍ كَأَطْرَافِ الْقِنَا
بِيضاً (١) وَيَنْضُو مِخْلَباً حَدَّ الشَّوَا
فَنَكْتُ بِهِ بِالْقَصْرِ سُمْرَ رَمَاحِهِ
بَأَكْفٍ أَسَدٍ دَوَّخَتْ أَسَدَ الشَّرَى
أَمْسَى صَرِيحاً وَالِدَ مَاءٍ سِلَافَةٍ
أَتُرَاهُ سُكْرَ أَمَالٍ مِنْ تِلْكَ الطَّلَا ؟

[٩٥ / ب]

35 وَثْنِي عَلَى زَأْرَاتِهِ كَشَّحْماً وَقَدْ
كَانَتْ يَرُدُّهَا فِرَادَى أَوْ ثْنَى
لَكِنْ السِّنَّةُ الْقَوَاضِي أَظْهَرَتْ
مَا أَضْمَرَتْ جَنْبَاهُ مِنْ سِرِّ الْحَشَا
وَلَقَدْ رَمَاهُ قَبْلَ مَصْرَعِهِ الرَّدَى
مِنْ مُعْضِلَاتِ (مُكَابِدِهِ) بِمَا رَمَى (٢)
وَمُخَاتَلٍ فِي جَوْفِ دَائِرَةٍ طَوْتُ
أَضْلَاعَهَا مِنْهُ عَلَى شَهْمٍ فَتَى
يَحْكِي بِهَا رَأَى بَبِيضَةٍ سَبَسِ (٣)
لَمْ تَنْفَرَجْ عَنْهُ فَأَنْفَذَهَا كَوَى (٤)

(١) في نثير الفرائد : أيضاً .

(٢) في الأصلين : مكابذة . والمثبت من نثير الفرائد .

(٣) الرأل : ولد النعام .

(٤) في الأصلين : فانفرد بها ، والمثبت من نثير الفرائد .

- 40 يَمشي الهَوَيْنَا وسطها فتقلته
عَدُواً ومسا إن تَشْتَكِي أَلَمَ الْوَجَى
حسب الغَضَنْفَرُ مَرْتَقَاهَا كَعْبَةً
فَدَنَا بِطِيلُهَا الطَّوْفَ وَقَدْ سَمَى
وَلَرَبَّمَا أَلْقَى عَلَيْهَا لَامِسًا
بَأَكْفَةٍ وَسَمًا وَقَبَّلَ إِذْ سَمَا
لَكِنَّهُ تَخَبُّثُ سَرَاوُهُ فَلَمْ
يُحْمَدَ عَلَى الْإِلَامِ مِنْهُ بِهَا الْجَزَا
عَجَبًا لَهُ وَلَجَاشِ طِفْلٍ لَمْ يَهَبْ
أُسْدُ الشَّرَى ، وَقَدْ اسْتَشَاطَ وَقَرَّدَا
45 هَذَا وَلَمْ يَبْصُرْ هُنَاكَ بِلَجَا
وَاقٍ وَقَدْ تَرَكُوهُ مُتَفَرِّدًا سُدَى
قَدْ كَانَ طَلٌّ دَمٌ لَهُ لَمَّا رَنَا
أُسْدُ الْعَرِينِ لَهُ غَضُوبًا وَارْتَمَى
لَوْ لَمْ تَنْقَمْ بِالنَّارِ مِنْهُ أَسَاوِدُ
كَانَتْ هُنَالِكَ كَامِنَاتٌ لَا تُرَى
مِنْهُمْ فَاعِزَّةٌ لَهُ أَفْوَاهَهَا
بَأَكْفَةٍ كَرَكِبَةٍ وَمِنْهَا مَا التَّوَى
وَمَدَّبَرُ (١) الرُّوقِينَ أَصْفَرُ فَاقَعُ
رَاقٍ التَّوَاظَرَ نَظَرَةً لَمَّا بَدَا

(١) كذا في الأصلين : وفي نثر الفرائد « مذرب » أي مدبب القرنين .

- 50 ما زال يدعو للنزالِ أُمَامَة
ولقد أشارَ بظِلْفِه (١) لما دعا
ولقد أراه مكانَ مَصْرَعِه وقد
أدْمى بِسَاحِ القَصَصِ يَنْكُتُ في الثُّرى
ولقد أطالَ وقوفَه مُسْتَقْبِلًا
حَذِرَ الهَزَبِ مُبَارِزًا حقَّ انْبِرَى
وعدا له والظنُّ يَقْضِي أن يرى
وقد اعتلاه (٢) فكانَ عَكْسًا ما قَضَى !
جالتْ عَلَيْهِ صَدْمَةٌ من حَارِثِ
تُنْسِيكَ صَدْمَةَ حَارِثِ يومِ الوغَى
55 أعجبُ بها من صَدْمَةٍ قد عَفَرَتْ
لبَدِّ الهِزْبِ وأوهنتْ منه القُوَى
[٩٦ / ١]
لا تَلَحْ رَوْقَ الثَّوْرِ إنْ أبْصَرْتَهُ
عن جانبِ اللَّيْثِ الطَّعِينِ وقد نَبَا
ماكلٌ دونَ كَلَاهِ لَكِنْ سَاعَةٌ
بَقِيَتْ لَهُ وَلِكُلِّ عَمْرٍِ مُسْتَهْيِ
فَدَعَتْهُ فِي دَعَا إِلَى أُمَثَالِهَا
ولتَعْذِرَنَّ اللَّيْثُ يَا مَلِكَ الْهُدَى
أَعْدَى فَرِيْسَتِهِ عَلَيْهِ قَوْلُكَ « ابْسِ
-قَ » لَذَا وَقَوْلِكَ لِلْغَضَنْفَرِ « لَا لَعْنَا »

(١) في نثير الفرائد : بلفظه .

(٢) في الأصلين : وقد اعتلى ، والمثبت من نثير الفرائد .

60 عاجلت ذا هلكاً فلم يعجز وقد
 أبقيت ذا ممتاً فجانبه المنى
 إن الإله قضى بأن يجري القضا
 طوعاً كما شاء المستطيع المرتضى
 وعلاكم ما حارث بمقاوم
 لأبيه لولا أن أردت به الردى
 ولقد رأت منه العيون عجيبة
 راقته وقد أبلى المتواظر والنهى
 فأبجته جنات المصاراة خالداً
 فيها فبالجشبات يعجز ذو البلا
 65 أحسن بها من روضة غشاء قد
 غنتي الحمام بها طروباً أو شدا
 حاكت لها الأنواء مطرف سندس
 أرج وشاء يد الرتيبع بما وشى
 ويحانب « البيضاء » منها مرتقى
 جبارة الأرجاء سامية الذرا
 كرحى الصياقل ما سعت لتديرها
 رجل ولا نسبت لأمهاء المدى (١)
 أترى حسام الثمر جلل متنه
 صدأ فما تنفك تجلوه جلا ؟

(١) أمهاء ج مهور : السيف الرقيق . وفي نثير الفرائد : لإمهاء المدى (بكسر الهمزة) من أمهى الحديدية : أحدها وشحذه .

70 ناعورة لا بل أبشك إنته
 وغندت تكتنفه البروج وقد رقا
 فلك مضي في الروض ما حكمت به
 أدواره والقطب منه وما اقتضى
 فقضى برفع الماء إلا أنه
 قد خفض الأدواح عيشا والربا
 حسن بديع في حمى ملك له
 حسن الزمان ، وقام في أبهى حلا
 يا أيها الملك الذي أضحي به
 دين الإله قسّير عين والعلا
 75 هيهات لا يجدي عدوك جدّه
 يأبى وحقك ذاك جدك والقضا
 وعلاك لو ناواك أجدل كاسر
 لتخطفت أشلاءه كسدر القطا !

[٩٦ / ب]

إن الذي لما تزل متوككلا
 قيدا عليه لكافل لك بالمنى
 الله أولاك السعادة فليفض (١)
 كمدأ حسودكها ويأبى من أبى !
 أغرق بطوفان الكتائب عصبه
 عاذت بمعصم الجبال من العدا

- 80 اشف (١) صدور السمر وارده دماً
تلك الصدور وسهم هواناً من عتاً
انهد لأرض الروم وارم غواتهم
بالشهب من أطراف ميّاد القنا
فكأنتي ببلادهم وأبحت ما
لم يلف للإسلام منها للبيلا
وسبيت بيض ظيهاهم قسراً على
حكم الظبّا وتفرقت أيدي سبا (٢)
واستشرفتكم لمرتجى إنقاذها
أعلام ذات النهر حصّ والقرى (٣)
85 قسماً لئن نسأ المهيمن لي مسدى
حتى تحل بأفقيها بدرأ بدا
لستوعتني من مريع (٤) جنابها
ما بزّ آبائي بها فيما مضى
واليكها دُرراً فإني مُنتقٍ
ما راق منها للنظام وما غلا
مقصورة بخيام فكري أعرضت
عن سواك وأمتك على حيا

(١) رسمها في الأصلين ونثر الفرائد : اشفي .

(٢) كفى بالظباء عن بنات الأعداء المهزومين السبايا والظبا ج ظبة وهي حد السيف .

(٣) حص (الأندلس) هي مدينة إشبيلية . وكانت على أيام المرينين قاعدة ممكة فشتالة بعد طليطلة .

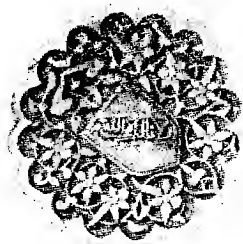
(٤) في نثر الفرائد : بديع .

حسنة هوى كل عضو لو غدا
أذنأ وقد تسلّيت تهيّج لمن تلا

90 تشني عليك علا بأطيب نكهة
مما به أثنى الرياض على الحيا

لا زلت والأقدار جارية بما
تهواه ماكر الصباح على الدجى

وبلغت ما ترجوه من أمل على
عجل ودام لك السعادة والبقا





الباب الحادي عشر

فيما بلغنا من شرف قضاة المغرب وقضاها

الفقيه القاضي الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي(*) يكنى أبا عبد الله وأدركته ، ورأيتـه ، ويعرف بابن عبد الرزاق وبابن الحاج [٩٧ / أ] وهو من أهل فاس . وكان أبوه علي بن عبد الرزاق فقيهاً متفناً محدثاً حافظاً صالحاً . وله رحلة إلى المشرق قضى فيها فريضة الحج وأخذ عن علماء المشرق . وأبو عبد الله هذا ولي قضاء الجماعة بفاس في دولة أمير المسلمين أبي الحسن ، وقدم للخطابة بجامع القرويين في فاس - رحمه الله - .

(*) من شيوخ ابن خلدون ، ترجم له في « التعريف » ص ٦٥ ، وترجم له أحمد بابا في نيل الابتهاج ٢٤٩ ، والمقري في نفح الطيب ٥ : ٢٤١ ، والكتاني في سلوة الانفاس ٢٧٦ : ٢ نشأ أبو عبد الله محمد الجزولي بفاس ، وتلقى فيها علومه ، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن طبقة شيوخها وروى عن علمائها . وعينه أبو الحسن المريني على قضاء فاس ، واستمر على خدمته في القضاء حتى عزل أبو عنان المريني بالفقيه أبي عبد الله المقري . واكن أبا عنان جمع مشيخة العلم في مجلسه للاستفادة منهم ، وكان فيهم الجزولي فأخذ عنه الحديث وقرأ عليه القرآن الكريم . وتوفي الجزولي أواخر مدة أبي عنان ، سنة ثمان وخمسين وسبع مئة . ونقل في نيل الابتهاج عن أحد المؤرخين قوله في الجزولي « كان فقيهاً ، قاضياً ، معمرأ ، راوية من الفضلاء » . وترجم له أيضاً ابن القاضي في جذوة الاقتباس ٣٩ .

حاله - رحمه الله تعالى - :

كان من أولى المعرفة بالحديث ، بصيراً بالقديم من القريض والحديث .
وأماً للإذناء ، فكان يصوغ منه ما يشاء . وهو أمير حليته ، ورئيس
طلبته !

فمن قوله هذه الأبيات والرسالة جاب بها بعض أصحابه من
الفقهاء والأعلام :

أما ومعان قد نظمت مُقَصِّراً
فأطلعتها غُرَّاء في أفق الفكر
وأودعتها من حلّ سحرِكْ نَفْثَة
أحالتْ إلى التحليل غائلة الشكر
لقد نسمتْ من روضِ عِلْمِكَ نَفْثَة
تَنَاسَّتْ بها الألبابُ عاطرة الشجر (١)
وأهديت لي بكرةً تكامل حُسْنُهَا
فأكرمُ بها حسناءَ عالية القدر
لها عَزْلٌ ينسي اللبيب وقارَه
لها زَجْلٌ بالحمد يُغني عن الشكر
تُحْيِي فتُحْيِي مِن هَوَى النفسِ دائراً
يُجَدِّدُ لي عهداً بما ضَلَّ عن فِكْرِي

(١) ساحل البحر بين عمان وعدن . وفي الروض المعطار : والشجر مدينة كبيرة وليس بها
زراع ولا ضرع ، ويكون بها العنبر .

سيدي ! شرح الله له بالعارف صدرأ ، ووضع عنه من ملاحظة الأغيار
إصرأ ، ورفع له في مقامات العلماء العاملين ذكرأ ، وهبه على مكابدة إبراز الموجب
عليه في ذلك أجرأ . مازلت أرتقب صبح وصاله أن يتنفس ولا يتعوص ،
وأمل لحظة من إقباله أتميز بها مزية من اختصاصه ، وأنخصص . إلى أن
تنفس ذلك الإصباح وتبلج ، وتعطر الأفق بأذغامه الكريمة وتأرج . فأطلع
سيدي من مواصلته شمسأ ، وأوجد بلاطفته [٩٧ / ب] المشعة بالاختصاص
أنسا ، وخلع من حلاه ما أوجب لحلاه أن قرّ عينأ وطاب نفسأ .
وجهر من بنات فكره عقيلة طالما تطاولت إليها الأعناق فجدت ،
(١) لنيل صلاتها الآمال فصدت . ووقفت بباب محماتها أعزة الخطاب منافسة
في طلابها فرّدت . أرسل بها لا عدمت أفضاله متودداً ، وارتنى
لها بحسن اختياره حباً لم يزل حول حماها متردداً . أظنه أبقاه الله
توسم خلوصه لها بأنوار خلوصه ، وأمضى له من حكم استحقاقه
ما ثبت لديه لزومه بأدلة نصوصه . وغير بدع من ذي بصيرة منيرة
أن يتوسم ، أو محب يجد الروح من تلقاء حبيبته إذا تنسّم . فابتهجت
بورودها بشراً ، وقبلت نفحة حسننها شفعاً ووتراً . وأخلقت بردها
طياً ونشراً ، ونذرت أن أصوم من أيام العمر عشراً ! وكيف لا ؟
وقد ألفتها قد حليت من الدرر النفيسة بنثور ومنظوم ، وباحت لي
من المعارف بسر عن غير أهله مكتوم . ونازعني كأس خلوص أصبحت
بنشوته أقعد وأقوم . شكر الله لمهديها إحسانه ، ولا زالت العفاة تجد
من إفضاله روحه وريحانه !

(١) هكذا فيها ، باتصال الكلام .

شيخنا الفقيه الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب بن عبد الله بن موسى بن مالك الفشتالي (*)

يكنى أبا عبد الله وأدركته ورأيتُه . وهو من أهل فاس ، من بيت صلاح وعلم .

ووالده أحمد كان خطيباً بجامع قسبة فاس . واختطب أيضاً بجامع مدينة سجلماسة في دولة ملكها أمير المؤمنين أبي علي عمر المريـني ، وكان شاعراً مجيداً . وعبد الملك والد أحمد ولي القضاء والخطابة بالمدينة البيضاء دار الإمارة في حضرة فاس ، وبمحلة أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف المريـني . وشعيب والد [٩٨ / أ] عبد الملك كان فقيهاً ذا نعمة وثروة ، ذا جاه من السلطان ، من أهل الخير والدين . وعبد الله والد شعيب كان فقيهاً مفتياً مدرساً بفاس ، صالحاً ورعاً زاهداً مكاشفاً . وكان من الدين

(*) أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ، قاضي الجماعة بفاس (ت ٧٧٩) من علماء فاس ، وقضاها المشهورين . قدمه السلطان أبو عنان المريـني للخدمة قاضياً بحضرته في فاس ، واختصه ، واشتمل عليه . وترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة وذكر بعض أحواله وأخباره وصفاته ، وأدرجه في كتابه لترده على الأندلس في غرض السفارة . ونقل أحمد بابا عن أبي زكريا السراج في فهرسته شيئاً من ترجمة السراج لأستاذه وشيخه الفـ:تالي ، فقال « شيخنا الفقيه الخطيب البليغ المدرس العالم العلم المتفـن الصدر الأورـد قاضي الجماعة . كان عالماً بالـقه ، مشاركاً في غيره من العلوم ، مسدداً في الفتاوى ، عارفاً بأخذ الشروط ، له حظ وافر من الرواية ، شاعر مجيد وكاتب بليغ ، حسن المعاملة للطلبة . . » ووصفه ابن الخطيب القسنطيني بأنه « له عقل وسمت لم يكن لغيره من القضاة ، وله مجلس جليل في العلم » .

(انظر نيل الابتـاج : ٢٦٥ ، والإحاطة ٢ : ١٣٣ ونفـح الطيب ٥ : ٣٤٢ والمراقبة العليا ١٧٠ ونسبه فيه : محمد بن أحمد بن عبد الله الفشتالي . وسلوة الأنفـاس ٣ : ٢٥٩) .

والصلاح في المحل [الذي] لا يخفى، ومكاشفاته وعلو منزلته أكثر من أن تحصى
وموسى والد عبد الله كان من أهل الصلاح الفائق والورع العظيم .
وما لك والد موسى كان صالحاً ملازماً للخير .

وفشتاله ، قبيلته ، هم قاطنون بجوز فاس . وذكر فيهم ابن أبي زرع^(١)
في تاريخه أنهم فرع من صنهاجة من حمير ، عرب الأصل .

وأبو عبد الله شيخنا هذا هو الآن قاضي الجماعة بفاس ، وخطيب
بالمدرسة التي بناها السلطان أبو عنان بإزاء باب المحروق^(*) . وهو أحد
المفتين بفاس ، ويدرس المدونة وغيرها بالمدرسة التي بالعطارين . وحضرت
حلقته غير مرة وأخذت عنه وأجازني إجازة عامة .

حاله - سلمه الله -

له علم بالتوثيق وصناعته ، وطريق إلى صياغته في حلل براعته .
وهو مفت في المسائل الفقهية ، ومتفدن في العلوم الأدبية ، وله مشاركة
في جميع العلوم النظرية والتعالمية . وله ذهن ثاقب ، ونظر في ميدان
البحث لا يجاربه فيه فقيه ولا طالب . واعتناء بالعلوم الشرعية ، واقتناء
بالمعالي البيانية . إلى وقار وبها ، وثقوب فطنة ونهى ، وهمة سميت
فوق السُّها .

فمن قوله يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان^(٢)
أيا إماماً ندَى كَفْيِهِ قد وكفا

حَسْبِي اعتِصامي بجبل منكم وكفى!

(١) الإمام الفقيه أحمد أبو العباس . وكتابه « الأنيس المطرب بروض القرطاس في
أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » . توفي سنة ٧١٧ .

(٢) ذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج البيتين الأولين من هذه القصيدة ، وقال في التقديم لهما إن
للفشتالي نظماً حسناً وكتابة رائعة ، وضرب بالبيتين مثلاً .

(*) هو أحد أبواب فاس ركان يسمى باب الشريعة .

وكيفَ أَصْرَفُ وَجَهَ الْقَصْدِ عَنْ مَلِكٍ (١)

ما صَدَّ عَنِّي سَنًا بِشَرٍّ وَلَا صَرَفًا

مَا إِنْ شَكُوتُ بِمَا أَضُنِّي تَطْلُبُهُ

إِلَّا وَجَدْتُ لَدَيْهِ مِنْ ضَنَائِي شِفَا

[٩٨ / ب]

وَلَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُنْتَهَى أَمَلِي

إِلَّا قَضَى وَطَرًا مِنْهُ وَمَا وَقَفَا

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ تَجْدِيدُ عَارِفَةٍ

مَهْمَا انْقَضَتْ هَذِهِ لِهَذِهِ اثْتَدَفَا

وَلَيْسَ مِمَّنْ يَرَى أَنْ لَا يُتَّيَحَّ يَدًا

حَتَّى يُثْقَمَ لَهُ بِالشُّكْرِ مَا سَلَفَا

وكان قد بعث إليه ذو الوزارتين الحاجب القائد الرئيس الفقيه الخطيب الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب السَّاماني ، وزير أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف بن عم أبينا ووزير ابنه أمير المسلمين الغني بالله محمد المخلوع رسالة ، وصدَّرها بأبيات ، كلَّ ذلك من قوله ، وهما (٢) :

(١) في نيل الابتهاج : عن مالك ، وهو تحريف .

(٢) يريد : الرسالة والأبيات . وقد نقل لسان الدين بن الخطيب الرسالتين في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة « ٢ : ١٣٤ - ١٣٦ » . وقال في التقديم لهما « ولما كان عام الإزعاج من الأندلس عند النكبة التي أصابت الدولة بلوت من فضله ونصحه وتأنيه ما أكد الغبطة وأوجب الثناء وخاطبته بما نصه . . . » و (عام الإزعاج) الذي تحدث عن ابن الخطيب هو العام الذي حدث فيه الانقلاب على دولة بخدومه محمد الغني بالله النصري وآلت بعده السلطة إلى سواه ، في المدة بين ٧٦١ - ٧٦٢ .

مَن ذا بعدُ فضائل الفشتالي ؟ والدهرُ كاتب آيها والتَّالي
علمٌ إذا التَّمسوا الفنونَ فعلمه مرعى المسمِ ونُجعة المَكْتالِ
نالَ البُتِّي لا فوقها مِن رفعة ما أمْلَتْها حيلةُ المُحْتالِ
وقضى قياسُ تراثه عن جده أنَّ المقدَّم فيه غيرُ التَّالي

قاضي القضاة ! بماذا أثني على خِلالِكَ المُرْتضاة (١) ؟ أبْقديكَ
المُوجب لِبِتْقديكَ ، أم بِحِديثِكَ الداعي لِتَحْمَلِ حَدِيثِكَ ؟ وكلاهما
غاية بَعْدَ مَرماها ، وحامُ التَّصور حماها ، والضالِع (٢) لا يُسام سَبَقاً ،
والمُنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى ؟ وما الظنُّ بأصالةِ تَعَرُفِ
بها الآثار وتشهيدُ ، وأبوةِ صالحة كانت في غير ذات الله (٣) تَزهد .
وفي نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد الحقائق وتمهد ،
وتهزم الشبهة (٤) إذا تنهد . وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر جوراً ،
ولا حتّى من غصني ورقاً ولا نوراً . هذا وقد زار عـليّ
أسداً وحمل (٥) ثوراً ، فقد أصبحتُ في ظل الدولة التي وقف على سيدي
اختيارها ، وأظهر خلوص إبريزه معيارها . تحت كَنَف ، وعزّ
مؤتَنَف ، [٩٩ / أ] وجوار أبي دُلَف ، وعلى ثقة من الله بخير خلف (٦) . وما
منع [من انقسابي لما لديه] (٧) من الفضائل رحلة لم يبرك بعدُ جملها ،

(١) في الإحاطة : قاضي الجماعات . . . خلاصك المرضاة .

(٢) الضلع : الاعوجاج ، وهو في البعير بمنزلة الغمز في الدواب . (وظلع البعير - بالضاء - غمز في مشيته) .

(٣) في الإحاطة : في غير ذات الحق .

(٤) في الإحاطة : الشيب .

(٥) في الإحاطة : أوحمل .

(٦) في الإحاطة : أن يحسن الخلف .

(٧) في الأصلين : من أنشأ ما لديه ، ورجعت رواية الإحاطة .

ولا فرغ عملها ، وأوحال^١ حال بيني وبين مسوّر البلد القديم مهملها^(١)
ولولا ذلك لاغبط^٢ الرائد ، واقتنيت الفوائد .

والله يطيل بقاءه حتى تتأكد القرية ، التي تسمى بها الغربية .
وتعظم الوسيلة ، التي لا تُذكر معها الفضيلة . وأمّا ما أشار به من تقييد
القصيدة التي نفق^٣ سوقها استحسانه ، وأنس^٤ باستطرافها إحسانه ؛ فقد
أعمل وما أهمل ، والقصور باد إذا تُؤمّل ، والإغضاء أولى ما أُمل .
فإنما هي فكرة^٥ أخذت نارها الأيام ، وغيرت آثارها اللثام . وكان
الحق إجلال^٦ مطالعة سيدي عن خللها ، وتنزيهه رجله^(*) عن تقييد
مُرتجلها . لكن أمره مُتمثّل ، ودأت من المجد أمر^٧ لامرد^٨ له^(٢) مثل !

فجأوه بقوله :

وافت يجر الزهو فضلة^٩ بردِها
حسناء قد أضحت^{١٠} نسيجة^{١١} وحديها
لله أي^{١٢} قصيدة أهديت^{١٣} لـ
يُهدى^{١٤} المعارض^{١٥} نحو غاية^{١٦} قصدها^(٣)
لابن الخطيب بها محاسن^{١٧} قارعت^{١٨}
عنه^{١٩} الخطوب^{٢٠} ففللت^{٢١} من حدّها^(٤)

(١) في الإحاطة : مسود البلد القديم مهملها . (*) هكذا فيها « رجله »

(٢) قال في الإحاطة في ختام الرسالة « والسلام على سيدي من معظم قدره وملزم بره محمد
ابن الخطيب، ورحمة الله، فكتب إلي مراجعاً، وهو المنيء بالإحسان . . . » ،

(٣) في الإحاطة « لم يهد المعارض » . وهو أقدم .

(٤) في الإحاطة :

لابن الخطيب بها محاسن جمة يلقي الخطيب فهامة في عدها !

سرّ البلاغة منه أودع حافلاً
 قد صائمه حتى فشا من عندها
 في غير ما عقد نفثت بسحرها (١)
 فلذا أتى سلساً منظماً عقدها
 لم أدر ما فيها رقمت مغنوناً
 من طرسها أو معلماً من بردها (٢)
 حتى دفعت بها لأبعد غاية
 باعي تقاصر في البلوغ لحدّها
 حرّان من نظم ونثر آب من
 يلقاها منها بذلّة عبدها
 أولى يداً بيضاء مؤولها فما
 لي من يد في أن أقوم بحمدها
 فبذلت شعري رافعاً من يرها
 وهزرت عطفي رافلاً في بردها
 ورفضت تكذيب المنى متشيعاً
 لهليّ مرآها بصادق وعدها !

[٩٩ / ب]

خذها أعز الله جنابك ، وأذلّ للأنس على الوحشة اغترابك .
 كنفية الطائر المتحفز ، ونهبة السائر المستوفز (٣) وميقة اللحظ ، قلقة

(١) في الإحاطة : في غير عقد نفثته .

(٢) هذا البيت هو الأخير في الإحاطة ، وما بعده جاء قبله .

(٣) في الإحاطة : كنفية الطائر المتجدد : ونهبة السائل المستوفد .

اللفظ^(١) قد جمعت من ترامها وانقجامها^(*) بين بطمة فند ، وصولد زند ، ونوتعت فعلي لإقدامها وإحجامها إلى قاصر ومتعبد^(٢) ، وليتني إذ جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق ، وانجابت المسعاني عن مزنة فكرتي^(٣) بتفاضي الجواب انجباب الطرق ، أيقنت أني قد سد علي باب القول وأرتج ، وقلت هذه السالبة الكلية^(٤) لا تفتح ! فنبذت طاعة الداعية من تلكم الإمرة ، ولم أفه إذ أعوزت الخلوة بالمرّة^(٥) ، لكنني قلت وجد المكثّر كجهد المقل ، والواجب قد يقع الامتثال فيه بالأقل . فبعثت بها على علامتها ، وأبلغتها عذرها في أن كنيت عن شوقها بلغاتها . وهي لم تعدم من سيدي إغضاء كريم ، وإرضاء مليم^(٦) . والله سبحانه يصل بالتأنيس الجبل ، ويرد الألفة ويجمع الشمل . والسلام^(٧) .

وكتب إليه أيضاً ذو الوزارتين محمد بن الخطيب المذكور إثر نكبة أنكبه أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم إبراهيم المريني ، من غير ذنب فعله ، أغرى به السلطان حسداً له :
تعرفتُ أمراً ساءني ثم سرتني
وفي صحة الأيام لا بد من مرض
تغمّدك المحبوب بالذات بعدما
جرى ضدّه والله يكفيه بالعرض

(*) التريم (كأمير) المتواضع . والبطمة الحبة الخضراء أو شجرها . والفند الغصن .

(١) في الإحاطة : رميكية اللحظ .

(٢) - (٣) ساقط في الإحاطة .

(٣) في الإحاطة : وانجاب العشا عن قريحة فكرتي .

(٤) - (٥) ساقطة من الإحاطة .

(٦) في الإحاطة : ورضاء سليم .

(٧) في الإحاطة : والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته ، محمد بن أحمد الفشتالي

في مثلها - أبقى الله سيدي - يحمل الاختصار ، وتقرر الأنصار
وتطرق الأبصار . إذ لم يتعين ظالم ، ولم يتبين يقظ ولا حالم . وإنما
هي هدية أجر ، وحقيقة وصل عقبت مجاز هجر . وجرح
جبار ، وأمر ليس به اعتبار ، ووقية لم يكن فيها إلا غبار ! وعثرة
القدم لا تنكر ، والله يحمد في كل ويشكر . وإذا كان اعتقاد الخلافة
لم يشبه شائب ، وحسن الولاية لم يعبه عائب ، والرعي دائب ، والجاني
[١٠٠ / أ] تائب ، فما هو إلا الدهر الحسود لمن يسود ، خمش بيـد
ثم سترها (؟) ، ورمى عن قوس ما أصاحها - والحمد لله - ولا أوترها .
إنما باء بشينه ، وجتى من مزيد النعمة سخنة عينيه . ولا اعتراض على
قدر أعقب بحظ مبتدر ، وورد نغص بكندر ، ثم أنيس بأكرم
صدر . وحسبنا أن نحمد الدفاع من الله والذنب ، ولا نقول - مع الكظم -
إلا ما يرضي الرب . وإذا تسابق أولياء سيدي في مضار ، وحماية ذمار ،
واستباق إلى برّ وابتدار ، يجهد اقتدار ، فأنا - ولا فخر - متناول القصة ،
وصاحب الدتين من بين العصابة ، لما بلوت من برّ أوجبه الحسب ، والفضل
الموروث والمكتسب ، ونصح وضح منه المذهب ، وتنفيق راق منه
الرداء المذهب . هذا مجمل (١) وبيانه عن وقت الحاجة مؤخر ، ونبذة
سرة (؟) لتحقيقها يرّاع مسخر . والله أعلم بما انطوى عليه لسيدتي من
إيجاب الحق ، والسير من إجلاله على أوضح الطرق ، والسلام .

فجأوبه بقوله :

وأيـم الله لإبراراً لأينـم (٢)
لقد جلتى كتابك كـل غـم
وساهم في الحوادث من رمته
فهاز من الوفاء بخير سهم

(١) فيها «مجد» ونرجح ما أثبت.

(٢) أيمن الله وأيـم الله « اسم وضع للقسم » .

يا سيدّي . أمدّه الله في أنوار تذكّم الطريقة المثلى ، وبارك .
 وجزاها جزاء من ساهم على الحقيقة في الجلّسى ، وشارك . وصل
 كتابكم الصادق الصفاء ؛ الصادر عن لم يرض من الوفاء باللقاء .
 فتأى^(١) من صدع الأيام ورأب . ونأى في دفع الأوهام وقرب .
 وهو الدهر - أبقاكم الله - لا تثنى فلتاتيه . ولا يُبني على عقد
 صفائه يوم لوى ولائه إلا كدره بالنقض مُقتاته . هذا ولو حاسب
 الإنسان نفسه لاستحقر ما استعظم . وعلم أن « ما لا يرى بما وقى الله »
 أعظم . فآه آه ! ومن جُني عليه فليستغفر الله . فغفر الله لهم
 غفراً . وحمداً على السراء والضراء ، وشكراً .

وسيدي - أعزّه الله - المشكورة أياديه ، المبرورة غاياته الجميلة
 [١٠٠ / ب] ومباديه . والله - سبحانه - يُعين على واجبيكم ،
 ويشكر في حُسن الإخاء جميل مواهبكم . والسلام .

شيخنا الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية بن موسى بن
 يوسف بن عبد العالي العجاني المعروف بالوانشريسّي^(*)

يُكنى أبا عليّ ، وأدركته ، ورايته .

وهو من أهل مكناسة الزيتون . ومولده بيتاويرت^(٢) من حوز

(١) الثأى الإفساد ، والرأب : الإصلاح .

(*) ترجم له أحمد بابا في نيل الابتهاج « ١٠٧ » ، ونقل عن فهرسة ابن الأحمر وقال فيه :

شيخنا الفقيه المقي المدرس القاضي أبو علي بن الشيخ الصالح عطية . توفي سنة ٧٨١ .

وترجم له في سلوة الانفاس ٣ : ٢٥٩ .

(٢) ذكر في الاستبصار أن مكناسة الزيتون تسع خطب ، عد منها « قاورا » ١٨٨ .

مِكناسة . وهو من قبيلة تَجَنِّين . وآبَاؤُهُ كُلُّهُمْ فرُسانُ أُولو شجاعة .
وَجَدُّهُ عَطِيَّةٌ هو الذي ارتحل منهم عن بلاد التَّجَانِيَّة ، واستقر
ببلاد مَرِّين ملوك المغرب في دولة السُّلطان أبي يعقوب يوسف ، وكان
فارساً شجاعاً . فاستخدمه ملوك مَرِّين ثُمَّ تَخَلَّسَ عن الخدمة السلطانية
وأقبل على طلب الآخرة ؛ وسكن بجوز مكناسة . وكان له أولاد
نجباء فقهاء وهم : عثمان - وهو أكبرهم - وهو والد شيخنا القاضي أبي
عليّ هذا . وعبد الله - وهو الذي يليه - والحسن . وهؤلاء الثلاثة
أشقاء . ويونس وإبراهيم . وكلهم فقهاء .

وأما الحسن منهم فهو فقيه متفنّنٌ حافظ بمسائل الفقه بصير^(١)
بالفروع واللغة والحديث والتاريخ ؛ وهو أحد المُفَتِّين بفاس .

وأما^(٢) كتاب الإمام العالم المفتي المدرّس الصالح أبي إسحاق إبراهيم
ابن عبد الله بن عبد الرحيم الزنّاسي وغيره من فاس يسمّونه ابن
رُشد لحفظه لمسائل الكتاب المذكور^(٣) . وهو - مع معرفته بالعلم -^(٤)
متورّع ، متواضع ، حسن الأخلاق ، صادق اللّهجة ، شديد في
الحق . وولي القضاء ببّادس^(٥) في دولة السلطان أبي الحسن المريني . وهو
الآن في هذا الوقت الذي ألفت فيه كتابي هذا بفاس يُقرىء بجامعها
الأعظم المسمّى بالقرويين : المدوّنة والجلاب والرسالة . وكل ذلك
لم أغب عن حلقة لاقتباس [١٠١ / أ] علمه وبركته ، وذلك حين

(١) في « م » و « ط » بصيراً ، ونرجح ما أثبت .

(٢) - (٣) هكذا فيها .

(٣) توفي الفقيه الزنّاسي ٧٧٥ وكان قاضياً صالحاً .

(٤) بّادس مدينة بالمغرب . انظرها في الاستبصار ١٧٥ والروض المعطار ٧٤ .

مقامي بفاس لما أخرجنا عن بلادنا الأندلسية بنو عمنا الملوك بنو^(١) الأحمر من بني نصر .

نرجع إلى ذكر شيخنا القاضي أبي علي الحسن المذكور . كان قد برز عدلاً - في صفه - في سباط شهود مكناسة . ثم ارتحل إلى فاس ، فاستنابه في القضاء شيخنا القاضي الخطيب الإمام المفتي المدرّس أبو عبد الله الفشتالي^(٢) . ثم قدّمه السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني على قضاء بلده مكناسة . ثم أنقله^(٣) منها ، وولاه القضاء بسلا . ثم تخلص عن القضاء . وهو الآن في سباط شهود فاس عدل . ويقرى في هذا الوقت بجامع القرويين كتاب ابن الحاجب الفرعي . وهو أحد شيوخ حضرت حلقته في كتاب ابن الحاجب . وأجازني إجازة عامّة .

حاله - سلّمه الله تعالى - :

له باع في الفرائض والفروع جسيم ، وسماوة ممتدة وذكاء وسيم . وشعره فيه حلاوة ، وكلامه فيه عذوبة وعليه طلاوة . كان قاضي الجماعة الفشتالي بفاس قد استنابه ، فأظهر في الحق صلابته . ثم استقضاه السلطان بمكناسة وسلا ، فجده في إقامة الشرع ولا الحق سلا . ولم ير له ما يستقبح في أحكامه ، بطول أيامه .

(١) في الأصلين : بني .

(٢) راجع الترجمة السابقة للفيّيه القاضي الفشتالي .

(٣) في الأصلين : أنقله .

كنت قد تفكرتُ يوماً في ذنوبي - وأنا بفاس - حين مُقامي بها
- في حضرة الملوك من بني مَرين - فرأيتها جمة أعظم من أن أحصيها ،
فأحزني ذلك ، وساءني ، فبعثت له بقولي :

يا أوحَدَ الفقهاء والكُبراءِ وأخي التَّقَى والفضلِ والعَلِيَاءِ
قلْ لي وفاقَ الله كل مساءٍ وحباك كلَّ مسرَّةٍ وبهاءٍ ! -
كيف الخلاصُ من الهوى وأنا له تَبَعٌ مَدَى الإصباحِ والإمساءِ ؟

فجاوبني بقوله :

يا ابن الملوكِ الأكرمين ذَوِي العُلَى
هذا قريضُكَ قد أتاني مُنبِئاً
[١٠١ / ب]

وطلبتُ ما يَنفي مُتَابَعَةَ الهَوَى
فاعلمُ فدتكِ النَّفْسُ أَنِي أَشْتَكِي
ولعلَّ مَوْلانا يُنِيلُ جَمِيعَنَا
أَمْسَكَتُ رَقْعَتَكَ الَّتِي وَجَّهْتَهَا
وعليكِ مِنِّي أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ
ويُنِيلَ كلَّ مسرَّةٍ وبهاءٍ
فوقَ الَّذِي تَشْكُو من البُرْحَاءِ
عِزُّ التَّقَى فِي زُمْرَةِ السَّعْدَاءِ
من كَوْنِهَا خُصِمَتْ بِحَسَنِ ثَنَاءٍ
فِي ضِعْفِهَا تَتَنَرَّى بِكُلِّ ثَنَاءٍ



شيخنا الفقيه القاضي الخطيب الحاج عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد الحفيد بن الفقيه القاضي أبي القاسم أحمد بن الفقيه الامام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأموي (*) .

يكنى أبا القاسم ، وأدركته ورأيتنه . وأجازني في القصيدة الموسومة بالبردة التي أولها :

* أمن تذكر جيران بني سلم *

نظم الفقيه أبي عبد الله محمد شرف الدين البوصيري .

ومولده بسجلماسة (١) ، وأصل سلفه من الأندلس . وهو من ولد الحفيد ابن رشد ، وبابن الحفيد يعرف . واستوطن مدينة فاس في بعض الأحيان . واستقضاها بأصيلا (٢) السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني . واختطب في بعض بلاد النصرى بالترجل (٣) .

(*) أكثر المترجمين وأصحاب التواريخ من الترجمة لابن رشد الجد (الفقيه) وابن رشد الحفيد (الفقيه المتفلسف) ولم أعثر - فيما بين يدي الآن من مراجع - على ترجمة للقاضي الخطيب ابن رشد الذي يترجم له ابن الأحمر .

(١) سجلماسة : مدينة في بلاد المغرب ، قال في الاستبصار : وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبلها ولا غربها عمران ، بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال . وهي مدينة محدثة بنيت سنة ١٤٠ هـ . قال : وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه ، وتقع على نهري ينبعان من عنصر (نبع) واحد . وقال محقق التعريف بابن خلدون « وسجلماسة الآن مقاطعة في جنوب المغرب تسمى الآن تافيلالت » (٢) أصيلا « وتكتب أيضاً : أصيلة وازيلا » بلد بقرب طنجة . قال الحميري : وأصيلا أول مدن العدو من جانب الغرب . وهي مدينة محدثة أسهم الاندلسيون في تصيرها .

(٣) كذا العبارة في الأصلين .

حاله - أكرمه الله - :

هو آخذ من اللغة بأزكى نصيب ، وسهمه من النحو مسدد نصيب .
ينظم من الشعر الأبيات الحسنة ، ويتكلم في الفقه بمسائل في البراعة ممكنة .
وباعه في الحديث مديد ، كما هو بصير بالطارف من التاريخ والتلديد .
وأما الفصاحة فهو ابن يجدها ، وأما البلاغة فهو عين نجدها .

أنشدني لنفسه [١٠٢ / أ] :

وذي شنبٍ متى أنظرُ بيطرَفي إليه استلَّ من لحظٍ ذُباباً (١)
تبسُّمٌ عن عقيقٍ فوق درٍ فخلتُ الخمرَ قد حملت حباباً
أذوبُ إذا بدا شوقاً إليه ولو زارته أنفاسي لتذابا
فإن أزرى به شيطانُ واشٍ أخلتُ عليه من حرقي شهابا

وأنشدني أيضاً لنفسه مواطناً (٢) على البيت الثالث :

تَحَامَ بلادَ الغربِ ما عشتَ إنَّها
ظلامٌ وحزنٌ دائمٌ وحُروبٌ !
وَحَيْثُمُ بلادَ الشرقِ تَلْتَقِ بِهَا المُنَى
فللخير أنواعٌ بيها وضروبُ
« ففي الشرقِ من أجلِ الشُّرُوقِ مَسَرَّةٌ »
وفي الغربِ من أجلِ الغُروبِ كُروبٌ !

(١) ذباب السيف : حده .

(٢) المشهور : موطناً . ووردت في الأصلين «موطناً» .

صاحبنا الأستاذ النحوي المقرئ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (*) :

يكنى أبا زيد ، وهو من أهل فاس ، وبها رأيتُه ، وصحبته .

حاله : هو شاعر مجيد ، ومبدئ في البلاغة ومعيد . قد فاق في النحو ، وسَلِمَ نَظْمُهُ من الحَشْوِ . مقرئ للعلوم الأدبيَّة ، بنفس مطاوعة غير أبيه .

وكنت قد سألتُه شيئاً من نظمه ، لأنشر رداء معرفته وفهمه . فأبطأ عليّ بالجواب دهرأ ، حتى جمع من شعره نزرأ . وكتب ذلك في أوراق ، وذَيل بكلامه الذي راق . وذكر في أول كلامه اسمي ، وطرزه برسمي . لما توالى تكرار السؤال عليه ، ودؤب الطلب مما من النظم لديه . وبعث بذلك إلي ، وألقى زمامه في يدي . واخترت منه ما يعلمه (١) باتساع بابه ، وانطباع طباعه .

وهذا ما كتب في صدر كلامه ، وما ذيل به عند ذكر نظامه :

(*) أبو زيد عبد الرحمن المكودي (ت ٧٠٨) ، فاسي . ونسبته « المكودي » إلى بني مكود إحدى قبائل هوارة . وكان المكودي « إماماً في اللغة والنحو والعروض وسائر فنون الأدب » . ألف شرحاً على الألفية كان له ذبوع ، وشرحاً على الأجرومية ، وعلى « المقصور والممدود » لابن مالك ، وغير ذلك . واشتهرت مقصورته التي مدحها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تدل على تضلعه في اللغة وتملكه ناصية الأدب .

(نيل الابتهاج ١٦٩ ، نفح الطيب ٥ : ٢٨ ؛ في ذكر شيوخ ابن مرزوق الحفيد ، والنبوغ

المغربي : ٢١٠) .

(١) فيها : ما يعلمه ، والأشبه : ما يعلم .

« يقول عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوذي - لطف الله به - سألتني صاحبنا الشهير بالنبل والذكاء ، وسروة الهممة والبهاء . الضابط لفنون الآداب ، العالم بعيون التاريخ والأنساب . رافع راية القربص ، وناشر لوائه الطويل العريض . علم الرؤساء [١٠٢ / ب] ودرّة أبناء الأمراء أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن الأحمر الخنزرجي أن أقيّد له شيئاً من شعري فلم أسعفه بمطلوبه ، ولا عجلت له بمرغوبه ؛ استحقّاراً لشعري ، واستضعافاً لما صدر من نظمي ونثري . وهجرّاً للأدب وطريقته ، وقليّ لمجازته وحقيقته . طريقة كثر قائلها وقلّ نائلها ! فلو أمكن أن يجتمع في زماننا هذا أبو تمام باغترافه من بحره ، وأبو الطيّب باقتطافه من زهره ، وأبو العلاء بنحته من صخره ، على استخراج درهم واحد من أهل زماننا لما أحطوا منهم بنائل ، ولا وقفوا في أمورهم على طائل ! دهرٌ وقى الله من حوائثه سيّان ذو الجهل فيه والعالم .

ولما كان السائل المذكور ممن لا يسعني خلافه ، ولا يمكنني إلا إسماعده وإسعافه ؛ قيدت له شيئاً من شعري ، مع نبذ من نثري . ولتخير من ذلك ما يستجيده ، وينتخب ما يريده . والله يعصمنا من الزلل ، ويهدينا إلى صالح القول والعمل . »

قال إسماعيل مؤلف هذا الكتاب : فما اخترت من كلامه الرائق ونظامه العذب الفائق ؛ قوله يمدح رسول الله ﷺ ، وهي القصيدة (١)

(١) ذكر أحمد بابا في نيل الابتاج ؛ أبيات من آخر المقصورة ينكت على مقصورتني حازم وابن دريد . ونقل العلامة الأستاذ عبد كنون في كتابه النبوغ المغربي قطعة كبيرة من القصيدة . وفي قراءته للنص خلافت يسيرة ، وقد يعمد إلى تعديل كلمة بأخرى على جهة التنقيح ، مما لم أجد ضرورة لإثباته .

التي ضربت في البلاغة بسهم، وحازت من الفصاحة أوفر سهم :

أُرْقِي بَارِقُ نَجْدٍ إِذْ سَرَى يُومِضُ مَا بَيْنَ فُرَادَى وَثْنَى
أَهْبَنِي إِذْ هَبَّ مِنْهُ مَوْهِنًا مَا سَدَّ مَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثُّرَى
شَمَّتْ مَنْ أَرْجَائِهِ إِذْ شَمَّتْهُ رِيحَ صَبَا أَطْوَعَ مِنْ رِيحِ الْكِبَا
فِيَالَهُ مِنْ بَارِقٍ ذَكَرَنِي مِنَ الْهَوَى مَا كُنْتُ عَنْهُ فِي غِنَى !
5 أَثَارَ شَوْقًا كَانَ مِنِّي كَامِنًا بَيْنَ مُضْلُوعٍ طَالَمَا فِيهَا ثَوَى

[١٠٣ / أ]

فَكَانَ قَلْبِي الْمُجْتَسَى إِذْ هَاجَهُ كَالزُّنْدِ إِذْ أَوْرَاهُ مُؤَرِّقُ فَوْرَى
وَسَحَّ سَحْبٌ مَقْلَقِي فَمَا بَقِيَ نَوْعٌ مِنَ الدَّمْعِ بِهَا إِلَّا هَمَى
مَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَنْ أَنْفِدَهُ أَنَّ الْبُسْكَاءَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْبُسْكَاءِ !
وَلَيْلَةٌ سَبَحْتُ فِي ظُلُمَائِهَا إِذْ سَحَبَتْ فُضُولَ أَذْيَالِ الدُّجَا
10 أَلْفَتْ فِيهَا كُلَّ مَا أَلْفَيْتُهُ يُوهِي الْقَوَى إِلَّا التَّسْلِيَّ وَالْكَرَى
طَالَتْ وَمَا أَطْلُ بَازِي صُبْحِهَا إِلَّا بِإِغْيَا^(١) مَا لَدَيْهَا مِنْ جَوَى
قَدْ وَقَفْتُ نَجْوَمُهَا فِي أَفْقِهَا وَقَفَّةَ حَيْرَانٍ طَوِيلِ الْمُشْتَكَى
جُبْتُ بِهَا وَحَدِيدِي قَفَرًا سَبَسَبَا

لَيْسَ بِهِ إِلَّا النَّعَامُ وَالْمَهَا

نَائِي الزِّيَازِي^(٢) وَالْفَلَا ، دَانِي الصَّفَا

خَالِي الْفِيَّافِي وَالذُّرَى ، خَافِي الصَّوَى^(٣)

(١) أَغْيَى السَّحَابَ : أَقَامَ . وَبِإِغْيَا أَيِ بَغَايَةِ .

(٢) الزِّيَازِي جَمْعُ الزِّيَاءِ : مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ .

(٣) صَوَى جَمْعُ صَوَةٍ (بَوَاوٍ مُشَدَّدَةٌ) : وَهُوَ حَجَرٌ يَكُونُ عَلَامَةً فِي الطَّرِيقِ .

15 قطعتهُ ببازل ذي ميرةٍ يُنوعُ السيرَ بأنواعِ المِشي
فتارةً يعمل فيها الهيندبى وتارةً يعدو عليها الخيزلى
كانَ رَحلى إذْ علوتْ ظَهْرُهُ

فوقَ مَتْنِ المَتْنِ وجُرِّي القُوى
من وحشٍ مَهْمِهٍ بعيدٍ غَوْرُهُ
ذِي اكْرُوعٍ أصْلَبَ من صُمِّ الصِّفا
يَقْدِفُ بي من قَدْفَدٍ لَقْدَفَدٍ
وَبَنْتَهِي بي من فَلَإِ إِلَى فَلَإِ

20 حَتَّى إِذَا انْتَضَى الصَّبَاحُ نَصْلُهُ
وَقَدْ جَلَبَابَ الدِّيَاجِي فَاثْقَرَى
كَأَنَّهُ كَتَابٌ قَدْ نُشِرَتْ رَايَتُهَا عَلَى الإِكَامِ والرُّبَى
أَحْسَتِ الشَّهْبُ بِهَا فَأَجْفَلَتْ
وَأُمَّتِ الغَرْبَ وَجَدَّتْ فِي السُّرَى

إِذَا أَنَا بِبِقْعَةٍ غِيْطَانُهَا جَرَى بِهَا سَلْسَالُ نَهْرٍ وَأَخْنَى
كَأَنَّهُ مِعْصَمُ خَوْدٍ غَادَةٍ عَلَى رِداءٍ قَدْ وَشَاهُ مَنْ وَشَى
25 وَظِلَّ رَوْضٍ رَاضَةٍ صَوْبُ الحَيَا

فَاعْتَمَّ مِنْ نُورِ حُلَاهُ وَاكْتَسَى
بَاكْرَهُ وَسَمِيئَهُ فَاثْقَتَحَتْ
كَأَمُّهُ عَنْ زَهْرِ طَيْبِ الشَّدَا
وَهَزَّ أَيْدِي الرِّيحِ مِنْهُ قَضْبًا
غَنَّى بِهَا الطَّيْسُ الأَغْنُ وَشَدَا

[١٠٣ / ب]

أَحْسِنُ بِهِ رَوْضًا تَمِيمًا عَرَفُهُ
مَعْطَرًا دَانِي الْقُطُوفِ وَالْجَنَى

قد نثرتُ شمسُ العَدَاةِ أَيْدَعَا (١)

فيه وقد بللتهُ قَطْرُ النَّدَى
30 وقفتُ طَيْرِي بِإِزَاوِ دَوْحِ أَسْرَحُ طَرْفِي فِي مَبَانِيهِ الْعُلَا
وَأَشْتَكِي دَهْرًا دَهَانِي صَرْفُهُ لَمَّا قَضَى بِالْبَيْتِ فِيمَا قَدْ قَضَى
مَنَازِلُ كَانَتْ بِنَا أَوَاهِلًا نِلْنَا بِهَا حِينَمَا أَسَالِبَ الْمُهْ
كَمْ بَيْتٌ فِي أَفْنَانِهَا أُجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا بِطَرَفِ جِدِّ مَا كَبَا
وَكَمْ سَجَبْتُ إِذْ سَجَبْتُ غَيْمِدَهَا

بِيرَوْضِهَا ذَيْلَ الشُّرُورِ وَالْهِنَا
35 وَكَمْ مَدَدْتُ مِنْ مُرَادِقِي عَلَى
ضِفَةِ نَهْرِ أَرْجِ رَحْبِ الذُّرَى

وَكَمْ سَعِدْتُ إِذْ صَعِدْتُ صَهْوَةً
لِمَنْزَرِهِ مُنْزَرِهِ عَنْ الْخَنَا

وَكَمْ هَصَرْتُ فِيهِ مِنْ غُضُنِ نَقَا
مَنْ قَدْ ظَلِيَ أَهْمِيْفٍ طَاوِي الْحَشَا

وَكَمْ لَشِمْتُ زَهَرَ ثَغْرِ أَشْنَبِ
مَنْ شَادَنِ عَذْبِ الثَّنَايَا وَاللَّعْمَى

وَكَمْ رَشَفْتُ مِنْ رُضَابِ سَلْسَلِ
يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَعْمَالِ الطَّلَا

40 أَيَّامَ أَزْهَارِ الْمَشَى مُوْنِقَةً
وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرِ الْمُجْتَمَلَى
تَزْفَنِي مِنَ الْأَمَانِي دَائِبَا عَرَائِسُ ذَوَاتُ حَلِي وَحَلَى

أنى أَرَجِي لِغُؤَادِي سَلْوَةً من بَعْدِ بَعْدِ المَوْنِقَاتِ المَحْتَنِي ؟
يا لَيْتَ شِعْرِي والأَمَانِي خَدَعٌ
هل يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا ما قد مَضَى ؟

وهلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ لِمَعْدٍ
صَبَوْتُ فِيهِ جُلَّ أَيَّامِ الصَّبَا ؟

45 إذْ لَا مَشِيبَ فَوْقَ فَوْدِي يُرَعَوِي
من شَيْنِهِ ، وَلَا رَقِيبَ يُخْتَشِي !

أَيَّامِ أُنْسٍ أَسْرَعَتْ فِي خَطْوِهَا
كَذَا اللَّتَاذَاتِ سَرِيعَاتِ الخُطَا

يا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ فَأَنْتَ قَلْبٌ
وَأَنْتَ عِنْدِي ذُو دَهَامٍ وَحِجَا

فَلَا يَهْوِلُنَّكَ صَرَفُ الدَّهْرِ فِي
ما قد جَنَى عَلَيْكَ مِنْ خَطْبِ الذَّوَى

[١٠٤ / أ]

فَكُلْ وَصَلِّ يَنْتَهِي لِغُرُقَةٍ
تَفْرَى العُرَى مِنْهُ وَإِنْ طَالَ المَدَى

50 والدَّهْرُ فِي صُرُوفِهِ ذُو عَجَبٍ
يُؤَدِّنِي بِهَا كُلُّ جَدِيدٍ لِلْبَلَى

يَبْكِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ
وَيَعْقِبُ الكَرْبَ إِذَا العَيْشُ صَفَا

كَمْ مَلِكٍ ذِي نَجْدَةٍ فِي مُلْكِهِ
يَضِيقُ عَنْ جُنُودِهِ رَحْبُ الفَضَا

قد مَلِكَ الأَرْضَ وراضَ صَعْبَهَا
 وشيّد القُصورَ فيها والبُنَى
 أخنى عليه دهره وعاقتهُ عن كُلِّ ما شيّده وما بنى
 55 أينَ الألى شادوا وساسوا مُلُكَهُمْ
 كمثلِ سامانٍ وعادٍ وسبا
 دارتْ على أدؤُرهم^(١) دوائرُ وجرتْ عواكسُ المنايا والرّدى !
 وأينَ باني إرمٍ وجيشُهُ ؟
 صاروا رَمِيماً تَحْتَ أطباقِ الثّرى !
 ومَلِكُ كِسرى حينَ تَمَّ أَيْدُهُ
 أَوْهَتَهُ أَعْداءُ اللَّيالي فَوَهى
 ولم تُقْصِرْ عن مُلُوكِ قَيْصَرٍ
 حتّى أبادَتْهُمْ وطاحُوا في التّوى^(٢)
 60 ولم تَدْعُ من مُلِكِ غَسّانٍ فتى
 سامى المَعالي في ذُرَاهَا وسَمَا
 وكم مُلُوكٍ قَهَرُوا بِمُلُكِهِمْ
 أَسَدَ الثّرى صاروا حَديثاً في الدّنى
 هَذي هِيَ الدّنيا فلا يَغْرُرُكَ ما
 تَراهُ فيها مِن سرورٍ وهَناءٍ !
 فانتَفُضَ يَدُوكَ مِن عَراها وارمِها
 وابراً بِها^(٣) إن كنتَ من أَهلِ النّهى !

(١) أدؤُر ج دار .

(٢) التوى : الهلاك .

(٣) كذا في الأصلين وقرأها الأستاذ كرون : وادراً بها .

وظنَّ بالإخوانِ شراً واخشَهُمْ وصيرَ الأحبابَ منهم كالعدا
65 وإن أردتَ مُخبرَهُمْ فاخبرُ فَمَا
خَبِيرَ قوماً أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَا !

وسِرَّكَ اكْتُمْنَهُ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا
تُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنَ الْوَرَى

واقْنَعْ - على عِزِّ بَيْكفِي وَلَا
تَحْرُصْ فَإِنَّ الْحِرْصَ ذُلٌّ لِلْمَفْتَى
وسايرِ النَّاسِ على أَخْلَاقِهِمْ وساعِدِ الْمُسْتَعِيدَ واحْمِلْ مَنْ جَفَا
وصافِيهِمْ وَإِنْ أَسَاؤُا زَيْنَةً فَإِنَّمَا لِكُلِّ شَخْصٍ مَا ذَوَى
[١٠٤ / ب]

70 كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ لَوَدَّهِ لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ عَلَى الْحِقْدِ انْطَوَى
يَشْكُرُ فِي وَجْهِكَ إِنْ لَاقَيْتَهُ وَإِنْ تَغَبَّ يَغْتَبِّكَ فِي كُلِّ مَلَا
يُذِيعُ مَا يَرَاهُ مِنْ قُبْحٍ وَإِنْ رَأَى جَمِيلاً مِنْكَ أَخْفَى مَا رَأَى
فَانْتَرَكْ إِخَا مَنْ هَذِهِ سِرَّتُهُ وَاهْجُرَّهُ فِي اللَّهِ وَدَعَاهُ وَالْعَمَى
وَلَا تَهَابَنْ ذَوِي الْجَهْلِ وَإِنْ رَاقَكَ مِنْهُمْ مُنْتَسِدِي وَمُنْتَسَمِي

75 كَمْ مِنْ أَنَاسٍ كَالْأَنَاسِي مَنَنْظَرًا فَهُمْ إِذَا أَشْبَهَ شَيْءٌ بِالْأَمَى

وَكَمْ رِجَالٍ فِي الدُّنْيَى لَيْسَ لَهُمْ
مِنَ الْعُلَا إِلَّا الْأَسَامِي وَالْكُنَى

يُرُونَ أَنَّ الْمَجْدَ وَالْعَلِيَاءَ فِي
مَا يُنْتَقَى مِنْ أَهْآتٍ وَكُسَا

لَيْسَ الْعُلَا وَالْمَجْدُ إِلَّا لَامْرِيءٍ
رَقَا إِلَى أَفْئِقِ الْمَعَالِي وَارْتَقَى

وصمّم العزم على ترك الهوى
وجدد في طيلاب ما يجدي الثنا

80 وانتهل الشهب الداراري رفعة

وامتهد البدر المنير واعتلى
وما المعالي غير علم رائق
يضيّر المرء على أعلى السها
طوبى لمن برز في ميدانه
وابتدر السبق لديه وجرى
وجدد فيه وحماه جدّه
حتى ارتقى منه بأسمى مرتقى
ودان بالدين القويم والعلا
وازدان بالخلق الجميل والتقى

85 لله قيوّم قارعوا أنفسهم

عن الهوى إذ قارعوا باب الرضا
عابوا نفيس الدر والعقيان إذ
باعوا نفوسهم بأنفاس عسلا
وأنت يا نفس شغلت بالهوى
حتى هويت منه في قعر هوى
ففرطت إذ أفرطت في اكتساب ما
يردي ولم أسلك سبيل من نجا
كم خضت في بحر المعاصي جامجا
لا أرعوي نصحا للحي من لعا

[١٠٥ / أ]

90 وكم تبعت إذا تبعته أملا
قد انقضت لذته وما انقضى
واحسرتا قد مرّ عمري ضائعا
بين خزهبات لهو وهوى
هلكت في الهلاك لولا أنني
ذخرت ذخرا أرتجي به الهدى

- وليسَ ذخري غيرُ مدحِ أحمدٍ
سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرّاً ، وكفى
مُحَمَّدُ أَسْمَى النَّبِيِّينَ عَلَاً وَمَنْ كَأَحْمَدَ النَّبِيِّ الْمُسْطَفَى
95 أَكْرَمَ مَبْعُوثٍ لِحَيْرِ أُمَّةٍ فَضَّلَهَا اللَّهُ بِهِ عَلَى الْوَرَى
توراةُ مُوسَى قَدْ أَتَتْ بِبَعْثِهِ وَصَدَّقَ الْإِنْجِيلُ مَا فِيهَا أَتَى
قَدْ أَكْثَرَتْ فِي كُتُبِهَا الْأَحْبَارِ مِنْ
ما أَخْبَرْتُ^١ مِنْ فَضْلِهِ فِيمَا مَضَى
وَأَشْرَقَتْ بَنُورُهُ الْآفَاقُ فِي مَوْلَدِهِ ، وَشَرِقَتْ مِنْهُ الشُّمُ
فَالْمَلِكُ كَسَرَى قَدْ قَدَّاعَى صَرْحَهُ
وَانْقَضَتْ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَهَوَى
100 وَفَارِسٌ قَدْ تَحَدَّتْ نِيرَانُهَا وَأَلْفَ عَامٍ سَعَرَتْ فِيهَا خَلَا
وَعَارَ نَهْرُ سَاوَةِ^(٢) فَسَاءَ مَا لِقَيْتَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ صَدَى
وَحَرَّتِ الْأَوْثَانُ يَوْمَ بَعْثِهِ وَظَهَرَ الذُّلُّ عَلَيْهَا وَبَدَا
وَانْبَعَثَتْ ثَوَاقِبُ الشُّهْبِ تُرَى مُحْرَقَةً لِلْجَيْنِ فِي جَوْ السَّمَاءِ
وَكَمْ لَهُ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمُعْجَزَاتٍ مِثْلَ إِشْرَاقِ الضُّحَا
105 مِنْهُمْ نُطِقَ الذَّيْبُ فِي تَصَدِيقِهِ
وَالْعَيْرُ أَيْضاً وَالذَّرَاعُ وَالرَّشَا

(١) فِي الْأَصْلِينَ : اخْتَرَتْ وَلَعَلَّهَا كَمَا أَثْبَتَ .

(٢) سَاوَةُ : قَرْيَةٌ فِي الطَّرِيقِ مَا بَيْنَ هَمْدَانَ وَالرِّي . وَهِيَ الَّتِي رَوَى أَنَّ الْمَوْبِذَانَ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ بَحِيرَتَهَا غَاضَتْ ، فِي حِينَ رَأَى كَسْرَى ارْتَجَاسَ الْإِيوَانِ وَخُودَ النَّيْرَانِ .
(رَاجِعِ الرُّوسَ الْمَعْطَارَ ٢٩٧) .

ومن عَظِيمِ الْمُعْجَزَاتِ أَنْشَهُ
قد سَبَّحْتَ في كَفِّهِ صُمُّ الحَصَا

والجِذَعِ إِذْ فَارَقَهُ حَنَّ كَمَا
تَحْنُ ذِكْلَى هَاجَهَا حَرُّ الْجَوَى^(١)
وَالسَّرْحُ بِالشَّامِ لَهَا أُعْجُوبَةٌ إِذْ عَفَّرَتْ أَغْصَانَهَا عَلَى الثَّرَى
وَالْأَيْكِ إِذْ أَمَرَتْهَا فَأَقْبَلَتْ

وما بَقِيَ عِرْقٌ يَبْهًا إِلَّا أَنْفَرَى^(٢)
110 وقلتَ عُدُودِي فَكُنْ أَصْلَتَهَا مَا زَالَ عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا نَبَأَى
[١٠٥ / ب]

وَالشَّاةُ إِذْ مَسَّحَتْهَا عَادَتْ بِهِ
بعد الهُزَالِ ذَاتِ نَحْضٍ يَشْتَهَى^(٣)

فَرَوَتْ الرُّكْبَ بِشُكْرٍ^(٤) ضَرَعَهَا
إِذْ سَحَّ مِنْهَا الضَّرْعُ ذُرًّا وَانْتَهَمَى
وَفِي انْشِقَاقِ الْبَدْرِ أَيُّ آبَةٍ
بَانتْ وَمَا كَانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى

وَكَمْ مَشَتْ مِنْ فَوْقِهِ غَمَامَةً
تَقِيهِ حَرَّ الشَّمْسِ حَيْثُمَا مَشَى

(١) في الأصلين : الجدا . قلت والأشبه «الجوى». والجدا - بضم الجيم - ج جذوة : القبسة من النار والجمرة ، وفيه تكلف .

(٢) أنفرى : انشق .

(٣) النحض : اللحم أو المكتنز منه .

(٤) شكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، وأشكر الضرع : امتلأ .

115 وآية الغار مع الصديق إذ
تواريا في جوفه عن العدا

قال له الصديق كيف نختفي
ونحن فيه عرض لمن يرى ؟
فقال : لا تحزن ، فإن الله قد

حجبنا عن كل ضرر وأذى
فحباك فيه العنكبوت سادلاً
ببابه في الحين سيجفاً قد صفا
وسدت وجهه النبي سرحته

جاءت إلى الغار بأغصان علا
120 وحام في الحين الحمام حامياً
كأنه منذ أزمّن فيه ثوى

ولسيلة المعراج أجنى آية
إذ سار من مكة ليلاً وسرى
فاخترق السبع الطبق صاعداً
حتى انتهى منها لأعلى منتهى

وائتم سكان السموات به
من ملك ومن نبي مجتبي
سائره جبريل حتى أشرفا
معا على ببحار نور ومنا

125 فقال جبريل تقدّم راشد
هذا مقامي في السموات العلى

فاخترقَ الأنوارَ يمشي وحدهُ
والحُجبُ تنجأ بهُ حيثُ انشَمَى
وقامتِ الأملاكُ إجلالاً لهُ أمامهُ يسعون حيثُما سعى
ناداه في ذاك المقامَ رَبُّهُ
يا صفوةَ الخلقِ ادنُ مِنِّي ، فدنا
فكانَ منهُ قابَ قَوْسَينِ فما كَذَبَ إذ ذاكَ الفؤادُ ما رأى
130 خلا بهِ حتَّى حباهُ آيةٌ ما زاغَ فيها بصرٌ ولا تطفئُ
وكانَ هذا كُلُّهُ في لَيْلَةٍ لم يَسْتَلِبْهَا الصُّبْحُ أثوابَ الدُّجَا
[١٠٦ / ب]

وفي نزولِ الغيثِ عامَ المَحَلِّ ما
سرَّ نَفوسَ الخَلْقِ طُرّاً وجَلّا
إذ أَمْسَكَ القَطَرُ عن الأرضِ ولم
يُنْثَلِ بها غَيْثٌ ولا هَبَّتْ صَبَا !
حتَّى دَعَا اللهَ لِيَسْقِي أَرْضَهُ فَسَحَّتِ السُّحُبُ هَطَالِ الحَيَا
135 وَبَقِيَتْ سَبْعاً مُرَبِّقُ رَيْقاً راقَ بهِ تَوَرُّ البِطَاحِ والرِّبَا
فأفرطَ الوَبَلُ عَلَى الخَلْقِ ، فلم يُقْلِعْ ولا انجأ الحَيَا حتَّى دَعَا
والصَّاعُ اتَّسَعَتْ بِهِ أَلْفَا (١) كأ
أرويت نصفَ الألفِ والألفَ معاً

(١) كذا وقع البيت في الأصلين . قلت ويستقيم وزن الصدر ، لو كان :

★ واتسعت ألفاً به الصاع كما ★

وعاد بعد شيباع القوم كأن
 لم (ينتقص) (١) منه طعام بل نتما
 وقصة الزوراء فيها عجب
 إذ روي الجيش جميعا من إنا
 140 وضع فيه كفه فانهل من أنملها ماء فمير وجرى
 وكان جيشا من ثلاث مئة فكلتهم غف منه وارتوى
 وفي نزول الوحي أمر هال إذ
 أعجز أرباب البيان والحجا
 أنزل في عصر البيان فتلي على الجميع في البوادي والقرى
 طلبت منهم في سورة من مثله
 فكلتهم إذ ذاك للعجز انشمت
 145 فقام منهم كاذب معارض (٢) هدى بيعي غيه وما هدى
 جاء بقول هل هل مقبح (٣) وفاه فيه بفري لا ترقضى
 تجبه الآذان (٤) عند سمعه
 نظم ركيك النسيج ، إفك مفتري
 كأنه منطلق ورها (٥) مسها
 خبل من الجين ففاهت بالهرا

(١) في النسختين : ينقص ، والمثبت مقترح .
 (٢) في « م » معارضاً .
 (٣) كذا قرأتها ، وأقرأ « متبح » ؟
 (٤) في « ط » الأذهان .
 (٥) الورهاء : الحقاء .

وردّه عين قتادة كنها كانت فعادت ذات حُسْنٍ وبها
 150 وكم أنالت كفته من نعيمٍ وكم أزالَتْ من وبالٍ وعنا
 وكم له من غزوة ذلّت له فيها رقابُ المشركين والعيدا
 قادَ بها مین صحبه عساكراً عزٌ بهم دينُ الإلهِ وسما
 [١٠٦/ب]

من كل شهم مكتم (١) بحزميه وممتطٍ للعزم أسنى مُمتطى
 يسقي كؤوس الحنّف في يوم الوغى كلّ عدوٍ ضلّ فيها وغوى
 155 بكلّ رُمحٍ نافذٍ بادي السّنا وكلّ نصّل باترٍ ماضي الشّبا
 أسدٍ لدى الهيجام لكنّ ما لهم
 غاب سيوى ظيلّ القتّام والقنا

كم زاوَلُوا الأورادَ في ظلماتهم
 وقاتلُوا الأبطالَ يومَ الملتقى
 فهُمْ إذا جنّ الظلامُ سجدّ وبالنهّارِ مضرمو نارٍ الوغى
 ريع بهم فؤادُ كلّ مشرّكٍ
 من كلّ شاكٍ عاثَ كُفراً وعنا (٢)

160 كم صدموا أقبالَ كلّ جحفّلٍ
 وكم أداروا بينهم كاسَ الردى
 ومن يكنّ نصيرَه محمّد
 خيرُ الورى تجمّ له أسدُ الشرى

(١) المتكفي في سلاحه : أي المتغطي المستتر بالدرع والغفارة .

(٢) عاث يعمش ، وعنا يعمش : أفسد

سَلَّ عَنْهُمْ بَدْرًا وَسَلَّ أَبْطَالُهَا
 مَا فَعَلُوا إِذْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْي
 جَاءَتْ جِيُوشُ الشَّرِكِ فِي عَسَاكِرِ
 بِيَسْبُقِ قَعْدَرِ بِيَهْنِ الْجَمَزَى (١)
 قَادُوا تَخِيْسًا غَصَّتِ الْأَرْضُ بِهِ
 مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ وَلَيْثٍ قَدْ سَطَا
 165 فُجَاءَ جَبْرِيلُ بِأَمْلَاقٍ لَهُمْ
 تَخِيلُ مِنَ الْكَدَنِ سَرِيعَاتُ الْخُطَا
 بَعْدَ ذِي كَثْرَةٍ وَعُدْدٍ
 مَا حَاكَ خَلْقُهُ نَسْجَهَا وَلَا حَكَى
 جُنْدُ حَمَى اللَّهِ بِهِ نَبِيَّهِ
 أَكْرِمُ بِمَحْمِيٍّ بِهِ وَمَنْ حَمَى
 وَكَانَ مِنْ آيَاتِ بَدْرِ أَنْثَى
 رَمَى جِيُوشَهُمْ بِكَفٍّ مِنْ حَصَى
 أَصْبَتْ مِنْهُمْ أَغْنَيْنَا فَعَمِيَّتْ
 وَامْتَلَأَتْ حِينَ رَمَيْتَ بِالْقَنْدَى
 170 وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ أَغْنَيْنَا
 مِنْهُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ رَمَى
 فَكَلَّاهُمْ عَقْلَ عَنْ حِرَاكِهِ
 وَجَاشَ مِمَّا قَدْ دَهَاهُ وَجَاشَا
 مَوْضِعَ حَتَفٍ حَانَ فِيهِ حَيْنُهُمْ
 وَرَوَيْتَ أَقْطَارَهُ مِنْ الدِّمَا
 فَكَمْ قَتِيلٍ خَرَّ مَبْتُورَ الْمِيعَا
 وَكَمْ طَرِيدٍ فَرَّ مَذْعُورَ الْحَشَا

[١٠٧ / أ]

وَكَمْ أُسِيرٍ مُشْتَخَنٍ فِي قَيْدِهِ
 إِمَّا إِلَى الْمَنِّ وَإِمَّا لِلْفِدَا
 175 وَغَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِيهَا عَجَبٌ
 إِذْ ابْتَلَى اللَّهُ بِهَا مَنْ ابْتَلَى

(١) الجز ضرب من السير ، والناقة تعدو (الجزى) وكذا الفرس .

أَقْبَلَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ كُلَّهُمْ وَجَيْشُوا الْأَحْزَابَ مِنْ كُلِّ مَلَا
حَرَضَهُمْ بَنُو النَّضِيرِ إِذْ بَغَوْا

وغيرهم مِنْ الْيَهُودِ وَالْعَبِيدِ

وَصَارَ خَوْا مِنْ غَطْفَانَ عَسْكَرًا (١)

عَرَمَرَمًا مِنْ [كُلِّ] جَبَّارٍ عَصَى (٢)

رَامُوا بِجَيْشِ الْمَسْلُومِينَ نَقْمَةً إِذْ جَيْشُوا بِرُومَةٍ؟ ، وَنَقِمَا
180 أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ لَهُمْ

فِي مُعْضَلَاتِ الْحَرْبِ مَكْرُودَهَا

مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ وَمِنْ نَجْدٍ وَمِنْ
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ كُلُّ مُؤْمِنٍ
فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى عَدُوَّتِهِمْ
وَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةً
185 لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْبَلَاءَ عَمَّهُمْ
جَلَّاهُمْ دُونَ قِتَالِ رَبَّنَا
وَانْقَرَضَتْ قُرَيْظَةٌ بِالْقَتْلِ إِذْ
خَانُوا وَخَالُوا أَنْتَهُمْ ذَوُو نُهَى

مَا بَيْنَ سَبْعِمِائَةٍ وَنِيفٍ

قَدْ ضَرَبَتْ بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ الطُّغَى

لَمْ يَقْبِهِمْ مِنَ الْمَنَایَا وَالرَّءَى مَا شَيْدُوهُ مِنْ أَحْصُونِ وَبُسَى
190 فَمَا حَيِّي حَيِّي بْنِ أَخْطَبٍ بِمَا جَنَى عَمْدًا وَلَا كَعْبُ نَجَا !
رَاحَتْ غَدَاةٌ غَوْدِرُوا رَهْنَ التَّوَى

أَرْوَاهُمْ مِنَ الدُّنَى إِلَى لَطَى !

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : عَسْكَر .

(٢) (كُلِّ) سَقَطَتْ مِنْ م . وَفِي ط « مِنْ جَبَّارٍ قَدْ عَصَى »

وقد فشت أخبار أرض خيبر إذ خربت بما أوتاهها من توى
حل بهم جيش النبي غداة وعمهم من جأشه خطب دهي
فاستفتحوا حصونهم ، واستأصلوا
أعيانهم بالمرفات والقنا

[١٠٧ ب]

195 وفي عليّ إذ أراد بعثته
كان بعينه أذى من رمديد
وسار في الحين إليهم فاشيراً
قلع باب خيبر فما عصى
أقامته عن ترسه فلم يزل
200 فاستفتح الحصن الحصين واعتلى
وحين تم المصطفى افتتاحه
حاصرهم لياليا وآب من
وفي افتتاح مكة عز غدا
إذ جاءها يزحف في عساكر
205 كتنائب كأنها كواكب
ملأتها خيلاً ورجلاً منهم
جبت بهم ظلماء نفع ما لها
عشرة آلاف كرام ألفت

[لخير] معجزة لمن يرى (١)
فتقل النبي فيها فبرا
رايته يجوب بال جيش الفلا
راحتة كأنه فيها عصا
بيده حق جرى ما قد رجا
به على الأديان دين المجتبي
لخيبر سار إلى وادي القرى
غزوه تلك بعلق مقتنى
مذل كل كافر فيها عدا
ضاق بها رحب الأراضي والفلا
وهو بها كأنه (٢) بدر الدجى
بين جبال وبطاح وربى
ثواقب إلا أسنة القنا
قلوبهم طرأ على سبل الهدى

(١) [لخير] مقترحة اهتداء بالبيت ٩٨ : وفي ط « لبعض مجزة » !

(٢) في الأصلين : كأنها . ونرجح ما أثبت .

قَبَائِلُ عَلَتْ عَلَى قَبَائِلٍ مِنْ كُلِّ شَهْمٍ فِي الْحُرُوبِ مُتَمَقِّى
210 وكلَّ ضَيْرُ غَمٍّ بِصَيْرٍ بِالْوَعَى
قد سَلَّ نَصْلَ الْعَزْمِ فِيهَا وَانْتَمَضَى

أَقْبَلَتْ فِي كَتِيبَةٍ خَضْرَاءَ قَدْ
حَفَّتْ بِهَا التَّايِيدُ مِنْ رَبِّ الْعُلَا
عَنْتَ بِهَا رَكائبُ كَانَهَا مراكِبُ فِي لُجٍّ قِمَاقٍ طَمَا
وَأَنْتَ يَا خَيْرَ الْوَرَى تَقْدُمُهَا كَأَنْتَمَا أَنْتَ بِهَا شَمْسُ الضُّحَا
أَتَيْتَ فِي جَنْدِ الْإِلَهِ رَافِئِلًا فِي ثَوْبٍ تَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ قَدْ صَفَا
215 وَالْخَيْلُ مِنْ خَلْفِكَ تَحْتَالُ بِهَا وَالْعَيْسُ تَتَنَشَّلُ ثَنَاءً وَثْنَى

[١٠٨ / أ]

قَدْ انْطَوَيْتَ مِنْ تَوَاضِعٍ عَلَى
رَحِمْلِكَ لَمَّا أَنْ وَصَلْتَ ذَا طَوَى (١)

خَشَعْتَ مِنْ تَحْتِ لَوَاءِ الْعَزَّةِ إِذْ
عَلَا بِكَ الدِّينُ كَالَأَسْمَا
فَاهْتَزَّتِ الْأَرْضُ بِهِ مِنْ فَرَجٍ وَزَهْوٍ إِذْ حَلَّ بِهَا عَيْشٌ حَلَا
عِزُّ نَبِيِّ عَقْدَ اللَّهِ لَهُ لَوَاءُهُ (٢) فَوْقَ السَّمَاءَاتِ الْعُلَا
220 وَحِينَ حَطَّ رَحْلُهُ بَيْنَكَةَ كَبَا بِهَا كُلَّ عَدُوٍّ وَبَكَى
لَمْ يَبْقَ إِذْ ذَاكَ بِهَا مِنْ مُشْرِكٍ إِلَّا اخْتَفَى خَوْفًا بِهَا ، أَوْ انْجَلَى

(١) ذر طوى . واد بمكة ، لما انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وقف على

راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى

ما أكرمه الله عز وجل به من الفتح ، حتى إن عثونه ليكاد يس واسطة الرجل .

(٢) في الأصلين « لواء » ونرجح ما أثبت .

فما أفادت « ابن حرب » حربه^١ حتى أتاه صاغيراً فيمن أتى
ولا حنى فيها « حماساً » حزمه^٢
حق نجا منهزماً فيمن نجى
فكان من فضل النبي^٣ المجتبي
يَوْمئذٍ أَنْ كَفَّ عَنْهُمْ وَعَفَا
225 وطاف بالبيت العتيق شاكراً لله ما أعطاه فضلاً وحبا
ومر بالأصنام إذ طاف به^٤ يشير^٥ نَجَوهَا فَنَحَرَتْ^٦ للشرى
فبعضها خروء على الوجه لما أصابته^٧ ، وبعضها على القفا !
فأصبح الدين القويم قِيَمًا^٨ مما على الأديان طراً^٩ وعلا
وعادَ بَرَقُ الشُّرْكِ بَرَقًا خَلْبًا^{١٠}
- من بعد ما أومض حيناً - وخبا
230 وفي حنين حان حين^{١١} حارت
وملك مالك بن عوف^{١٢} قد عفا !
دارت عليهم إذ أتوا^{١٣} دوائر^{١٤}
وأسلموا « دُرَيْدَهُمْ » إلى الردى^{١٥}
لما أتاهم ما حبا الله به^{١٦} نبيّه^{١٧} من الفتوح والغنى
غاضهم^{١٨} فجمعوا من حينهم^{١٩} عساكراً ممن تولّى وغوى
وجمعت « هوازن » قبائل^{٢٠}
يمن زها عقلاً بها حتى هوى^{٢١}
235 جاؤوا بأطفال وأموال لهم^{٢٢}
من ذي بُكاء^{٢٣} ويعار^{٢٤} (١) ورغا !

(١) اليعار : صوت الغنم أو المعزى . والرغاء : صوت البعير .

فخرجَ النبيُّ في عساكرٍ من كلِّ صُنْدِيدٍ كريمٍ المُتَنَمَّى
[١٠٨/ب]

عساكرُ تَتَبَعُهَا عساكرُ كلُّ له عزمٌ إذا الخُطْبُ عَرا
لما تَراعى العَسَكرانِ أَقْبَلْتُ

جِيوشُ أَهلِ الشَّرِكِ تَعْدُو الخَيْزَلَى
فَفَرَّ جَيْشُ المُسْلِمِينَ هَارِبًا
فَإَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ سَكِينَةً شَامَ بِهَا بَرْقَ المُنَى
أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيِّ المِصْطَفَى
فَقَامَ فِي الجَيْشِ لَهُمُ مُنَادِيًا
إِلَيْهِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ إِذْ دَعَا
ثُمَّ دَعَا العَبَّاسُ جَهْرًا فَانْتَنَى
فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ نُحُودُ مِثْلٍ
يَمُنُّ بِهِ فِي المَعْضَلَاتِ يَهْتَدَى
وَأَيَّدُوا بِعَسَاكِرٍ عَرَمَ مَرَمٍ
أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ
245 فَانْهَزَمَتْ جِيوشُ أَهلِ الشَّرِكِ إِذْ

حَمَى جِيوشَ المُسْلِمِينَ مَنْ حَمَى
فَخَذَلُوا طَعْنًا وَضَرْبًا إِذْ جَشَوْا
بَيْنَ عَوَامِلِ الرَّمَاكِ وَالظُّشْبَا
نَصَرْتُ إِلَهِي قَضَى اللهُ بِهِ

مَنْ قَبْلَ خَلْقِ الخَلْقِ فِيمَا قَدْ مَضَى
نَبِيٌّ صَدَقَ فِي زَهْدِهِ مَا فَوْقَهُ يُعْتَمَلُ مِنْ مُعْتَمَلٍ
عَذَتْ لَهُ شَمُّ الجِبَالِ ذَهَبًا طَوَعَ يَدِيهِ مِنْ دَنَا وَمِنْ قَصَى
250 وَرَاوَدَتْهُ بُرْهَةٌ عَنْ نَفْسِهِ فَمَا اشْرَابَ نُحُوحَهَا وَلَا رَنَا
كَمْ وَقَفَ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ قَانِتًا لَمْ يَغْتَمِضْ بِسِنَّةٍ وَلَا كَرَى

حتى اشتكت رجلاه ما قد نالها

وشفتها من ورم (مأى) (١)؟

فأنزلت (طه) له تَكْرِمَةً

وكم طوى إنابةً لِرَبِّهِ

255 لولاه ما كانت سموات ولا

هو الحبيب الأمرُ الناهي الذي

هو الشفيعُ في المعادِ للورى

[١٠٩ / أ]

هو المُرَجَّى (٢) للخطوبِ كاشفاً

هو الذي من أمه مُستشفعا

260 هو الذي فاقَ النبيينَ معاً

فكلّشهم مُسلمٌ لفضله

وكلّشهم من تجرّه مغترباً

وكلّشهم دونَ علاه واقفاً

وكل ما جاؤوا به من آية

265 فانسب له ما شئتُه من شرف

فلا ترى تبلغُ منه غايةً

وما عسى تُثني عليه مادحاً

وربه في تحكيم القرآنِ قد

أثنى عليه وحباه بالهدى

(١) كلمة وردت مهملة ، ورسعها فيها « ماوا » ويمكن قراءتها بالفاء .

(٢) في الأصلين : هو المرتجى . والمثبت مقترح .

يا أيها المبعوثُ فينا رَحمةً أنقذنا الله بها من الردى
 270 خدمتمكم بمدحتي هذي وإن كنت من الإحسان ثاني المستأى^(١)
 أقصرتُ إذ كنتُ بها مقصراً أو لم أجد فيها معنى مُنتقى
 لكنني طررتُها من مدحكُم بجلل ذات بهاء وحلا
 مقصورةٌ، لكنّها مقصورةٌ على امتداح المصطفى خير الوارى
 ما شبَّهها بمدح خلقٍ غيره لرتبة أحظى بها ولا جزا
 275 فاقت^(٢) علاء كل ذي مقصورةٍ
 وإن هم نالوا الأيادي واللاهبا
 فحازم قد عدَّ غير حازم^(٣)
 وابن دُرَيْدٍ^(٤) لم يُفِدهُ مسا درى
 فإن أكن ملقى الغنى من غيره^(٥)
 فلن يفوت مملقاً منه الغنى
 وإنا قصدي أن أحظى بها
 يبقى من الذكر الجميل والتمقى

(١) في « م » المنتوى وفي « ط » المنتوى . والمنتأى : الموضع البعيد .

(٢) فيها : فقلت . والمثبت مقترح مرجح .

(٣) حازم بن محمد بن حسن القرطاجي (٦٠٨ - ٦٨٤) أديب ، شاعر ، ناقد أندلسي

بايخ نسبته إلى قرطاجنة الأندلس هاجر إلى المغرب واستقر بإفريقية ، وتوفي بتونس
 وله ديوان شعر (ط) وكتاب في النقد هو منهاج البلغاء (ط) ، وكتب أخرى .

وله مقصورة طبعت في حوليات كلية آداب عين شمس .

(٤) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة والأدب (٢٢٣ - ٣٢١) مؤلفاته
 كثيرة في النحو واللغة والأدب وغيرها وأكثرها مطبوع . وله مقصورة مشهورة في مدح

آل ميكال . وله أيضاً ديوان شعر مطبوع .

(٥) فيها : ملقى ، وضبطت فيها بفتح الميم .

[١٠٩ / ب]

وأستجيرُ من ذنوبٍ أثقلتُ ظهري وأوهى ثِقَلُها منهُ القَوَى
280 وأَقعدتني مُقعداً قد غَضَنِي كَأَنِّي مِنْهُ عَلَى جَمْرٍ الْغَضَا
يا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلامٌ وَنداء يا سَيِّدَ الرُّسُلِ الْكَرِيمِ الْمُنتَمَى
يا صاحِبَ الْحَوْضِ الَّذِي مِنْ أَمِّهِ

يَظْفَرُ بِوَرْدٍ لَمْ تَكْدِرْهُ الدَّلَا
بَاعَ الْعَالِي^(١) واشْتَرَى غِيَّ الْهَوَى

يا نَيْعَمَ ما بَاعَ وبَيْسَ ما اشْتَرَى !
فَكَمْ أَضَاعَ فِي الدُّنَا سَبَلَ الْهُدَى

وَكَمْ أَطَاعَ فِي الْهَوَى غِيَّ الصَّبَا
285 فَكُنْ شَفِيعِي يَوْمَ لَا يُغْنِي امْرَأَ

ما ضَمَّ مِنْ مَالِ الدُّنَا وما حَوَى
يا رَبِّ بِالْمُخْتَارِ مِنْ أَرْوَمَةِ

قَصَّرَ عَنْهَا كُلُّ أَصْلٍ قَدْ زَكَا
وَمَنْ لَهُ كُلُّ فَخَارٍ انْتَمَى

وَمَنْ بِهِ كُلُّ نَبِيٍّ اقْتَمَدَى
خُذْ بِيَسْدي وَاْمْنُنْ بِلُطْفِ مَنْكَ فِي

دِينِي وَدُنْيَايَ وَجُودِي لِي بِالرُّضَا
وَاعْفِرْ بَعْفُوً مَنْكَ ما اجْتَرَمْتُهُ

وَاصْفَحْ عَنِ الزَّلَّاتِ يا رَبَّ الْعِلا
290 وَاجْتَلِ صَدَا قَلْبِي وَهَبْ لِي تَوْبَةً
أَحْوِ بِهَا آثَامَ قَلْبٍ قَدْ قَسَا

(١) ورد هذا البيت والذي بعده في هذا الموضع في النسختين .

فلستُ ألقى لِسِوَاكَ راجياً وَمَنْ سِوَاكَ يَا إِلَهِي يُرْتَجَى ؟
 وَاِرْحَمُ مُحَمَّدًا وَآلَ بَيْتِهِ وَصَحْبَهُ الْغُرَّ الْكِرَامَ الْمُتَنَمَّى
 صَلِّ صَلَاةً مِنْكَ تَتَرَى أَبَدًا عَلَيْهِ مَا هَبَّتْ عَلَى الرُّوْضِ الصَّبَا

صاحبنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ
 عبد الله بن محمد البكري .

يكنى : أبا محمد ، وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته ،
 وأصل سلفه من الأندلس . وبالأندلسي يُعرف .

حاله :

له معرفة بالعربية ، وثقوب ذهن في الطريقة الأدبية . قد أخذ
 من المنطق بأوفى سهم ، وضرب في الفصاحة بسهم . وحوى الجود
 والعفاف [١١٠ / أ] وقنع في دنياه بالكفاف !

أنشدني لنفسه :

رَعِيًا لِبَدْرِ قَدْ قَوَى بِالْحَشَا رَبَّاهُ^(١) مُسْتَنْشِقُهُ إِنْ مَشَى (؟)
 قَدْ غَالَنِي وَاسْتَلَّ مِنْ لَحْظِهِ نَبَلًا فِصَادَ الْقَلْبِ هَذَا الرُّشَا
 اللَّاحِظُ مِنْهُ فَاتَرُ بَاتِرُ وَالْحَسَنُ مِنْ نَشَاتِهِ قَدْ نَشَا

صاحبنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ

محمد بن عمر بن توقرت الموحّد التينملي :

يكنى : أبا عبد الله وهو من أهل فاس . وبها رأيتُه وصحبته .

وبعرف بالمصمودي وكان والده عمر يكتب للوزير أبي زيان فارس
ابن ميمون بن ودرار الحشمي ولحقته ورأيتَه . وأبو عبد الله هذا توفي
في إبان الشبوبية ، وله اثنتان وعشرون سنة .

حاله رحمه الله :

هو بحر الآداب ، ورئيس النحو والحساب ، وأما القراءات فبهز
فيها أهل عصره ، كما كان في النبلاء وحيد مصره ، عف الإزار ، جم
الحيا والوقار . كنت قد أنشدته بيتين أنشدنيهما لنفسه شيخنا الفقيه
القاضي الفرضي أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الوائشريسي . وسبب
نظمه للبيتين أنه بلغه عن بعض الطلبة أن أحدهم نظم أبياتاً في غاية
اللعن والكسر فاستهزؤوا به وسخروا منه ، فخاطبهم بالبيتين ليكفوا
عن ذلك ، وهما :

كُفُّوا عَنِ اللَّشْوَرِ وَالْمِزَاجِ وَاَمْضُوا عَلَى الْجِدِّ وَالصَّلَاحِ
فَالْجِدُّ أَهْلٌ لِّكُلِّ خَيْرٍ يَقُودُ لِلنَّجْحِ وَالْفَلَاحِ

فلما سمعها مني استحسنتها ، ونظم أبياتاً وبعثها مع نثر له
إلى شيخنا القاضي أبي علي المذكور ، وهي :

دَعَوْتَ لِلْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ إِذْ قُلْتُ كُفُّوا عَنِ الْمِزَاجِ
وَذَاكَ أَقْصَى مَدَى الْمَعَالِي وَرُتْبَةُ الرَّشْدِ وَالنَّجَاحِ

[١١٠ / ب]

وَبَعْضُ أَهْلِ الْبِرَاعِ يَلْهَوُ وَلَيْسَ [فِي] ذَاكَ مِنْ صَلاَحِ
فَعِشْ هَنِيئًا قَرِيرَ عَيْنٍ مَا اعْتَقَبُ اللَّثِيلُ مَعَ صَبَاحِ

ولما وقفت على البيتين ورأيتهما في البراعة توأمين ، حملتني دعاية

الأدب ، واستهواني عند سماعها الطرب ، على أن قلت ما جمعت فيه بين (الحسنيتين فلم ينتج كالشدرتين) (١) على أني لو كنت أشعر من العرجي وأحفظ من الأصمعي ، وأبلغ من عبد الحميد وأجمع للحكم من لبيد ، لقصرت عن ذلك المنهج ، ولقيل لي « ليس هذا عشك فادرج » ! لكن الإغضاء من شيم الأصدقاء .

فلاغرو أن يُغضي الكريم إذا رأى
مساوى خل فالكريم الذي يُغضي !

والسلام .

صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن الشيخ الصوفي الصالح
أبي عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بالدباغ (*)

هو من أهل فاس . ونسبه في الخزرج ؛ ينتمي لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي . ورأيتُه بفاس ، وصحبته ، وكان يكتبُ الخراج بفاس . وامتدح ابن عمنا الرئيس إسماعيل بن الأمير فرج بن أمير المسلمين إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير إسماعيل بن جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر بن جدنا السلطان المنصور محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي بقصائد بديعة عارض بها قصائد أبي القاسم ابن هانئ الأندلسي ، وانقطع بها إلى ابن عمنا المذكور .

(١) العبارة مطموسة تقريباً في « ط » ، وهي هكذا في « م » على أن الإعجام غير ظاهر واقرأ أيضاً « الحشتين . . الشدرتين ؟ » .

(*) ترجم له ابن الأحمر في نثر الفوائد « ٣٧٦ » ، وقال فيه « وهو شيعي الذي به تعلمت » . وأورد له شعراً في هذا الكتاب في الباب الأخير قاله في السيف الذي بصومعة جامع القرويين بفاس .

حَالِهِ - سَلَامُهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

هو فارس هذا الميدان ، وإنسان عين الزمان . له نظم رائق جمع فيه بين الجزالة والحلاوة ، ونثر فائق عليه رداء الطَّلَاوة . وباج عظيم في نقد الأدب ، ومشاركة [في] ^(١) فنون متق من الطَّلَب . وغزله ألدّ من الماء القَرَّاح ، ومدحه أَمْضَى من السيف [١١١ / أ] في الكفاح . قد أقرّ له بالتقدّم [في] القريض ، كل مَنْ نُشِرَ لواءه العريض ، لو رآه العِيَاد ، والصَّاحِبُ بن عبَّاد لَسَامًا إِلَيْهِ في فصاحة لسانه وبلاغة بياضه ، ولشغفنا به وكنا من جملة أخدانه . وماذا عسى أن يحدث لِسَانِي ، أو يكتبه ^(٢) بَنَانِي من وصف حاله ، وكريم خِلَالِهِ . وذاك بحر ، ليس له قعر ! وأثبت هنا من نظمه ما يدلُّك على حسن فهمه .

كنت قد طلبتُ منه شيئاً من شعره الذي امتدح به ابن عمنا الرئيس إسماعيل فبعث به إليّ ، وجاوبني بقوله :

« الْجَلَالُ الذي يقصر عنه الواصف ولو أطل ، والجمال الذي يأوي إليه المعتفي والخائف فيبلغان الآمال . جلال مولانا الرئيس أبي الوليد إسماعيل ابن مولانا الرئيس أبي الحجاج يوسف بن مولانا السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله أبي عبد الله محمد بن مولانا علم الأمراء ووالد الملوك الكبراء الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن مولانا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن مولانا الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر بن مولانا السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي الذي ملك عنان الفضائل الماثورة ، ورفع لواء المحابيل المشكورة . واحتوى على غرر الشئال المبرورة ، قطب الرئاسة الذي عليه

(١) لم تظهر الكلمة في النسختين . (٢) في «ط» تكتبه .

مَدَارُ أَفلاكها ، ودرّة المجد الذي بها فَخَارُ أسلاكها . لا بل حدقة المعاني
وإنسانها ، وحديقة السيادة وبستانها . من إذا ذُكِرَ رائق الآداب فنسيجُ
وحده ، وإذا رُدِّدَ فائق الأحساب فأبيّه وجده . المنتمي من العُصْبَةِ
القحطانية إلى أكرمها نجارا ، وأعزّها جيوارا . وأعلاها مآثر وأغمرها
إيثاراً . الآخذ من طَرَفِي الرياسة من سيف وقلم ، والمستولي على كِلْتَا
السَّجِيئَتَيْنِ من حلم وكُرم . بيد أنه من بيت الملوك الرَّحْبِ الْبِغَا ، الجلي
السَّيِّئِ والسَّيِّئِ . الذي شمخت ذروته ، ورسخت بنيته . وقامتْ على تقوى
اللهِ دعائمه ، وعظُمَتْ في ذاته [سجاياه ^(١)] [١١١ / ب] [و . ٠ . ٠] .

مُلْكٌ قَطَعَتْ دَابِرَ الشَّرِكِ تدابيرُهُ الصَّائِبَةِ ، وَذَبَّتْ عَنِ الْمِلَّةِ الْحَنْفِيَّةِ
ذُبَابَاتِهِ الْقَاضِيَّةَ ^(٢) .

مُلْكٌ خَبَتْ نَارُ النِّفَاقِ مَهَابَةً لجلاله لَمَّا بَدَتْ أَعْلَامُهُ

ألبسته بنو نصر آل الأحمر حمُرُ المَطَارِفِ . وأمدته بسوابغِ
الخيرات من تاليد وطارف . فشامتته جِلْدَةُ الملوكِ بَرَقًا يَخِيلُ .
وأعدته لِكَافَةِ شُؤُونِهَا أَسْفَى مُعَوَّلٍ وَأَوْفَى مُتَكَلِّ . ومن هذا البيت
الكريم بيت أسلافه ، فلا يتعدى بالمدح لخلافه ، ولا يعدل به عن أوصافه .
بل يستعمل فيه الفكر ، على كل من نظم أو نثر . على أنه لو مدحه شاعر
كئده ، وبذل نظامه جهده ؛ وعمد تلقاء ذلك ابن العميد ، وقدامة
وعبد الحميد ؛ لَمَّا حصلوا منه على غاية ، ولا تواصلوا إلى نهاية . لكنه
بفضله يقبل ما يسنح ، ويفضي فيستمح .

(١) كلمتان مطموستان إلا بعض الأحرف ، تبينت الاولى وغمت علي الثانية .

(٢) فيها : القاضية . ونرجح ما أثبت .

وقد بلغني - أبقى الله جنابه منيع الحمى ، رفيع المنعمى - أنه شرع في تأليف كتاب ترجمه بـ « أسنى الوسائل في مختار الشعر والوسائل » يحتوي على غرر ما تخير ونقد ، وأورده على ثاقب ذهنه فورده . كل ذلك مما أحدثه أهل العصر ، من بديع نظم وبلغ نثر . وأنه عند تصفحه أشعار الناس ، وعرضها على ذكائه الذي عجزت عن لحاقه فطرة إياس ؛ ووقفت دونـه وقوف الطامع بين الرجاء والياس . وكان من بعض ما اقتضته حقيقة تأويله ، وعقدت بصحته جملة تفصيله ؛ أن يجعل أشعاري من أحظى الأشعار لديه ، وأرفعها وأعزها عليه . وليس ذلك لغرابة في ألفاظها ومعانيها ، لكن لقراءة لا يمكنه إلا صلة رحها وتدانيها . وذلك أنه لما نظر بعين فطنته ، وميز بذكائه وسالم فطرته ؛ تبين أنها من الفائت الذي لا يلحق ، والشاقق الذي لا يطرق . ولعمري إنها لذلك ، وإن قصرت عن شأو الشعراء نظاما ، وضعفت عن ذلك [١١٢ / أ] المسلك حلولا وإلاما ، فقد أحرزت بممدوحها جلالا وإعظاما ؛ ومالت به في دوحة البلاغة غصنا ناعما ، وطلعت في سماء البراعة بدرأ تماما . ولا غرو أن المنازل تشرف بسكانها ، وتغلو وترخص بغيرانها . وعلى هذا الدأب دأب ، وإلى هذا المذهب ذهب وبه تمذهب .

والله تعالى يبقي بركته ويديم عافيته . ويتمم ما جنحت إليه طباعه ، وسارع إلى تهذيبه من التواليف الشريفة والتصانيف المنيفة يراعـه . والسلام الأتم يعتمد كاله ، ورحمه الله وبركاته . من معظم قدره أحمد ابن محمد الدباغ .

أنشدني لنفسه - نسأ الله في أجله - يمدح ابن عمنّا الرئيس
أبا الوليد إسماعيل ابن الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي
الوليد إسماعيل عمّ أئينا ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن
جدنا الأمير يوسف الشهير بالأحمر ابن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله
أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي :

عَجِبًا أَيْتَخَذُ السَّلَوُ خَلِيلًا
مَنْ لَيْسَ يَأْمَلُ أَنْ يَبِينَ نَحُولًا

جَهْلَ الْعَوَازِلُ مَا بِهِ قَتَجَاذَبُوا
طَرَفَ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ وَالتَّأْوِيلَا

هَيْهَاتَ لَوْ صَحَّتْ بِصَائِرِهِمْ لَمَّا
قَالُوا تَسْلَى حِينَ صَارَ عَلِيًّا !

دَعْ مَا ادَّعَوْهُ وَخَذْ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ
وَمَنْ الدَّلِيلُ تَفْهَمُ الْمَدْلُولَا

5 لَوْ كَانَ يَرْكُنُ لِلْسَّلَوِ لَمَّا بَكَى
شَوْقًا وَحَنًّ صَبَابَةً وَغَلِيًّا

وَاسْتَطَرَفَ السَّقَمَ الْمُبْرَحَ مُطَرَفًا
وَاسْتَعَذَبَ التَّعْذِيبَ وَالتَّنْكِيلَا !

وَالسَّقَمُ أَفْضَحُ فَاضْحٍ لَذَوِي الْهَوَى
وَكَفَى بِذَلِكَ شَاهِدًا مَقْبُولَا

يَا أَيُّهَا الْمَعْدُورُ فِي شَأْنِ الْهَوَى
هَنْئْتُ ، إِنِّي لَمْ أَزَلْ مَعْتَدُولَا !

أنا من عهدت ، أخو الهوى وخديته
ما زلتُ معروفًا به مَسْئولا

[١١٢ / ب]

10 لم أَمْنَحِ السَّلْوانَ بعضَ وفاي^(١) لا
وأبيك ما خنتُ الغَرامَ فتَبيلا
ولرُبِّما أصبحتُ مَشْغُوفًا بِمَن
يُؤمِسي ويُصْبِحُ بالجَنِّ مَشْغُولا
وسنانَ يَتُّ بهِ سَمِيرَ كواكبِ
يَطْوي السَّما بها الدَّجى ترحيلا
وكأنَّه تاجٌ يَلْفِرُق بَدْرَها
وكأنَّها نَظْمٌ لهُ إكليلُ
في ليلَةٍ قَصرت على أبراجِها
أنسا ، وحلَّتْ عَقْدَ صَبْرِي طولا
15 رَقَّ الشَّها فيها لِمَا لاقَيتُهُ
وَجَدْتُ فَأُخْفاهُ ضَعْفُ وذبولا
[لايَبعِد]^(٢) اللهُ التي تَرَكْتُ دَمِي
أَسْفًا على أَطْلَاحِها مَطْئولا
وتَحَمَّلْتُ وهي العالِمةُ أنْ لي
قَلْبًا فُؤَيْقَ حَمولِها مَحْمُولا

(١) في « ط » وفاي . وصورة الصفحة مضطربة في « م » وتقرأ « ذماي » أيضا .

(٢) موضع البيت مخروم في « ط » ولم تظهر الكلمة الأولى في « م » . وقريب أن تكون مثل « حفظ » و« رعى » أو « لا يبعد » المؤدية معنى الدعاء ، المقصود منه العتاب الخفيف .

- أَتَسْبَعُهَا يَوْمَ اسْتَقَلْتُ عَيْسُهَا
دَمْعاً يَسْحُ وَلَا عِجاً مَشْفُولا
فَمَتَى ظَلَمْتَ رَوَيْتُهَا ، أَوْ أَظَلَمْتُ
أُجِجْتُ دُونَ مَطِيَّهَا قِنْدِيلًا !
يَا هَذِهِ إِنْ كُنْتَ ظَاعِنَةً فَلَا 20
تَسْتَمْتِ قَلْبِي جَسَدًا غَدًا مَمْزُولا
أَوْ لَيْسَ أَضْحَى فِي قِيَابِكَ قَلْبُهُ
مُلْقَى ، وَأَمْسَى عَقْلُهُ مَعْقُولا ؟ !
وَلَنْ يَخْلَتْ فَمَا عَلَيْكَ مَلَامَةٌ
حَقٌّ لِمِثْلِكَ أَنْ يَكُونَ بَخِيلًا !
مَا لِي وَلِلدَّعِجِ الْمِرَاضِ تَسْوُشْنِي
وَأَبَيْتُ وَلَهَانًا بِهَا تَحْبُولا ؟ !
وَأَخَافُ آرَامًا يَرَامَةٌ رُتَمًا
وَأُخَالُ مِنْهَا كُلَّ شَعْبٍ غَيْلًا !
حَتَّى كَأَنِّي نَجَلُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ 25
رُمِيَتْ جَزِيرَتُهُ بِإِسْمَاعِيلًا
مَلِكُ الْأَنِّ الدَّهْرِ بَعْدَ قَسَاوَةٍ
وَأَعَادَهُ بَعْدَ الْجِيَاخِ ذَلُولًا (١)
مَلِكُ بَرَاهُ اللَّهُ يَكْفُلُ خَلْقَهُ
وَكَفَى بِهِ كَهْفًا لَهُمْ وَكَفِيلًا
مَلِكٌ إِذَا مَا حَلَّ أَرْضًا ظَنَّهُ
— لَجَالِهِ — سَكَانُهَا جَيْسُيْلًا !

(١) في القصيدة مبالغات مفرقة عجيبة . وسنكتفي هنا بهذه الإشارة .

حق إذا فاضت (١) أنامله ندى
قالوا أتاح الله ميكائلا !
30 وإذا امتطى منه المطهر قال من
شهد الوغى عاينت عزرائلا !

[١١٣ / أ]

راقبه يوم الروع إذ تنبؤ الطبا
وترى الأسنة عطلت تعطلا
والجو قد ضرب الظلام عليه من
نسج القتام سرادقا وسدولا
وعلى متون الجرود كل سميدع
قد عاد من بعد المنضاء كلبلا
لترى المنهابة والجلالة والعلا
والبأس والإنعام والتفصلا
35 هذا ابن وحي الله تأخذ هديها
معه الملائك بكرة وأصيلا
ذو النور توليه النبوة والعلى
شكرا كئيبا الجزيل الجزلا
لا مثل يوم فيه يوم أدلة
يهدي إلى المتفقهين عقولا
في موسم البحر الشنيع يروقني
وأغض طرفا عن سناه كلبلا

(١) فيها : فاضت ، ونرجح ما أثبت . (٢) كذا بالصاد المهملة . (٣) كذا !

والجوُّ يَمْثُرُ في الأَسِنَّةِ والطُّبَا
والأَرْضُ رَاجِفَةٌ تَمِيلُ مِمْلَا

40 والحَافَاتُ عَلَى الوَشِيحِ كَأَنَّمَا
يَطْلُبُنَّ عِنْدَ الْمُعْصِرَاتِ ذُحُولَا

والأَسَدُ فَاغِرَةٌ قَمَطَى بَيْنَهَا
والدَّهْرُ يَذْبُ شِلْوَهُ المَأْكُولَا

والشَّمْسُ حَاسِرَةٌ القِنَاعِ وَوَدَّهَا
لَوْ تَسْتَطِيعُ القُرْبَ والتَّمْقِيلَا

وعلى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ غَيَامَةٌ
نَشَأَتْ تَظْلِلُ تَاجَهُ تَظْلِيلَا

نَهَضَتْ بِثَقْلِ الدَّرِّ ضَاعَفَ نَسْجَهَا
وَجَرَتْ عَلَيْهِ عَسْجَدًا مَحْلُولَا

45 ذَعَرَتْ مَوَاكِبُهُ الجِبَالَ فَأَعْلَسَتْ
هَضْبَاتِهَا التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَا

أَمْدِيرُهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَطَالِمَا
زَاحَمَتْ تَحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلَا !

قَدْ ضَمَّ قَطْرُهَا العَجَاجُ فَمَا قَرَى
بَيْنَ السَّنَانِ وَكَعْبِهِ تَحْلِيلَا

رَفَعَتْ لَهُ فِيهَا قِيَابٌ لَمْ تَكُنْ
ظَلْعَنَا بِأَجْرَاعِ الحِمَى وَحُمُولَا

وَتَبَاشَرُ الفَلَكُ المِدَارَ كَأَنَّمَا
يَبْغِي بَيْنَهُ إِلَى السَّمَاءِ رَحِيلَا

50 'يدني إليها البُخت كلّ عذافر
يهوي إذا سارَ المطي * ذَمِيلاً (١)
تعرّفُ الهضبُ الموائِلُ حوله
نَسَباً، وينكره شذفاً* (*) و «جدِلاً»

[١١٣ / ب]

وتُجِنُ منه كل وفرة لبدة
لَسِيّاً، ويحمل كلّ عضو فيلاً !
وتظنُّهُ مُتَخَبِّطاً من كبرة
وتخاله متنمراً ليصُولاً
وكأنما الجردُ الجنائبُ خرّدت
سفرت تشوّقُ مُتَمَيِّماً متنبّولاً

55 يَبْدُو عليها المعزّ تواضع
فيكونُ أكثرُ مَشِيهاً تعجِلاً (٢)
ويحلُّ عنها قَدْرُهُ حتّى إذا
راقته كانت نائلاً مَبْدُوَلاً
من كلّ يَعبوبٍ يُجيد فَلَ تَرى
إلا قَتْدالاً سَامِياً وتَلِيلاً
وكأنّ بين عِنايهِ ولَبَانِهِ
رشاً، يرينغُ إلى الكِناسِ، خذُولا

(١) البُخت : الإبل الخراسانية. والعذافر العظيم الشديد من الإبل . (*) فيها .

(٢) كلمة غير ظاهرة في الأصلين ، وهذه أقرب قراءة . وقرأ أيضاً تحجيلاً .

- لو تشرئب له عقيلة ربررب
ظنته جؤذر رملها (١) المكحولاً
- 60 جذلان أقبل ماشياً متنصباً
عدوان أدبر خاضباً إجفيل (٢)
- تدبين اللحظات فيه مواقعاً
فتظن فيه للغرام محيلاً
- تستنزل الأروى (٣) على صهواته
وبييت في وكر العقاب نزيلاً !
- يهوي بأم الحشف (٤) بين فروجه
ويقيم الأمانة العطبولاً
- صلتان (٥) يعنق في البروق لوامعاً
ولقد يكون لأمن سليلاً
- 65 يستقرب الشأو البعيد مسابحاً
وتجىء سابق حلبة مشكولاً
- هذا الذي ملأ القلوب مهابة
هذا الذي ترك العزيز ذليلاً !
- فإذا نظرت نظرت غير مشبه
إلا التفاتك راية ورعيلاً

(١) في « ط » وصلها .

(٢) الإجفيل : الظلمينفر من كل شيء . والخاضب : الظلم إذا أكل الربيع فاحمر ظنبويه .

(٣) الأروى ج الأروية : أنشئ الوعول .

(٤) الحشف : ولد الطي أول مايولد .

(٥) الصلتان : النشيط ، الحديد الفؤاد من الخيل .

إِنْ تَلْتَفَتْ فَتَكْرَادُهَا وَمَغَانِيَا
أَوْ تَسْتَمِعْ فَتَغْمَغْمَا وَصَهِيَا
يَوْمٌ تَجَلَّى اللَّهُ فِي مَلَكُوتِهِ
فَرَأَاهُ فِي الْمُرَآيِ الْجَلِيلِ جَلِيلَا

70 وَتَحَلَّتْ الدُّنْيَا بِسِمِطِيْ دَرَاهَا
فَرَأَيْتَهَا شَخْصًا لَدَيْكَ جَمِيْلَا
حَلَّتْ فِيهِ بِقَلْبِيْ فَمَنْحَتُهُ
نَظْرًا بِيَوْمٍ غَيْرِهِ مَشْغُولَا
وَرَقِيتْ مِنْبَرُكَ الْمَعْلَى وَاجْفَا
مِنْ تَحْتِ عَقْدِ الرَّأْيَيْنِ مَهُولَا

[١١٤ / أ]

مَسْدُولٌ سَتَرَ جَلَالَتهُ أَنْطَقَتُهُ
فَرَفَعَتْ عَنْ حُكْمِ الْبَيَانِ مُسْدُولَا
وَقَضِيَّتْ حَقَّ الْعَامِ مُؤَنَفَا وَقَدْ
وَدَّعَتْ عَامًا لِلْجِهَادِ مُخِيْلَا
75 وَشَفَعَتْ فِي وَفْدِ الْحَجِيحِ كَأَنَّمَا
نَفَّلْتَهُمْ إِخْلَاصَكَ الْمَقْبُولَا
وَصَدَرَتْ تَحَبُّو النَّاكِثِينَ مَوَاهِبَا
هَزَّتْ قَتَوُولاَ لِلسَّيَاحِ فَعْمُولَا
وَهِيَ الْجَرَائِمُ وَالرَّغَائِبُ مَا التَّقَتْ
إِلَّا لِتَصْبِحَ قَادِرًا وَمُنِيْلَا

قد جُذت حتى أمتلتك أُميَّةٌ
لو أنّ وترأ لم يُضع تأميلا !
عَجِباً لمنصلك المقلد كيف لَمْ
تَسِيلِ النَّفُوسُ عَلَيْكَ مِنْهُ مَسِيلاً

80 لم يَخِلْ جَبَّارُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ
إِلَّا تَشْحَطُ فِي الدِّمَاءِ قَتِيلًا

وَكأنَّ أَرْوَاحَ الْعِدَا شَاكِلَتُهُ
فَإِذَا دَعَا لَبَتَى الْكَيِّ عَجُولًا !

وَإِذَا اسْتِضَاءَ شَهَابُهُ بَطْلٌ رَأَى
صُورَ الْوَقَائِعِ حَوْلَهُ تَخْيِيلًا

فَإِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا عِلْمَهُ
لِلنَّشِيرَاتِ ، وَنِيرًا مَعْلُومًا

بِكَ حُسْنِهِ مُتَقَلِّدًا ، وَبِهَؤُوهِ
مُتَنَكِّبًا ، وَمُضَاوَهُ مَسْئُولًا

85 فَإِذَا غَضِبَتْ عِلْتُهُ دُونَكَ رُبْدَةً
يَغْدُو لَهَا طَرَفُ النَّهَارِ عَجِيلًا

وَإِذَا انْطَوَيْتَ عَلَى الرِّضَا أَهْدَى إِلَى
شَمْسِ الظَّهِيرَةِ عَارِضًا مَصْفُوقًا

سَمَاءَهُ جِدَّكَ ذُو الْفَقَارِ وَإِنَّمَا
سَمَاءَهُ مَنْ عَادَيْتَ عِزَّ رَائِلًا !

كَلَبَ الْفِرَنْدُ عَلَيْهِ بَعْضَ صِفَاتِكُمْ
فَعَرَفَتْ فِيهِ التَّاجَ وَالْإِكْلِيلَا

قد كان ينذر بالوعيد لطول ما
أصغى إليك ، ويعلم التأويلا
90 وكان به لم يبق وترأ صائلا (١)
في كربلاء ولا دماً مطبولا
أو ما سمعتم عن وقائعه التي
لم تشبق إشراكا ولا تبديلا
سارت به شنع (٢) القصاصيد شرأ
فكأنما كانت صبا وقبولا
حتى قطعن الى العراق الشام عن
عروض وجزئ الى الفرات النيل

[١١٤ / ب]

طلعت على الطلقاء بالسير التي
سيرتها غرراً لكم وحجولا
95 أجليين من فيكري إذا لم يسمعوا
لسيوفهم المرفعات صليلا
ولقد همت بأن أفك قبودها
لما رأيت الحسين قليلا
حتى رأيت قلائدي منجولة
والقول في أم الكتاب مقولا
ولئن سلمت لأجلين لغزا
ميدان يشفي مقصراً ومطبلا

(١) في « م » صائلا وفي « ط » سائلا .

(٢) كذا فيها . قال في القاموس « المشنوع : المشهور » .

- حتى كافي ملهم^١ وكأنها
100 ولقد ذعرت لما رأيت فغودرت
ولقد رأيتك لا بلحظ عاكف^(١)
ولقد سمعتك لا بسمعي هيبة
أبني النبوة هل تُعادر آية
إن الخير بكم أبان بفضلكم
105 وأناكم القدس الذي لم يؤت به
إننا استلمنا ركنكم ودوتكم^٢
فوصلتم ما بينه وأمدكم^٣
ما عذرکم ألا تطيب فرووعكم^٤
أعطتكم شئ الأنوف مقادة^٥
110 خلدتكم في العيش شمية لغنة^٦
راعتهم بكم البروق كأنما
فيهمن تظنون الأئمة منهم^٧
من أهل بيت لم ينالوا (بغية؟)
لا تعجلوا إني رأيت أناكم^٨
[١١٥ / أ]
115 أمتوج الخلفاء حاكمهم وإن^٩
كان القضاء بما تشاء كفيلا

(١) كذا ورد الشطر قبحا . قلت : وانظر البيت التالي .

(٢) كلمة لم تتبين بوضوح ، والمثبت قريب من الرسم .

(٣) الكند : مجتمع الكتفين من الإنسان .

الباب الحادي عشر - فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهاءها ٤١٣

والكتبُ لولا أنها لك 'شهدت' ما فصلت آياتها وتفصيلا
الله يجزيك الذي لم يجزه - فيما هديت - الجاهل الضليلا
ولقد براك فكنت موثقته الذي أخذ الكتاب وعهده المسؤولا
حتى إذا استرعاك أمر عباده أدنى إليك أباك إسماعيل
120 من بين حجب النور حيث تبوأ

آبؤه ظل الجنان ظليلا
وورثته البرهان والتبيان والقروآن والفرقان والإنجيل
وعلمت من مكنون علم الله ما لم يؤت جبريلا وميكائيل
لو كنت آونة (١) مبشر أمة نشرت لمبعثك القرون الأولى
أو كنت نوحاً منذراً في قوميه ما زادهم بدعائه تضليلا
125 لله فيك خفيته لو أعلنت أحياء بذكرك قاتل مقتولا
لو كان آتى الخلق ما أوتيته لم يخلق التشبيه والتمثيل
لولا حجاب دون علمك حاجز

وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا
لو لم تكن (٢) سبب التجارة لأهلها
لم يغن إيمان العباد فتيل
لولاك لم يكن التفكير واعظا والعقل رشدا والقياس دليلا
130 لو لم نعرفنا بذات نفوسنا كانت لدينا عالما مجهولا

(١) كذا في النسختين .

(٢) فيها « يكن » ونرجح ما أثبت .

لو لم يفض لك في البرية ما حل
 كاذت مفوقة الرياض محولا
 لو لم يكن فيك اعتبار للورى
 خلوا فلم يكن الدليل دليلا !
 نبيه لنا قدراً نغيظ به العدا
 فلقد تجهمتنا الزمان محولا
 لو كنت قبل نكون جامع شملنا
 ما نيل من حرماننا مانيل !

[١١٥ / ب]

شيخنا الفقيه عبد الغفار بن موسى البوخلقي (١) :

يكنى : أباعمد . وهو من أهل فاس . وبها رأيت ، وأجازني في
 التاريخ والآداب .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو فقيه نبيه ، ومعظم عند الناس ووجيه . حافظ للتواريخ القديمة
 والحديثة ، يستعذب المجالس ! له نظمه وحديثه . قد انقادت له أزمة مطايا
 الإنشاء ، فيصوغ (٢) منها ما يحب وما يشاء . وميدان الفصاحة عنه غير
 ممنوع ، إذ لا يتكلم أكثر أوقاته إلا بكلام مسجع . وكان قد رأى

(١) سيذكره ابن الأحمر مرة أخرى في الباب الثاني عشر . وقد قال فيه هناك « شيخنا
 الفقيه المتفنن » .

(٢) رسمت الكلمة في الأصلين « فيصوغ » مشددة الواو .

غزالاً ذكره أيام غزله ، وأنهضه الى عصر التصايي بدوله ، فأنشد
مرتجلاً ، وفي ذلك الغزال متغزلاً !

وشادينٍ مثل وجه البدر غُرَّتُهُ
سبى فؤادي فما أبقي ولا تركا
جسمي له دارّة والقلبُ مركزه
فحيثما دارَ كانت مُهْجَتِي فسلكا
له لحاظٌ تصيدُ العاشقين ولم
تخفُ عقاباً بما صادت ولا دركا
وثغرُهُ كوميضِ البرق تبصيره
يلُوحُ من شفّته كلُّها ضحكا !
فاعجبْ لِظيْرِ غدا للأسدِ مُقتنِصاً
مُستعمِلاً من ظبأ الحاظيه شركا
أهوى رضاهُ وأهوى أنْ يُعذَّبني
فمسلكي في هواه حيثما سلكا !

وأتى يوماً لدار بعض أصحابه ليستدعيه ، إلى أدب يرويه ، أو خبر
طيب يعبه ، فخرج إليه وقد اشتد نار ولوعه ، وهو يؤججها بفض
دموعه ! فتعجب مما دهاه من الداهية الدماء ، ومن النار المتأججة بالماء ،
فسأله عن لوعته ، فأخبره بعظيم فجعته ، لما أصيب بولده محمد الملقب
بأبي نور ؛ الذي يحسده الغصن في تمايله ويطل البدر منه غيور (١) ،

فاسترجع ثم قال ليسليه ، من الكرب الذي انغمس فيه ، ويؤدي من
حق التعزية ما يجب للمؤمن من حق أخيه :

[١١٦ / أ]

ما المرء في هذه الدنيا بيمسّرور
فيا أخا الحزّم صبراً عن أبي نور

واعلم بأنّ سهام الموت صائبة
تقضي على أمر منّا ومأمور

وقل كقول رسول الله مُحْتَسِباً (١)
نعم ، وما إنْ بقول الرسل من زور :

إنّ الفؤاد لمجزون وليس لنا
إلا رضى الله لا ذرّى بيمحذور

شيخنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ محمد بن محمد بن محمد

ابن داود الصنهاجي (*) :

يكنى : أبا عبد الله ؛ ويدعى بأبي الكارم منديل ؛ ويعرف بأبن
أجروم . وهو من فاس ، وبها رأيتّه ، وأخذت عنه العربية . وأجازني
إجازة عامة .

(١) يعزیه ، ويطلب إليه التأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه ومقالته صلوات
الله عليه في « إبراهيم » ابنه يوم استأثر الله به .

(*) هو ابن صاحب (الأجرومية) المشهورة في النحو . وكان « حافظاً للطريقتين
التاريخية والأدبية » وفي أخباره أنه كان يقرأ مقامات الحريري في بعض محاضراته
الأدبية كما ذكر ابن الأحمر أيضاً . وكانت وفاته سنة ٧٧٢ .

وأبوه أبو عبد الله محمد كان فقيهاً متفنناً ، استاذاً ، نحويًا ، لغويًا ، مقررًا ، شاعرًا ، بصيرًا بالقراءات . ولم يكن في أهل فاس في وقته أعرف منه بالنحو (*) .

ومن قوله في (مَنْ) حلق رأسه :

ماشانتهُ سَينًا حلاقةُ رأسه بل زادَ أضعافًا بذاكَ جمالهُ
فالبدر أضوأ ما يكونُ إذا نأتُ عنه السحابُ ويستبين كالهُ
والشمعُ أنورُ ما يكونُ ضياؤه للناظرينَ إذا يقطُّ ذبالهُ

ومحمد^(١) والد محمد كان فقيهاً ، فريضياً ، صالحاً ، ورعاً .

وشيخنا محمد بن محمد بن محمد - المدعو بمنديل هذا - كنت أحضر حلقة حين كان يقرئ مقامات الحريري بجامع القرويين من فاس أنا وابن عمي الرئيس إسماعيل . وكان يحضر في جملتنا شاب وسيم من أبناء مرين وهو عمر بن عبد المؤمن بن عمر الينجناسي . وكان شيخنا منديل هذا يميل إليه^(٢) ويظهر أنه خلي . . . فكتبت له بقولي :

مَنْ مُبلِّغُ الأستاذِ عَنَّا أَنَّهُ

شغل الخواطرَ ، والنواظيرَ سهدا
جننا لينقتبسَ الهدى من نوره
لمسا أضاء بقطرنا وتوقدا

(*) قال فيه أحمد بابا في نيل الابتهاج « الأستاذ النحوي ، صاحب المقدمة في النحو » ومولده سنة ٦٧٢ ووفاته ٧٢٣ بفاس . وكان عالماً بالقراءات .

(١) جد المترجم به .

(٢) هذه القطعة والتالية لها تدخل في مداعباتهم .

فإذا به - والله يُجزلُ أجره ! -
يَجْلُو فُتُونَ السَّحَرِ فِي بَيْتِ الْهَدَى

[١١٦ / ب]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ ذُو فِطْنَةٍ
وَأَرَاهُ عَنْ فَهْمِ الْفُتُونِ قَبْلُهَا
وَبَزَعَهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا رَوْضَةً
أَدْبِيَّةً قَدْ رَادَ مِنْهَا مَوْرِدَا
وَأَنَا أَقُولُ بِضَدِّ مَا قَدْ قَالَهُ
وَالْحَقُّ لَيْسَ بِمَكْنٍ أَنْ يُجْعِدَا !

وبعث له ابن عمنا الرئيس - سمي - معرضاً بذلك الوسم بقوله :
أَبَا الْمَكَارِمِ ذَا الْأَحَاجِي وَالْحِجَا

وَابْنَ الْجَهَابِ ذِي جَلَّةِ النَّفَازِ
لَا أَعْتَبُهُ عَلَى الصَّبَابَةِ بَعْدَ أَنْ

فَتَكْتُبُ ظُبَا الْأَحَاطِرِ فِي أَفْلَازِ (١)
وَلَقِيتُ مِنْ عَمَرَ الَّذِي لَا قِبَتَهُ

وَلَطَالَمَا أَكْثَرْتُ مِنْهُ عِيَاذِي !

أُومِي إِلَيَّ بِقَلْبَةٍ رَيْمِيَّةٍ قَدْ عَزَّيْتُ وَزَرَيْتُ لَهَا وَمَلَاذِي
فَرَجَعْتُ عَنْ دِينِ الْمَلَامِ لِأَجْلِهَا وَعَجِبْتُ كَيْفَ تَصْبِرُ الْأَسْتَاذُ !

حاله - رحمه الله - :

كان حسن المشاركة في العربية ، حافظاً للطريقتين التاريخية والأدبية .

(١) كذا فيها ، واقرأ أيضاً : أَفْلَازِي .

حسن الخبايل ، لطيف الشمايل . مع ذكاء لا يوجد في سواه ،
وكلام أحلى من الشهد في الأفواه . ونظم كالقلائد ، في أجياد
الخرائد : ونثر بارع مستعذب ، أرق من مَرِّ النسيم وأطيب ، بل
هو أحلى من الشهد وأعجب ! .

أنشدني لنفسه في الفخر والتعريض لبعض أهل العصر :
مَنْ المشيبُ على فَوْدِيهِ يشتعلُ
فكيف باللهو في دُنْيَاهُ يشتغلُ؟!

وكيف يحرصُ في طولِ المُقامِ بها
مَنْ كان يعلمُ أنْ لا بُدَّ يَرْجُلُ

صَحَّ الَّذِي خَرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ نَبَأِ
عَنْ النَّبِيِّ وَمَا فِي قَوْلِهِ خَطَلُ

إِنْ لَقِيَ إِنْ يَشِبُّ مُسَوْدٌ مَفْرَقِ
تَشِبُّ مِنْهُ أَثْنَانِ : الحِرْصُ وَالْأَمَلُ

[١١٧/أ]

5 إِنْني لأعجبُ مِمَّنْ ساءَ عُمُرُ

وسرَّه أنْ أمرَ النفسَ مُمْتَلِ

لكنَّ أعجبَ مِنْهُ مُبْتَغِي رُقَبِ

ولا لَسَدِيهَ بِهَا عِلْمٌ ولا عَمَلُ !

شَتَانَ مَا بَيْنَ مَنْ رَقَّاهُ مُحْتِدُهُ

وخاملٍ كسلٍ أودى بِهِ الكسلُ

قلْ للمُناوِي بِإِفْنِكِ المِسِينِ مِنْ حَسَدِ

أَيَسْتَوِي الكُحْلُ فِي العَيْنَيْنِ وَالْكُحْلُ؟!

- نَحْنُ الْآلِي فِرَعُوا الْمَجْدِ ذُرُوتَهُ
وفي ظِلَالِ تِلَاعِ الْعِزِّ قَدْ نَزَّلُوا
10 إِنْ كَانَ ذُو نَهْلٍ لِلْعِلْمِ أَوْ عِلَلٍ
فَعَنْ أَبِي كَانَ ذَلِكَ النَّهْلُ وَالْعِلَلُ
لَمْ نَسْتَكِيلْ فِي ارْتِفَاعِ الصَّيْتِ قَطُّ عَلَى
إِشَادَةِ الصَّوْتِ مِنْ زَيْدٍ - كَمَا اتَّكَلُوا -
وَلَمْ نَتَّبِعْ أَجْرَ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ (١) بِهَا
يَنْقُيَ مِنَ السُّؤْمِ فِي الدُّنْيَا - كَمَا فَعَلُوا -
يُقْرُ بِالْفَضْلِ إِنْصَافًا لِصَاحِبِهِ
وَيَسْبِقُ السَّيْفُ فِي أَعْدَائِنَا الْعَدْلُ
وَلَيْسَ ظَهْرِي لِبَاغِي الضَّمِيمِ مُحْتَمَلًا
كَأَسْوَانَا إِلَيْهِ - الدُّهْرُ - يَحْتَمِلُ
15 لَا نَبْتَغِي غَيْرَ هَذَا فِي الدُّنْيَا صِفَةً
قَفُوا لِشِدْثَةِ دَانَتْ بِهَا الْأَوَّلُ
مَا طَابَ أَصْلٌ لَهُ فَالْفَرْعُ يَتَّبِعُهُ
وَلَيْسَ عَنْ طَبْعِهَا الْأَشْيَاءُ تَنْتَقِلُ
لَوْ أُسْقِيتُ بِمَجَاجِ النَّحْلِ حَنْظَلَةٌ
لَمْ يُعَذِّبِ الطَّعْمَ مِنْهَا ذَلِكَ الْعَسَلُ
بِيسْبُوبِهِ نَسِينَا كُلَّ فَائِدَةٍ
فِي صَنْعَةِ النَّحْوِ لَا «الْكِرَاسُ» وَ«الْجُمْلُ»
وَفِي مَسَائِلِ «إِيضَاحٍ» لَنَا وَضَحَتْ
مِنْ التَّصْرِيفِ شَمْسٌ بِبَيْتِهَا الْحَمَلُ

(١) اقرأ «القرآن» بنقل حركة الهمزة إلى الراء.

20 وعندي « حوز الأمانى » شاهد فطن

إذ أحرزت بيحانا تلکم السبيل

وكم لنا في « عروض الشعر » من نكت

يدري بذلك عنا « الزحف » و « العليل »

« بالشعر » نفع إن نشر أسنته

ما ليس تفعله الخطيئة الذبيل

إن كنت تجمل هذا فلتعد نظراً

ما العالمون كمن للشئ قد جملوا !

وطلب منه صاحبنا الفقيه أبو العلى إدريس بن أبي زيد

التونسي [١١٧ / ب] ^(١) أن يصنع (غداء) الكسكو ^(٢)

(١) سقط من نسخة دار الكتب المصرية المرموز لها عندنا في هذا الكتاب ب : « م »
الورقتان ١١٧ و ١١٨ ونحن نستدركها هنا من نسخة الرباط « ط » وما يؤسف أن
هاتين الورقتين في نسخة الرباط قد أصيبتا بتآكل شديد ، وثقوب كثيرة بفعل الأرضة .
وها أنذا أستدرك من الورقتين ما أمكنت قراءته ، أو استجلاؤه .

ويظهر أن سقوط الورقتين من نسخة دار الكتب المصرية حديث لأن أرقام صفحات
المخطوطة المعلقة بقلم الجرافيت (قلم الرصاص) متسلسلة إلى الورقة ١١٦ ثم تبدأ
من ١١٩ .

(٢) من الطريف أن في الورقتين حديثاً عن « الطعام » المشهور عند المغاربة والأندلسيين ،
المعروف ب « الكسكو » . وهو طعام يهيا من السميد المقتول « المعالج مسبقاً على
هيئة خاصة » والمطيب « المطبوخ » في قدر خاص مكون من جزأين ، يتسرب البخار
من أدناها إلى أعلاهما - من ثقوب في القسم الأعلى - لينضج السميد . وفي القدر الأدنى
اللحم ، مع خضار الموسم ، ولكنها تحتوي أساساً على البطاطس والجزر
« الأحمر » واللفت .

واللفت المشار إليه في الأبيات التالية هو نوع خاص له شكل الجزر وييل إلى الغلظ عنه ، =

(فصنعه) له ، وأحضره بين يديه في منزله و (طلب ؟) منه أن يحضر معهم صاحبنا الفقيه أبو عبد الله الماجري المغيلي . فبعث شيخنا مندبيل إليه [ببطاقة دعوة فيها] (٢) :

فإن عِنْدِي أبا العُلى وَلَسَهُ إِرَادَةٌ أَنْ يَرَاكَ فِي الْوَقْتِ
 قَدْ جَعَلْتُ الْقِرَى لِمَقْدَمِهِ الْكَسْكَسُو بِالْقَدِيدِ وَاللَّفْتِ
 (لَوْ جِئْتُ) مُسْتَعْجِلاً لِتَجْمَعُ مِنْ حُضُورِنَا مُطْلِبِينَ فِي سَمْتِ
 سَمْعِكَ لِلْحَيْنِ مِنْ قَصَائِدِنَا
 وَالْأَكْلُ أَكْلُ (الْحُضُورِ ؟) لِلْسَحْتِ !

فأتى أبو عبد الله الماجري - أكرمه الله تعالى - وقد نظم أبياتاً للجواب أسرع من طرفة العين ، والتزم فيها التجنيس بين كل قافيتين ، فقال :

يَا مَنْ بَكَادَابِهِ الْبَسْدِيَّةُ قَدَّ
 أَخْلَى ذَكَرَ الْبَسْدِيْعِ وَالْبُسْتِي (٢)

= أبيض اللون ، له مذاق جيد إذا نضج .

وعلى الرغم من أن المواد الأولية التي تستخدم في تحضير الطعام - الكسكسو - واحدة إلا أنهم يتفننون في إعدادده . ولكل منطقة عندهم طريقة في التفنن وفي الإضافات عليها من أزوار وخضار وأعشاب وبيض وعسل الخ . واشيوع هذا النوع من الأكل أخذ اسم « الطعام » في بعض المناطق ، كالذي أعرفه في « وهران » والغرب الجزائري . وأما « المغربية » التي تصنع في بعض البيوت الشامية فشيبة من بعيد بالكسكسو ، وليست بذاك !

(١) عبارة مقدرة لم يظهر أثرها ، لتأكل نحو ثلاثة أسطر من الصفحة ، وتكون القطعة الشعرية ناقصة بيتين أو ثلاثة أبيات .

(٢) بديع الزمان الهمداني ، وأبو الفتح البستي .

وسينداً (١) مَنْ يَشِيمُ شِمَائِلَهُ

يقلُ فرى (٢) ذا الجمال والبست

لبنيك يا مَنْ دعا أجبته

لـ «كسكسو» بالقديم واللائق

قد كنت عقلي (٣) بـ «كسكسو» وأنا

ألفت من نهقي أخو لفت (٤)

وقد قلّي ذكر (٥) القديد فإن

حمّ لقاه فغاية البخت

وكدت لما سمعت ذا فسرّحاً

(أطير؟) (٦) ياسيدي من البخت

فليهنينا عندهم تألفنا

مؤمناً من غوائل الشت

نقطف من دوحه المني ثمرأ

أحلى وأعلى من الحلى الست

قوله « قد كست عقلي » أي رفعته ، من قولهم « كاس الفرس »

إذا رفع إحدى قوائمه ... (٥) . وقوله : « أخو لفت » من قولهم

لفت فلاناً ألفته إذا (لويته وصرفته) (٦) .

(١) في الأصل : وسيد ، ونرجح ما أثبت .

(٢) رسمها في الأصل « عقلي » .

(٣) كذا ورد في الأصل .

(٤) في الأصل « انس » مهمة .

(٥) كلام لم يظهر وفي القاموس « كاس البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرّوب » .

(٦) كلام لم يظهر .

وأنشدني (١) لنفسه (في ؟) منديل بن زنبق :

... فاعمل على ... فإنك ميت حين ابتليت بخطئة « العقار »

وكان العقار المذكور قدم صاحب الصلاة ، فعاجلته قبل تمام الشهر
الوفاة . وقدم ابن زمور بعده ، ثم عزل قبل أن يأخذ للأمر عدة .
ولما عزل ابن زمور ، ورجع بعده منديل بن زنبق قال فيه
صاحبنا الفقيه أبو العلي إدريس ابن أبي زيد التونسي :

إن ابن زنبقَ جارٍ في أحكامهِ وسطا (على) الفقراء والضعفاءِ
فالله ينزعُ عنه سترَ مصانهِ نزعَ الدنانيرِ من يدِ السفهاءِ
(فرميت) سهمي في صميم فؤاده والحتف يصحب أسهم الشعراء
فعزل بعد أيام قلائل .

وطلبت من شيخنا منديل هذا أن يبعث لي بشعر أبي بحر
صفوان بن إدريس (١) في رثاء الحسين بن علي - رضي الله عنها -
وأرسلت له في ذلك أبياتا من قولي ، وهي :

(١) سقط قبل هذه العبارة سطران . وسقط من النص بضع كلمات مع البيت من الشعر .
وما جاء في النصوص بين قوسين معقوفين فهو مقترح لإتمام سياق الكلام ، وما جاء
بين قوسين هلالين فهو قراءة متبينة تبيناً جزئياً .

(٢) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسبي ٥٦٠ - ٥٩٨ ، شاعر ، كاتب ، أندلسي
له شعر ونثر . وهو صاحب كتاب زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر . وله قصيدة
اشتهرت عندهم في رثاء الحسين بن علي . (انظر مقدمة زاد المسافر بتحقيق عبد القادر
محداد - طبع الجزائر - وأبو البقاء الرندي - من تأليفي - سلسلة الذخائر العدد ٢) .

أيتها الأستاذ يا مَنْ هو قوتٌ للقلوبِ
والسريّ النَّدْبُ ذو الـ مَجْدٍ وذو الفضلِ الرَّحِيبِ
ابعثنْ لي بِقَرِيضٍ لأبي بجرِ الأديبِ
في رثا المولى حُسينِ ذي المُلَى الأزكى الحَسِيبِ
دُمت (في كل) جَدِيدِ آمناً (ضر) الكروبِ
فجاوبني بقوله (...) (١) :

شعرَ صَفْوان بن إدريس أخِي (الفَهْمِ ؟) العَجِيبِ
يَنْدُبُ المولى حُسَيْنًا بَنَجِيبٍ وَ وَجِيبِ
سَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ في شروقِ وغروبِ
(فجزَى) الرحمنُ خيراً مَنْ رثاهُ من أديبِ !

وأنشدني لنفسه يعزي الفقيه القاضي الخطيب الرئيس الكاتب
صاحب القلم الأعلى أبا القاسم محمد بن الفقيه الصالح أبي زكريا يحيى
الغساني البرجي الأندلسي (٢) في بنت توفيت :

تأسَّ أبا القاسم في الذي أصبَتْ به من نَماتِ البَنَماتِ
بقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَفَنُ البَنَماتِ من المَكْرَماتِ

(١) في الصفحة سطران لم يظهر . وأحد السطرين كما يبدو مطلع المقطوعة .

(٢) قال ابن الخطيب في ترجمته في الإحاطة إنه فاضل جمع على فضله ، حسن الخط والشعر والكتابة . وذكره في شعراء الكتبية الكامنة ووصفه بالشعر والخطابة . وعده ابن الأحمر في مستودع العلامة في شيوخه . غادر المترجم الأندلس ، وخدم في دولة أبي عنان المريني كاتباً للعلامة وتولى قضاء فاس .

(انظر في ترجمته : الإحاطة ٢ : ٢١٥ ونيل الابتاج ٢٦٦ والكتبية الكامنة ٥٢٠)
ومستودع العلامة ٥٦ والتعريف ٦٤) .

فذيل عليها صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن حبيب
الله الطائي الوادي آشي بيتاً لأجل التجنيس ، وكان كثيراً ما يعني
به ، فقال :

وقد كنت تخشى بها المكر من
غوائل صير ، فيها المتكر مات !
وهذا المعنى نظير قول أبي القاسم السجزي من شعراء اليتيمة (١) .
يا ماکراً بي ويخلائيه
مهلاً فما المكر من المكر مات
عليك بالصحة فهي التي
تحيا فتحيك إذا المكر مات !

وأنشدني لنفسه يمدح أمير المؤمنين (المتوكل على الله) أبا عنان
المريني ملك المغرب - رحمه الله تعالى - (...) (٢) ومنها :
* ألا لله هاتيك الليالي * (٣)

كان الشمع سهم من نضار يقدر الدجن أو عصب يمان
كان ذبأها لسن الأفاعي إذا نضنض أو قلب الجمان
كان القطر منها دمع ثكلى تواتر ، أو نثار من جمان ...

[١١٩ / أ]

كان الزهر زهر غيب قطر تبسم ثمره بالأقحوان ...
كان الشمس مشرقة محيما أمير المؤمنين أبي عنان !

(١) أبو القاسم محمد بن محمد السجزي . والبيتان في اليتيمة ٤ : ٢٣٧ (طبعة الشامي) .
(٢) هذا هو المتبين من القصيدة المذكورة ، وهي في المخطوطة في نحو عشرين بيتاً . ولم
يتضح أولها . (٣) ورد هذا البيت قبل أبيات التشبيه وسقط عجزه .

وأخبرني أنه اجتمع مع بعض أصحابه ليلة إعراس عند بعض إخوانه ، فاستبطأهم الطعام فقال :

يا معرساً عرس الجمال بخدّه روضاً بهار (رائع) وشقيق
بادِرْ - فديتُك - للذين دعوتهم بالمرجفين : الطستِ والإبريقِ !

صاحبنا الأستاذ النحوي المقرئ (اللغوي) علي بن محمد بن عمر الصنهاجي :

يكنى : أبا الحسن ، وهو من أهل فاس . وبها رأيته وصحبته ، ويعرف بالقصار .

حاله :

هو واسطة عقد النحويين ، وصدر أولي المعرفة من اللغويين . وفصيح الأذكياء ، ووحيد النبلاء . وهو فرد في (رفع ؟) النادرة ، وصاحب فكاهة متبادرة .

وكان قد قَلِبَ - وهو واقف في صلاة التراويح - بجامع الأندلس من فاس . وكان قد وقع بينه وبين شيخنا الأستاذ النحوي منديل بن آجروم (وحشة) في شعبان أربع وأربعين وسبع مئة . فلما بلغ لابن آجروم شيخنا عنه (أنه قلب) أدركته عليه [١١٩ ب] فرقة الصحبة والمودة وكتب إليه متفجعاً لما اتفق عليه ، بأبيات وهي :

أبا حسنِ إني وحقك في كَرَبِ

لما قد دَهاكَ الدهرُ من حادثِ القلبِ

وقد ساءَ لي - والله - منذُ سَمِعْتُهُ

فلا أذني سرَّتْ بذاك ولا قلبي

ففي كبدي للحزن نارٌ تأججت
ومن مقلتي للدمع سكب على سكب
لو أن الأسي يجدي على كل فادح
لكننا لزمانه على ذلك الخطب
ولكن أمر الله في الخلق نافذ
ولا وزر عن كل ما خط في الكتب
وخير الأمور الصبر عند ملة
عليك به، تُعطى الثواب من الرب
وكن حذراً^(١) مما يضرك قربه
وبعدك عنه فاجعلن عوض القرب
فكم ذي قلى غرتك منه صداقة
يقدر أديم العرض بالهجر والعقب
ورب خليل خيلتموه أخا قلى
ينيلكم محض الوداد بلا خيب
أبا حسن هذي وصية ناصح
محب فخذها بالقبول وبالحب
وعند السذي قد كان قبل من الصفا
فروض ودي فيك ما زال ذا خصب

فجاوبه بقوله :

خليلي يا منديل من دون ما ريب
أتني قواف عن وداكم تنبي

(١) في «ط» حاذراً.

وهذا هو المعتاد منكم ، جزيتم
 على رعي ودّي ما تشاؤون من ربي
 أخو المرم من يرعى المودة نائياً
 وليس عجباً أن تُراعى مع القرب
 مؤاخاتنا لا يعترها تقاطع
 وفرض اعتقاد لا يصير إلى الذئب
 وفتبنا لمن كان انقطاع إخواننا
 على يده لا زال في الويع والتب
 أقول لصحبي ما قضى الله كائن
 رضيت بفعل الله من سهل أو صعب
 قضى الله لما أن تجاور نوننا
 لباء الأعادي أن يسكن بالقلب !
 فروّعني من بعد ما كنت آمناً
 ولولا بقاء العمر حان بها نحيي !

[١٢٠ / أ]

فقلت سريعاً مستغيثاً بسببه
 وما نلت في ذاك المقام سوى السب
 10 إذا كان ذا بالمسجد الجامع الذي
 يُصلّي به ماذا يكون لدى الدرب ؟ !
 فياليت شعري ما دعاه ليفعله
 وهل لمتوني جاء أم سلب الثوب ؟ !

- وباليت شعري هل فعلتُ له أذى
فعاملتني من أجل ذلك بالضربِ
وهل كان ذاك الفعلُ منه تَعَمُّداً
فأخذَ حِذري بالسنان وبالعضبِ
حدثُ إلهَ العرشِ إذْ خابَ سَمِيه
وإذا لم يَنْصِرْني ما دَهاهُ من الخطبِ
15 وما أسفِي إلا الذي قد جهلْتُهُ
وجَهَلِي بِهِ - والله - قد زاد في كَرْبِي
وثاللهِ إني ما ظننتُ بِخاطري
عدواً يرى من بعض ما يَشْتَهِي رُعي !
فإني لم أعرف أخا الضغنِ والقيلى
ولا مالَ طبعي بالإخاءِ لِذي خَيْبِ
وما ذاكَ إلا من ذُنُوبٍ تَقْدَمَتْ
وسَطَرَهَا الأَملاكُ في الصُحفِ والكتبِ !
فياربُّ إني آيبٌ لك تائبٌ
فحُطَّ بها الأوزارَ يا قابِلَ التَّوْبِ
20 عليكَ سلامُ الله - منديلُ - ما بَدَتْ
لنا مِنْكَ أبياتٌ تدلُّ على الحُبِّ !

الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن شاطر الجُمَحِي (*)

يكنى أبا عبد الله ، وأدركته ، ورأيت ، وصحبته بفاس . وهو من أهل مراكش ، وأصل سلفه من الأندلس واستوطن مدينة فاس . وبها توفي - رحمه الله تعالى - .

حاله - رحمه الله تعالى - :

هو الذي زهرت في روضات العرفان أزهار علومه ، وبهرت في دوحات الإحسان آثار فهمه . وهو رئيس المتصوفين ، وصدر أعلام المحققين . وبحر الجلالة الذي لا ينكر في عبابه ، وهزبر الذكاء الذي لا يقرع ببابه . لا تلقاه إلا ذاكرًا ، ولا تراه إلا شاكرًا . سريع الدمعة ، بجانب للسمعة ، ذو بلاغة وفصاحة ، وصاحب حكم وفصاحة . مليح الشئبة ، حسن الحضور والغيبة .

أنشدني لنفسه يتغزل [١٢٠/ب] وقالها في صباه في (من) اسمه سعد :

يا سعد صيلٌ دنيفاً بوصلك مغرمًا أعين الأواصي طبه بل أعجمًا
ما ضرَّ لو رُحِمَ الحبيبُ فربما أحيى العليل بوصله يا نعم ما
يا ريم عزَّ طلابه قسمًا بما لو نبتغي نفقًا له أو سلما
قطبُ المحاسنِ فرقدٌ قمر السما الشمسُ أنت ففقت رقت الأنجما

(*) ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة ، وأحمد بابا في نيل الابتهاج ٢٤٨ والمقري في نفع الطيب ٥ : ٢٤٨ قال وكان حياً سنة ٧٥٧ . ونقل لسان الدين عن المقري (الجد) أن ابن شاطر رزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول ، فلا تكاد تجد من يستثقله قال ، قلت له يوماً : كيف أنت ؟ فقال : محبوس في الروح ! وقال : الليل والنهار حرسيان أحدهما أسود والآخر أبيض وقد أخذنا بجوامع الخلق يحرانهم إلى يوم القيامة ، وإن مردنا إلى الله تعالى .

صاحبنا الفقيه العدل محمد بن أحمد - بن إبراهيم بن موسى الكومي

يكنى أبا عبد الله . وهو من أهل تازا^(١) . ورأيته بفاس ، وبها توفي . وأخبرني أنه من ولد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الموحّد ؛ ويعرف بالنبّار . وبرز عدلاً بسيّاط شهود مدينة فاس .

حاله :

هو خازن العلم وواعيه ، الذي توفرت لديه دواعيه . ورئيس العدالة ومبداها ، ومعدن المروءة ومُستنهاها . الباسط جناح الود للإخوان ، ورافع جناح العتب عن أساء إليه بما سؤل له الشيطان . ظهر له في الآداب باع أي باع ، وكان لحاسنه جلاء ولثناياه طلاع . وقاد أعنته وأزمته ، وتقلد حسامه وامتطى صهوته .

أنشدني لنفسه يداعب . .

الآن آنت توبةً للتائب	من بعد ما خضرّ النباتُ بشاربِ
كلا وقد خلع العذارُ خلائعاً	ما العُذر فيهِ راجعِ أو آيبِ
يا مُعرضاً عنّا ومالك أن ترى	أبد الزمان القلب فيك براغبِ
ومُعرضاً بمنابه ومتابه	ما هذه حالُ المُنيب التائبِ
لو كان ذا قبل العذار فرجاً	أخفيت تزويرَ المقالِ الكاذبِ
فمتابٌ من ظهر النباتُ بخدّه	كمغرغر أبدي المتساب بحاجبِ

(١) قال في الاستبصار ١٨٦ « إن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب تازا . وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه . . . » وانظر الروض المعطار ١٢٨ .

[١٢١ / أ] وأخبرني - رحمه الله تعالى - أنه اجتمع ببلده تازا مع الفقيه ابن الملون وعبد الحق الزيات في بستان لنزعة فتذاكروا أمر رجل من أهل تازا يتشبهه بالفقيه الأستاذ المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي^(١) في قراءته وملبسه وعمته . فأنشد أحد الرجلين على لسان المتشبه :
 أنا الزواوي وهذا مكتبي
 لا أمنعُ التعليمَ مَنْ يَرغبُه
 عندي - فُديت - لِحيةٍ طويلةٍ
 وشاربٍ يجري لُعابي تحتهُ
 وحاجبانِ أكحلانِ اقترنا
 وعبئةٍ كبيرةٍ هائلةٍ
 يقول بعضُ الناس فيها أصطب^(٢)
 وطيلسانٍ حسنٍ خلَّقَه
 ودرّةٍ كذنبِ السرحانِ في
 تلحقُ سوطي من غدا مقتربا
 لا غضبٌ يميلُ بي ولا رضى

لحيفة التعلّم والتأدّب
 وأجدرُ العلم الذي لم يرغبِ !
 سوداءُ تحكي ليسةَ المكتتب
 كلماءُ يبدو من خلال الطُّشطب
 خلّستها بعض حواشي الحُجب !
 كهالةٍ قد أهدقتْ بكوكب
 والله ما في عمّي من أصطب
 من بعده بعضُ قضاةِ المغرب
 طولٍ ، وفي عرضٍ ، وفي تقلب
 وتلحق الكرة مَنْ لم يقرب
 إني لمزوجُ الرضى بالغضب !

وزاد عليها صاحبنا أبو عبد الله هذا - وما أحسن زيادته - :

وفي الرقا عندي كلامٌ عجبٌ نقلتُ ذاك من صحيح الكتب

(١) المقرئ الشهير في زمانه أبو العباس الزواوي . ذكره ابن خلدون في شيوخته وقال فيه « إمام المقرئين بالمغرب » انظر التعريف ٢٠ ، ونفح الطيب ٦ : ١٧٢ .
 (٢) الأصطبة : مشاقة الكتان .

كم بيضةٍ للقطمِ قد كتبتُها وكم رقيت من نفاسٍ صعبِ
فَسَهَلْتُ عُسْرَ النَّفَاسِ رِقْوَتِي وبيضتي قد فطمت كل صبي !

وكان عند شهود فاس في وقته اصطلاح ، يسمون الدرهم بالغزّي -
بسكون اللام ، وضم الغين المعجمة وكسر الزاء المعجمة - على جهة المذاعبة
فإذا [١٢١ / ب] لقي أحدهم صاحبه يقول له : هل جاءك اليوم
الغزّي ، أو : رأيتَه ؟ وأنشدني في ذلك - لنفسه - :

أعترض الغزّي عني هكذا ما كان ظني !
ما على الغزّي لومٌ وكذا بلغته عني
كل من تلقى مُعْتَشِي فإلى الغزّي يعني
يقرب الغزّي طَوْرًا وبسه طَوْرًا يُغْنِي
مُنْشَدًا في كل وقتٍ : « يا حبيب القلب : صِلْني ! »

وكان الفقيه العدل الخطيب أبو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد بن
محمد بن أبي الصّبر الجفاتي يُساقُ له كل يوم غداؤه لحاقوته بيساطير شهود
فاس : إمّا كثناء^(١) وإمّا حريرة^(٢) ، فقال له في ذلك :

اسقني شربةً لذيذة طعمٍ ليس فيها كرويةٌ وخميرةٌ
ولتكن بالفتاتِ والبَيْضِ حَسَنًا إن طعمَ الفتاتِ أحسنُ سَيْرَةً

(١) لم يظهر إجماع الكلمة في « ط » .

(٢) الكثناء : هكذا وردت وهي كما يظهر من السياق طعام فضله الشاعر على الحريرة .
أما هذه فأشبه بالحساء ، تصنع في بلاد المغرب - وكانت كما ترى من طعام أهل الأندلس -
ولا زالت تصنع عند أهل المغرب الأقصى معالجة بالخميرة لتعطيتها مذاقاً خاصاً طيباً .

لا حساء ولا حريرة قمح
إن طبعي يمجّ شرب الحريرة !

وقعدت أنا معه في خانوته بسماط شهود فاس لعالم أقتنيه ،
فتكلمت معه بحثاً في مسألتين : فقهية وأدبية ، فرزقني الله عز وجل
حسن الفهم فيها ، واستحسن ذلك مني - رحمه الله - فقال لي جليسه
الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري بعد أن
قبّل رأسي : بارك الله في عمرك ياسيدي الرئيس على براعة فهمك .
أنا أمدحك الساعة بأبيات . فقلت له : افعل . فما كان إلا يسيراً وقد
نطق بهذا الكلام ، الذي حسبه نظام ! وهو خارج على الوزن والمعنى
في غاية اللحن والفساد ، ودفعه إلي ، وهو في ذاك في غاية العجب
به وهو :

هنيئاً لكم يا بني خزرج أنتم السادة الخيـرا
فإن منكم السلطان المؤيد الرئيس ابن الأحـمرا
فإن من أوصافـه له
وجه حسنٌ وحية معتدلةٌ للقصـرا

[١١٢ / ١]

إذا شئت أن تراه وغاب عنك وجهه فانظر إلى القمر
لكن في ليلة في الشهر خصت ليلة أربعة عشر
فواجب علي أن أذكر من بعض أوصافه لولا ما كنت أخضرا
ولكن أقول قدر جهدي وأتمناه في بر الأندلس سلطاناً مؤمراً !!
ويستحق والله ذلك ويستأهله فهو الملك المعنبر !

فحين قرأتها ضحكتُ من لحنها وفسادها الخارج عن الحد ، ومن
استحسانه لها . ونظمت على البديهة بيتين معرضاً له بفسادها ، ولعله أن
يرجع عن تعجبه بها فلم يفهمها ، لجهله بل تمادى على حاله ، ومما :

بشعرك يا أيُّها الأشعري تفوقُ ابن أوسٍ مع البُحْثري
فحيّاكَ ربَّ العُلا مِن فَتَى من اللّسن في شِعْره قد بَرِي !

ولما قرأ أبياته صاحبنا الفقيه أبو عبد الله هذا نسّخها وقال
على البديهة يخاطبه ويصف فسادها :

فبيتٌ طوله سَبْعُونَ شِبراً تخيّل - رشاءٌ حول بير
وبيتٌ لا يجاوز رُبْعَ شِبرٍ كُتِبَ الشُّوبِ أو عَرِفَ الحِبر !
وذاعت أبياته - بزعمه - بسباط شُهود فاس . واستنسخها أكثرهم
فلما بلغت إلى صاحبنا الفقيه العدل القاريء أبي زيد عبد الرحمن بن
محمد المليبي بمث إليه بيتين له ومما :

ألا قُلْ لِشاعرنا الأشعري شعرتَ وليتكَ لم تَشْعُر !
تخيّلْتَ نظمك إذ جِئني خراءَ بجائوتكم قد خُري
وزاد عليها الفقيه أبو محمد عبد الغفار البوخلفي :

أو الرِّيحُ لَمَّا سَرَتْ دائماً على الخلق من فمك الأبحر !



الفقيه الصوفي محمد بن [١٢٢ / ب] أحمد المكودي رحمه الله :

يُسْكِنُ أبَا عبد الله . وهو من أهل فاس ، وبها رأيته . وكان
من أولى الثروة بها . وكان أبوه أحمد يستخدمه الملوك من بني مرين في
شهادة الولاية الخزنية ، وأبو عبد الله هذا توفي بفاس في سنة ثلاث
وخمسين وسبعمائة .

حاله - رحمه الله - :

هو رافع راية الأدب في عصره ، ومن بزَّ بالثروة أعـلام مصره .
وله معرفة بالطريقة الصوفية ، وسلوك في معانيها الجليلة . وكان وجيهاً
عند الملوك ، ومعظماً عند المالك والملوك .

أنشدني لنفسه :

سرتُ والدُّجى لم يبقَ إلا يَسِيرُها
نسِيم صبا يُحيي القلوبَ مَسِيرُها
وَمَرَّتْ بنا مِن نحو رامة نَفْحَة
أعادتْ مَرير العَيشِ مُحولاً مَرورُها

قَنَشَقَّتْها مُسْتَمِجاً عَرَفَ عَرَفِها
فَعَبَّرَ عن طَيبِ الحَبِيبِ عَبرُها
أَسْرَتْ بِقَلْبِي مِن سَريرة حُبِّه
حَدِيثاً سَرى مِنْهُ لِنَفْسِي سُورُها

5 فله ما أُنْدَى على القلبِ سَيرُها
وأَطيب ما أَدَّى إِلَيْهِ سَفيرُها

ولم نَدْرِ إذْ مِلْنَا نَسْأوى بِرَوْحِها
أَرِيحُ شَمالِ أم شَمولُ نَدِيرُها !

سَقى سَفْحَ ذِيكَ الحِمْي بسوافِح
مِن الدَّمعِ آذارِ الدَّموعِ مُنِيرُها

عَهدنا ظِباءَ الإنسِ فِيهِ سَوانِحُها
وأَصِيدُها لِلهَتائِدِ نَقُورُها

وَحَيًّا الْحَيَّا بِالْحَيِّفِ دَارًا مُنِيفَةً
 زَهَتْ بِقُصُورِ الشَّهْبِ عَنْهَا قُصُورُهَا
 10 فَكَمْ لَسَيْتَ غَيْلٍ غَالَهُ سِرْبُ غَيْلِهَا
 وَمَنْ ذِي غِرَارٍ قَدْ سَبَاهُ غَرِيرُهَا !
 وَكَمْ فِي ذَرَاهَا مِنْ دَمٍ طُلَّ ثَارُهُ
 لِلَّذِي فَيْتَنَ سِجْرُ الْعَيُونِ مُثِيرُهَا
 وَكَانَتْ لِأَرْبَابِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
 عِرَاصًا تُعَدُّ بِالنَّفُوسِ عُصُورُهَا !
 وَكَانَتْ لِيَمَالِينَا بَيْنَا كَلَالِي
 تَرُوقُ النَّهْيُ آصَالُهَا وَبُكُورُهَا
 فَمَسَرَحُنَا عِنْدَ الرُّوَّاحِ مَرَادُهَا
 وَمُورِدُنَا عِنْدَ الْفُؤَادِ غَدِيرُهَا

[١٢٣ / أ]

15 وَبَيْنَ ظِلَالِ الضَّالِّ مِنْهَا مَقِيلُنَا
 إِذَا مَا حَكَى نِيرَانُ هَجَرٍ مَجِيرُهَا
 وَبَيْنَ جَنَى النُّورِ مِنْ سَمَرَاتِهَا
 جَنَى الْأَنْسِ مِنْ نَجْوَى نَوَارِ سَمِيرُهَا
 فَأَمَّا عَلَيْهَا مِنْ مَعَاهِدٍ لَمْ تَدْعُ
 سِوَى حُرْقٍ ، بِالذِّكْرِ يُذَكِّي زَفِيرُهَا
 وَمَا رَاعَتِي إِلَّا دَعَاةً بِيَبْسِنِهِمْ
 يَشْبَهُ عِنْدِي بِالنَّعْيِ بَشِيرُهَا
 سَرَوْا بِقُلُوبِ الْعَاشِقِينَ وَخَلَقُوا
 جُسُومًا كَأَطْلَالِ الرَّبُوعِ صُدُورُهَا

20 كَأَنَّ قُلُوبًا فِي جَاهِهِمْ حَوَائِمًا
خَوَافِقُ طَيْرٍ فَارَقَتْهَا وَكُورُهَا
كَأَنَّ الْمَطَايَا وَسَطَ لُجَّةِ آلهَا
سَفَائِنُ تَبْدُو كَالشَّرَاعِ خُدُورُهَا
وَفِي الْكَلِمَةِ الْحَمَاءِ حَوْرَاءُ لَوْ بَدَتْ
لِشَكْلِي لَتَوَلَّى ذِكْلَهَا وَثُبُورُهَا
مُتَمَنِّعَةٌ لَيْسَتْ لَهَا مِنْ سِوَى الْقَنَا
خِيَامٌ وَمِنْ بَيْنِ الصَّفَاحِ سُتُورُهَا
فَمَا يَسُوِي صِدْقَ الْغَرَامِ أَرْوَمُهَا
وَلَا يَسُوِي زَوْرَ الْحَيَالِ أَزُورُهَا !

وَأُنشِدُنِي - أَيْضًا - لِنَفْسِهِ :

وَجَدِي بِكُمْ لَيْسَ يُبْقِي ، لَا وَلَا يَذَرُ
وَالصَّبْرُ عَنْكُمْ عَلَى حَكْمِ النَّوَى صَبْرُ
يَا غَائِبِينَ وَمَالِي غَيْرِهِمْ وَطَرُ
أَهْكَذَا تَنْقُضِي الْأَيَّامُ وَالْعُمُرُ
وَلَا - لِلْقِيَامِ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
سَقْبًا لِعَهْدٍ لِيَا لَيْنَا الَّتِي انْصَرَمَتْ
كَانَتْ لَأَلَى فِي سِلْكِ الْمُنَى التَّمَامَتْ
حَلَّتْ عَرَاهَا يَدُ الْأَيَّامِ فَانْفَصَمَتْ
كَثْمًا فَرَائِدُ فِي عَقْدٍ قَدْ انْتَضَمَتْ
فَأَصْبَحَ الْعَقْدُ مِنْهَا وَهُوَ مُنْتَشِرُ

أسراركم في صميم القلب مودعة
مصونة وعن الواشي منعة
ومذ بعدتكم فما في العيش منفعة
يا ليت شعري والآمال مطمعة
هل يستعيد لبالي وصلينا القدر
يا ليت شعري هل الملتقى سبب
بهمائم ماله في غيركم أرب؟ (١)

[١٢٣ / أ]

... المنسدل الأطناب . ومعدن الندى الأصلي المنسكب السحاب . القاضي
الفقيه الأوحى ، الذي فضائله لا تُجحد ، الحافل . الكامل ، الصدر ، العدل
النزيه ، السليم الصدر . علم الأعلام ، حجة الإسلام أبي محمد الأوربي (*) خصهم
الله من المسرات بأضفاها جلبابا ، وفتح بهم إلى السعود بالصعود أبوابا :
ومن مثل قاضيه ندى وتكرما
وهل هو إلا النيل نائله غمر
فشتان ما بين البحار وبينه
فموردُه عذب وموردُها مر !

(١) تنقطع المسطرة هنا . وتبدأ في الورقة التالية رسالة يبدأ أولها من وسط السطر .
وظاهر أن الرسالة غير تامة ، ذهب منها جزء من أولها . وهذه الحال في النسخين . غير
أن تاسخ « ط » ترك نصف صفحة ، ولعله فعل ذلك لستدرك تنمة المسطرة وأول
الرسالة . وما ندرى أكان هذا الفراغ تعييناً لحجم الكلام الناقص أم تقديرأ .
(*) الفقيه العالم قاضي الجماعة أبو محمد عبد الله الأوربي ، الفاسي (٧٠١ - ٧٨٢) .
ذكره أبو زكريا السراج في فهرسته ، وابن الأحرر أيضاً في فهرسته . ونقل عنها
أحمد بابا في نيل الابتهاج .

جعل الله تعالى في عمره البركة ، وقرن له بالسعد كل سكون وحركة . فلقد أحسن إلينا وجاد ، وأنعم علينا فأجاد . فانتظم شملنا بإحسانهم الغمر واتسق . وانعطفت علينا مواهبهم الجزيلة عطف بيان ونسق . فأصبح - بحمد الله - ما رسمه خط الفيض في صفحات نفوسنا ممجواً براحة البسط والعافية ، وأمست رسوم الاحتياج دارة عافية . ولنرجع مع أخينا في الله - عز وجل - إلى الكلام الأول الذي هو المقصود وعليه العمل والمعول . فنشهد الله لقد فاق نظم الحريري في وصفه ووصفه دري ؛ لاشتاله من جواهر العلوم على أعظمها خطراً ، وانطوائه من رقوم الأدوات على أشرفها نظراً . فله دركم لقد بلغت من الشعر الرائق اللائق المحل ما كان له أهلاً ! فلكم من الغارات على الأشعار ومبانيها ، والفصول المستوحاة ومعانيها المحل الأعلى . فمثلكم من برز في ميدان المسابقة بالسائل ، وهز خطية الخط لالتئام المؤاخاة وسائل . ودل سائله على كنز الندى ومعدن الجند فنجح دال وسائل . فالدال على الخير كفاعله . فلا خاب ببركة الله قصد لميله ونائله .

لأنت أجلُّ أخ يُعتمدُ	وأذكى أديب بهذا البلد
فردُّ مورد العين فيمن ورد	ودع كل من قام أو من قعد
ولا تلتفت غير من بابه (؟)	به العزُّ يبلغه من قصد (١)
وكن حازماً واختلس واقتس	فما الافتراس يخاف الأسد

ويعلم تعالى لمبادرتنا بالجواب على مكاتبتكم آكد في النفس من اجتذاب النفس الذي به حياتها وقيامها ، ومنه غذاؤها وقوامها . ولقد شرعنا فيه ساعة إراءته كراهية التكاسل عن التراسل ، والتراخي عن القيام بحق التواخي فاقتضيناه في غاية الاستعجال ، واختصرناه كراهية التطوال . وانتقينا درره من اللغة الفصيحة استئصال الأجنبية . ونزهناه عن المعاني الغامضة واللغات الوحشية ، اقتفاء لآثار الفصحاء من الأوائل والأواخر . واقتداء بما أشار إليه الشاعر :

تختير لنظمك سهل الكلام وجنبه حوشيته والسلام
فخير الكلام الجلي الذي إذا قيل لم يفتقر للكلام!

فلكم الفضل في الإغضاء لعجالة هذه المكاتبة ، فهي على وجه المباشرة والمداعبة . فمداعبتكم عندنا أحلى من 'نجاج النحل' ، وأشهى من بواكر النخل وكيف لا؟ وقد جمعنا الله سبحانه على مراضيه^(١) وأسعدنا بما قضاه . ونرجو أن يسعدنا بما هو قاضيه ، فتمتلج صدور لانتظام سلكننا وانتظام إخواننا الصريح ، وتلجج قلوب خلوص ودادنا الذي حديثه من الحسن الصحيح . وبمنعمة يبلى الجديدان ولها جدة . وتنضب الموارد ، وهي من فيض فضل الله تعالى مستمدة . وهذا آخر الكلام ، وعليكم معاداً منّا السلام .

صاحبنا الفقيه محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف^(*) :

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، ورأيت ، وصحبته :

ونسبه - حسبنا نقلته من خطه على متن كتاب ، وأخبرني به هو ، وسمعته أيضاً بفاس من بعض الناس - هو : محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن شعيب بن قمي بن أبي محمد بن حيان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويعرف بالشبوكي . « وشبوكة » قرية بينها وبين مدينة فاس

(١) حقها أن تكون «مرتضاه» أو مايشبه .

(*) نقل المقرئ في أزهار الرياض ١ : ٢٩١ - ٢٩٤ ترجمة الشبوكي ، وأورد قصيدته المذكورة هنا . ونص على أنه نقل عن كتاب ابن الأحمر . وهم حين قال إنه نقل ترجمة الشبوكي وشعره عن « نثر فرائد الجمان » فإنه لم يترجم له في ذلك الكتاب ولم يورد ذكره . وقد فصلت في هذه المسألة في دراستي عن الكتابين .

ثلاثة أيام^(١) . وأخبرني أن جده عبد الرحيم أتى من المشرق إلى المغرب واستوطن بشبوكة ، وهو شريف ، ويوسف أبوه كان - رحمه الله - جليل الوجه جداً ، شاعراً مجيداً ، فقيهاً ، وبرز عدلاً بسباط شهود فاس . واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان المريني شاهداً في دار صناعته . وأحمد والد يوسف كان فقيهاً صوفياً . ومحمد والد أحمد كان فقيهاً صالحاً . ويوسف والد محمد كان فقيهاً عالماً صالحاً مكاشفاً ، مجاب الدعوة من أهل الطبقة العليا في الصلاح .

وأبو عبد الله - هذا - كتب الوثيقة بشهود فاس .

حاله - أكرمه الله - :

هو فارس القريض ، وحامل لوائه الطويل العريض . وله وجه وسيم ، وحياء جسيم وسموامة لا يبلغها إنسان ، ولا سمع يثقلها في سالف الأزمان ! ويؤثر مغالبة نفسه على هواه . ويختار مهيع السمو على ما سواه .

أنشدني لنفسه^(*) يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني بعد قتله لوزيره المتغلب على أمره عربن عبد الله علي الياباني^(٢) ، ويحرضه على قتل الشيخ أبي

(١) في إحدى نسخ أزهار الرياض ثلاثة أميال .

(*) وردت القصيدة في أزهار الرياض للعقري ١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ ، وسنقابل النصين إتماماً للفائدة .

(٢) كان عمر بن عبد الله وزيراً قوياً متنفذاً ، أدار شؤون البلاد مدة وتسلم على سلاطين بني مرين ، حتى تخلص منه السلطان عبد العزيز (انظر العبر لابن خلدون ٧ : ٣١٩ وروضة السرين لابن الأحرار : ٣٣) .

ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتائي (١) صاحب جبل هنتاة من حوز مراکش؛
حين خرج عليه به السلطان المعتمد على الله أبو الفضل محمد بن أخي السلطان
عبد العزيز هذا :

أَبَانَ فِي مُجِبِّهِ مَا قَالَ عَاذِلُهُ دَمَعٌ جَرَى فَوْقَ صَفْحِ الْخَدِّ هَامِلُهُ
فَبَاتَ مِنْ وَطْأَةِ التَّفْرِيقِ ذَا وَجَلٍ يَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ عَوْنًا وَهُوَ خَاذِلُهُ
صَبٌّ إِذَا مَا بَدَا بِالرَّقَّتَيْنِ لَهُ وَمِضُّ بَرَقِ الْحَيَا هَاجَتْ بَلَابِلُهُ
[١٢٥ / أ]

يبكي للمزول أنسٍ بَانَ آهِلُهُ وظاعن عنه قد شططت منازلُهُ
يَا حُسْنَ عَصْرِ بِهِمْ قَضِيَّتِهِ زَمْنًا رَقَّتْ حَوَاشِيهِ إِذْ رَاقَتْ (٢) أَصَانِلُهُ
كَأَنَّ صَوْبَ دَمُوعِي بَعْدَ بَعْدٍ (٣) سِيبُ الْمَلِيكِ إِذَا وَافَاهُ سَائِلُهُ
عَبْدُ الْعَزِيزِ الَّذِي عَزَّتْ بَدَوْلَتُهُ صَنَائِعُ الْحَقِّ وَالتَّاحَتْ دَلَائِلُهُ
وَأَصْبَحَ الْمُسْلِكُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ غَالَتُهُ غَوَائِلُهُ
عَادَتْ بُعِيدَ عَنَا (٤) مِنْهُ نَضَارَتُهُ فَعَادَ يَافَعُهُ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
كَالرَّوْضِ بَاكِرُهُ طَلٌّ عَلَى ظَمَأٍ وَجَادَهُ بَعْدَ ذَلِكَ الطَّلُّ وَابِلُهُ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي مَنَ أُمَّ سَاحَتَهُ جَادَتْ عَلَيْهِ يَجِدُواهَا أَنَامِلُهُ
وَمَنْ تَخَلَّفَ جَهْلًا عَنْ إِبْجَاتِيهِ سَارَتْ إِلَيْهِ عَلَى عِلْمِ صَوَاهِلِهِ
قُلْ لِلْيُنْدِيِّ عَنْهُ أَقْصَتُهُ جَرَائِمُهُ وَعَقَلَتُهُ عَنْ الْعَلَمِيَا مَعَاوِلُهُ

(١) من رجال الدولة المرينية، وشيخ هنتاة من قبائل المضامدة وانظر الاستقصا للسلوي
الناصرى ٤ : ٥٢ - ٥٤ في تفصيل خبر خروج عامر الهنتائي ونهايته .

(٢) في الأزهار : رقت .

(٣) في الأزهار : بعدهم .

(٤) في الأزهار : بعيد لنا .

زُرْ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَالَعَهُ تَحْظُ بِمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ آمَلُهُ
فَطَبَعَهُ الصَّفْحُ وَالْمَعْرُوفُ شَيْمَتُهُ وَالْحِلْمُ وَالصُّونُ وَالْتِقَا شِمَائِلُهُ
وَابْلَغَ جَمِيعِ الْعَدَى أَنْ سَوْفَ يَشْمَلُهُمْ

مِنْ الظُّبَا كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ قَاصِلُهُ
هَذَا الْمَلِكُ أَتَاهُمْ فِي كَتَائِبِهِ لِنَسْنَخِ آجَالِهِمْ تَنْضَى رَوَاحِلُهُ
بِكُلِّ خَرَقٍ طَوِيلِ الْبَاعِ مُتَشَدِّدٍ مَقْصُرِ عُمْرٍ مَنْ تَلْقَى مَنَاصِلُهُ
وَجَحْفَلٍ فِيهِ سُمْرُ الْخَطِّ مَشْرَعُهُ قَدْ حَجَّيْتُ أَنْجَمَ الشَّعْرِى قَسَاطِلُهُ
سَيَعْلَمُ الْغَمْرُ عَقْبِي مَا جَنَاهُ إِذَا كَلَّتْ مَوَاضِيهِ وَانْفَضَّتْ كَلَالُهُ
وَحَاطَ بِالْجَبَلِ الْبَحْرَ الْحَيَاطَ وَلَا .. حَتَّى فَوْقَ أَرْوُسِهِمْ مِنْهُ جَدَاوِلُهُ
فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَقْدُ

أَعْطَيْتَ كُلَّ الْمُتَى فِيمَا تُجَادِلُهُ
مَنْ ذَا يُنَازِلُ جَيْشًا أَنْتَ قَائِدُهُ يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَوْ مَنْ ذَا يُنَاضِلُهُ
أَلَا تَرَى الْمَاتِقَ الرَّعِيدَ حِينَ عَتَا وَأَضْمَرَ الْمَكْرَ صَادَتْهُ حَبَائِلُهُ

[١٢٥ / ب]

ظَنَّ الظَّنِّينَ بَأَنْ يَسْمُو وَيَعْلُو فِي دُنْيَا سَمْتٍ وَعَلَتْ فِيهَا بَوَاطِلُهُ
فَقَادَرْتَهُ الصَّعَادَ الزَّرْقَ مَنْجَدَلًا فَوْقَ الصَّعِيدِ تَنَاجِيَهُ جَنَادِلُهُ
دُنْيَاهُ تَضْحَكُ مِنْ أَحْوَالِهِ عَجَبًا بِهِ وَفِي الْحَيِّ تَبْكِيهِ أَرَامِلُهُ
فَلَيْسَ دِينَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَدَّتِهِ أَنْ صَرْتُ يَا ذَا الْحَيَا الطَّلُقَ كَافِلُهُ (١)
لَمْ يَنْتَصِبْ قَطُّ فِي الدُّنْيَا لَوَاءُ عُلَا إِلَّا وَمِنْ آلِ «عَبْدِ الْحَقِّ» حَامِلُهُ

مَوْلَايَ ! مَوْلَايَ ! دَمَ مَا عَشْتُ مَصْطَحِبًا
عُلَا وَفَخْرًا وَعِزًّا لَا تُزَايِلُهُ
إِنْ سَارَ جَيْشُكَ فَالْتَأَيِدْ بِقَدَمِهِ وَالتَّصَرَّ عَاجِلِيهِ يَعْفُوهُ آجِلُهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَفِيهِ إِقْوَاء .

صاحبنا الفقيه العدل إبراهيم بن علي العباسي :

يكنى أبا إسحاق . وأدركته ، ورأيت به فاس ، وصحبته .

ومسقط رأسه مدينة فاس ، ووالده وسلفه من الأندلس .

ونسبه هو إبراهيم بن علي بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن علي بن العباس ابن محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن علي بن القاسم بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وأبوه علي هو القادم من غرناطة على فاس . وكان يكتب في الحضرة السلطانية الأحرية النصرية بالأندلس للأمير المسلمين أبي عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عم أبينا بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحر بن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الخزرجي . وكان فقيهاً ، متفتناً ، فاضلاً ، من أهل الخير والدين . وعبد الله والده كان فقيهاً . وسعيد والد عبد الله كان فقيهاً خطيباً .

وصاحبنا إبراهيم - هذا - هو الآن عدل بسباط شهود فاس .

حاله - سلمه الله - :

له منظر وسيم ، وذكاء جسيم . وهب نسيم براعته فرق وراق . وتفتت أزاهر نبله ساطعة الإشراق . مع مالدیه من المعرفة بالأدب ، وإصابته في فنون شق من الطلب .

كتبت له - لوداد بني وبينه - بقولي :

يا ابن عم النبي أحمد إني فيك ذو لوعة وحق علي !
وودادي إليك من أجل ما قد حزنه من قرابة للذي

فجأوبني بقوله :

يا سليل الملوك من آل نصر وبني كل سؤدد خزرجي
إن تكن رقت ناظري وسمعي بقريض مبرز أحري
فلقد رعت يا أبا الصديق مني ميقولاً فاعترتة خجلة عي
فلئن عاقني قصور فمعدري - إن تأملت - أي عذر جلي

وأنشدني - لنفسه - على لسان محبرة :

نزلت من الإنسان منزل عقله ومنزل عقل المرء منه جنانه
أترجم عنه بالبراعة مثلهما يترجم عما في الضمير لسانه
ويبقى على مر الزمان محبباً بياناً عنه وهو يفنى بيانه

وأنشدني - أيضاً ، لنفسه - في إنجاز الوعد :

طوّلت مطلي يا أسنى الكرام وفي إنجاز وعدك لي سؤل ومرغوب
وأعلم بان كثير المطل يصحبه بغض وأن وفاء العهد محبوب !

وأنشدني - أيضاً ، لنفسه - مداعباً بعض أصحابه ، كان يكثر في شعره من اسم « الدست » :

أيا ماجداً لولاه ما عرف الندى ولا الجود والجدوى ولا شرف الدست

فقد طالما جرّبت دهري وأهله
وخالطت أخلاط الأنام ومارست
نما ظفرت كفتاي منهم بطائل
خلا أنني استيأست منهم وأياست

[١٢٦ / ب]

ويتمت عليك التي هي ملجأ
وغاليت في الأمداح فيك ونافست
فقلست أجياد القصائد من حلا
ثنائك تقليداً جميلاً وألبست

صاحبنا سعيد بن إبراهيم السدراتي رحمه الله تعالى :

يكنى أبا عثمان ، وأدركته ، وصحبته ، وامتدحني ، وأفدته في الطريقة
الأدبية . وهو من فاس ، ويعرف بـ « شهبون الأديب » ، وكان شعره وسطاً
وأربع ما كان نظمه في الزجل ؛ ظهر له فيه --- بفاس --- باع مديد . وقد
وافقني على قولي هذا الفقيهان الأديبان المحدثان : شيخنا الأستاذ النحوي
منديل بن محمد بن آجروم ، وصاحبنا أحمد بن محمد الدباغ ، وشهدا له بالإجادة
في الزجل . ومن شهد له هؤلاء : ^(١) البليغان العالمان فهو مقدم !

حاله - رحمه الله - :

مر رئيس الأدباء ، ونخبة الألباء ، إلى إجادة في نظم الزجل أذهبت عنه
في الشعر الخجل ! وأورثت مضاهيه فيه الوجل . ونجم في التوشيح ، ولم تكن
قرينته في نظمها بشحيحة ! ونظمه في القريض وسط ، وقهقهة فيه مرتبط .

(١) كذا فيها .

أنشدني - لنفسه - في الجد :

أنا ديكٌ جَهراً كي (.....) (١) عندي :

وليسَ مُرادِي عنكَ يخفي ولا قَصدي

وإنْ أُموري لم تغبْ عنكَ ساعةً :

علمت الذي أخفي ، فكيف الذي أبدي ؟ !



وكان صاحبنا الأخلص الحسيب أبو محمد عبد الله بن محمد بن خنوست قد مرض ، فسمرت إلى منزله أعوده صبيحة يوم الأحد العاشر لشهر رمضان سنة ست وستين وسبع مئة ؛ فأتى سعيد هذا إلى منزلي بفاس ، فسأل عني ، فقليل له قد مشى يعود صاحبه عبد الله . فقصد إلى باب صاحبنا أبي محمد عبد الله ، المريض ، وجلس بإزائه ينتظرنني ، فلما خرجت سلم علي ، ودفع إلي بيتين ارتجلهما من حينه في مدحي ، وقال لي : يا مولاي ! (تصفحها) (٢) ولك الفضل في قبولهما والصفح عن نقدهما :

يا ابنَ أَسْمَى المُلوكِ صَيْتاً وَقَدَرًا

وأخا الفضلِ والرقيعِ المقامِ

إنْ أَتَيْتَ العليلَ يوماً تَراه

عادَ في صِحَّةٍ من الأسقامِ !

وامتدحني - أيضاً - بقوله :

نُشِرتْ فيكم - بني نصر - لأبي الصّدقِ رايةُ النّصرِ

أيُّ شَهمٍ وأيُّ صُنْدِيدِ

حازَ لارثَ السّماحِ والجودِ

شَيّدَ المجدَ أيُّ تشييدِ

(١) فراغ في الأصلين . (٢) الكلمة غير واضحة ، وأرجح ما أثبت .

لم تحدهُ عنهُ ألسنُ الشكرِ فهو في الدهر طيبُ الذكرِ
 ثاقبُ الذهنِ " وافرُ العقْلِ
 عالمُ بالعلومِ والنقلِ
 جعلُ النصيرِ منهُ في النصلِ
 ضيقُ الحزمِ واسعُ الصدرِ بارعُ الحُسنِ باسمُ الشعرِ
 أيُّ بدرٍ بطالعِ السعدِ
 صعدت منه رتبةُ المجدِ
 لم تحيدهُ راحتهُ عن رفدِ
 صادقُ الوعدِ سابقُ الفجرِ جالبُ النفعِ دافعُ الضرِ !
 رافعُ الحقِ باسطُ العدلِ
 قاهرُ الظلمِ قاتلُ المَحَلِ
 مانعُ البغي مابحُ البذلِ
 مُذهِبُ الضيمِ عاجِلُ البيرِ ناجحُ الفعلِ ذاهِبُ العُسرِ
 يا أبا الصّدقِ أنتَ مولانا
 كم نوالٍ بذلتَ أغنانا
 رُفقتَ حُسنًا وفُقتَ إحسانا
 لك جودٌ كوابِلُ القَطَرِ ومقامٌ أرَبى على النُسرِ

الباب الثاني عشر

فيما قيل من الشعر في السيف

الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس

وها أنا أثبت - هنا - جملة من مقطعات لشعراء مدينة فاس في السيف الذي بمنار جامع القرويين ، مع جملة من كلامي في تاريخ السيف المذكور ؛ فنقول :

اجتمع في شهر ربيع الآخر من عام أربعة وستين وسبع مئة يجامع القرويين من مدينة فاس جماعة من طلبتها الأذكياء ، وأدباؤها النبلاء وكنت في جبلتهم ؛ أسمع كلامهم . فتكلموا في السيف الذي بأعلى الصومعة ، ولم [١٢٧ / ب] جعل هنالك . فقال قائل : جعل طليئساً على البلد ، لما كان عليه الناس حينئذ من الافتئات على الأمراء ، وقلة الانقياد . ولأجل ذلك لا يبيتُ إنسانٌ بها إلا مغموماً ! وقال الآخرون غير ذلك (١) . وأنا أذكر إن شاء الله حقيقة الأمر فيه . ثم آتي بعد ذلك بجملة ما قالوه في ذلك من الشعر مرتباً حسب ما وقع لا على مراقب القوم ومنازلهم .

اعلم - وفقك الله - أن أصحاب التاريخ قالوا إنه لما تم العمل في بناء الصومعة على

(١) هكذا وردت العبارة فيها .

يد الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن أبي سعيد الزناتي - وكان عاملاً^(١) للأمير المؤمنين الناصر لدين الله، القائم بأمر الله عبدالرحمن بن محمد الأموي المرواني الخليفة الأندلسي - على مدينة فاس، وكان من أهل الفضل والدين، وذلك في شهر ربيع الأول من خمس وأربعين وثلاث مئة؛ جعل في أعلى الصومعة قبة صغيرة، ووضع في ذروتها تقافيج موهبة بالذهب في رُج من حديد. وركب في الرُج سيف أمير المؤمنين إدريس بن أمير المؤمنين إدريس بن عبد الله بن حسن بن أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجوهرهم - الذي أسس المدينة.

وسبب جعله هنالك أن الأمير أحمد بن أبي بكر لما فرغ من بناء الصومعة اختصم إليه بعض حفدة أمير المؤمنين إدريس في السيف، وطلب كل واحد أن يمتاز به ويحوزه لنفسه، وطال النزاع فيه. فقال لهم الأمير أحمد: هل لكم أن تسلموه لي وتتركوا النزاع فيه؟ فقالوا له: ما تصنع به؟ قال لهم: أجعله في أعلى هذه الصومعة تبركاً به، وليكون لكم ذكر بسببه. فقالوا له: قد وهبناه لك طيبة به نفوسنا؛ فجعله في ذروتها.

ولنرجع الآن لسرد أقوالهم المنظومة فيه. فكان أول من فتح فيه باب القول للشعراء شاعر هذا الأوان، وحائز خصل السبق بهذا الميدان صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي

(١) ثار أحمد بن أبي بكر الزناتي ضد حامد بن حمدان المهداني، وأرسل في طاعة عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة (٣٥٠ - ٣٥٠) وأشهر خلفاء بني أمية في الأندلس. وزاد هذا الوالي في جامع القرويين بفاس بمساعدة قرطبة. ونصب منبر أموي رائع في المسجد أيام هشام المؤيد وبسمعي من الحاجب المنصور بن أبي عامر. (راجع في ذلك روض القرطاس ٣٤ وتأسيس فاس ٥٧ والعبر ٤ : ١٤٠ - وكتاب جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ج ١ : ٥٦ - ٦١).

[١٢٨ / أ] وكان نظمه قد تقدم التاريخ بمدة ، فقال :

أَنْكَرَ السَّيْفَ بِالْمَنَارِ بِفَاسٍ قَائِلٌ إِنَّ ذَاكَ دَاعِيِ اغْتَامٍ
لَا يَرُوعُكَ الْحُسَامُ مُلٌّ عَلَيْهَا جَنَّةُ الْخُلْدِ تَحْتَ ظِلِّ الْحُسَامِ

ثم تلاه صاحبنا الفقيه المتفطن النحوي أبو عبد الله محمد بن موسى بن ابراهيم الماجري فقال :

يَقُولُونَ زَجْرًا إِنْ فَاسًا قَضَى لَهَا
بِذَلَّتْهَا سَيْفُ الْمَنَارِ الْمَشِيدِ
لَقَدْ أَخْطَوْا فِي زَجْرِهِمْ ضَلَّ سَمْعُهُمْ !
هَلِ الْعِزُّ إِلَّا تَحْتَ ظِلِّ الْمَهْنَدِ !

ثم تلاه شيخنا الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ المصنف أبو المكارم مندیل بن محمد بن محمد بن داود بن أجروم الصنهاجي ، فقال :

شَامُوا بِفَاسٍ سَيْفَ إِدْرِيسِيٍّ فَوْقَ مَنَارٍ لَا لِأَمْرِ خَوْفٍ
بَلْ أَشْعَرُوا بِقَوْلِ خَيْرِ الْوَرَى : جَنَّتُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيْفِ

عَيَّنَ شيخنا مندیل في هذين البيتين صاحب السيف ، ونفى قول من قال إنه طلسم . وأتى بالحديث على ما هو عليه لم يغير فيه إلا يسيراً ، وهو « جنتكم » . وإنما لفظ الحديث « الجنة تحت ظلال السيوف » (٢) . وذكر فيه خير الوری : ﷺ . ولم يسقه غير سياق أنه حديث ، ومع ذلك فغير كثير ، وهو أول من ذكر اسم (إدريسن) (١) .

(١) هو إدريس الثاني ، بن إدريس الأول مؤسس دولة الإدارة الشريفة بالمغرب الأقصى . وبدأ بناء جامع القرويين بفاس سنة ٢٤٤ هـ .

(٢) أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه ٢ : ٢٠٨ . وفيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقال صاحبنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن
المعروف بالربيب :

وسيف منارٍ بفاسٍ غدتْ محاسنُها دانيات القُطوف
فيا زاجر الغمّ: عفوُ الإلهِ وجنتُهُ تحتَ ظِلِّ السُّيوفِ

وقال أيضاً فيه :

وما خصَّ إدريسُ المنارَ بسيفه لغمٍ ولكن كي يعمُ نداءؤه
مشيراً: أجيبوا داعي الله تآمّنوا ومن لم يحب داعيه: هذا جزاؤه

وقال أيضاً فيه :

سيرُ فاسٍ لفارسٍ^(١) قد بدا في وضع إدريس بالمنارِ حُسامه
فهم العزَّ للنداء فأورى ناره معلماً وشالَ علامه !

هذه الزيادة التي زاد في هذه المقطوعة الثالثة - وهي ذكر العلام والفنار -
الذين أمر بها أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس المريني سنة تسع
 وخمسين وسبع مئة هو أول من نبه عليها من أصحابنا ؛ إلا ما رأيته بخط
شيخنا الفقيه الكاتب التاريخي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي
المعروف بالتاورى من بيتين في ذلك المعنى غير منسوبين :

نور به علمُ الإيمان مرتفعٌ للمهتدين به للحقِّ إرشادُ
يأتون من كل أوبٍ نحوه فلمهم لديره للرشد إصدارُ وإيرادُ
وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه العدل القاري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد
الصنهاجي المليلي لنفسه :

(١) هو فارس أبو عنان المريني سلطان المغرب .

المِمْ بفاسٍ ولا تسمع لقائلهم
« سيف المنار كساها ثوب مكتتب »
أما ترى الشمس راقته تحت كاتبيها
و « السيف أصدق أنباء من الكتب » ؟

يقول : كما أن الشمس لا يضرها كونها تحت الكاتب ، كذلك فاس
لا يضرها كونها تحت السيف بل هي أحق بذلك لكون السيف أشرف من قلم
الكاتب بدليل قول حبيب :

« السيف أصدق أنباء من الكتب »

وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد
الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ لنفسه - شاعر ابن عمنا الرئيس
أبي الوليد إسماعيل - رحمه الله تعالى - :

سيف إدريس بالمنار بفاس ليس للغم لا ولا للخافه
إنما كان وضعه السيف فيها معلماً أنها مقر الخلافه !

[١٢٩ / أ]

وهذا معنى حسن ، إلا أن نسبة وضع السيف لإدريس ليس كذلك ،
(إنما وضعه) ^(١) الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد الزناتي
المذكور (٢) .

وأنشدني فيه ابن عمنا الرئيس أبو الوليد إسماعيل بن الأمير أبي سعيد
فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد
فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الأمير أبي الحجاج يوسف

(١) لم تظهر في « م » .

(٢) زاد في صفحة ٤٥٢ « أبا بكر » بين أحمد وأبي سعيد .

الشهير بالأحمر بن جدنا أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد بن أحمد
ابن خميس بن نصر الخزرجي ، لنفسه :

وما السيفُ في رأس المنارِ لَذلةٍ بفاس ولكنَّ أمره أَيْمًا أمر !
رأها ابنُ إدريس مقرَّ خلافةٍ فجرُّده عَزَمًا لأَملاكها الغُرَّ
وهذا المعنى الذي ذكر ابن عمنا (١) أبو الوليد الرئيس هو نفس ما قاله
شاعره أبو العباس الدباغ المذكور . ولقد أحسن ابن عمنا في مخالفته له في
الوزن والقافية ، وذلك بما يحسن الأخذ !

وأنشدني أيضاً فيه صاحبنا أبو الفضل محمد بن باشر التسولي لنفسه
- رحمه الله تعالى - :

قُلْ لِمَنْ أَنْكَرَ الْحُسَامَ وفاس وادَّعَى الْغَمَّ قَوْلَ ذِي تَجْرِيجِ
سيفُ إدريسَ في المنارِ شهيرٌ شهرة الدين بالأذانِ الفَصيحِ
وقول أبي الفضل « قُلْ لِمَنْ أَنْكَرَ الْحُسَامَ .. البيت » اهتدمه من قول
شيخنا لأستاذ التحوي منديل بن آجروم ، في قصيدته الفتوحية :
قُلْ لِمِيارِ (٢) إِنْ شَمِتَ شَذاها قول مستخبر أخِي تجْرِيجِ
أين هذا الشدى من القَيْصُصِ ... مِ الرُّندِ والغَضَا والشَّيْحِ
وقصيدة [١٢٩ / ب] شيخنا (هذه في ذكر) (٣) متمزحات باب
الفتوح من مدينة فاس ، وهي :

أَيْها العارِفونَ قَدَرِ الصَّبُوحِ جَدُّوا أَنْسَنَا بِبابِ الْفُتُوحِ
جَدُّوا ثَمَّ أَنْسَنَا ثَمَّ جَدُّوا نَسَرَ الطَّرْفَ فِي تَجالٍ فَسَيَحِ

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب (الورقة ٢٠) .

(٢) مِيار الديلمي الشاعر العباسي (٤٢٨ - ٥٠٠) .

(٣) لم تظهر العبارة بوضوح في الأصلين لوقوعها في أعلى الصفحة فيها .

حيثُ شابتُ مفارقُ اللوز نوراً وتساقطنَ كاللجينِ الصريحِ
وبدا منه كلُّ ما احمرَّ يحكي شفقاً مزقتهُ أيدي الریحِ
وكانُ الذي تساقط منه نَقَطُ لُحْنٍ من دمٍ مَسْفُوحِ
وإذا ما وصلتمُ المصلى فلتُجلِسُوا مواضعَ التَّسْبِيحِ
وبطيفُورها قطُوفوا لكي ما تُبصروا من ذُراهُ كلِّ السطوحِ
ولتَنقُبُوا هناكَ لمحجةَ طرفِ لَتَرُدُّوا بِهَا دَمَاءَ الرُّوحِ
ثم حطُّوا رحالكُمُ فوق نهرِ كَلِّ في وصفهِ لِسَانُ المديحِ
فوقَ حافاتِهِ حدائقُ خضِرُ ليسَ عَنَّا لعاشقٍ من نَزُوحِ
وكانَ الطيورَ فيها قِيَانُ هتفتُ بين أعجمٍ وفَصيحِ
وهي تدعوكم إلى قُبَّةِ الجَوْ زَهَلُمُوا إلى مَكانٍ مليحِ!
فيه ما تشتهون من كلِّ نورِ مُغلقٍ في الكِبابِ أو مفتوحِ
وغُصُونٍ تهيج رقصاً مقى ما سمعتُ صوتَ كلِّ طيرٍ صدُوحِ
فأجيبوا دُعَاءَها أيُّها الشُّرُ . . . بُ وَاخْلُكُوا مَقَالَ كلِّ نَصيحِ
واجنَحُوا للمُجُونِ فهوَ جديرُ وخلقٍ من مِثْلِكُمُ بالجنوحِ
واخلعُوا ثَمَّ للتَّصَابِي عِذاراً إنْ خلعَ العِذارِ غيرُ قَبيحِ !!
وإذا شئتمُ مكاناً سواه هوَ أَجلى من ذلكُمُ في الوُضوحِ
أَجِيعُوا أمرَكمُ لنحو خليجِ جاءَ كالصَّلِّ من قِفَارِ فيحِ!
عطَّرتْ جانبيه كَفُ الغوادي بِشِذا عَرَفَ زهرها الممنوحِ

[١٣٠ / أ]

قل لمهيارَ إن شِمتَ شِذاها - قولُ مُستخبرِ أخِي تجريحِ - :
أين هذا الشِذا الذكي من القِيَةِ صومِ والرَّند والغُضا والشَّيحِ ؟!

حينذا ذلك المهَادُ مهَاداً بين دانٍ من الرُّبَا ونَزْوُوحٍ
 ثُمَّ من ذلك المِهَادِ أفيضوا نحو هضب من الهموم مُرِيحٍ
 فيه للحُسْنِ دَوْحَةٌ وزوايا وانشرّاحٌ لذي فُؤَادٍ قَرِيحٍ
 وحجارٌ تُدعى حجارَ طبول غير أن التَّطْبِيلَ غيرَ صَحِيحٍ !
 تَنَشُرُ الشمسُ ثُمَّ كلُّ غُدُوٍ زَعْفَرَاناً مَبْلَلاً بنضوحٍ
 و « سبو » ^(١) من هناك يسبي عقولاً

ويجلّتي لحاظ طرفٍ طموحٍ
 و«عيون» بها تقرّ عيونٌ وكلاها يأسُو كُومَ الجريحِ
 فُرشت فوقتها طنائِسُ زهرٍ ليس كالعيونِ نسجُها والمُسوحِ
 كلما مرّ فوقهنّ طليحٌ عاد من حُسْنهن غيرَ طليحِ
 فدنهنّصوا أيها المحبّونَ مثلي لنرى ذاتَ حُسْنها الممّوحِ
 هكذا يربحُ الزّمانُ وإلا كلُّ عيشٍ سيّواه غيرُ ربيعٍ !

وأنشدني أيضاً ابن باشر ، فيه ، لنفسه :

قل ليلذي أنكرَ السيفَ الذي اشتَهرَا
 على المنّار فما أبدعتَ تنكِتَا

من خالف الصَّلوات الخمس يُعزلَ به
 « إنَّ الصَّلَاةَ كتابٌ كان موقوتا »

وقوله في هذه القطعة « إن الصلاة كتاب كان موقوتا » هذا المصراع كله

لأبي العلاء المعري ، وهو قوله :

(١) نهر سبو أو وادي سبو ينبع من جبال الأطلس الأوسط ، ويصب في المحيط الأطلسي
 ويبر بالقرب من فاس فيسقي أراضيها ، ويصب قرب مدينة القنيطرة .

أعدت من صلواتي حفظ عهدكم إن الصلاة كتاب كان موقوتاً

وهذا - عند أهل البلاغة - يسمى التضمين . وهو عندهم نوعان : نوع ينبه فيه على البيت المضمن أو المعراع أنه للغير ، ونوع يؤتي به من غير تنبيهه [١٣٠ / ب] هكذا وهو أحسن النوعين (١) . وفرق بين أن يكون البيت شهيراً (فلا يحتاج) إلى تنبيه ، أو غير شهير فيحتاج إلى التنبيه .

وأنشدني أيضاً لنفسه على لسان السيف :

وليس ارتفاعي في المنار ليكربة
ولكنه كي يعلم الحق جاهله
أحضر على الخمس التي فاز أهلها

ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله !

وقوله (٢) : « ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله » ليس كذلك ، لأن مؤخر الصلاة عن أوقاتها لا يقتل ، وإنما يقتل جاحدها .

وأنشدني فيه شيخنا الفقيه الكاتب مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق لنفسه ، مخالفاً لما أصّلوه ، ومثبتاً لما أنكروه :

قالوا يجامع فاس سيف إدريسا وكلهم قائل زوراً وتلبيسا
ما جعله غير طليسم لساكنها لكي ينال بها الأحزان والبؤسا !

وأنشدني فيه صاحبنا الأستاذ النحوي أبو زيد عبد الرحمن بن علي ابن صالح المكودي ، لنفسه رداً على شيخنا ابن أبي طلاق ، وموافقاً للجمهور في المساق :

(١) هنا كلمة لم تظهر في الأصلين .

(٢) لم يظهر قبل (قوله) في « م » كلام . وفي « ط » إما أن .

قال قومٌ سيفُ المنارِ بفاسٍ هو طيلَسَسَمُ ذِلَّةٍ وَهوانٍ
أخْطَوْا لَيْسَ ذاكِ إِلَّا لِعِزٍّ بُهَرَتْ مِنْهُ سَائِرُ الْبِلدانِ !
وَأُنشدني^(١) فيه صاحبنا الفقيه العدل أبو العلي إدريس بن يحيى

ابن محمد بن عمر بن رشيد الفهري لنفسه :

سلَّ إدريسُ بالمنارِ حُسَامًا منبأً ، ذاك ، عن شديد العقابِ
داعياً للصلاة إن لم تُجيبوا فحقيق الجزاء ضرب الرقابِ !
وانظر قوله : « إن لم تُجيبوا » فيه تحريز حسن ، وهو الذي أشرنا
إليه من جردها بخلاف قول القائل : « ومن حاد عن أوقاتها أنا قاتله » . وهو
نفس ما قاله صاحبنا الفقيه [١٣١ / أ] محمد بن محمد بن عبد الرحمن
المذكور^(٢) .

إلا أن في هذه المقطوعة ترجمة القول في لزوم ما لا يلزم ، وهو من البراعة (؟) .
وَأُنشدني فيه شيخنا الفقيه المتفنن أبو محمد عبد الغفار البوخلقي :
ذكرتُ ولم أكنْ للذِّكرِ ناسي عجائب سيف إدريس بفاسٍ
فلم يكُ بالمنارِ سدى ، ولكنْ لِيُدْفَعَ عن حِمَاها كلُّ باسٍ

وَأُنشدني فيه أبو محمد بن علي الفخار ، شهر بالحياك :
شهرة المشرفي فوق المنار عزّة للورى ودين النبي
سيف إدريس مُحمَّدٌ للأعادي وانتصارُ الملوكة بالمشرفي

(١) هو حفيد محمد بن عمر بن رشيد صاحب الرحلة .

(٢) هنا نصف سطر غير ظاهر في « م » ومحو تماماً في « ط » .

(٣) في نيل الابتهاج ٢١٦ ترجمة لمحمد بن أحمد الحباك . وفي الروض الهمتون ٦١ ترجمة
لمحمد بن سعيد الحباك . كلاهما بالياء الموحدة . قلت اسم الشاعر في النسختين الحباك
بالياء المثناة .

إلا أن قوله : « فوق المنار » فيه عيب من جهة النقد يسمى التجميع (لأن سامعه) (١) أولاً يقدر أن قافية البيت مثل قافية المصراع ، فيجدها على خلافه .

وأنشدني فيه لنفسه الأديب أبو عثمان سعيد بن إبراهيم السدراقي شهر بشهبوت :

لإدريس سيفٌ أظهرَ الدينَ والهدى
بأفق منارٍ للأذانِ تَشْمِيداً
فمن ظنَّ أن الذِّلَّ أورثنا به
فهلْ ذلٌّ إلا ظالمٌ ضلَّ واعتدى ؟ !

ولقد أحسن في قوله : « ذل .. وضل » حيث أتى بهذا التجنيس المسمى عندهم بالتجنيس المضارع .

قال إسماعيل ، مؤلف هذا الكتاب :

« انتهى نثر الجُمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وإذا قد فرغت من تأليف كتابي هذا ، وكان وبلي فيه رذاذا ، إذ لُذْتُ بجانب مغناه لوإذا ، جعلت العذر عن القصور فيه عياداً . ورغبت ممن تصفحه أن يسقط العتاب ، ويعود إلى الإعتاب ، فأني لست برب هذا (الشأن ؛ ولا من فرسان) (٢) [هذا الميدان] (٣) .

(١) مستدرك من « ط » .

(٢) هذه العبارة من « ط » . (٣) زيادة مقترحة .

تعليقات

١ - عنوان الكتاب الأصلي - كما هو مثبت على الغلاف - نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان . وقد أضفت إليه على سبيل الإيضاح والبيان عنواناً رديفاً هو « أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن » جعلته وصفاً للحال بالإضافة إلى أنه عنوان فارق . ذلك أني كنت حققت كتاب ابن الأحمر الآخر المسمى « نثير الجمان في نظم فحول الزمان » ؛ فأردت أن يكون ضيعي هذا فريقياً وتنبهاً .

٢ - ذكرت في مقدمة التحقيق وصف المخطوطين المعتمدين، وهما مخطوطا الكتاب المعروفان لدينا . وأثبتت في حواشي الكتاب تفاصيل دقيقة لأوصاف المخطوطين التفصيلية وما كان بينهما من اتفاق واختلاف . و صلتى بالكتاب قديمة ، فقد نسخت الكتاب لتحقيقه على نسخة دار الكتب المصرية أيام طلب العلم في القاهرة ، وشرعت في تحقيقه . ثم توقفت لما قرأت مقالة في مجلة البحث العلمي تصف مخطوطة الخزانة الملكية في الرباط من نثير الجمان هذا . إلى أن تسنى لي الرجوع إلى نسخة الرباط ثم مراجعتها على الأصل مباشرة؛ فراجعت العمل ، وبدأته من أوله في شيء كثير من الصبر ، والعكوف على حل المشكلات .

والنص الحق من الكتاب هو أفضل ما استطعت - يهدي المتواضع - أن أصنعه . وإنما أبرزت هذا العمل لأن فيه مادة أدبية وتاريخية وافرة تههم المشتغلين بأدب المغرب والأندلس وتسد ثغرة هامة في هذا الباب . ولا شك في أن في هذا الكتاب تراجم ونصوصاً لا يمكن أن يستغني عن يؤرخ للأدب الأندلسي أو للأدب المغربي عن الرجوع إليها والاستفادة منها .

ونتمنى أن تسمح الأيام بظهور نسخة أصالية قريبة من النسخة الأم لتكون الفائدة من الكتاب كاملة .

٣ - هذا العمل في الكتاب - الذي تطاول سنين متفرقة - اضطرني إلى استخدام المراجع المتوفرة حيث أقيم . وتنقل الكتاب معي بين القاهرة ودمشق ووهران والجزائر والرباط . وكنت في بعض الأحيان أعود إلى الكتاب الواحد في غير طبعة . وعلى الرغم من التنسيق الأخير ، فإنني أخشى من هفوات يسيرة يند عنها القلم ، وتسقط إلى العمل .

وفي الكتاب بعض التراجم التي لم أجده في مراجعي التي توفر لي الرجوع إليها معلومات إضافية عنها ، أرسلتها إرسالاً ، وأكثرهم من أصحاب ابن الأحمر وتلاميذه . ولا غرابة في أن يكون كتابه هذا مرجعاً رئيساً لتراجمهم . وأنا - على كل حال - في حاجة إلى ملاحظات الأساتذة والزلاء المهتمين بالدراسات المغربية والأندلسية ؛ وإلى آرائهم وحسن عونهم .

٤ - اعتمدت في تحقيق النص على ماورد في الأصلين ، والتزمت الرواية فيها ، فإذا وجدت نقولاً في كتب أخرى قابلت عليها . وعمدت إلى إثبات ما في النص على حاله ، إلا إذا رجحت قراءة المرسوم على وجه خاص ، إذا كان الرسم يمكن من ذلك .

٥ - في صفحة ١٢١ السطر ٦ « نلت » كذا قرأتها . وفي ص ٢٣٢ أحمد ابن محمد بن عبد المنان وإن كان الأرجح لدي أنه هو نفسه أحمد بن يحيى (انظر ترجمته) . وأورد المؤلف في ص ٢٧٥ اسم عبد الله بن يوسف بن محمد الينجاسني بالياء ، ثم أورده في ص ٢٧٦ بالواو هكذا الونجاسني . وقد اجتمع لدي قدر يلحق بصفحة الخطأ والصواب أثبتته فيها .

الفهارس العامة

فهرس عام للأعلام

١

- إبراهيم بن أبي بكر الحفصي الموحد ٢٩٧
 إبراهيم بن زكريا الأنصاري ٢٧٧
 إبراهيم بن عبد الله اليزناسي ٣٦٧
 إبراهيم بن علي بن زيان ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٣١٥ ، ٣٦٤
 إبراهيم بن محمد السلمي ١٥٦
 إبراهيم بن محمد الأوسي الساحلي الطويحين ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
 إبراهيم بن عطية التجاني ٣٦٧
 إبراهيم بن علي العباسي ٤٤٦
 إبراهيم بن المهدي ٨٣
 إبراهيم بن أبي يحيى التسولي ٢٣٥
 ابن آجروم = محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
 أحمد بن إبراهيم المريني (المستنصر بالله) ٣١٠ ، ٣١٥
 أحمد بن إبراهيم بن صفوان ١٣١
 أحمد بن أبي بكر الزناتي ٤٥٢ ، ٤٥٥
 أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن أبي حفص ١٠٢ ، ١٠٦ ، ٤٥٢
 أحمد بن شعيب الجزنائي ٢٥٤
 أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي ٣٥٨
 أحمد بن علي بن عمرو التميمي ٢٢٧

- أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ١٧٥ ، ١٨١
 أحمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي (أبو بكر) ١٦٥ ، ١٦٧
 أحمد بن محمد بن الدباغ الخزرجي الأنصاري ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
 أحمد بن محمد الخولاني ٢٤
 أحمد بن محمد الزواوي ٤٣٣
 أحمد بن محمد بن عبد المنان (وانظر أحمد بن يحيى) ٨٢ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٦ ، ٣١٤
 أحمد بن محمد بن يوسف الشبوكي ٤٤٣
 أحمد المكودي ٤٣٦
 أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي ٢٤٩
 أحمد بن يحيى بن عبد المنان الخزرجي ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٤٥٢
 الأحيمر = علي بن أحمد الحسني
 الأخفش = علي بن سليمان
 إدريس بن إدريس ٤٥٢ - ٤٥٦ ، ٤٦١
 إدريس بن أبي زيد التونسي ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤
 إدريس بن يحيى بن محمد الفهري ٤٦٠
 أروى بنت كرز ٤٢
 أبو إسحاق الساحلي = إبراهيم بن محمد
 إسحاق الموصلي ٥٩
 إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن الأحمر (أبو الوليد) ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣
 ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
 ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

إسماعيل بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن الأحمر ٧٨
 إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن الأحمر (أبو الوليد) مؤلف
 الكتاب ، ١٩ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ،
 ١٥٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٣٨٣ ، ٣٩٩ ، ٤٦١ .

الأصمعي ٤٨ ، ٥٩ ، ٣٩٨ .

الأعشى ٣٦ . ٣٧ .

بنو الأغلب التميميون ٢٢٧

الأقرع بن حابس ٣٣ ، ٣٤ ، ٥١

أكثم بن صيفي ١٧٣

امروء القيس ٣١ ، ٥٤ ، ٢١٢

أمية بن أبي الصلت ٢٣٢ ، ٤٦ ، ٤٨

أميمة بنت عبد المطلب ٤٢

أنس بن مالك ٣٥

إياس ١٠٨

ب

البحثري ٦٣

بديع الزمان الهمداني ٤٢٢

البرامكة ٢٢٨

البسقي (أبو الفتح) ٤٢٢

بشار بن برد ٥٣ ، ٦٣

ابن البغلة = يحيى بن أحمد بن محمد

أبو بكر بن جزي (الأمير) ١٦٦

أبو بكر الصديق ٢٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١
 أبو بكر بن غازي بن الكأس المجدولي أبو يحيى : ٣١١
 أبو بكر بن فارس بن علي بن زيان (أبو يحيى) ٢٥٠ ، ٢٨٩ ، ٣١٥
 أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 بلال بن رباح ٢٤
 البلفيقي = محمد بن محمد السلمي
 البني = علي بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)
 البيضاء بنت عبد المطلب ٤٢

ت

تاشفين أبو عمر أمير المسلمين ٣١٥
 تجين (قبيلة) ٣٦٧
 الترمذي ٣٥
 التلمساني = محمد بن حسن الحسيني السبتي
 أبو تمام ٦٣ ، ٣٧٣ ، ٤٥٥

ث

ثابت بن قيس بن شماس ٣٣

ج

ابن جابر = محمد بن أحمد بن علي الهواري
 جرير ٥٩ ، ٦٥
 الجعدي (النابغة) ٦٠
 جميل بن معمر ٨٩ ، ١٠٨

ح

حاتم الطائي ٧٩

ابن الحاج = محمد بن علي بن عبد الرزاق

ابن الحاج = محمد بن محمد السلمي

حاجب بن زرارة ٢٣٠

حازم بن محمد بن حسن القرطاجني ٣٩٤

أبو الحجاج = يوسف بن اسماعيل بن فرج

ابن حجر = امرؤ القيس

حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٨

ابن الحسن = علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)

الحسن البصري ٣٨ ، ٥٠

أبو الحسن الصباغ = علي بن محمد بن عبد الحق

أبو الحسن العثماني = محمد بن عبد الله بن أبي مدين

الحسن بن عثمان بن عطية ابن موسى التجاني المعروف بالوا نشريسي

٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٧

الحسن بن أبي طالب ٤٤

أبو الحسن اللخمي ٢٢٧

ابن الحسن المالقي القاضي = علي بن عبد الله الجذامي (النباهي)

أبو الحسن المريني - علي بن عثمان

الحسين بن علي بن أبي طالب ٤٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥

ابن الحشرج = عبد الله بن الحشرج

ابن الحفيد = عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الأموي

الحكم ٥١

حمزة بن شعيب بن أبي مدين العثماني ٢٦٦
 حمزة بن عبد المطلب ٤٢ ، ٤٤
 أبو حمو المتوكل على الله = موسى بن يوسف بن عبد الرحمن
 الحياك - أبو محمد بن علي الفخار
 أبو حية النميري ٦٤
 حبي بن أخطب ٣٨٨

خ

ابن خاتمة = أحمد بن علي بن محمد
 خالد بن أحمد بن أبي بكر (أبو البقاء) ١٠٢
 ابن الخطيب (لسان الدين) محمد بن عبد الله
 ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
 الخليل بن أحمد ١٣٦
 الخليس الباهلي ٦٥
 الخنساء ٥٥ ، ٦٤

د

الدباغ = أحمد بن محمد الأنصاري
 دبيس (الأمير) ٢٥٠
 ابن دريد = محمد بن الحسن بن دريد
 دعبل الخزاعي ٥٦

ذ

ذو الإصبع ١٧٣

ر

- الرباب بنت امرىء القيس ٤٤
 الربيب = محمد بن محمد بن عبد الرحمن
 ابن رضوان = عبد الله بن يوسف بن رضوان
 رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٤
 ابن رواحة = عبد الله بن رواحة
 ابن الرومي ٦٥

ز

- الزبرقان بن بدر ٣٣ ، ٣٤ ح
 الزبير بن عبد المطلب ٤٢
 الزبير بن العوام ٤٢
 زكريا بن عبد الواحد بن زكريا (الأمير) ١٠٨
 ابن زمر ٤٢٤
 زهير بن أبي سلمى ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢
 زياد الأعجم ٥٢
 أبو زيان - محمد بن مسعود بن عبد الرحمن
 بنو زيان ١٠٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

س

- ابن السائب الخزومي ٣٨ .
 السَّاحِلِي = إبراهيم بن محمد الأنصاري
 السراج = محمد بن سعيد الرعيني .
 سعد بن عبادة ٩٣ ، ١٥٣ .

- بنو سعود ٢٤٩ .
 سعيد بن ابراهيم السدراقي (شهبون) ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦١
 أبو سعيد = فرج بن اسماعيل .
 سعيد بن عبد الله العباسي ٤٤٦ .
 سعيد بن المسيب ٣٧ .
 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ٣٥ ح ، ٤١ ، ٤٢ .
 سكينه بنت الحسين ٤٤ .
 سلامة ذافايش ٣٧ ح .
 سليمان بن يوسف بن يعقوب المريفي (أبو الربيع) ٢٥٧ .
 ابن سمالك ١٢٦ .
 سبيويه ٢٦ ، ٢٢٥ ، ٤٢٠ .
 ابن سيرين ٣٧ .

ش

- الشافعي = محمد بن إدريس .
 الشبوكي = محمد بن يوسف بن أحمد .
 الشديد = محمد بن يوسف بن الشديد .
 الشريد بن سويد ٣٢ ، ٤٨ .
 الشريف الغرناطي = محمد بن أحمد الحسني .
 شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي (أبو مدين) ٢٥٧ .
 شعيب بن عبد الله بن موسى الفشتالي ٣٥٨ .
 شعيب العثاني (أبو عبد الله) ٢٥٧ .
 شعيب بن محمد بن أبي مدين العثاني (أبو مدين) ٢٦٤ .
 شهبون الأديب = سعيد بن ابراهيم .

- الصاحب بن عباد ٩٢ ، ٣٩٩ .
 صالح بن حجاج اللخمي السبكي (أبو محمد) ٢٦٠ ، ٢٦١ .
 صفوان بن إدريس ٤٢٤ ، ٤٢٥ .
 صنهاجة ٣٥٩ (قبيلة) .
 ضرار بن عبد المطلب ٤٢ .
 صفية بنت عبد المطلب ٤٢ .

ط

- ابن طاهر ٢٦ .
 طرفة بن العبد ٥٠ ، ٦٥ .
 طريح ٦١ .
 الطويجن = إبراهيم بن محمد الأنصاري .
 أبو الطيب الكناني ٢٥٦ .
 أبو الطيب المتنبى ٣٧٣ .

ع

- ابن عائشة (المغني) ٩٨ .
 بنو عبد الوادي = بنو زيان .
 عامر بن يوسف بن يعقوب المريني ٢٥٧ .
 العباس بن الأحنف ٥٤ .
 العباس بن عبد المطلب ٤٢ ، ٤٤ ، ٣٩٢ .
 ابن عباس = عبد الله بن عباس .
 العباس بن مرداس ٥١ .
 عائشة (رضي الله عنها) ٢٤ ، ٣٥ .

- عبد الحق بن أبي بكر (الموحد) ٩٨ .
 عبد الحق بن الزيات ٤٣٣
 عبد الحق المريني ٦٧
 عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي ١٣٧
 عبد الحليم بن عمر (المؤيد بالله) المريني ٧٤
 عبد الحميد (الكاتب) ٢٠٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠
 عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (أبو زيد) ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٤٥٩
 عبد الرحمن أبو تاشفين العادل بالله ٢٥٠
 عبد الرحمن بن المتوكل على الله أبي عنان ٢٦٩
 عبد الرحمن بن محمد بن بلال الأشعري ٤٣٥
 عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ٤٥٢
 عبد الرحمن بن محمد بن رشد الأموي ٣٧٠
 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ٢٩٧
 عبد الرحمن بن محمد المليلي الصنهاجي ٤٣٦ ، ٤٥٤
 عبد الرحيم بن نوح بن شعيب الشبوكي ٤٤٣
 ابن عبد الرزاق = محمد بن علي بن عبد الرزاق
 عبد العزيز بن علي المريني (أبو فارس) ٧١ ، ١١٠ ، ١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
 ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ ، ٣٦٨ . ٣٧٠ ، ٤٤٣
 عبد الغفار بن موسى البوخلفي (أبو محمد) ٤٣٦ ، ٤١٤ ، ٤٦٠
 عبد الله الأوربي الفاسي (أبو محمد) ٤٤٠
 عبد الله بن الحشرج ٥٢
 عبد الله بن رواحة ٣٥ ، ٤١
 عبد الله بن الزيمري ٤٦
 عبد الله بن الزبير الأسدي ٥٧

- عبد الله بن سعيد العباسي ٤٤٦
 عبد الله بن عباس ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦
 عبد الله بن أبي القاسم العزفي اللخمي (أبو طالب) ٢٢٤ ، ٢٧٧
 عبد الله بن عبد المطلب ٤٢
 عبد الله بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧
 أبو عبد الله الفشتالي = محمد بن أحمد بن عبد الملك ٣٦٨
 أبو عبد الله الماجري المغيلي ٤٢٢
 أبو عبد الله المازري ٤٧
 عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤
 عبد الله بن محمد البكري المعروف بالأندلسي ٣٩٦
 عبد الله بن محمد بن خنوست ٤٤٩
 عبد الله بن موسى الفشتالي ٣٥٨
 عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢
 عبد الله بن يوسف بن محمد الينجاسني المريني ٢٧٥
 عبد الملك بن شعيب الفشتالي ٣٥٨
 ابن عبد المنان = أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي
 عبد المهيم بن محمد الحضرمي ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 عبد المؤمن بن علي (الموحد) ٤٣٢
 عبد المؤمن بن عمر المريني ٧٢
 عبد الواحد بن أبي حفص (الأمير) ٩٧
 عبيد الله بن يحيى (أبو مروان) ٢٤
 عبيدة بن الحارث ٤٣
 بنو عثمان (قبيلة) ٢٥٨

عثمان بن أحمد اللخمي ٢٤

عثمان بن إدريس الشامي ٦٣

عثمان (الأمير العبد الوادي) ٢٥٠ ، ٢٧١

عثمان بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧

عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٧

عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (الأمير المريني) ٢٤ ، ٤٦٠ ، ٢٦٤ ،

٣٢٢ ، ٣٤٥

المرجي ٣٩٨

عروة بن أذينة ٣٨

عروة بن حزام ١٠٨

أبو عزة الجمحي ٤٦

أبو العلي التونسي - إدريس بن أبي زيد

أبو العلاء المعري ٣٧٣ ، ٤٥٨

العلاء بن الحضرمي ٧٢

علي بن أحمد الحسني (المعروف بالأحيمر) ١٥٠

علي بن موسى بدر الدين بن موسى المريني ٧٣

علي بن سليمان (الأخفش) ١٧٤

علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٣٨٩

علي بن عبد الرزاق الجزولي ٣٥٥

علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (البني) ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢

علي بن عبد الله بن سعيد العباسي ٤٤٦

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن قطرال ٢٣ ، ٢٤

- علي بن عثمان بن يعقوب (السلطان المريني أبو الحسن) ٦٧ ، ٧١ ، ٢٠٦ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧
 علي بن أبي عمرو التميمي ٢٢٧
 علي بن محمد بن الصباغ العقيلي ٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
 علي بن محمد بن أحمد الخزاعي ٢٤٩ ، ٢٥٠
 علي بن محمد بن الجياب (أبو الحسن) ١٢٥
 علي بن محمد بن عمر الصنهاجي (أبو الحسن) ٤٢٧
 علي بن محمد بن معاود البلوي ٧٣
 عامر بن محمد المنتاقى ٤٤٤
 العماد (الأصفاني) ٢٨٤
 عمر بن أحمد بن أبي بكر (الأمير الحفصي) ٩٧ ، ١٠٥
 عمر بن توقرت ٣٩٧
 عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
 عمر بن السعود بن خرباش (الوزير) ٢٥٦
 عمر بن عبد المؤمن بن عمر الينجاسي ٤١٧
 عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني ٣١١ ، ٤٤٣
 عمر بن الفارض ١٣٢
 عمر المريني (أبو علي) ٣٥٨
 عمرو بن الأهتم ١٧٣
 عمرو بن عبد الله بن عسقلانه ١٧١
 عمرو بن كلثوم ٥٤
 أبو عنان (السلطان) = المتوكل على الله فارس بن علي
 ابن العميد ٢٠٦ ، ٤٠٠

عياض (القاضي) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩
عيسى بن الحسن بن أبي الطلاق ٢٣٦

غ

الغريض (المغني) ٩٨
غيلان ٢٦٦

ف

فارس بن علي بن عثمان (السلطان المريني - أبو عنان - المتوكل على الله)
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ ،
٤٢٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٤ .

فارس بن ميمون بن ودرار الحشمي ٣٩٧

فاطمة بنت عمرو بن عائذ ٤٢

الفخار = أبو محمد بن علي

الفرزدق ٣٨

فرج بن إسماعيل بن يوسف (أبو سعيد) ٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧ ، ٣١٥

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ١٨٦

فشتالة (قبيلة) ٣٥٩

الفشتالي = محمد بن أحمد بن عبد الملك

ق

أبو القاسم النجاري الخزرجي = عبد الله بن يوسف رضوان

أبو القاسم بن أبي العافية (القاضي) ٢٠٧ ، ٢١٤

القاسم بن يوسف بن رضوان (أبو الفضل) ٢٤٧ ، ٢٤٨

أبو قبيس ٢٥٠

ابن أبي قحافة = أبو بكر الصديق

قدامة ٤٠٠ ، ٥٤

قريش ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨٨

قس بن ساعدة ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

القصار = علي بن محمد بن عمر الصنهاجي

القمعاق بن شور ١٠٨

فيس ليلي ٨٩ ، ٢٦٦

قيس عيلان ٣٨٨

ك

كثير عزة ٦٠

كريب الحضرمي (الأمير) ٢٢٤

كسرى ١٢٣ ، ٣٨٠ ، ٤٨١

كعب بن زهير ٣٢

كعب بن مالك ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨

كعب بن مامد ١٠٨

لبيد بن ربيعة ٢١ ، ٢٢١ ، ٣٩٨

لؤي بن غالب ٤٠

مارية ١٧٤

المازري (الإمام) ٤٩

مالك بن أنس ٢٤

مالك بن عوف ٣٩١

مالك الفشتالي ٣٥٩

- المتوكل على الله = أبو عنان = فارس بن علي
 المتوكل على الله أبو يحيى = أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
 محمد بن إبراهيم بن محمد السلمي ١٥٦
 محمد الأبيكم (أبو عبد الله) ٨٢
 محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي (النيار) ٤٣٢
 محمد بن أحمد بن أبي بكر (الأمير الحفصي) ١٠٢
 محمد بن أحمد الحسني (الشريف الغرناطي) ١٤٥ ، ٩١
 محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي ٤٣١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ٢٣ ، ١٩٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦١
 محمد بن أحمد بن علي التميمي ٢٢٦
 محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري ٢٠٠
 محمد بن أحمد المكودي ٤٣٦
 محمد بن أحمد بن موسى الخزاعي ٢٤٩
 محمد بن إدريس (الشافعي) ٤٩
 محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج (السلطان) ٢٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ،
 ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٧ ، ٤٤٦
 محمد بن باشر التسولي ٤٥٦ ، ٤٥٨
 محمد بن أبي بكر بن إسحاق (الأمير الحفصي) ٩٧ ، ٩٨
 محمد بن أبي بكر بن يحيى الحفصي ٩٨
 محمد بن جزي = محمد بن محمد جزي
 محمد بن حزب الله الطائي الوادي آشي ٤٢٦
 محمد بن حسن الحسيني السبكي المعروف بالتمساني ١٧٢
 محمد بن الحسن بن دريد ٣٩٥

- محمد بن خميس الحجري ٣١٦
 محمد بن داود الصنهاجي ٤١٧
 محمد بن الربيب الكتامي ٢٥٦
 محمد رسول الله ﷺ ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥
 ٥٣ ، ٥٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٢٢٤ ، ١٨٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٦
 ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤١٦ ، ٤٥٣
 محمد بن رضوان النجاري الخزرجي ٢٣٤
 محمد بن سعيد الرعيني (السراج) ٢٣
 محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري ٢٤
 محمد (الأمير المريني الثائر يجبل هنتاته) ٤٤٤
 محمد شرف الدين البوصيري ٣٧٠
 محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي ٢٣
 محمد بن أبي عامر (المنصور) ١٧٠
 محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي ٢٦٩
 محمد بن عبد الحكيم بن تادرات ٢٥٣
 محمد بن عبد الرحمن الخزرجي (التاوري) ٤٥٤
 محمد بن عبد الرحمن الحسني (المومذاني القاسي) ١٩٠
 محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن (الأمير أبو زيان) ٧٣ ، ٢٥٠ ، ٣١٥
 محمد بن عبد الغفار بن موسى البوخلفي (أبو النور) ٤١٥ ، ٤١٦
 محمد بن عبد الله بن الخطيب (لسان الدين) ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٩١ ، ١٣٨
 ٣٦٠ ، ٣٦٤

- محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني ٢٥٥ ، ٢٥٨
 محمد بن عثمان بن يغمراسن (أبو زيان) ٢٥٠ ، ٣١١
 محمد بن علي بن عبد الله الجزولي (ابن الحاج - ابن عبد الرزاق) ٣٥٥

- أبو محمد بن علي بن الفخار المشهور بالحياك ٤٦٠
 محمد بن علي بن الصباغ العقيلي ٢٧١
 محمد بن عمار المهري ٥٧
 محمد بن عمر بن أحمد (الأمير الحفصي) ١٠٥ ، ١٠٦
 محمد بن عمر بن توقرت الموحد التيملي المصمودي ٣٩٦
 محمد بن عمر بن رشيد الفهري ٢٣ ، ١٩٠
 محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي ١٦١
 محمد العمراني ٥٧
 محمد بن أبي عمرو التميمي ٢٢٦
 محمد بن فارس بن علي بن عثمان الزباني ٤٩٤
 محمد بن القاسم الحسيني العراقي (للشريف) ٢٣٦
 محمد بن قطبة الدوسي ٨٠
 محمد الكناني ٢٥٦
 محمد بن محمد بن أحمد جزى الكلبي الفرناطي ٢٨٣ ، ٢٨٤
 محمد بن محمد بن أحمد التميمي ٢٢٦
 محمد بن محمد داود الصنهاجي ٤١٧
 محمد بن محمد بن محمد بن داود (أبو المكارم منديل) - ابن أجروم ٤١٦ ،
 ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦
 محمد بن محمد بن جزى الكلبي ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٣١
 محمد بن محمد السجزي ٢٤٦
 محمد بن السلمي (أبو البركات) - البلقية - ابن الحاج ١٥٦
 محمد بن محمد بن الشديدي ١٩٦
 محمد بن محمد القرشي المقرئ التلمساني ٧٠

محمد بن محمد بن محمد الغالب بالله النصري ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ٢٢٤ ،
٢٩٨ ، ٣٦٠

محمد بن الريب ٤٥٤ ، ٤٦٠

محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني ٢٦٢

محمد بن محمد بن يحيى اللخمي العزفي ١٢١

محمد بن أبي مدين بن شعيب العثماني ٢٦٤

محمد بن مسعود بن عبد الرحمن بن زيان ١١٤ ، ١١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠

محمد بن موسى بن إبراهيم الماجري ٤٥٣

محمد بن موسى بن عزروق ١٧١

محمد بن وهيب ٦٤

محمد بن يحيى بن أبي بكر (الحفصي) ١٠٧ ، ٢٩٨

محمد بن يوسف بن اسماعيل (الغني بالله النصري) ٢٥ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٥

٩١ ، ١١٢ ، ١٣٨

محمد بن يحيى الغساني البرجي ٤٢٥

محمد بن يحيى بن عبد الله اللخمي العزفي ١٢٠

محمد بن يحيى بن عبد الواحد (الموحدي) ٢٢٧

محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي ٤٤٢ ، ٤٤٣

محمد بن سليمان بن فهد الحلبي (شهاب الدين) ١٨٩ ، ١٩٠

محمود بن عنبة السامي ١٥٧

ابن المرعزي الكاتب ١٧١ ، ١٧٢

المرقش ٢٥٠

(بنو) مرين ٢٢٣ ، ٢٣٥

مسافع بن عبد مناف ٤٦

مـعود بن أبى القاسم بن أبى طلاق ٤٥٩

مسلم بن الحجاج ٤٨

المصمودى = محمد بن عمر بن توقرت

معاوية بن أبى سفيان (رضى الله عنه) ٣٧

ابن المعتز ٥٥

المعز بن مظاعن العربى ١٠٦

ابن مقلة ٨٣ ، ٢٥٠ ، ٨٤

ملوك بني الأحمر ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٣١٠ ،

٣٦٨

ملوك بني زيان ٢٩ ، ١٠٩

ملوك بني العزفي ٢٩ ، ١١٩

ملوك الموحدين ٩٧

ملوك بني مرين ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٧ ، ١٨٦ ، ٢٥٥ ،

٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٣٦

ملوك المغرب ٢٢ ، ٢٩

ملوك الموحدين الحفصيين ٢٩ ، ٢٣٥

ابن الملون ٥٣٣

منديل - محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي

منديل بن زنبق ٤٢٤

المنصور بن أبى عامر ١٧١

منصور بن أبى عمر بن عثمان بن يعقوب المريني ٧٢ ، ٧٣

أبو موسى الأشعري ٣٦

موسي بن سعود الخزاعي ٢٤٩

موسى بن عبد الرحمن المريني ٧٤

موسى بن عزرون ١٧١ ، ١٧٢

موسى بن نصير ١٥٧

موسى بن مالك الفشتالي ٣٥٩

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن (الزياتي) أبو حمو ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٢

المومناي = محمد بن عبد الرحمن الحسيني

ن

النايفة الذبياني ٦٠

ابن نباته ٥٨

نتيلة ٤٢

(بنو) نصر ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ،

٢٤٩ ، ٤٠٠

النعمان ٥٤

النيار - محمد بن أحمد بن إبراهيم ٤٣٢

هـ

هالة بنب وهيب ٤٢

هميرة بن أبي وهب ٤٦

ابن هانيء الأندلسي ٣٩٨

أبو هريرة (رضي الله عنه) ٢٤٩

هشام بن عروة ٢٤

هشام المؤيد (الخليفة الأموي) ١٧٠ ، ١٧١

و

واصل بن عطاء ١٨٣

الوانشريسي = الحسن بن عثمان بن عطية ٣٦٦

أبو الوليد بن الأحمر = إسماعيل بن يوسف بن محمد

ي

يحيى بن إبراهيم الأنصاري الأوسي ٢٧٧

يحيى بن أحمد بن محمد بن البغلة الأموي ٣١٠ ، ٣١١

يحيى بن أبي طالب العزفي ٢٢٤

أبو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد الجفاني ٤٣٤

يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى ٢٤

يحيى بن يحيى الليثي ٢٤

يعقوب بن عبد الحق الميرني ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٣٢٢ ، ٣٤٥

يوسف بن أحمد الشبوكي ٤٤٣

يوسف بن إسماعيل بن فرج ١٢٢ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،

٣٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٦٠

يوسف بن عبد الحق الميرني ٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧

يوسف بن عمر بن يعقوب بن زيان ١١١

يوسف بن مزني (أبو يعقوب) ١١٢

يوسف بن النجاسي ٢٧٦

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الميرني ٢٥٧

يوسف بن عطية بن موسى التجاني ٣٦٧

فهرس الاماكن

بسكره ١١١	آجلى ٢٧٥
بصرى ٤١	أرض بابل ٩٩
بغداد ١٧٣ ، ٢٤٥	أرض إفريقية ٦٩
بكّة - مكّة	إشبيلية ٣١٤
بلاد إفريقية ٦٩	أصيلا ٣٧٠
بلاد الأندلس ٧٣	إطرابلس ٦٩ ، ٢٥٣ ، ٢٨٣
بلاد الزاب ١١١	إفريقية ٩٨ ، ٢٢٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٨
بلقيق ١٥٦	أندرش ١٦٧
البيضاء ٢٦٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣	الأندلس ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨
٣٥٨	١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٧١
نازا ٤٣٢ ، ٤٣٣	١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
تاويرت ٣٦٦	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
تلمسان ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥	٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٠
٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ .	٣١٤ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ! ٤٣١ ، ٤٤٦ .
تهامة ٣٨٨	باب الفتوح ٤٥٦
توزر ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥	باب المحروق ٣٥٩
تونس ٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣	بادس ٣٦٧
١ - ٣ ، ٧ - ٣ ، ٣٤٢ .	بحاية ١٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٨
الجامع الأعظم بقرناطة ١٦٥ ، ١٨٦	بدر ٥٦ ، ٣٨٧
جامع الأندلسيين ١٦٥ ، ١٨٦	برجة ١٦٧
جامع القرويين ٢٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨	بسطة ١٦١
٤٥ ، ٤١٧	

الشام ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٥ ، ٣٨٢ ،
 ٤١١ .
 شبالش ١٥٧
 شوكة ٣٤٢ ، ٤٤٣
 الشجر ٢٦٦
 الصحراء ١٣٢
 صنعاء اليمن ١٧٣ ، ٣٣٥
 صومعة جامع القرويين ٤٥١ ، ٤٥٢
 طريف ١٦٦ ، ٢٨٤
 الطشاتين ٧٨
 طنجة ٣١٠
 العباد ٢٥٨
 العدوة (بر العدوة) ٢٢ ، ٣٥ ، ٧٢ ، ٧٤
 ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٥٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢١٥
 العراق ٣٧ ، ٢٤٥ ، ٤١١ ،
 العقيق ٢١٠ ، ٢١١
 غرناطة ٧٢ ، ٧٣ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ،
 ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٥٦
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥
 ٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٤٤٦ .
 غساسة ٧٢
 فارس ٢٧٦ ، ٤١٤
 فاس ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
 ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

جامع مدينة سجلماسة ٣٥٨
 جبل عامر بن محمد الهنتاتي ٢٦٢
 جبل هنتاتة ٤٤٤
 الجحفة ١٤
 الجزيرة الخضراء ٢٣٤ ، ٢١٠ ، ٣٠٥
 جلق ٢٤٥
 جيان ١٦٦ ، ٢٨٣
 الحبشة ٢٠٧
 الحجاز ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢١١
 حلب ٢٠٠
 حص (اشبيلية) ٢٥٢
 حنين ٢٩١
 خيبر ٣٨٩
 در ٢١٦ ، ٢١٧
 رية ١٧٢
 زرود (جبل) ٢٠٧ ، ٢١٦
 سبته ١٢٠ ، ١٤٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧
 ٢٨٢
 سجلماسة ١١٢ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠
 سجن دار الإمارة ٢٩٧
 سقيفة بني ساعد ١٥٣
 سلا ٣٦٨
 السودان = مالي
 السوس ٦٩ ، ٢٧٦
 سوق عكاظ ٣٩

مراكش ٤٣١ ، ٤٤٤	١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢١
مرج غرناطة ٢٦٩	١٥٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥
المرية ١٧٦ ، ٢٠٠	٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧
المسجد الأعظم بقرناطه ١٦٧	٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨
المسجد النبوي ٣٢	٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤
المشرق ١١١ ، ١٥٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦	٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨
٤٤٣ ، ٣٧١	٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥
مصر ١٩٩ ، ٣٤٢	٤٥٦ ، ٤٥٩ .
المغرب ٢٩ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٩٧ ، ٣٥٥	قادس ٢٧٦
٤٤٣ ، ٣٧١	قرطبة ١٧١ ، ٢٣٤
مكة ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٣٨٩	قسنطينة ٢٢٨
٣٩٠	القسنطينية ٢٧٦
مكناسة الزيتون ٢٥٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥	قصر الحمراء ١٤٠
٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨	قصر كتامة ٢٥٦ ، ٢٥٨
الناعورة بقرطبة ١٧١	كاظمة ٢١٦
نجد ١٥٢ ، ٣٨٨	كربلاء ٤١١
نهر سبو ٤٥٨	مالقة ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ، ١٩٦
نهر الفرات ٤١١	٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٢٧ ، ٣١٥
نهر النيل ٤١١	مالي ٢٠٦
الهند ٢٩٣	مجنة ٢٤
وادي آش ١٣٧ ، ١٦٧	مدرسة السلطان أبي عنان بفاس ٣٥٩
وادي حنين ٤٤	المدرسة التي بالعطارين بفاس ٣٥٩
وادي القرى ٣٨٩	المدينة ١١٢
	المدينة البيضاء ٧٠
	المدينة النبوية ٢٤ ، ١٩٠

فهرس الشعر

١

٨٢	يتوق لمن يهواه قلبي صباية	فيمينعي عما أحب حياء
٢٩١	لعلك لي عن حسن عهد مكافيء	فيسرع نحوي ودك المتباطيء
١١٦	لله ما بلغت في الإطراء	وبثت من ود وطيب ثناء
٣٦٩	يا ابن الملوك الأكرمين ذوي العلا	أهل الوفاء وملجأ الضعفاء
٣٦٩	يا أوحد الفقهاء والكبراء	وأخي التقى والفضل والعلياء
٤٢٧	أمرى فهبج لاعمج البرحاء	برق أضاء له من الجرعاء
٤٢٤	إن ابن زنبق جار في أحكامه	وسطا على الفقراء والضعفاء
١١٤	قرت بفضلك ألسن الأعداء	يا ابن الملوك ذوي التقى الفضلاء

ب

٢٣٢	أنا حاجب لفظاً ومعنى	ليس لي منها نصيب
٢٧١	تحام بلاد الغرب ما شئت إنها	ظلامٌ وحزنٌ دائمٌ وحروبٌ!
٤٤٧	طولت مطلي يا أسنى الكرام وفي	إنجاز وعدك لي سؤال ومرغوب
٢٩٩	علي أي حال لليالبي أعاتب	وأي صروف الزمان أغالب
٧٤	اسم فلان هــين	يصبي النهى تقريبه
٢٥١	هو الدين عز اليوم بالنصر جانبه	وذل مناويه وهات مناصبه
٢٧	هذا الكتاب له فضل على الكتب	كتب القريض مع التأريخ والأدب
٤٢٨	خليلي يا منديل من دون ما ريب	أتني قواف عن ودادكم تنبي
٤٢٧	أبا حسن إني وحقق في كرب	لما قد دهاك الدهر من حادث القلب

وأرغب خالقي في العفو عني	٧١
وأطلب حلمه يوم الحساب	
أرضي الله في سري وجهري	٦٨
وأحمي العرض من دنس ارتياب	
ألمأ بأحداث العلى والمناصب	٢٢٨
تحبي ثراها واكفات السحائب	
الآن أنت توبة للتائب	٤٣٢
من بعد ما اخضر النبات بشارب	
من كان يبكي ماجداً فليجد	٢٣٢
بالمدمع السكب على الحاجب	
شعر صفوان بن إدريس أخى الفهم العجيب	٤٢٥
أهيا الأستاذ يا من هو قوت للقلوب	٤٢٥
أنا الزواوي وهذا مكتبي	٤٣٣
لحرفة التعلم والتأدب	
حبوت جنابي يا سليل محمد	٩١
بعذراء ما أسنى سناها وأعجبا	
وذي شنب متى أنظر بطرفي	٣٧١
إليه استل من لحظ ذبابا	
لئن استقمت كما أمرت وترعوي فلك النصيب	٢٣٣

ت

أيا ماجداً لولاه ماعرف الندى	٤٤٧
ولا الجود والجدوى ولا شرف الدست	
أحبك يا مغنى الحقوق بواجب	٢٥
وأقطع في أوصافك الغر أوقاتي	
فإن عندي أبا العلى وله	٤٢٢
إرادة أن يراك في الوقت	
يا من بآدابه الرفيعة قد	٤٢٢
أخل ذكر البديع والبسقي	
تأس أبا القاسم في الذي	٤٢٥
أصبت به من ممات البنات	
وقد كنت تخشى بها المكر من	٤٢٦
غوائل صهر فها المكرمات !	
حن المشوق إلى ديار أحبته	١٢٢
فسقى الثرى شوقاً لذلك بدمعته	
يقولون إني بالبطالة مولع	٨٢
ولست ورب البيت أعرفها بتسا	
رمانى بنوعمي بزور مزور	٨٤
وما زلت أوفاهم وأحسنهم سمتا	

ث

- ٣١١ أحيى ميت الأحياء يرجو كلامك للوزير بغير ريث
٢٨٩ إن قلبي لعهدة الصبر ناكث عن غزال في عقدة السحر نافث

ج

- ٧٠ وإذا تعرض للرياسة خامل جرت الأمور على الطريق الأعوج!
٢٨٥ قسماً بوضاح السنا وهاج من تحت مسدول الذوائب داج

ح

- ٣٩٧ كفوا عن اللهو والمزاح وامضوا على الجدد والصالح
٣٦٧ دعوت للخير والفلاح إذ قلت كفوا عن المزاح
٢٦٥ يا غائباً في الضمير ما برحا إني محل الورى وإن نزحنا
٢٦١ شمت من ربحانها رائحه لمسك دارين غدت فاضحه
٢٦٠ يا سيدي لم أنم البارحه من فكرة سانحة بارحه
١٢١ بالله خبرني وكن صادقاً هل نلت شيئاً ليلة البارحه

خ

- ٩٣ أكتبكم يا أهل ودي وبيننا كما حكم البين المشت فراسخ

د

- ٢٥٤ سل قلبك المصدوع من بعدي ماذا لقيت لحادث البعد
٨١ إلى السادة الأخيار أبناء هاشم بني الحجر والبيت العتيق المجد
٢٠٧ لمن الركائب خضن رمل زرود وسرين بين تهاثم ونجود
٢١٤ أملي على كبري وطول عمودي رجع الشبية والهوى المعهود
٢٦٢ وافت يجر الزهو فضلة بردها حسناء قد أضحت نسيجة وحدها

- ١٠٦ لينهك أن الله فوقك مالـك ودونك كل المالـكين عبيد
 ٤١٧ من مبلغ الأستاذ عنا أنه شغل الخواطر والنواظر سهدا
 ٤٤١ لأنت أجل أخ يعتقد وأذكى أديب بهذا البلد

ذ

- ٤١٨ أبا المكارم ذا الأحاجي والحجا وابن الجهابذ جلة النفاذ
 ٨٠ قل للتي نبأتك هذا قد صح هذا بـ «صح هذا»

ر

- ٢٨٦ أما ومعان قد نظمت مقصراً فأطلعها غراء في أفق الفكر
 ٢٣١ لعمراً المعالي ما وفقت بحقوقها من الناس من لم يرث لابن أبي عمرو
 ٤١٦ ما المرء في هذه الدنيا بمسرور فيا أخا الخزم صبراً عن أبي نور
 ٤٣٦ فبيت طوله ستون شبراً تخيله رشاء حول بير
 ٤٣٦ ألاقـل لشاعرنا الأشعري شعرت وليتـك لم تشعرا!
 ٤٣٦ بشعرك يا أيها الأشعري تقوق ابن أوس مع البحـثري
 ٤٣٦ أو الريح لما سرت دائماً على الخلق من فـمك الأبحر
 ٣٢٧ حياك أمي لا الهلال ولا البدر وريقك أشهى لا الزلال ولا الخمر
 ٤٣٩ وجدي بكم ليس يبقـي لا ولا يذر والصبر عنكم على حكم النوى صبر
 ٤٣٧ سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها نسيم صبا يحـيي القلوب مسيرها
 ٣١٢ أعاذلتي أن أبصرت راحتي صفرا وأن لست بمن يقـتني البيض والصفرا
 ١٨٧ إذا البرق ثار أثار اذكارا لقلبي فأذكى عليها أارا
 ٤٤٥ هنيئاً لكم يا بني خـرج أنتم السادة الخيرا
 ١٦٩ أمالي الشوق تملأ لي الدفاتر أقول هي الصحاح هي الجواهر
 ٤٣٤ اسقني شربة لذيذة طعم ليس فيها كروية وحريره

ز

- ١٢٦ يا كاملاً شوقي إليه وافر وبسيط خدي في هواه عزيز
١٧٩ وعد الوفاء وليته مانحزاً طيف ألم بمقلتي مستوفزاً
١٨٢ مزج البلاغة بالجزالة موجزاً وأتى به في الحسن بدعاً معجزاً

ش

- ٣٩٦ رعباً لبدر قد ثوى بالحشا رباه مستنشقه ان مشى

ض

- ٢٥٩ يا سقى الله دهرنا المتقضي من شأبيب دمعي المرفض
٨٤ يا نازحاً ولعمد الحب قد نفضا لا تستحل حراماً رمته غرضاً
٣٦٤ تعرفت أمراً ساءني ثم سرنى وفي صحة الأيام لا بد من مرض
١٠٧ لما وقفت على حقيقة أمركم وعلمت أن الود فيك مضيع

ع

- ٣١٦ أما المشيب فقد لاحت لوامعه فما لدمعك لا تهمي هوامعه
٧٠ تراهم في ظواهرهم كراماً ويخفون المكيدة والخداعا
٨١ أردد في ليلي فرائد فكري أردد في ليلي فرائد فكري

ف

- ١٣٣ ببهاء عزك عند ذلة موقعي عطفاً على مسترحم مستعطف
٩٢ لا تجزعن أبا الصدق الأمير على يحمي سليلك في الباقي لك الخلف
١٠٣ بالمشرفيات يحمي المجد والشرف ومن صدور المعالي تقفني الطرف
٣٥٩ أيا إماماً ندى كفيه قد وكفا حسبي اعتصامي بحبل منكم وكفى!

محاسنها دانيات القطوف	وسيف منار بفاس غدت	٤٥٤
فوق منار لا لأمر مخوف	شاموا بفاس سيف إدريسهم	٤٥٣
ليس للغم لا ولا للتحافه	سيف إدريس بالمنار بفاس	٤٥٥

ق

والشوق يذهب ما عدا أشواقي	يفى الهوى وغرام عزّة باق	١٥٨
وإن كانت تفصصني بريقي	(جزى الله الحوادث كل خير)	٩٨
أخي حرق رق الجماد لما يلقى	سلام عليكم من مشوق متيم	٩٤

ك

ماذا جنته على العشاق عيناك؟	أكل شاك بداء الحب مضناك	١٧٧
من كف ملك مالك	خذها إليك هدية	٨٠
سبى فؤادي فما أبقي ولا تركا	وشادن مثل وجه البدر غرقه	١٤٥

ل

حيطت بها الملة البيضاء في الملل	بشرى لدولتك الغراء في الدول	٢٦٨
عندما آذنوا بشد المحول	عز صبري ولم أكن بالجهول	٢٦٢
والدهر كاتب آيها والتالي ؟	من ذا يعد فضائل الفشتالي	٣٦١
فكيف باللهو في دنياه يشتغل !	من المشيب على فوديه يشتعل	٤١٩
والقلب بعدك والله نخبول	هاجت لبعذك لوعة وغليل	٨٨
غداة شكت لبينهم الطول ؟	ألي في سدره الوادي مقيم	٢٦٧
إليك وأنت للروح الخليل	كففت عن الوصال طويل شوقي	٣١٦
عليك وأنفاسي إليك تميل	تقض ضلوعي كلما حنت الحشا	١٠٨
دمع جرى فوق صفح الخد هامه	أبان في حبه ما قال عاذله	٤٤٤
ولكنه كي يعلم الحق جاهله	وليس ارتفاعي في المنار لكربة	٤٥٩

- ٤١٧ ما شأنه شيناً حلاقة رأسه بل زاد أضعافاً بذاك جماله
 ١٢٦ زارت تجرر نخوة أذيالها هيهات تخلط بالنفار دلالها
 ١٥٠ الآن تطلب ودها ووصالها من بعد ما شغلت بهجرك بالها
 ١٣٨ يا قاطع اليد يطوي السهل والجبل
 ومنضياً في الفيافي الخيل والإبل
 ١٢١ يا ماجداً ما جئته في حاجة إلا وكان له الكريم المفضلا
 ٤٠٢ عجباً أيتخذ السلو خليلاً من ليس يأمل أن يبين نحولا؟

م

- ٢٧٨ خبر الروض طي واني النسيم سل خبيراً عن سره المكتوم
 ١٦١ عادت ببرئك بهجة الأيام واستقبلتك بشعرها البسام
 ٨٢ أما المعجوز فقد شغلت بكلها عن مدحنا والسين دون السلام
 ٤٤٩ با ابن أسمى الملوك صيتاً وقدرأ وأخا الفضل والرفيع المقام
 ٤٥٣ أنكر السيف بالمنار بفاس قائل إن ذاك داعي اغتنام
 ٣٦٥ وأيم الله إبراراً لأيم لقد جلى كتابك كل غم
 ١٣٦ ولما ثناني عن هوى من أحبه عذار بدا في الخد أسود فاحم
 ٢٢٥ نفسي الفداء لعهد كنت أعده وطيب عيش تقضى كله كرم
 ٧٤ أرقى وقد نام الخلي المسلم وبني من أليم الشوق ما ليس أكرم
 ٨٨ سهرت فيمن جفنه نائم وذبت فيمن جسمه ناعم
 ٣٠٠ علي لكل مكرمة ذمام ولي بمدارك المجد اهتمام
 ١٩٧ لنا في كل مكرمة مقام ومن فوق النجوم لنا مقام
 ٢٣٦ قف بالديار فهذه أعلامها يهدي إليك مع النسيم سلامها
 ٩٨ بنديالك الوادي وذيلك الحمى سلبت فؤادي واغتديت متيما
 ٤٣١ يا سعد صل دنفاً بوصلك مغرماً أعبي الأواسي طبه بل أعجبا

١٠٦	وحياة حبك إنني	مذ غبت لا أدري المنام
١٠٦	يا أيها الخسل الذي	أرعاها من بين الأنام

ن

٢٦٥	كم بات طيفك بالزوراء يفريني	وأسهم الوجد لا تحطي وتصميني
١٤٧	دعيني من مقال العاذلين	وخلي بين تهيامي وبيني
٤٢٦	كان الشمع سهم من نضار	يقدر الدجن أو عصب يمان
٤٦٠	قال قوم سيف المناربفس	هو طلسم ذلة وهوان
٤٣٤	أعرض الغزي عني	هكذا ما كان ظني
٤٤٧	نزلت من الإنسان منزل عقله	ومنزل عقل المرء منه جنانه
٨٤	ألبسوها ليحجب الحسن فيها	ثوب حزن فزاد حسناً ومعنى
١١١	سكنها ليلالي آمنيها	وأياماً تسر الناظرينا
٨٥	يوم بان الظاعنون	لا تسل ماذا لقينا
٣٧٤	أرقني بارق نجد إذ سرى	يومض ما بين فرادى وثنى
١٧٣	يا تحفة القلم الذي زان الزمن	من ذا يقوم بشكر من أهداك من؟

هـ

١١٢	رعى الله أياماً تقضت وحياها	بأنس حبيب كان أنس يحياها
-----	-----------------------------	--------------------------

ي

٤٤٧	ياسليل الملوك من آل نصر	وبني كل سؤدد خزرجي
٤٦٠	شهرة المشرفي فوق المنار	عزة لعلوري ودين النبي
٤٤٧	يا ابن عم النبي أحمد إني	فيك ذو لوعة وحق علي!
٨٥	أبى الله إلا أن يملكك الدنيا	ويحمي بك الإسلام إذ حطته رعيا
١٦٨	سعود بها الإسلام نال أمانيه	أشادت ببشراه وشادت مبانيه

موشحة

٤٤٩	نشرت فيكم بني نصر	لأبي المصدق راية النصر
-----	-------------------	------------------------

فهرس الشواهد الشعرية

ا

هجوت محمداً فأجبت عنه	٣٦
فإني لو لقيتك فاجتمعنا	٥٤
إذا عقد القضاء عليك أمراً	٤٣

ب

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب	١٨٦
منك التجلي ومنا الستر والحجب	١٨٦
لعمرك إنني لأحب بيتاً	٤٤
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا	٥٣
إذا ما تيممي أذاك مفاخرأ	٦٦

ت

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً	٣٨
يا ما كرواً بي وبخلادنه	٤٢٦

ث

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث	٤٣
-----------------------------	----

ج

إن السباحة والمروءة والندى	٥٢
----------------------------	----

ح

ألا أبلغ النعمان عني رسالة	٥٤
ما زال يلثمني مراشفه	٦٤

وعند الله في ذاك الجزاء
لكان لكل منكورة كفاء
فليس يحمله إلا القضاء

إليك آل التقصي وانتهى الطلب
وكل نعمي فمن عليك ترقب
تحل به سكينه والرباب
وأسيافنا ليل تهاوى كواكب
فقل عدت عن ذا كيف أكلك للضب؟

ولو رضيت رمح استه لاستقرت
مهلاً فما المكر من الكرمات

أرقت أو امر في العشيرة حادث

في قبة ضربت على ابن الحشرج

فمجدك حولي ولؤمك قارح
ويعلني الإبريق والقحح

د

- ٣٨ إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبتردُ
٤١ وإن سنام الحمد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ
٥٠ ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
٥٧ فردّ شعورهن السود بيضاً وردّ وجوههن البيض سودا

ر

- ٤٥ إذا طارقات الهم ضاجعت الفقى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
٦٥ هم الأخيار منسكةً وهديا وفي الهيجا كأنهم صقورُ
٤٣ تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
٥٥ حامى الحقيقة ، محمود الطريقة ، نفاع وضرار
٥٥ جواب قاصية جزاز ناصية عقاد ألوية للخيل جرار
٤٣ هون عليك فإب الأمور بكف الإله مقاديرها
٣٨ شهد الفرزدق والقبائل كلها أن الفرزدق ناك أم جرير
٨٣ لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة من الحياء ولا يغضي على عار
٢٧ وما السرّ من قلبي كشاور بحفرة لأنني أرى المدفون ينتظر الحشرا
١٨٩ وصلنا السرى وهجرنا الديارا وجئناك نطوى إليك القفارا
٣٩ في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

س

- ٦٠ فإني إن أفتك يفتك مني - فلا تسبق له - علق نفيس
٢٥ تركت مثالب الرجال لأنني أفضل أن ألقى بفضلني للناس

ص

- وما ذاك إلا للذي حاز من عثلا ومن مكرمات ما لها في الورى محض

ع

- ٤٥ ألاهل أتى عرسى مكري وموقفي
بوادي حنين والأشعة تشرع
٣٤ نحن الملوك فلاحى يعادلنا
منا الملوك وفيما تنصب البيع
٣٤ إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد شرعوا سنة للحق تتبع
٥١ أتجعل نهبي ونهب العبيد
بين عينة والأقرع

ف

- ٥٥ وإني للشعر المخوف لكالىء
وللشعر يجري ظلمه لرشوف

ق

- ٦١ إن حاربوا وضعوا أو سالما رفعوا
أرواعدوا ضنوا وأحدثوا صدقوا
٥٤ قد سحب الناس أذيال الحديث بنا
وفرق الناس فينا قولهم فرقا
٥٧ ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
ماكذت الليث عن أقرانه صدقا

ك

- ٥٦ لا تعجبي يا سلم من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى

ل

- ٤٤ عشية ساروا حاشدين وكلنا
مراجله من غيظ أصحابه تغلي
٣٦ يهوي كما تهوي العقاب وقد رأت
صيداً وينصب انصباب الأجدل
٤٤ ومارست هذا الأمر خمسين حجة
وخمساً أرجي قابلاً بعد قابل
٢٤ كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله
٣٥ خلوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نفر بكم على تنزيله
٢٤ ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
٦٤ وما بلغت كف امرئ متناولاً
من المجد إلا والذي نلت أطول
٣٧ قلدتك الشعر يا سلامة ذا
فايش والشيء حيثما جعلنا

- ٦٠ لو أن الباخلين - وأنت منهم -
 ٦٦ إذا ما ظمئت إلى ريقها
 ٣٣ وحي ذوي الأضغان تسب قلوبهم
 رأوك تعلموا منك المطالا
 جعلت المدامة منه بديلا
 تحييتك الحسنى وقد يرقع التنغل

م

- ٦٢ ومهما تكن عند امرىء من خليقة
 ٦٦ أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
 ٥٧ بحيث اتخذنا الروض جاراً تزورنا
 ٣٧٠ أمن تذكر جيران بندي سلم
 ٥٦ ألم تبتدركم يوم بدر سيموفنا
 ٦٥ آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم
 ٦٠ متى كان الخيامُ بندي طلوح
 ٥٩ أقتسى إذا تودعنا سليمي
 ٦٥ لقد ملئت عيني بحسن محاسن
 ٤٤٢ تخير لنظمك سهل الكلام
 وإن خالها تخفى على الناس تعلم
 وبين النقا آنت أم أم سألـ ؟
 هداياه في أيدي الرياح النواسم
 (مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم)
 وليلك عما ناب قومك نائم ؟
 في الحادثات إذا دجون نجوم
 سقيت الغيث أيتها الخيام
 بفرع بشامة ، سقي البشام
 ملأ فؤادي لوعة وهو ما
 وجنبه حوشية والسلام

ن

- ٦٦ هو الذيب أو للذيب أوفى أمانة
 ٦٣ خليلي من كعب أعينا أخاكا
 ٥٤ على هيكلي يعطيك قبل رؤله
 ٥٣ وكالسيف إن لا يئنه لان متنه
 ٦٢ سكران سكرهوى وسكر مدامة
 ٦٣ وسابح هطل التعداء هتات
 ٦٠ ألا زعمت بنو عبس بأني
 وما منها إلا أزل خؤوت
 على دهره إن الكريم معين
 أفانين جري غير كز ولا واني
 وحداء إن خاشته خشان
 أني يفيق فقي به سكران
 على الجراء أمين غير خوان
 ألا كذبت كبير السن فان

٦٢	وإذا الدر زان حسن وجوه	كان للدر حسن وجهك زينا
٢٥	فؤادي يشتكي داء دفيننا	لبعدي عن مزار الطاعنيننا
ي		
٦٥	ألا حي من أجل الحبيب المغانينا	لبسن البلى مما لبسن الليالينا
٢٨	وعين الرضا عن كل عيب كليله	ولكن عين السخط تبدي المساويا
٥٠	عميرة ودع إن تجهزت غازيا	كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا



فهرس الرسائل

- ١ - رسالة أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر إلى الشريف الغرناطي ٩١ - ٩٢
- ٢ - رسالة أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر إلى ابن عمه إسماعيل
ابن فرج ٩٣ - ٩٥
- ٣ - رسالة القاضي النباهي إلى الفقيه التلمساني ١٧٢ - ١٧٥
- ٤ - رسالة ابن خاتمة إلى أبي بكر محمد بن محمد بن جزي ١٨٥ - ١٨٦
- ٥ - رسالة القاسم بن رضوان إلى أبي عنان المريني ٤٢٨
- ٥ - رسالة أبي الحسن علي بن محمد الصباغ العقيلي إلى السلطان
أبي عنان المريني ٢٧٥ - ٢٧٦
- ٦ - رسالة الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم الأنصاري
لأمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز المريني ٢٨٢ - ٢٨٣
- ٧ - رسالة من محمد بن جزي إلى أبي عنان المريني ٢٩٤ - ٢٩٦
- ٨ - رسالة محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي ٣٥٦ - ٣٥٧
- ٩ - رسالة لسان الدين بن الخطيب إلى الفقيه محمد بن
أحمد بن الملك الفشتالي ٣٦١ - ٣٦٢
- ١٠ - رسالة الفشتالي إلى لسان الدين ردأ على الرسالة السابقة ٣٦٢ - ٣٦٤
- ١١ - رسالة أخرى لسان الدين بن الخطيب إلى الفشتالي ٣٦٤ - ٣٦٥
- ١٢ - رد الفشتالي ٣٦٥ - ٣٦٦
- ١٣ - رسالة عبد الرحمن المكودي إلى المؤلف (ابن الأحمر) ٣٧٣ -
- ١٤ - رسالة محمد بن عمر بن توقرت إلى القاضي أبي علي
حسن الوانشريسي ٣٩٧ - ٣٩٨
- ١٥ - رسالة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الدباغ إلى المؤلف ٣٩٩ - ٤٠١
- ١٦ - رسالة إلى أبي محمد الأوربي ٤٤٠

فهرس مصطلحات النقد والبلاغة

٤٥٩	التضمنين	٤٥٦	الأخذ
٥٧	التضمنين المزدوج	٦٢	الاستدراك والرجوع
٥٦	التطبيق	٦٣	الاستطراد
٦١	التعديد	٥٣	الاستعارة
٦١	التفسير	٦٤	الاستهلال
٦٥	التفويف	٥٤	الإشارة
٦٤	التلخيص	٥٦	الاشتقاق
٥٣	التمثيل	٥٩	الاعتراض
٦٦	التنبيه	٥٩	الالتفات
٦٢	رد المعجز على المصدر	٦٥	التميم
٦٢	العكس والتبديل	٦٦	التجاهل
٥٢	الكناية	٥٥	التجنيس
٥٧	لزوم ما لا يلزم	٤٦١	التجنيس المضارع
٦٠	اللف والنشر	٤٦٠	التحريز
٦١	المتواتر	٦١	التخييل
٦٢	المساواة	٦٤	الترديد
٦٦	الهزل الذي يراد به الجد	٥٥	الترصيع

الكتب الوارد ذكرها في متن الكتاب

٢٩٥	كتاب الصحيحين	أسمى الوسائل في مختار الشعر والرسائل ٤٠١
٢٩٦	الطالع السعيد	الإكمال للقاضي أبي الفضل ٤٧-٤٨-٤٩
٨١ ، ٧٨	فريد العصر من شعر بني نصر	الإنجيل ٤١٣ - ٣٨١ - ٣٠
٨٣ ، ٥٨ ، ٥٣ ، ٤٥ ، ٣٧	القرآن الكريم	البردة (قصيدة) ٣٧٠
٤٢ ، ٤١٣ ، ٣٩٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦		تاريخ ابن أبي زرع المعروف بالأنيس
٢٦٨	كتاب ابن الحاجب	المطرب بروض القرطاس في أخبار
٢٢٥	كتاب سيديويه	ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ٣٥٩
٣٦٧ ، ٣٥٩	المدونة	تهذيب الكمال ٢٩٥
٤١٧	مقامات الحريري	التوراة ٣٨١
	المنتخب درر السلوك في شعر الخلفاء	الجلاب ٣٦٧
١١٤	الأربعة والملوك	جليس الأديب وأنيس الغريب ٢٧٠
٢٩٦	الموطأ	حرز الأمان ٤٢١
٢١	نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان	حلية الأولياء ٢٩٦
٤٢٦	اليتيمة (للثعالبي)	الرسالة ٣٦٧
		سقط الزند ٢٩٦

فهرس أبواب الكتاب

- مقدمة المحقق ٣ - ١٣
- مقدمة مؤلف الكتاب ١٩ - ٢٩
- الباب الأول : في فضل الشعر وإباحة إنشاده بالمساجد (٣١ - ٦٦)
 - ٣١ - ٤٢ في فضل الشعر ؛ ٤٢ - ٤٦ في إباحة إنشاده ٥٦ - ٥١
 - المذموم من الشعر ، ٥١ - ٥٢ ما لا بد للشاعر من معرفته
 - ألقاب البيان والبديع . ٥٣ - ٦٦
- الباب الثاني : فيما بلغنا من شعر كتاب بني مرين ملوك المغرب (٦٧-٧٥)
 - ٦٧ أمير المسلمين أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب
 - ٦٩ أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس بن علي أبو عنان
 - ٧١ أمير المسلمين عبد العزيز بن علي
 - ٧٢ الأمير منصور بن عمر بن عثمان
 - ٧٣ الشيخ أبو الحسن علي بن بدر الدين
- الباب الثالث : في شعر ملوك بني الأحمر من بني نصر
 - قومي وأبنائهم (٧٧ - ٩٥)
 - ٧٧ أمير المسلمين محمد بن إسماعيل بن محمد
 - ٨١ الرئيس إسماعيل بن أبي سعيد فرج
 - ٨١ الرئيس محمد بن يوسف (أخو المؤلف)
 - ٨٤ ترجمة المؤلف إسماعيل بن يوسف

● الباب الرابع : في شعراء ملوك الموحدين الحفصيين

(٩٧ - ١٠٨)

وأبنائهم

- ٩٧ أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر بن إسحاق
 ٩٨ أمير المؤمنين أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
 ١٠٢ ابنه أمير المؤمنين أحمد
 ١٠٥ أخوه أمير المؤمنين عمر
 ١٠٧ أمير المؤمنين محمد بن أبي زكريا يحيى
 ١٠٨ الأمير زكريا بن أبي محمد عبد الواحد

● الباب الخامس : في شعر ملوك بني زيان من بني عابدين

(١٠٩ - ١١٧)

الوادي وأبنائهم

- ١١٠ أمير المسلمين موسى بن يوسف
 ١١١ الأمير يوسف بن عمر بن يعقوب
 ١١٤ محمد بن أبي سرحان مسعود

● الباب السادس : في شعر ملوك بني العزفي وأبنائهم

(١١٩ - ١٢٤)

- ١٢٠ الأمير محمد بن يحيى
 ١٢١ ابنه أبو يحيى محمد

● الباب السابع : فيما بلغنا من شعر كتاب قومي

(١٢٥ - ١٣٠)

- بني الأحرار ملوك الاندلس
 ١٢٥ ذو الوزارتين علي بن محمد بن الجيئاب

● الباب الثامن فيما بلغنا من شعر وزراء قومي بني الأحمر

(١٤٣-١٣١)

من بني نصر ملوك الأندلس

١٣١

الفقيه الكاتب أحمد بن إبراهيم بن صفوان

١٣٧

الفقيه الخطيب عبد الحق بن محمد بن عطية

● الباب التاسع : فيما بلغنا من شعر قضاة بلادنا

(١٤٥ - ٢٢٢)

الأندلسية وفقهائها

١٤٥

الفقيه الكاتب محمد بن أحمد الحسني (الشريف الغرناطي)

١٥٠

الفقيه الخطيب علي بن أحمد الحسني (الأخير المالقي)

١٥٦

الفقيه القاضي محمد بن محمد السلمي (أبو البركات البلقي)

١٦١

الفقيه الكاتب محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي

١٦٥

الفقيه الكاتب أحمد بن محمد بن جزى الكلبي

١٧٠

الفقيه الكاتب علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي (القاضي النباهي)

١٧٥

الفقيه الكاتب أحمد بن علي بن محمد الأنصاري (ابن خاتمة)

١٨٦

الفقيه الخطيب فرج بن قاسم بن لب التغلي (ابن لب)

١٩٦

الفقيه الحاج محمد بن محمد بن الشديد

٢٠٠

الفقيه الضرير محمد بن أحمد بن جابر الهواري

٢٠٥

الفقيه الحاج ابراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي

● الباب العاشر : فيما بلغنا من شعر كتّاب بني مرين (٢٥٢ - ٢٢٣)

٢٢٣

الفقيه الكاتب عبد المهيمن بن محمد الحضرمي

٢٢٦

الفقيه الرئيس محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي

٢٤٧

الفقيه الكاتب القاسم بن يوسف بن رضوان

٢٤٩

الفقيه الكاتب علي بن محمد بن مسعود الخزاعي

- ٢٥٣ الفقيه الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن تادرات
 ٢٥٤ الفقيه الكاتب أحمد بن شعيب الجزفاني
 ٢٥٥ الفقيه الكاتب محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني
 ٢٦٢ الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني
 ٢٦٤ الفقيه الكاتب شعيب بن محمد بن أبي مدين شعيب العثماني
 ٢٦٦ الفقيه الكاتب حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين
 ٢٦٨ الفقيه القاضي علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
 ٢٧٧ الفقيه الكاتب يحيى بن إبراهيم بن زكريا الأنصاري الأوسي
 ٢٨٣ الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أحمد بن جزري الكلبي
 ٢٩٧ الفقيه الكاتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
 ٣١٠ الفقيه القاضي يحيى بن محمد بن محمد بن البغلة الأموي
 ٣١٤ الفقيه الكاتب أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي

● الباب الحادي عشر : فيما بلغنا من شعر قضاة المغرب وفقهائها (٢٥٥)

- ٢٥٥ الفقيه القاضي الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي
 ٣٥٨ الفقيه الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
 ٢٦٦ الفقيه القاضي الحسن بن عثمان بن عطية الوانشريمي
 الفقيه القاضي الخطيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
 ٣٧٠ ابن رشد الأموي
 ٣٧٢ الأستاذ النحوي المقرئ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي
 ٣٩٦ الفقيه الأستاذ المقرئ عبد الله بن محمد البكري
 ٣٩٦ الفقيه الأستاذ النحوي محمد بن عمر بن توقرت التينملي
 ٣٩٨ الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالدباغ

- ٤١٤ الفقيه عبد الغفار بن موسى البوخلقي
 ٤١٦ الفقيه الأستاذ النحوي محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
 ٤٢٧ الأستاذ النحوي المقرئ علي بن محمد بن عمر الصنهاجي
 ٤٣١ الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي
 ٤٣٢ الفقيه العدل محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي
 ٤٣٦ الفقيه الصوفي محمد بن أحمد
 ٤٤٢ الفقيه محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي
 ٤٤٦ الفقيه العدل إبراهيم بن علي العباسي
 ٤٤٨ سعيد بن إبراهيم السدراقي

• الباب الثاني عشر : فيما قيل من الشعر في السيف

الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس (٤٥١ - ٤٦١)

- ٤٥٢ - ٤٥١ السبب في وضع السيف ، وتسمية واضعه
 ٤٥٢ أحمد بن يحيى بن عبد المنان
 ٤٥٣ أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري ، أبو المكارم منديل بن أجروم
 محمد بن محمد الريب - محمد بن عبد الرحمن التاوري - أبو زيد عبد
 ٤٥٤ الرحمن الصنهاجي المليبي
 أبو العباس أحمد الخزرجي الدباغ - أبو الوليد إسماعيل بن فرج
 ٤٥٥ ابن إسماعيل بن الأحمر
 ٤٥٦ محمد بن باشر التسولي - منديل بن أجروم
 ٤٥٩ مسعود بن أبي طلاق - أبو زيد بن عبد الرحمن المكودي
 أبو العلي إدريس بن رشيد الفهري - عبد الغفار البوخلقي - أبو محمد
 ٤٦٠ بن علي الفخار الحياك (الحباك ؟)
 ٤٦١ أبو عثمان سعيد السدراقي

تراجم الكتاب منسوقة على الحروف المجانية

٤٤٦	إبراهيم بن علي العباسي ، الفقيه العدل
٢٠٥	إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي الفقيه الحاج
٢٥٤	أحمد بن شعيب الجزنائي الفقيه الكاتب
١٧٥	أحمد بن علي بن محمد الأنصاري (ابن خاتمة الفقيه الكاتب)
١٣١	أحمد بن إبراهيم بن صفوان - الفقيه الكاتب
١٠٢	أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم أمير المؤمنين
٣٩٨	أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بالدباغ ، الفقيه الكاتب
١٦١	أحمد بن محمد بن جزري الكلبي - الفقيه الكاتب
٣١٤	أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المذنان الخزرجي الفقيه الكاتب
٨٠	إسماعيل بن يوسف أبي سعيد فرج ، الرئيس
٨٤	إسماعيل بن يوسف (المؤلف)
٩٨	أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم أمير المؤمنين
٣٦٦	الحسن بن عثمان عطية الوانشريسي الفقيه القاضي
٢٦٦	حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين الفقيه الكاتب
١٠٨	زكريا بن أبي محمد عبد الواحد (الأمير)
٤٤٨	سعيد بن إبراهيم السدراتي (شهبون)
٢٦٤	شعيب بن محمد بن أبي مدين شعيب العثماني ، الفقيه الكاتب

- ١٣٧ عبد الحق بن محمد بن عطية ، الفقيه الخطيب
- ٣٧٢ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوذي ، الأستاذ النحوي المقرئ
- ٢٩٧ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الفقيه الكاتب
- ٣٧ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رشد الأموي الفقيه القاضي الخطيب
- ٧١ عبد العزيز بن علي - أمير المسلمين
- ٤١٤ عبد الغفار بن موسى البوخلفي ، الفقيه
- ٣٩٦ عبد الله بن محمد البكري ، الفقيه الأستاذ المقرئ
- ٢٣٣ عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الفقيه القاضي
- ٢٢٣ عبد المهيمن بن محمد الحضرمي الفقيه الكاتب
- ١٥٠ علي بن أحمد الحسني (الأحمير المالقي) الفقيه الخطيب
- ٣٧ علي بن بدر الدين ، أبو الحسن
- ١٥٠ علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي القاضي النباهي الفقيه الكاتب
- ٦٧ علي بن عثمان - أبو الحسن - أمير المسلمين
- ١٢٥ علي بن محمد بن الجباب (ذو الوزارتين)
- ٢٦٨ علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي - الفقيه القاضي
- ٤٢٧ علي بن عمر الصنهاجي - الأستاذ النحوي المقرئ
- ٢٤٩ علي بن محمد بن مسعود الخزاعي - الفقيه الكاتب
- ١٠٥ عمر بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم - أمير المؤمنين
- ١٨٦ فرج بن قاسم بن لب التغلبي - الفقيه الخطيب
- ٢٤٧ القاسم بن يوسف بن رضوان - الفقيه الكاتب
- ٤٣٢ محمد بن أحمد بن إبراهيم الكومي - الفقيه العدل
- ٢٠٠ محمد بن أحمد بن جابر الهواري الفقيه الضرير

- ١٤٥ محمد بن أحمد الحسني (الشريف الغرناطي) الفقيه الكاتب
- ٤٣١ محمد بن أحمد بن شاطر الجحفي - الفقيه القاضي الصوفي
- ٣٥٨ محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي - الخطيب القاضي
- ٤٣٦ محمد بن أحمد المكودي - الفقيه الصوفي
- ٧٧ محمد بن إسماعيل بن محمد - أمير المسلمين
- ٩٧ محمد بن أبي بكر بن إسحاق - أمير المؤمنين
- ٢٠٧ محمد بن أبي زكريا يحيى - أمير المؤمنين
- ١١٤ محمد بن أبي سرحان مسعود
- ٢٥٣ محمد بن عبد الحكيم بن تاورارت - الفقيه الكاتب
- ٢٥٥ محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني الفقيه الكاتب
- ٣٥٥ محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي - الفقيه القاضي
- ٣٩٦ محمد بن عمر بن توقرت التينملي - الفقيه الأستاذ النحوي
- ١٦١ محمد بن عمر بن علي بن عتيق القرشي الفقيه الكاتب
- ٢٨٣ محمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي - الفقيه الكاتب
- ١٥٦ محمد بن محمد السلمي (أبو البركات البلغيفي) الفقيه القاضي
- ١٩٦ محمد بن محمد بن الشدييد (الفقيه الحاج)
- ٢٢٦ محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي الفقيه الرئيس
- ٢٦٢ محمد بن محمد بن أبي مدين العثماني ، الفقيه الكاتب
- ٤١٦ محمد بن محمد بن محمد بن داود الصنهاجي - الفقيه الأستاذ النحوي
- ١٢١ محمد بن محمد بن يحيى أبو يحيى
- ١٢٠ محمد بن يحيى (الأمير)

- ٤٤٢ محمد بن يوسف بن أحمد الشبوكي (الفقيه)
 ٨٣ محمد بن يوسف (أخو المؤلف) الرئيس
 ٧٢ منصور بن عمر بن عثمان (الأمير)
 ٢٧٧ يحيى بن إبراهيم بن زكريا الأنصاري الأوسي (الفقيه الكاتب)
 ١٣٠ يحيى بن أحمد بن محمد بن البغلة الأموي (الفقيه القاضي)
 ١١١ يوسف بن عمر بن يعقوب (الأمير)

الشعراء الذين أنشدوا شعراً في سيف صومعة جامع القرويين

- ٤٥٥ أحمد بن محمد الخزرجي الدباغ
 ٤٥٦ أبو العلي إدريس بن يحيى بن رشيد الفهري
 ٤٥٦ أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر
 ٤٥٣ أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد المنان
 ٤٦١ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم السدراي (شهبون)
 ٤٥٩ أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكودي
 ٤٦٠ أبو محمد عبد الغفار البخلفي
 ٤٥٦ أبو الفضل محمد بن باشر التسولي
 ٤٥٣ أبو عبد الله محمد بن موسى الماجري
 ٤٥٤ محمد بن عبد الرحمن الخزرجي التاوري
 ٤٥٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الربيب
 ٣٦٠ أبو محمد بن علي الفخار الحياك
 ٤٥٩ مسعود بن أبي القاسم بن أبي طلاق
 ٤٥٣ (منديل) محمد بن محمد بن محمد بن آجروم

تراجم أندلسية ومغربية

وردت في حواشي الكتاب

٤٣٣	أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي
٧٧	بنو الأحمر = بنو نصر
٢٨٣ ، ١٦٥	بنو جزى
٦	الجند الغربي
٣٩٤	حازم بن محمد بن حسن القرطاجي
٩٧	بنو أبي حفص (الحفصيون)
١٠٩	بنو زيان = بنو عبد الوادي
٢٦٤ ، ٢٥٧	سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي الإشبيلي
٢٦٠	أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي السبتي
٤٢٤	أبو بحر صفوان بن إدريس التجيمي المرسي
١٣٧	(أبو محمد) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي
٢٣٦	أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني
٤٤٠	أبو محمد عبد الله الأوربي
١٠٩	بنو عبد الوادي = بنو زيان
١١٩	بنو العزفي
٤٤٣	عمر بن عبد الله الياباني

- ٢٣٤ أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف
- ١٦٥ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي
- ١٩٠ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
- ١٢٩ (لسان الدين بن الخطيب) محمد بن عبد الله بن الخطيب
- ١٩٠ أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهمري السبتي
- ٣١٦ أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد خديس
- ٨٠ أبو القاسم محمد بن قطبة الدوسي
- ٤١٧ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي
- ١٢٦ الغالب بالله محمد بن محمد بن محمد الملقب بالخلوع
- ٧٠ أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ التلمساني (الجد)
- ٤٢٥ أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي الفسائي
- ٨٥ الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر
- ٢٥٥ بنو أبي مدين العثماني
- ٦٧ بنو مرين
- ٢٣٦ المولديات (احتفال المغاربة والأندلسيين بالمولد النبوي)
- ٧٧ بنو نصر = بنو الأحمر



فهرس المصادر والمراجع*

- ابو المطرف بن عميرة المخزومي - د . بنشريفه - المغرب
الإحاطة في أخبار غرناطة - ابن الخطيب - مصر جزآن
الإحاطة - بتحقيق أ . عنان - الجزء الاول
الاستبصار - لمجهول - ط الاسكندرية .
الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى - الناصري السلاوي - الطبعة الثانية -
أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري - السقا ورفاقه -
الأعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية
أعمال الأعمال - لسان الدين بن الخطيب - قسم الأندلس - تحقيق: ل . بروفنسال
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة دار الثقافة - بيروت
ألف باء لأبي الحجاج البلوي - جزآن - ط القاهرة .
الإيضاح للقرظيني (بعناية محي الدين عبد الحميد) - القاهرة .
إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي
البداية والنهاية لابن الأثير - ط القاهرة
بغية الرواد - يحيى بن خلدون - ٣ أجزاء - الجزائر .
بغية الوعاة للسيوطي الطبعة الثانية - القاهرة .
البلاغة تطور وتاريخ - د . شوقي ضيف - دار المعارف بمصر .
البيان النبوي - د . عدنان زررور - دمشق .
تاج المفرق بتحلية علماء المشرق - لأبي البقاء البلوي - (مخطوطة خاصة)
تاريخ الأدب العربي - بروكلمان (النسخة الألمانية)
تاريخ ابن خلدون = العبر = ٧ أجزاء ط القاهرة .

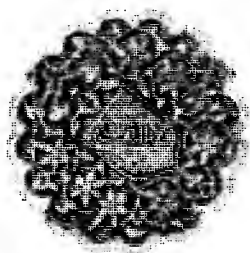
* لم أثبت المعاجم المعتمدة ، وإن كان اعتمادى - في الأكثر - على القاموس .

- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ١٠ أجزاء - القاهرة .
- تاريخ قضاة الأندلس = المرقبة العليا للقاضي أبي الحسن النباهي - تحقيق ل . بروفسال - القاهرة .
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - د . محمد رضوان الداية - بيروت
- التبيان لابن الزمكاني - ط بغداد
- تحرير التحرير لابن أبي الإصبع - ط القاهرة - بمعناية حفي شرف .
- التسهيل لعلوم التنزيل - لابن جزي - تحقيق د . عدنان زرور و د . محمد رضوان الداية - طبع بيروت .
- التعريف بابن خلدون - بقلمه - ط القاهرة - بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي .
- تفسير القرطبي = الجامع لعلوم القرآن = ٢٠ جزءاً - ط القاهرة .
- التلخيص للقزويني - ط القاهرة .
- جذوة الاقتباس لابن القاضي - ط المغرب .
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم - دار المعارف بمصر -
- جنى الجنتين للمحيي - ط القاهرة -
- خزانة الأدب للبغدي - الطبعة الأولى - وط السلفية - وط هارون .
- درة الحجال في أسماء الرجال - ابن القاضي - ط القاهرة .
- الدرر الكامنة لابن حجر - ط القاهرة .
- الديباج المذهب لابن فرحون (ط ابن شقرون - القاهرة) .
- ديوان الأعشى - ط القاهرة - تحقيق د . حسين .
- ديوان امرئ القيس - ط القاهرة - بشرح الأعلام الشنتمري .
- ديوان أمية بن أبي الصلت - تحقيق د . السطلي .
- ديوان البحترى (القاهرة) تحقيق الصيرفي .
- ديوان بشار بن برد - ط القاهرة - تحقيق ابن عاشور .

- ديوان أبي تمام - القاهرة - تحقيق د . عزام
 ديوان جرير - تحقيق الصاوي بمصر -
 ديوان = شعر = النابغة الجعدي - ط دمشق .
 ديوان ابن الجيباب (مخطوطة خاصة) .
 ديوان حسان بن ثابت (ط البرقوق بمصر)
 ديوان ابن خاتمة - تحقيق د . الداية - دمشق .
 ديوان لسان الدين بن الخطيب - الجزائر .
 ديوان الخنساء ط بيروت
 ديوان دعبل الخزاعي - تحقيق د . الأشر .
 ديوان ابن الرومي (ط الكيلاني - القاهرة) .
 ديوان زهير بن أبي سلمى - ط دار الكتب المصرية -
 ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (ط دار الكتب المصرية) .
 ديوان طرفة بن العبد - سلفسون - باريس
 ديوان العباس بن الأحنف (ط الجوائب) .
 ديوان العباس بن مرداس (جمع الأستاذ الجبوري - بغداد) .
 ديوان ابن الفارض - ط مصر - بلا تاريخ -
 ديوان كثير عزة بتحقيق د . إحسان عباس - بيروت .
 ديوان كعب بن زهير (ط دار الكتب المصرية) .
 ديوان محمد بن عمار المهري (ط بغداد) .
 ذكريات مشاهير المغرب - الأستاذ كنون - بيروت
 رحلة أبي البقاء البلوي = تاج المرق .
 رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة - الشريف الفرناطي - ط مصر
 رقم الحلل في نظم الدول - ابن الخطيب - تونس .

- الروض المطار للحميري - تحقيق د . عباس - بيروت
- روضة النسرين لابن الأحمر - المطبعة الملكية بالرباط -
- ريحانة الكتاب ونجمة المنتاب لابن الخطيب - مخطوطة القاهرة -
- سلوة الأنفاس - للكتاني -
- السيرة النبوية لابن هشام - السقا ورفاقه .
- شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف - القاهرة -
- صحيح البخاري = فتح الباري .
- صحيح مسلم بشرح النووي .
- العقد لابن عبد ربه - أحمد أمين ورفاقه - القاهرة .
- المعدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق - ط الخانجي .
- فهرس الفهارس والأثبت لعبد الحي الكتاني - ط مصر .
- الكمال للمبرد - مطبعة نهضة مصر -
- الكتيبة الكامنة لابن الخطيب - د . إحسان عباس بيروت .
- كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني ط مصر
- لسان الدين بن الخطيب - الأستاذ عنان - القاهرة
- كناسة الدكان لابن الخطيب - القاهرة -
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية - المطبعة السلفية بمصر -
- المراقبة العليا = تاريخ قضاة الأندلس .
- مستودع العلامة - لابن الأحمر - (ط المغرب) .
- مشاهدات لسان الدين - ط مصر بعناية د . العبادي
- معجم البلدان لياقوت - ط بيروت
- معجم الشعراء للمرزباني - عبد الستار فراج .
- معجم المؤلفين - كحالة - دمشق .
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة - لزამباور - القاهرة - (مترجم) .

- ممعجم ما استعجم للبكري (تحقيق السقا) مصر .
 المعلقةات بشرح التبريزي - مصر
 معيار الاختبار للسان الدين بن الخطيب (مصر)
 المقاصد الحسنة للسخاوي
 النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله كنون - بيروت -
 نثير فرائد الجمال لابن الأحمر (د . الداية) ط بيروت -
 نقاضة الجراب لابن الخطيب (ط القاهرة) .
 نفح الطيب للمقري - تحقيق د . إحسان عباس - بيروت .
 نقد الشعر لقدامة - ط الآستانة -
 نهاية الاندلس - أ . عنان - الطبعة الثانية .
 النهاية في غريب الحديث لابن الأثير - الطناحي ورفيقه - مصر .
 نيل الابتهاج لأحمد بابا (على ذيل الديباج) .
 هدية العارفين - إسماعيل البغدادي - استانبول - .



تصويبات

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٣	يصحح إلى :	٧٢٥ - ٧٣٣
١٠	١ أسفل	والمحفوظة	والمحفوظ
١١	٢ أسفل	عليها	عليها
١٢	١ هامش	سنة ١٩٧٤	سنة ١٩٧٥
٢٩	٤	الملوك	ملوك
٤٣	٢ أسفل	حازم	خازم
٥٦	١ أسفل	ديوان دعبل	صفحة : ١٦٠
٨٢	٢	ليلي	ليلي
٨٩	٥ أسفل	عبيد	عبيد بن
١٠٨	١٣	تقض	تقض ؟
١٢١	٢	له	واقراً : لي
١٨٦	١٤	ديوان ابن خاتمة ٣	ديوان ابن خاتمة ٣٠
٢٥٩	٧	أبو الحسين	أبو الحسن
٢٦٥	٢	بالزرداء	بالزوراء
٣٠٩	٤	الصيحفة	الصحيفة
٣١٠	٢ أسفل	بطيخة	بطنجة
٣١١	٤ أسفل	ابن زيان بن محمد	ابن زيان محمد
٤١٧	٥	شينا	واقراً أيضاً : شينا

المحقق

● في سلسلة دراسات أندلسية :

- ١ - تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (دراسة) - دار الأنوار (بيروت)
- ٢ - المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني - الطبعة الأولى - دار الأنوار (بيروت - دمشق)
الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي بدمشق .
- ٣ - مختارات من الشعر الأندلسي - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة الثانية (المكتب الإسلامي بدمشق) .
- ٤ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري (تحقيق) صدر عن وزارة الثقافة بدمشق .
- ٥ - الإنصاف بذكر أسباب الخلاف لابن السيد البطلوسي (تحقيق)
نشر دار الفكر بدمشق .
- ٦ - شرح مشكل شعر المتنبي - لابن سيدة الأندلسي (تحقيق) نشر دار المأمون بدمشق .
- ٧ - ديوان أبي إسحاق الإلبيري - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت - دمشق) .
- ٨ - أعلام المغرب والأندلس وهو كتاب « نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان » لابن الأحمر .
- تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت)
- ٩ - ديوان ابن عبد ربه (جمع وتحقيق) - مؤسسة الرسالة

● في سلسلة الذخائر :

- ١ - ابن خفاجة (دراسة) نشر المكتب الإسلامي - دمشق .
- ٢ - أبو البقاء الرندي (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (بيروت) .
- ٣ - ابن زيدون (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (بيروت) .

● في المكتبة الأندلسية :

- ١ - إحكام صناعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي (تحقيق) نشر دار الثقافة - بيروت .
- ٢ - نثير فرائد الجمان لابن الأحمر - (تحقيق نص أندلسي) + دراسة عن المؤلف وأدبه وكتابه - دار الثقافة - بيروت .

● بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عدنان زررور

- ١ - الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيما البغدادى (تحقيق) نشر وزارة الأوقاف بالكويت .
- الطبعة الثانية - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت
- ٢ - تفسير ابن جزي الغرناطي - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت

● أعمال أخرى

- ١ - أعلام الأدب العباسي (تراجم واختيارات) نشر دار الفارابي - دمشق
- ٢ - ابن زيدون (محاولة لإعادة النظر في دراسة شخصيته وشعره) بحث قدم إلى مهرجان ابن زيدون في ذكراه الألفية بالرباط (المغرب)
- منهج جديد لدراسته .